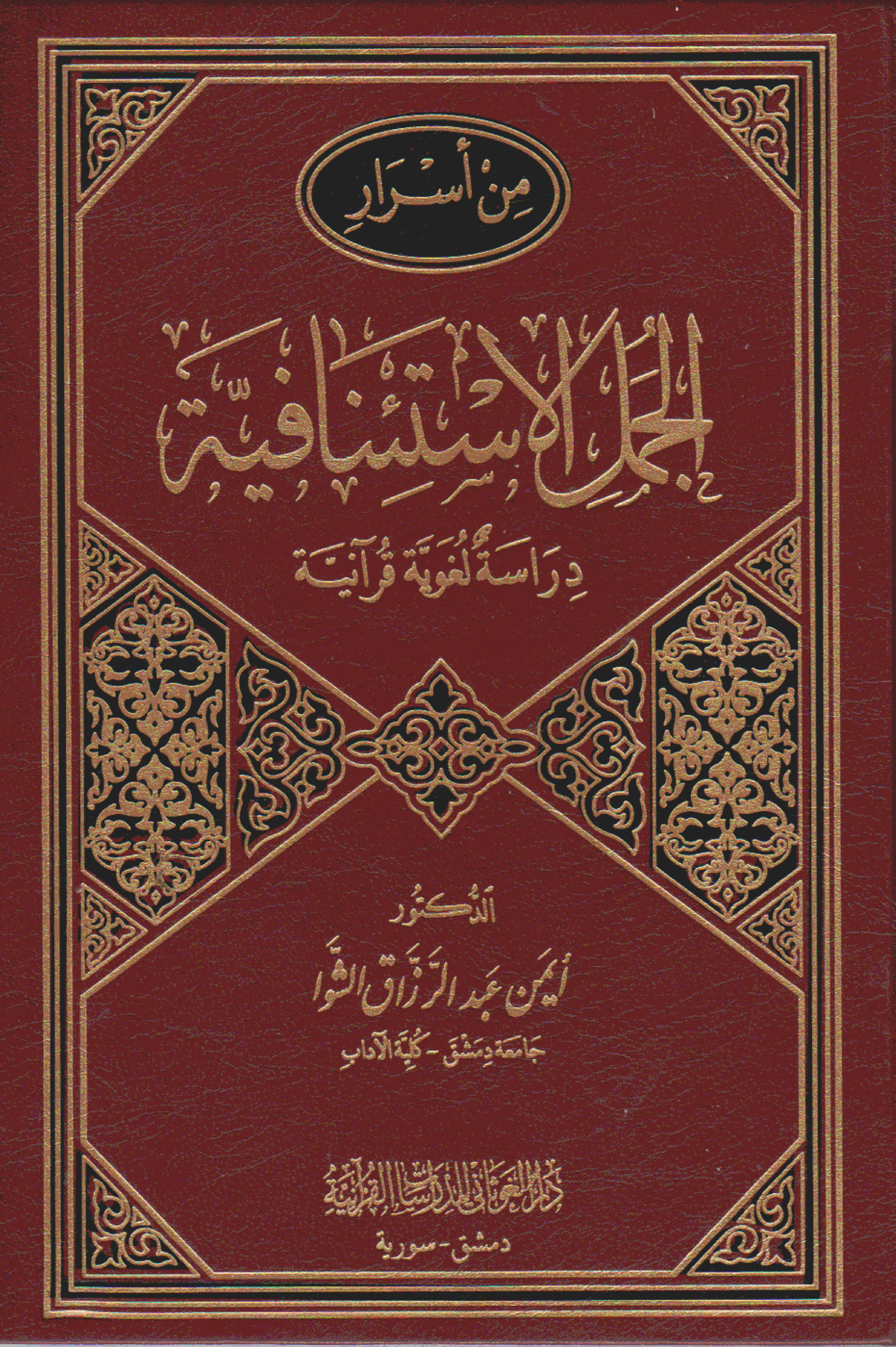

من أسرار
الجمل الاستئنافية
دراسة لغوية قرآنية
الدكتور
أيمن عبد الرزاق الشوا
جامعة دمشق - كلية الآداب
دار الغوثاني للدراسات القرآنية
دمشق - سورية

من أسرار

الجمل الاستئنافية

الموضـــوع : الدراسات القرآنية
العنـــوان : من أسرار الجمل الاستئنافية
تأليـــف : د. أيمن عبد الرزاق الشوا

عدد الصفحــات : ٥٣٦
قياس الصفحــات : ١٧ × ٢٤
الرقم التسلسلي : ٥٠
الترقيم الدولي : ISBN 978-9933-403-02-7
التنفيذ الطباعي : مطبعة الغوثاني

الوكـــلاء

سورية - حلب	دار نور الهداية	هاتف :	٠٠٩٦٣٢١٣٢٣٧٣٠٠
سورية - حمص	مكتبة الأنصار	هاتف :	٠٠٩٦٣٣١٢٤٦٧٢٥٥
الأردن - عمان	دار الفاروق	هاتف :	٠٠٩٦٢ ٦٤٦٤٠٠٦٤
لبنان - بيروت	دار البشائر الإسلامية	هاتف :	٠٠٩٦١١٧٠٢٨٥٧
السعودية - الرياض	أيمن عوض	هاتف :	٠٠٩٦٦٥٦٩٨٠١٩٩٤
مصر - القاهرة	دار السلام	هاتف :	٠٠٢٠٢ ٢٧٤١٥٧٨
الجزائر - العاصمة	دار الوعي	هاتف :	٠٠٢١٣٥٤٥١٠١٤
الكويت - العاصمة	بيت المقدس	هاتف :	٠٠٩٦٥ ٢٦١٠٢٧٠





دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣ (٩٦٣١١+)
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١+) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١+)
www.gwthani.com / info@gwthani.com

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



مِنْ أَسْرَارِ

الجُمَلِ الاسْتِئْنَافِيَّةِ

دراسة لغوية قرآنية

الدكتور

أيمن عبد الرزاق الشوا

مُدرِّسُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ في جامعةِ دِمَشْق - كلِّيَّة الآداب

دار الغوثاني للدراسات القرآنية

دِمشق - سُورِيَة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قالوا في الاستئناف:

١- "إنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجمل؛ من عطفِ بعضها على بعضٍ، أو تَرْكِ العطف فيها، والمجيءِ بها منثورةً، تُستأنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى، مِن أسرار البلاغة، ومما لايتأتَّى لتمام الصواب فيه إلا الأعرابُ الخُلَّصُ". (الإمام عبد القاهر الجرجاني)

٢- "الاستئناف للتفنّن في البلاغة، هو عادةُ البلغاء من العرب، والاستئناف باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنُه". (الإمام الزمخشري)

٣- "إنَّ المعنى الواحد قد يُخبر عنه بألفاظ بعضُها أحسنُ من بعضٍ، وكذلك كلُّ واحدٍ من جزأي الجملة قد يُعَبَّر عنه بأفصحِ ما يلائم الجزءَ الآخر، ولابدَّ من استحضار معاني الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضارُ هذا متعذِّرٌ على البشر في أكثر الأحوال، وذلك عتيد حاصل في علم الله تعالى".

(البارزيّ)

٤- "الاستئناف تُحفَةٌ لمن همُّه نظمُ دُررِ الكتابِ العزيز، وضمُّ بعضها إلى بعض. (ابن المنيّر)

٥- "الجملة الاستئنافية هي تاج الجمل العربية، ودراستُها الحقيقيّة إنما تتمُّ في رحاب علم المعاني بشكلٍ خاصٍّ؛ لما تحقّقه من مقاصدَ وأغراضٍ بلاغيةٍ، فيها سرُّ البلاغة ورونق الإعجاز". (أيمن الشوّا)

فإن نلحق النعمى بنعمى فإنه ... يزين اللآلي في النظام ازدواجها

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، الذي كشف لعباده المتقين من أسرار كتابه المبين، وأطلعهم على دقائق كنوزه وروائع آياته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الذي خصه الله بالمعجزة الخالدة؛ معجزة القرآن الكريم، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذا البحث عن أسرار الجمل الاستئنافية محاولةٌ تتناول المسائل النحوية والبيانية التي توضح بالدراسة والتحليل دور الجملة الاستئنافية في كلام العرب، وما تحقّقه من أغراضٍ ووظائفَ، وما يدور حولها من أسرار ولطائف، لعلّها تقدّم جديداً نافعاً للقارئ الذي يحفظ الجمل التي لها محل من الإعراب حِفظاً متكاملاً، ولا يجد شيئاً ذا بال عن مضمون الجملة الاستئنافية، التي هي في نظري **تاجُ الجمل العربية**، وإنَّ قلّةً من الباحثين اللغويين أولَوا عنايتهم هذا الجانب المهمَّ.. ورأيت أنَّ الجملةَ الاستئنافية لم تنل حظّاً وافراً من الدراسة والبحث والتحقيق، فجاء هذا الكتاب جديداً في موضوعه، وفي منهجه، توخّيت فيه الوضوحَ والبيان، والبعدَ عن وعورة الأسلوب، وقسوة التعقيد. وقد رصد للجملة الاستئنافية ما يقارب خمسين غرضاً، بُنيت على النماذج العديدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والكلام المأثور، والشعر القديم والحديث. أبرزت ما في هذه الأغراض والأساليب من جمالٍ وجلالٍ، وما تحتويه من لطائف وأسرار، فيها توجيهات نافعة تربي ملكة النقد الصحيح

وتنمّي فطرة الذوق السليم، وتكون حلْقةً من أهمّ حلقاتِ النحو والبلاغة في مجال فهم الجمل والكشف عن أسرارها، وتلوّن مظاهرها وتفنّن تعابيرها.

وأملي أن أكون قد وُفّقت إلى ما قصدت إليه، وأرجو أن أكون قد أضفت بهذا العمل جهداً متواضعاً لمن سبقونا في هذه المضمار؛ خدمةً للغة العربية وتراثها المجيد، فإن أفاد ونفع فذلك رجائي فيه، وإن كان دون ذلك فما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

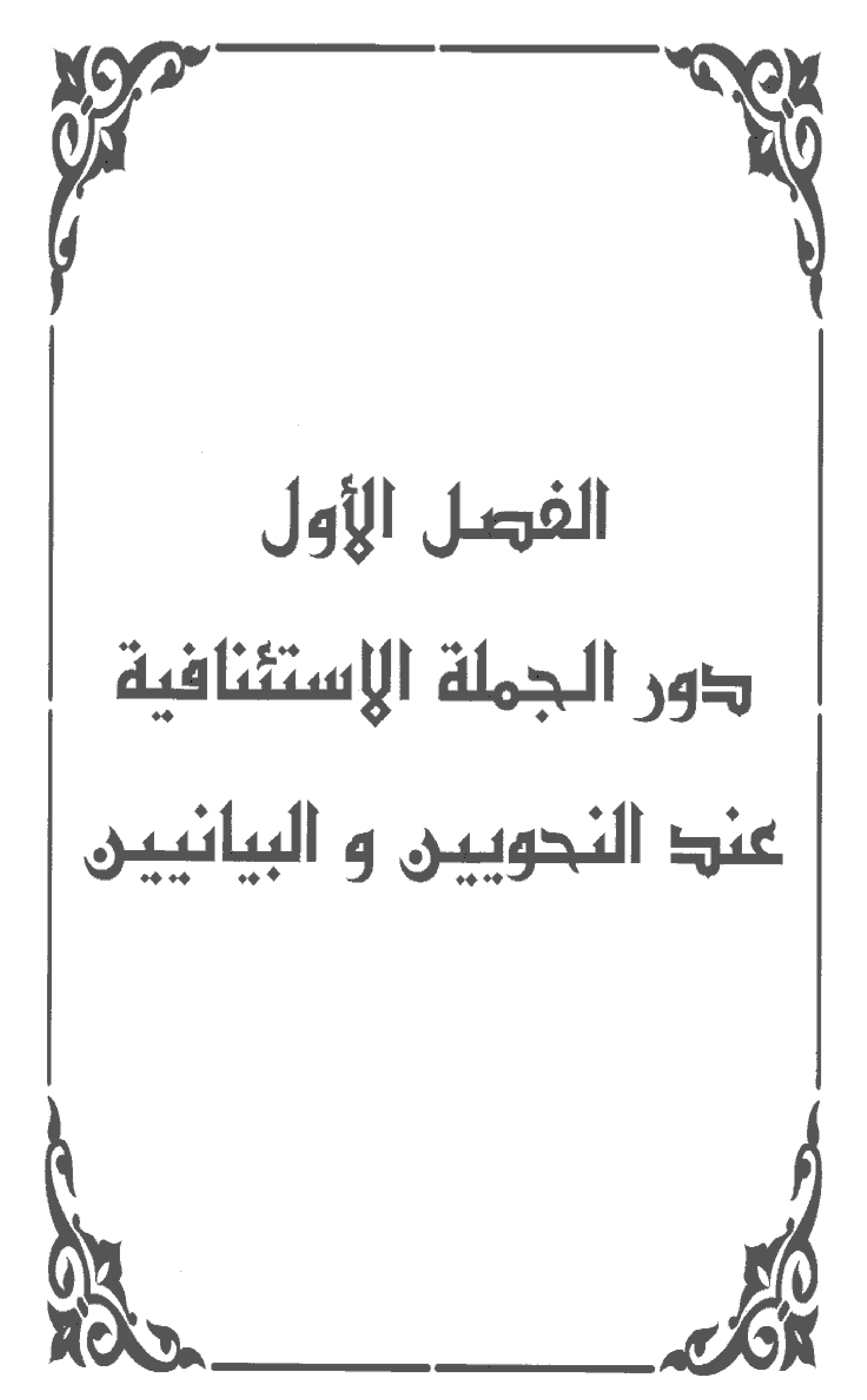
كُلٌّ يجُودُ بما لديه فَما النَّدَى وَقْفاً على مَنْ يُجْزِلُون عَطاء
لاتنهضُ الأوطانُ من كَبْواتِها إلاّ على أيدٍ تفيضُ سَخاءَ

وكتبه

الدكتور أيمن الشوّا

دمشق في ربيع الأوّل ١٤٢٥هـ

نيسان ٢٠٠٤م



الفصل الأول

دور الجملة الاستئنافية عند النحويين و البيانيين

١- أهمية دراسة الجملة الاستئنافية

٢- منهج البحث.

٣- مصادر البحث.

٤- معنى الاستئناف.

٥- دور الجملة عند النحويين والبيانيين.

٦- الجملة الاستئنافية بين الصناعة والمعنى.

٧- تذوّق النص الأدبي.

٨- دراسة الجملة في التراث النحوي.

٩- أهمية الجملة في الدراسات اللغوية الحديثة.

١٠- بين الجملة الابتدائية والمستأنفة.

١١- جملة الاستئناف لِتَجَدُّدِ المعاني:

أ- قطع الصفة.

ب- قطع البدل.

ت- الاستئناف والاختصاص اللغوي.

ث- قطع صفة المنادى.

ج- قطع التوكيد.

ح- جملة الاستئناف فيما لايجوز أن يكون نعتاً لمعمولي عاملين.

١٢- الاستئناف والمناسبة.

الفصل الأول

دور الجملة الاستئنافية عند النحويين والبيانيين

١ ـ أهمية دراسة الجملة الاستئنافية:

كانت الدراسة البلاغية من أبرز العلوم التي توجَّهَتْ نحوها أنظار الباحثين في هذا العصر، فكثرت حولها الدراسات الكاشفة عن مواطن الجَودة أو الضعف في مادتها العلمية أو التقصير في استيعاب كثيرٍ من مبادئها وأصولها، والواصفة للمسلك الذي ينبغي أن تسير فيه.

وكان ذلك إحساساً بالغايات النبيلة التي تحقّقها هذه الدراسة، حين يُدارُ درسُها على الطريق الصحيح، فتثمر ثماراً حسنة في ترقية الوجدان، والذوق الأدبي، والكشف عن المنابع الصافية العذبة في ضمير الأمة وحسها الجمالي وأشواقها الروحية.

ولعل دراسة الجمل والتراكيب وأنواع التعابير والصور أولى ما تُوجَّهُ العناية إليه... فكثيراً ماأدَّى سوء فهم التعابير العربية والتشابيه والمجازات في عصور الفهم الأعجمي للقرآن إلى مذاهب منحرفة وتأويلات باطلة، أخرجت القرآن عن نهجه القويم وفهمه العربي الصحيح[١].

والحديث عن الجمل يتّسع فيه القول ولا ينتهي، قال الزركشيّ في أول قواعده: "كان بعض المشايخ يقول: العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لانضج ولا احترق وهو علم

---

(١) انظر الموافقات للإمام الشاطبي: (٣/٣٥١).

البيان و التفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث"[1].

والحديثُ عن الجمل الاستئنافية يَضُمُّه علْم النحو وعلم البيان والتفسير. ومنزلتها في بلاغة العربية عاليةٌ سامقة، لم تأخذْ حظَّها الأوفرَ من الدراسات والبحوث، فجاءت هذه الدراسة محاولةً لإبراز محاسن الجمل الاستئنافية وما يدور في رحابها من أغراضٍ ووظائفَ، نبيّن ما في أساليبها من جمال وروعة وجلال؛ ونرشد إلى ما تحتويه من ضروب القول وفنون التعبير.

هذا؛ ولقد عُنيتُ بإعراب الجمل تدريساً وتأليفاً، مدَّةً من الزمن، وبعدَ أن أخرجتُ للمكتبة العربية (**إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب**)[2] وجدت أنّ حاجةَ الدارسين تتطلب إفرادَ حديثٍ خاصٍّ عن إعراب الجمل، فقمْتُ، بتوفيق الله ـ تعالى ـ بتأليف كتاب (**الجامع لإعراب جمل القرآن**)[3]. وزاد اهتمامي على وجه الخصوص بالحديث عن الجملة الاستئنافية وما يظهر في بحوثها من النفائس، فحاولت جمعَ آراء المحققين من أهل البلاغة والتفسير وأرباب النحو في كل ماسجَّلوه عن هذه الجملة، وبيانِ أغراضها ووظائفها وأسرارها ولطائف معانيها، التي سمت بالنَّظم القرآني إلى مرتبة الإعجاز.

وسمّيتُ هذا الكتاب: **من أسرار الجمل الاستئنافية**:

يرى القارئُ أنَّ هذا الكتاب فريدٌ في بابه، جديدٌ في منهج تأليفه، مستَوْعِبٌ للمادَّةِ والغَرَضِ المرادِ منه، في الحديث عن أسرار الجمل

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي: (٣/١).

(٢) إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب، دار ابن كثير ١٩٩٦م.

(٣) الجامع لإعراب جمل القرآن، مكتبة الغزالي ٢٠٠٠م.

الاستئنافية، جَمَعَ بين طريق المتقدِّمين؛ من سَعَةِ الشَّرح والبيان، والاعتماد على الأمثلة والشواهد، حتى تستبينَ للقارئ خصائصُ الجملة الاستئنافية وأغراضها وأسرارها مرموقةً محسوسةً، ولطائفُها مجسّمةً ملموسةً. ويسهُل على المعرب بيانها بشكلٍ سهْلٍ فيه تطبيق العلم على العمل، والإجمال على التفصيل، وذلك أمثلُ الطرق، لبنائه على قواعد النظم البلاغي الدقيق، مرتبطاً بعلم النفس من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس، جمع بين هذه الطريقة وطريقة المتأخرين؛ من حسن الترتيب والتبويب، وجمع ما تفرّق من قواعد هذه الفنون؛ ليكون أنجح في الدرس وأقرب إلى التناول.

ولعلّي أحقّق مبتغَى علاَّمَةِ العربية الأستاذ عبّاس حسن من دراسة النحو الآن.. بتجديدٍ يبعث الحياة في قديمه، أو تنظيم يجمع ما تفرّق منه، أو نوعٍ من الإصلاح والتيسير يشيع فيه البهجة، ويحببه إلى النفوس، ويبعد عنه ما اشتهر به من جفافٍ وقسوةٍ وقصور.

فإذا كنت قد وفّقتُ إلى ما قصدتُ وهديت إلى الغرض الذي توخّيت فذلك من فضل الله عليَّ، وإن كنتُ قد تنكّبت عن جادة الحقّ وأخطأت شاكلة الصواب، فليغض القارئ الطَّرف عما يراه من الهفوات ويعثر عليه من الزّلّات، فإن الطريق وعر، والمركب غير ذلول وقديماً قال الأول: كفى المرءَ نبلاً أن تعُدَّ معايبه.

٢ـ منهج البحث:

اقتضت طبيعةُ هذا البحث الشامل لعلم المعاني والنحو أن يؤسَّس على المنهج التحليلي غالباً، ثم المنهج الوصفي، فجمعُ الشواهدِ التي بُني عليها البحث يَحتاج إلى كلٍّ من الوصف والتحليل، وهذا ما يتيح للقارئ

الفهم الراسخ لبناء الجملة الاستئنافيّة وأواصر القربى بينها وبين سابقتها، من خلال النظم البياني والأغراض والمقاصد التي تُحقّقها.

بدأ البحث **بتمهيدٍ** يبين أهمية الجملة الاستئنافية، التي هي في نظري **تاج الجمل العربيّة**.

وعرضَ **الفصل الأوّل** معنى الاستئناف ثم دور الجملة الاستئنافية عند النحويين والبيانيين. وبيّن تقصير المعربين في دراسة هذه الجملة، ووضّح الفرق بين الجملة الابتدائية والمستأنفة، وفصل موضوعاً مهماً يتعلَّقُ بجملة الاستئناف؛ لتجدّد المعاني، وهو البحث الذي درسه النحويون في أبواب متعدّدة سمّيت بقطع الصفة والبدل والعطف، مستمداً من أهم كتب النحو: كتاب سيبويه، كما جمع بعض المسائل المتعلّقة بالاستئناف والاختصاص اللغوي، والحديث عن قطع صفة المنادى المعطوف عليه آخر، ثم قطع التوكيد وبعض المسائل المهمة كالحديث عن الاستئناف و التناسب مما له علاقة بالتفسير خاصةً.

وجاء **الفصل الثاني** فيه عرض مفصَّل لأغراض الجملة الاستئنافية، مستنبطةً من كتب البلاغة خاصّة ومن كتب التفسير وأعاريب القرآن وكتب النحو عامةً.

وقد جمع هذا الفصل ما يقارب خمسين غَرَضاً تحققه هذه الجمل. وهو أمرٌ لابدّ للمعرب أن ينتبَّه عليه ولابدّ للمفسّر ولشارح النص الأدبي أن يوجه العناية إليه.

هذا، ولا تطمئن نفسُ المتذوّق للبلاغة العربية بأن يقتصر فهمه على أن هذه الجملة استئنافية فحسب؛ وإنما يريد أن يرتقيَ إلى أن يبلغ في معرفة وظائف هذا الاستئناف غايته، ويدقق النظر بروابط هذه الجمل،

يتغلغل فكره إلى معرفة أسرار الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب، حتى يصل إلى درجة عالية من معرفة بلاغة القرآن وأسرار إعجازه.

وفي **الفصل الثالث** حديثٌ عن ارتباط الجملة الاستئنافية بأدوات المعاني. فكثيراً ما يشير المعربون إلى أن الجملة الاستئنافية ارتبطت بحرف ابتداء، ليس له تعلّق صناعي بكلام سابقٍ، وتتبّعُ هذه الجمل أمر مهم يكسب مزيداً من التذوق لمعاني الكلام وأسراره، ويبين مناحي الفصل والوصل، بدقةٍ واقتدارٍ.

وخُصَّ **الفصل الرابع** للحديث عن قضايا الجملة الاستئنافية وتعدُّد الوجوه الإعرابية للجملة الواحدة. وهو أثرٌ من آثار البلاغة العربية، فأبلغُ الكلام ما تعدّدت (ماتنوّعت) وجوه إفادته، وفيه أيضاً حديثٌ عن مسائلَ مهمة في رحاب الجمل الاستئنافية.

وقد ألحقتُ الفصل الخامس للمناقشة النفيسة التي أبدعها الجرجانِيّ في دلائله حين عرض لأسرار البلاغة في الفصل والوصل.

وجاء **الفصل السادس** لترسيخ فهم هذه الجملة، فعرض مسائل وتوجيهات في رحاب الجملة الاستئنافية، فيها المجال الميسّر لحلّ المشكل من الأعاريب وتذييل الصعب منها، وتبيين المبهمات التي تستعصي على كثير من المعربين.

٣ـ مصادر البحث:

تنوّعت مصادر هذا البحث؛ لارتباطه بعلم المعاني وعلم النحو وعلم التفسير. فاقتضى الرجوع إلى أمّهات المصادر في تلك العلوم، وقد توزّعت على الأقسام الآتية:

أ ـ مصادر بلاغية منها:

كتاب (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجانِيّ (٤٧١هـ)، وكتاب (الإيضاح) للخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، وكتاب (المطوَّل) للتفتازاني (٧٩١هـ)، و(بديع القرآن) و (تحرير التحبير) لابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ)، و (شرح عقود الجمان) للسيوطي (٩١١هـ).

ب ـ مصادر في علم التفسير ولها عناية كبرى بالنحو والإعراب والبلاغة، منها: الكشَّاف للزمخشري (٥٣٨هـ)، والبحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ)، والدر المصون للسمين الحلبي (٧٤٩هـ)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٨٥٠هـ)، وحاشية الصّاوي (١٢٤١هـ)، وحاشية الشهاب الخفاجيّ (١٠٦٩هـ) وغيرها..

ت- كتب إعراب القرآن الكريم: كتأويل مشكل إعراب القرآن لابن قتيبة (٢٧٦هـ)،وكتاب التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٦١٦هـ)، وكتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري (٥٧٧هـ)، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)... وغيرها.

ث- كتب النحو العامة وهي كثيرة، قديمة وحديثة ابتداءً من كتاب سيبويه (١٨٠هـ)، والمقتضب للمبرد (٢٨٥هـ)، وكتاب الأصول لابن السراج (٣١٦هـ)، وشرح المفصّل لابن يعيش (٦٤٣هـ)، والمرتجل في شرح الجمل لابن الخشّاب (٥٦٧هـ)، وشرح الرضي على الكافية (٦٨٦هـ)، وخزانة الأدب للبغدادي (١٠٩٣هـ).

ومن الكتب المعاصرة: النحو الوافي لعباس حسن، والنحو الميسّر لمحمد خير حلواني...وغيرها.

ج- كتب توفَّرت على دراسة أدوات المعاني وارتباطها بسياق الجمل ككتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (٧٠٢هـ)،

والجنى الدّاني في حروف المعاني للمرادي (٧٤٩هـ)، ومغني اللبيب لابن هشام (٧٦١هـ).

ح- كتب علوم القرآن التي درست بعض أسرار الجمل في القرآن من خلال مباحث المناسبة، ومن هذه الكتب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٨١٧هـ)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٩١١هـ).

خ- واختيرت بعض شواهد هذا البحث من كتب الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والحماسة وغيرها..

٤ ـ معنى الاستئناف:

قال الزجّاج في توضيح معنى: آنفاً من قوله ﷻ: ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾ [محمد:١٦] هو من استأنفت الشيء إذا ابتدأته[١]، وأغلبُ معاني الاستئناف وجّهت وفق الابتداء.

قال الجوهري:"أَنْفُ كلّ شيءٍ أوّلُه.. والاستئناف: الابتداءُ، وكذلك الائتناف"[٢].

وقال الزَّبيدي: الأنف من كل شيء أوله أو أشده.."[٣].

وورد هذا المعنى في عدد من الأحاديث، منها:

«هل قرأ منكم معي أَحَدٌ آنفاً»[٤]، وفي الحديث:«لكلِّ شيءٍ أَنَفَةٌ وأَنَفَةُ الصَّلاةِ التكبيرةُ الأُولى» أي: ابتداؤها وأوّلها. قاله الزمخشري[٥].

---

(١) إعراب القرآن ومعانيه للزجاج (٣/٢٠١).

(٢) الصحاح: الجوهري. مادة أنف.

(٣) تاج العروس: الزبيدي (أنف).

(٤) النسائي: افتتاح الصلاة (٢٨)، الموطأ: النداء (٤٤)، مسند أحمد (٥/٣٤٥).

(٥) الفائق: (١/٦١).

وقال:"وقد استأنف الشيء وائتنفه أخذ أوّله وابتدأه... ويقال استأنفه بوعدٍ ابتدأه به. قال الشاعر:

وأنتِ المنَى لو كنتِ تستأنفيننا   بوعدٍ، ولكنْ مُعْتَناك جَدَيبُ

أي: لو كنتِ تعدينا الوصل، والمعتفى: المعروف.

وأرضٌ أُنُف: بِكْرٌ نباتها، ومستأنف الشيء أوّله، والمؤنّفةُ من النساء التي استؤنفت بالنكاح أولاً.

ويقال هذا أُنْفُ عمله، أي: أوّل ماأخذ فيه. وهو مجاز.

وفي قول سُرَاقة بن مالك: «فبينا أنا جالس أقبل رَجُلٌ، فقال: إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراهم محمداً وأصحابه».

آنِفَاً، أي: الساعة، من ائتناف الشيء: وهو ابتداؤه وحقيقته في أول الوقت الذي يقرب منّا.

وعن الكسائي: آنِفَةُ الصبا: ميعته وأوّله. وأنشد:

عذرتكَ في سَلْمَى بآنفةِ الصّبا   ومَيْعتِه إذ تزدهيك ظلالها[1]

وفي المصباح المنير:" استأنفت الشيء أخذتُ فيه وابتدأته.."[2].

وعن عمر ﷺ قال: «يارسول الله: أتعملُ في أمرٍ مستأنَفٍ، أو أمرٍ قد فُرِغ منه.؟»[3]. وفي سنن ابن ماجه:«ائتنفوا العمل فقد غُفِر لكم»[4]، وفي سنن الدارمي: «فاستأنف عملك»[5].

---

(١) الفائق: (١/ ٦١).

(٢) المصباح المنير: أنف.

(٣) مسند أحمد: (٤/ ٦٧).

(٤) سنن ابن ماجه: مناسك: (١٠٧).

(٥) سنن الدارمي: مقدمة ١.

وذكر الشريف الجرجاني في توضيح قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢]:"إن الوقف على (المتقين) تام، ومابعده مستأنف والمستأنف كلام مفيد، مستقلّ، وإن كان مرتبطاً بما قبله ارتباطاً معنوياً؛ لصلوحية أن يعطف عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:٦]"[١].

٥ ـ دور الجملة الاستئنافية عند النحويين والبيانيين:

أشار علماء البلاغة إلى أنّ علم البيان لم يأخذ حقّه من جهود العلماء، ولعلّ الالتفات وراء الصنعة النحوية هو الذي طغى وانتشر ومزج الصفو بالكدر وخلط الغُرر بالدُرر.

قال ابن النقيب:" قد عفَت آثاره، وقلّت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله، وضعفت العزائم عن معرفة فروعه، فضلاً عن أصوله"[٢].

فما من علم من العلوم الإسلامية رُمي بالهجر والنسيان مارُمي به علم البيان، ولو أداموا النظر فيه والتلميح لمعانيه لاطّلعوا من الكتاب العزيز على خفايا تَهَشُّ لها القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب.

وبما أنَّ الجملة الاستئنافية رصيدُها الأوفرُ علمُ البيان كان شأن العناية بها أقلَّ أيضاً، ولعلَّ نظرة استقراءٍ على كتب المعربين ومصنفات المؤلفين في مجال القواعد وتيسير النحو والتطبيقات الإعرابية لَتبرزُ عناية المعربين بأوجه الإعراب الصناعي دون المعنوي، وخاصّةً حين يهتمون بإعراب الجمل؛ فهم يكتفون بقولهم: (جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب) أما ما غرضُها وما وظيفتها في سياق الكلام فمما أُهمِل في غالب

---

(١) حاشية الشريف على الكشاف: (١/١٢٣).

(٢) مقدمة في تفسير القرآن: (١٥٤).

هذه الكتب. ومن لم يعرف هذه الأغراض كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل، وأما من وقف على هذه الأصول (أغراض، وظائف، أسرار) ظهر له مصداق ثمرات هذا الكتاب، وأنّ الجملة الاستئنافية إنما هي تاج الجمل العربية. وسيجد القارئ لهذه الجملة ومحاسنها جاذبية تجذبه له البلاغة المتكاملة للنصّ المدروس، والتوصل إلى معرفة النظم بالسبب الأقوى. إضافة إلى ما يجده في نفسه من رونق وتشويق وتفكير في سحر العربية وجمالها.

إنَّ المعنى الواحد قد يُخبَر عنه بألفاظٍ بعضُها أحسنُ من بعضٍ، وكذلك كلٌّ واحدةٍ من جزأي الجملة قد يُعبَّر عنها بأفصح ما يلائم الجزء الآخر[1]، ومعلومٌ عند المعربين أنّ أصول الصناعة متكاملة، تبرز في أن يجد النحويُّ مبتَدَأً فيبحث عن الخبر، أو فعلاً ناسخاً كـ (كان) فيفتش عن الاسم والخبر، أو فعلاً كـ (ظنَنْتُ) فيشير إلى المفعولين اللذين هما تمام الكلام، ويطلق المعربون على سبيل التقريب الفوائد الكافية لمعرفة الإعراب، فيقولون: الجمل بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات، وأشياء نافعة من نحو ذلك، من المؤكد أن يحفظها طالب العلم ويدركها كما يدرك الصنعة الهندسية، ويفهم مقاصدها على وجه واضح، بحيث يتيسر الوصول والدخول إلى معرفة هذه الأعاريب من أسهل طريق.

ويصدق على المتدبّر للجملة الاستئنافية وبيان أغراضها ووظائفها ما قاله الزمخشري في خطبة كشافه: "لايغوص على شيءٍ من تلك الحقائق إلا رجل قد بَرَعَ في علمين مختصّين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهّل في ارتيادهما آونةً، وتعب في التنقير عنهما أزمنةً، وبعثته على تتبع مظانهما همّةٌ في معرفة لطائف حجة الله، وحِرْصٌ على استيضاح

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي: (١٢٥/٢).

معجزة رسول الله ﷺ، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظٍّ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قد رَجَع زماناً ورُجع إليه، ورَدَّ ورُدَّ عليه، فارساً في علم الإعراب، مقدّماً في حملة الكتاب، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقّادها، يقظان النفس، درّاكاً لِلَّمْحَةِ وإن لطف شأنها، متنبّهاً على الرمزة وإن خفي مكانها... ذا دُرْبَةٍ بأساليب النظم والنشر.. قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف"(١).

ويوجِّهُ البيانيّون أسلوبَ التعبير فيما بين الجملة الاستئنافية والجمل السابقة لها وفق التناسب المعنويّ المحدّد، الذي هو غاية المتكلم ومقصده، وهذا التناسب هو مجالُ دراساتٍ لغوية معاصرة تظهر تحت عناوين متعدّدة منها:

- الأسلوب اختيارٌ بين الإمكانات اللغوية.
- النظرية الاتصالية هي الأساس المعتمد في وصف عملية الانتقاء.

وقد نشط في الحديث عن ذلك كثير من الدارسين المعاصرين، وغفلوا عن جهود علماء البلاغة الذين أسّسوا علم النظم؛ كالجرجاني وابن جني وغيرهما، يقول الباحث اللغوي (w.winter): "إنّ كلَّ نوعٍ من أنواع الأسلوب يتميّز بنموذج خاصّ من الانتقاءات المتواترة..

إنّ التصنيفَ ضمن النموذج المنتقى لا يعني مجرَّدَ جَمْعَ للعناصر المنتقاة، إنما يعني تنظيمها، فضلاً عن كون الانتقاء والتنسيق هما العمليتين الأساسيتين اللتين تجسّدان العلاقة التجاورية والتبادلية في النظام اللغوي الإشاري حسب النظرية البنيوية"(٢).

---

(١) الكشاف: (١/١٦-١٧).

(٢) نحو نظرية أسلوبية لسانية: (١٢٤-١٢٥).

٦ ـ الجملة الاستئنافية بين الصناعة والمعنى:

إنَّ أغراضَ الجملة الاستئنافية في جمهورها الأعظم هي من صرائق الكلام التي تقوم بنيتها على عناصر ليست لغويةً خالصةً، ويعلم أهل العلم أنَّ للعربية أسراراً ودقائق في تصور المعاني، وتحديدها، ولحظ الفروق والأحوال والمراتب... وأنَّ أحوال التراكيب وأوضاع الكلمات في بناء الكلام تختلف كذلك اختلافاً واسعاً، وأن وراء هذه الاختلافات من الغوامض والهواجس ما وراءها.

والمتكلم المبين يتجه إلى اللغة يتحسس مضمراتها، ويتلمّس دقائق الأحوال في الإفراد والتركيب؛ ليجد من بينها ما وجده في نفسه فيجعله عبارة عنها، والمعاني والأغراض هنا تفيض بها الكلمات لأنها متلبسة بها. وقد يجد المتكلم في نفسه شيئاً لا تنتزعه الكلمات ولا تلامسه، بل لا تستطيع أن تشير إليه، مع أنها حافلة بوسائل الإشارة والرمز والإيماء، وحينئذٍ تنهض ملكة البيان وتصطنع وسائل أخرى تدخل بها وسائط بين اللغة وما التبس في غوامض النفس، فيتيسر بذلك سبيل العبارة عنه.

٧ ـ تذوّق النص الأدبي:

إنّ تذوَّق النّص الأدبي هو أسمى ما يَنْشُدُه القارئ، بعد ما تترسَّخ لديه قواعدُ اللغة، فيتخذها مناراتٍ ومعالمَ يستمدّ منها فهم النصّ، والحديثُ عنها هو المقدّمة الطبيعية للحديث عن الجمل، وليس هنالك فواصل حاسمة بين فهم المفردات ودراسة الجملة؛ لكنَّ البدءَ بدراسة المفردات هو المقدّم على غيرها؛ لأنه الأساس في كل تركيب، وقد شاع مصطلح: المسند والمسند إليه في كتب النحو؛ للدلالة على التركيب الأساسي

الذي لولاه لما كان للكلام معنى أو فائدة، وهذا التركيب ركناه: المبتدأ والخبر، أو الفعل والفاعل.

ودراسةُ كلّ جزءٍ منهما له اعتباره في قواعد العربية، وما قصَّرَ العلماءُ في دراسة ذلك، وهم يرون أنّ فهمَ المفردات وإدراكَ وظيفتها في العمل اللغوي والأدبي فهماً كاملاً وإدراكاً شاملاً كفيلٌ بأن يربط بين دلالته المعنوية و التصويرية والإيقاعية وبين الجوّ الشعوري المراد تصويره، ويلفت النظر إلى المواضع الدقيقة الحساسة في تذوق الأدب والاستمتاع به.

ولعلَّ دراسةَ الجمل التي لها محل من الإعراب قد حظيت بنصيبٍ وافرٍ من الدراسة. أما الجمل التي لا محل لها من الإعراب وخاصّةً الجملة الاستئنافية فمجال البحث فيها واسع وغني.

وقد رأيتُ الذين هم أهلُ ذلك الحديث عن أغرض الجملة الاستئنافية وبيان وظائفها واستكناه أسرارها ودلائل إعجازها هم أصحاب التفسير وعلماء البيان خاصةً، الذين توجّهوا نحو إظهار بلاغة القرآن الكريم بعد أن عكفوا على دراسة دقائق البلاغة العربية وروائع حكم العرب في أشعارها ونثرها. وبعد أن أعطوا لأسلوب القرآن ـ وخاصة الجملة الاستئنافية ـ مقادتهم وألانوا له جانبهم، حتى ظفروا بالدر من معدنه وبالجوهر من أصله.

٨ ـ دراسة الجملة في التراث النحوي:

لم تَنَلْ دراسةُ الجملة العربية حظَّها الأكملَ في دراسة قدماء النحاة، وإنما كانت تظهر العناية بها على استحياء، ولعلَّ رصيدَها الأوفرَ جاء في عناية علماء معاني القرآن والمفسرين، الذين أبرزوا الجملةَ وما تنطوي عليه من الأسرار واللطائف التي تُظْهِرُ عظمةَ القرآن وإعجازه.

أما النحاة فلم أجد في مظانِّ تراجمهم أنهم خصَّصوا كتاباً سمَّوهُ (الجملةَ) على غِرار مانجد في تآليفهم حول الحروف وعنايتهم بها، وكذلك حول الأسماء والأفعال، معتمدين دورَها ومعناها اللغوي.. ولعلّ دراستهم التكاملية لقواعد العربية تشفعُ لهم في ألاَّ يقتطعوا حديثَ الجملة وإفراده عن أجزاء الكلام وتركيبه.. والقدامى منهم الذين كانوا رُوَّاداً في التأليف النحوي كسيبويه والمبرد كانوا أقدر الناس على تحليل الكلام العربي وفقه أسراره؛ أمَّا سيبويه فقد بلغ الغاية في حديثه عن المفردات اللغوية عامة، فدرس معاني الأدوات والحروف، وبيَّن أصلها وتركيبها في سياق كلام العرب، وعُني بالحديث عن الأسماء والأفعال وأبنيتهما، إلاّ أنّه لم يفرِدِ الجملةَ بدراسةٍ مستوعبة مخصَّصة، فإذا ما أراد الباحثُ الاطّلاعَ على أنواع الجمل مثلاً فإنّه لا يظفرُ إلاّ بجملة الخبر والصفة والحال والموصول والقسم والشرط، ولا يعثر عليها بقسمٍ مستقلّ، كما سنراها في حديث ابن هشام الذي أفرد الباب الثاني من (مغني اللبيب) للحديث عن الجملة.. لن يظفر الباحث في كتاب سيبويه على التقاط الجملة إلاّ بعد الرجوع إلى مظانّ كلِّ جملةٍ من بحثها المستقل، وكذلك صنيع الإمام المبرّد في (المقتضب) وابن السَّراجِ في (الأصول).

ومن بوادر الحديث عن إعراب الجملة ما نجده عند الإمام عبد القاهر الجرجانيِّ المتوفى سنة (٤٧١هـ) فقد عقد الباب الأخير من كتابه المشهور (الجُمَل في النحو)[١] للحديث عن: المفرد والجملة، فذكر أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمةً، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو: (خرج زيد) يسمّى كلاماً، ويسمّى جملةً، وذكر أنَّ الائتلاف

(١) الجمل في النحو: الجرجاني، تحقيق يُسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٩٩٠م.

يكون بين الاسم والفعل، وبين الاسمين كقولك: (زيد منطلق)، وبين الحرف والاسم في النداء خاصةً، نحو: (يازيد)[1].

وما يهمُّنا في هذا الباب أنّه صرّح أن الجملة تقع موقعَ المفرد في ستة مواضع: **أحدها**: خبر المبتدأ.. **والثاني**: خبر كان وأخواتها، **والثالث**: خبر إنّ وأخواتها.. **والرابع**: المفعول الثاني من باب ظننت وأخواتها.. **والخامس**: في صفة النكرة. **والسادس**: الحال.

وقد تصدّى لشرح هذا الكتاب الإمام ابن الخَشَّاب المتوفى سنة (٥٦٧هـ). فقال[2]:

"اعلم أنَّ أصل الجملة الاستقلالُ بنفسها، والمفرد ليس كذلك؛ إلاّ أنها قد تقع موقعه في بعض الاستعمال، فتكون كغير المستقل، ويُحكَمُ عليها بإعراب في موضعها بحسب إعراب المفرد الذي وقعت موقعه، وتلك المواضع محصورة، وهي ستة:

الأولى: خبر المبتدأ.. في موضع الرفع..

الثانية: خبر (كان وأخواتها).. في موضع نصب.

الثالثة: خبر لـ (إن) وأخواتها... في موضع رفع.

الرابعة: الجملة الواقعة في موضع المفعول الثاني لـ (ظننتُ وأخواتها)، في موضع نصب.

الخامسة: الجملة الواقعة وصفاً لنكرة.. وهذه الجملة لم تُقْصَر على إعراب دون إعراب؛ لأنَّ الموصوف بها قد يكون مرفوعاً، فتكون في

---

(١) الجمل في النحو: باب المفرد والجملة: (١٠٧).

(٢) المرتجل في شرح الجمل: ابن الخُشّاب: (٣٤٣). تحقيق: علي حيدر. ط: مجمع اللغة العربية.

موضع رفع.. وقد يكون منصوباً فتكون في موضع نصب، وقد يكون مجروراً فتكون في موضع جرّ.

السادسة: الجملة الواقعة موقع الحال. وهذه الجملة منصوبة الموضع، مقصورةً على النصب، دون غيره من ضروب الإعراب؛ لأن المفرد الذي وقعت موقعه ـ وهو الحال ـ لا يكون إلا منصوباً.

قال ابن الخَشَّاب:"وهذه الجمل الستة ذوات الموضع لا خلاف فيما بينهم، وهناك جمل اختلفوا فيها اختلافاً لم يَشعْ. وهي: الجملة الواقعة بعد (حتّى) الابتدائية. ذهب الزّجاج إلى أنها في موضع جرّ بحتّى.. ووافقه فيما ذهب إليه في هذه المسألة أبو محمد ابن درستويه، وبخلافهما نقول[1]."

وتوسّع أبو حيّان الأندلسي في كتبه المطوّلة كارتشاف الضَّرَب والبحر المحيط في الحديث عن الجملة، فهو يذكر الجملة حسب مظانّ البحث النحويّ الذي يخوضُ فيه، فجملة خبر المبتدأ في باب المبتدأ والخبر[2]، والجملة الحالية في باب الحال[3]، وجملة المضاف إليه في باب الإضافة[4].

وذكر الإمام السّمين الحلبي في الدُّر المصون ما نصُّه:

"الجمل التي لا محل لها من الإعراب أربع لا تزيد على ذلك ـ وإن تَوَهَّمَ بعضهم ذلك ـ وهي: المبتدأ والصّلة والمعترضة والمفسّرة[5]."

---

(١) المرتجل في شرح الجمل: (٣٤٠- ٣٤٦).

(٢) ارتشاف الضَّرَب: (٢/٤٩-٥٠).

(٣) المصدر نفسه: (٢/٣٦٣).

(٤) المصدر نفسه: (٢/٥٢٠-٥٢٥).

(٥) الدر المصون: (١/١٢٤).

على أنّ الحديث المفصّل عن الجملة كان من خلال استطرادٍ لجأ إليه أبو حيّان بعد حديثه عن الحال، فقال[1]:

"جرت عادة بعض النحاة أن يذكر هنا ما يشبه جملة الحال، وهي جملة الاعتراض، وجملة التفسير.. يستفيض في الحديث عن معاني الجملة الاعتراضية من خلال الشواهد القرآنية والشعرية التي أفاد منها ابن هشام وذكرها في كتاب المغني".

ثم أتبع ذلك بالحديث عن الجملة التفسيرية، وهو الحديث الذي نقله ابنُ هشام أيضاً ثم قال:"ونحن نتكلّم في الجمل".. وقد عرض تقسيماً مُفَصَّلاً، استقصى فيه ارتباط الجملة بمعاني الأدوات، وهذا التقسيم كان مادَّة قيّمة للإمام السيوطي في كتابه (الأشباه والنظائر)؛ ذلك أنه استوعب ما نقله أبو حيان في (الارتشاف) وزاد عليه بعض الأمثلة وعنونه في الأشباه بباب الجملة، فقال:"أصل الجملة ألا يكون لها محل من الإعراب، وإنما كان كذلك لأنها إذا كان لها موضع من الإعراب تقدّرت بالمفرد؛ لأنّ المعرب إنما هو المفرد، والأصل في الجملة ألا تكون مقدرة بالمفرد، والجمل على قسمين: قسم لا موضع له من الإعراب، وقسم له موضع من الإعراب.

القسم الأول: وقد حصرته في اثني عشر قسماً.

الأول: أن تقع الجملة ابتداءَ كلامٍ، لفظاً ونيَّةً، أو نيَّة لا لفظاً، نحو: زيد قائم، وقام زيد، وراكباً جاء زيد، فإن وقعت أول كلام لفظاً لا نيةً كان لها محل من الإعراب، نحو: أبوه قائم زيد.

الثاني: أن تقع بعد أدوات الابتداء؛ فيشمل ذلك الحروف المكفوفة، نحو: إنما زيد قائم، وإذا الفجائية، نحو: خرجت فإذا زيد قائم، وهل،

---

(١) ارتشاف الضرب: (٢/ ٣٧٢-٣٧٤).

وبل، ولكنّ، وألاَ، وأمّا، وما النافية غير الحجازية، وبينما، وبينا، نحو: هل زيد قائم، وما زيد قائم، وقول الأفوه الأودي:

بينمــا النــاسُ علــى عليائهــا إذ هَــوَوا في هُــوَّة فيهــا فغــاروا

وقال:

فبينــا نحــن نرقُبُــه أتانــا مُعَلِّــقَ وفْضَــةٍ وزِنــادِ راعــي

الثالث: أن تقع بعد أدوات التحضيض، نحو: هلاّ أكرمتَ زيداً.

الرابع: أن تقع بعد حروف الشرط غير العاملة (الجازمة) كـ: لو، لولا، و (لمّا) على مذهب سيبويه.

الخامس: أن تقع جواباً لهذه الحروف الشرطية التي لا تعمل.

السادس: أن تقع صلة لحرف أو اسم موصول.

السابع: أن تقع اعتراضية.

الثامن: أن تقع توكيداً لما لا محل له من الإعراب.

التاسع: أن تقع جواب قسم.

العاشر: أن تقع معطوفة على ما لا محل له من الإعراب.

الحادي عشر: الجملة الشرطية إذا حذف جوابها وتقدّمها ما يدل عليها، نحو قول العرب: (أنت ظالم إنْ فعلت)، التقدير: إن فعلت فأنت ظالم، أو تقدمها ما يطلب ما يدل على جوابها، نحو: (والله إن قام زيد ليقومن عمرو). فالقَسَم يطلب (ليقومن)، و(ليقومن) دليل على جواب الشرط، التقدير: إن قام زيد يقم عمرو.

الثاني عشر: أن تقع توكيداً لما لا محل له من الإعراب، نحو: قام زيدٌ قام زيدٌ.

القسم الثاني: الجمل التي لها محل من الإعراب، وينحصر في أنواع الإعراب. وهو تقسيم هندسي واضح ومتفرّد:

الجمل التي في محل رفع؛ وهي ثمانية أقسام، ستة باتفاق، واثنتان باختلاف:

الأول: أن تقع خبراً للمبتدأ.

الثاني: أن تقع خبراً لـ(لا) النافية للجنس، نحو: لا ربيئةَ قومٍ تجيء بخيرٍ.

الثالث: أن تقع خبراً بعد (إنّ) وأخواتها.

الرابع: أن تقع صفةً لموصوفٍ مرفوع.

الخامس: أن تقع معطوفةً على ما هو مرفوع.

السادس: أن تقع بدلاً من مرفوع، نحو: أنت تأتينا تُلِمٌّ بنا في ديارنا.

هذه الستة باتفاق، والاثنتان اللتان فيهما اختلاف:

الأولى: أن تكون في موضع الفاعل، وهو توجيه الكوفيين.

الثانية: أن تكون في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله (النائب عن الفاعل).

والصحيح أنّ الجملةَ لا تقع موقع الفاعل ولا المفعول الذي لم يسم فاعله إلاّ إن اقترن بها ما يصيرها وإياه في تقدير المفرد[1].

وهناك من أضاف جملةَ المبتدأ[2]..

الجمل التي في محل نصب، وهي ثلاثة عشَر قِسماً، عشَرةٌ باتفاق وثلاثة باختلاف:

---

(١) أجاز الكوفيون وقوع الجملة موقع الفاعل وموقع نائب الفاعل. ورأيهم صحيح، دون تكلّف.

(٢) قال ابن هشام في المغني: الجملة التي يُراد منها لفظها تنـزّل منـزلة المفرد (المغني:٥٢٨).

الأول : أن تقع خبراً لـ (كان) وأخواتها..

الثاني : أن تقع في موضع المفعول الثاني لـ (ظننتُ) وأخواتها..

الثالث : أن تقع في موضع المفعول الثالث لـ (أعلمتُ) وأخواتها..

الرابع : أن تقع خبراً بعد (ما) الحجازية العاملة عمل ليس.

الخامس : أن تقع خبراً لـ (لا) العاملة عمل ليس (أخت ما). و(إنْ) النافية أيضاً.

السادس : أن تقع في موضع المفعول للقول الذي يحكى به.

السابع : أن تقع في موضع المفعول المعلّق.

الثامن : أن تقع معطوفة على ما هو منصوب، أو موضعه نصب.

التاسع : أن تقع في موضع الصفة لمنصوب.

العاشر : أن تقع في موضع الحال.

الحادي عشر : أن تقع في موضع نصب على البدل، نحو قولك: عرفت زيداً (أبو من هو)، على خلاف في هذا القسم الأخير، فقولك: (أبو من هو) في موضع نصبٍ على البدل من زيد على تقدير مضاف، أي: عرفت قصة زيد أبو من هو.

الثاني عشر : أن تقع مصدرة بـ (مذ) و (منذ)، نحو قولك: ما رأيته مذ خلقه الله، ففي هذه الجملة خلاف، ذهب الجمهور على أنها لا موضع لها من الإعراب، وذهب السيرافي إلى أنها في موضع نصب على الحال.

الثالث عشر : أن تقع مستثنى بها، نحو: قام القوم إلا زيداً، وقام القوم ليس خالداً، ففيها خلاف.

الجمل التي في محل جر، وهي ستة أقسام، ثلاثة باتفاق، وثلاثة

باختلاف، فالتي باتفاق:

أحدها: أن تقع مضافاً إليها أسماءُ الزمان غير الشرطية التي لا تجزم.

الثاني: أن تقع موضع الصفة المجرورة.

الثالث: أن تقع معطوفةً على مخفوض، أو ما موضعه خفض، نحو: مررت برجلٍ كاتب ويجيدُ الشعر، ومررت برجلٍ يكتب ويجيد.

والتي باختلاف:

أحدها: أن تقع بعد (ذو) في نحو قول العرب: (اذهب بذي تسلم)، وذهب بعضهم إلى أنها في محل جر، وذهب بعضهم إلى أنها لامحل لها من الإعراب.

الثاني: أن تقع بعد (آية) بمعنى علامة، نحو قول الشاعر:

بآيــة قــام ينطــق كــلُّ شــيء ... وخــان أمانــةَ الــديك الغــرابُ

ذهب بعضهم إلى أنها في موضع جر بالإضافة، وذهب بعضهم إلى أنها لاموضع لها من الإعراب، بل يقدَّر معها حرف يكون ذلك الحرف والجملة في موضع جر.

الثالث: أن تقع بعد (حتى) الابتدائية، ذهب الجمهور إلى أنَّها لامحل لها من الإعراب، وذهب الزجاج وابن درستويه إلى أنها في محل جر بـ (حتى).

الجمل التي في محل جزم وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تقع بعد أداة شرط عاملة (جازمة) ولم يظهر لها عمل، نحو: إن قام زيد يقم عمرو.

الثاني : أن تقع جواباً للشرط العامل، نحو: إنْ يقم زيد فعمرو قائم، وإن يقم زيد قام عمرو، فهاتان الجملتان في محل جزم، ولهذا يجوز العطف عليهما بالجزم، قال ﷻ ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٦].

الثالث : أن تكون معطوفة على مجزوم، أو ما موضعه جزم، نحو: إن قام زيد ويخرجْ عمرو أكرمتهما. وقوله ﷻ ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٦].

فهذه الجمل اثنان وأربعون قسماً بالمتفق عليه والمختلف فيه"[١].

٩ ـ أهمية الجملة في الدراسات اللغوية الحديثة[٢]:

من الأمور المؤكدة في الدراسة اللغوية البنيويّة اليوم تخصُّصُ النحو بدراسة الجملة، وذلك باعتبار هذا النحو أفضل نموذجٍ نحويّ في الوقت الراهن، وظهور فاعليته الحقيقيَّة في تحليل الجملة وتحديد خصائصها استحساناً ورفضاً، ولهذا فإنّ معرفة الراوي اللغوي بأساليب صياغة الجملة صياغة مستحسنة تضمن تفعيل العمل في هذا المجال، وتضمن تحقيق نتائج دقيقةٍ في حدود الجملة، وهو ما ينظر إليه أيضاً عالم البلاغة وهو يوجّه أنظارنا إلى أسرار البلاغة في الجملة وفي التعبير، ويشير إلى مواطن الجمال في النص من تقديم وتأخير وحذف ووصل.. وما تركيزُ عالم النحو على الجملة واقتصار تحليلاته عليها سوى نتيجة حقيقية لنظرته إليها

---

(١) انظر ارتشاف الضرب: (٢/٣٧٢-٣٧٤)، الأشباه والنظائر:(٢/١٧-٢٠).

(٢) نحو نظرية أسلوبيّة لسانية: فيلي ساندريس، ترجمة د. خالد جمعة:١٤٥ ط١، ٢٠٠٣. دار الفكر.

بوصفها أعلى وَحدة تحليلٍ لغوية، ولكونه هو ذاته نموذجاً متخصّصاً بوصف الكفاية اللغوية الباطنة للمتكلم/المستمع المثالي نموذجاً يصف قدرة المتكلم على إنتاج جملٍ كثيرة غير محدّدة، في لغته وقدرته على فهمها، ولهذا تجلّى موقف هذا الاتجاه البنيويّ في أمرين مهمّين:

أوّلهما: أنَّ اللغةَ هي إجمال الجمل كلها.

والثاني: أنَّ النحوَ هو آلية يقتصر دورها على إنتاج جمل صحيحة في هذه اللغة.

هذا، وأريد أن ألفت نظر القارئ الكريم لكتاب الله ـ تعالى ـ إلى معرفة الجمل الاستئنافية وبيان أغراضها ووظائفها التي تعين المفسّر، والتي هي في نظري تاج الجمل العربية، ودراستُها تتمّ في رحاب علم المعاني بشكل خاصّ؛ لأنَّ معرفتها إنما ترتبط بمعرفة سياق الكلام أو ما سمّاه إمام البلاغيين الشيخ عبد القاهر الجرجاني النَّظم، فلا بدّ من تدبّر الكلام بكامله حتى تدرك معاني هذه الجملة، وقد أشار الجرجاني ـ رحمه الله تعالى ـ في الباب المهمّ الذي عقده للحديث عن (الفصل و الوصل) إلى جوهر هذه الجملة، فقال:

إنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لايتأتّى لتمام الصّواب فيه إلا الأعرابُ الخُلَّصُ، والأقوام طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنّاً من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئِلَ عن البلاغة، فقال: معرفة الفصل من الوصل، ذاك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنّه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلاّ كمُل لسائر معاني البلاغة.

وينجلي هذا الغموض وتتّضح مسالكه فيما يجده القارئ في هذا الكتاب، وقد حَرَصْتُ على إبراز دور الجملة الاستئنافية من خلال استقصاء أغراضها ووظائفها من منابعها في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي.

١٠ - بين الجملة الابتدائية والمستأنفة:

حتّى لا يختلط مصطلحُ الابتداء والاستئناف جعل العلماء بعضَ الفروق بينهما، فقالوا: الابتداء على نوعين:

الأول: الابتداء الحقيقيّ.

الثاني: الابتداء الإضافيّ.

فأمّا الابتداء الحقيقي: فهو الابتداء بالشيء أمام المقصود بحيث لا يتقدّم على ذلك الشيء شيءٌ ما، وأما الابتداء الإضافي: فهو الابتداء بالشيء أمام المقصود سواء أتقدّم على ذلك الشيء شيء آخر غير المقصود أم لم يتقدّم، فهذا أعمّ من الأوّل، وسمّي إضافياً؛ لأنّ الابتداءَ ليس ابتداءً وتقدّماً على كل شيءٍ، بل هو ابتداء بالنسبة إلى شيءٍ معيّن[١].

جمع ابن هشام بين الجملة الابتدائية والجملة الاستئنافية، فقال: "الابتدائية وتسمّى أيضاً المستأنفة، وهو أوضح؛ لأنَّ الجملةَ الابتدائية تطلق أيضاً على الجملة المصدَّرة بالمبتدأ، ولو كان لها محل[٢]، وهذا غير مراد، وذلك كما في: جاء زيد ويده على رأسه؛ فإنَّ جملة (يده على رأسه) ابتدائية بهذا المعنى ولها محل"[٣].

---

(١) انظر شرح الجوهرة لمحمد محيي الدين عبد الحميد:١٢.

(٢) مغني اللبيب: (٤٨٥).

(٣) انظر حاشية الدّسوقي على مغني اللبيب: (٢/١٢).

وأوجز ابن هشام حديثه عن هذه الجملة عند النحويين فقال: "الجملة المستأنفة نوعان:

أحدهما: الجملة المفتَتَح بها النطق، كقولك ابتداءً: (زيدٌ قائم)، ومنه الجمل المفتتح بها السور، نحو قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

الثاني: الجمل المنقطعة عما قبلها، نحو: (مات فلان، رحمه الله) فجملة (رحمه الله) منقطعة لفظاً؛ لأنّه ليس هاهنا حرف يوصلها بها، وأما في المعنى فإنَّ الرحمةَ مرتبطة بالموت.

وقوله ﷻ: ﴿سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٨٣-٨٤](١).

وتعرَّض ابن هشام للحديث عن الاستئناف عند البيانيين، فقال: "ويخصُّ البيانيون الاستئناف بما كان جواباً لسؤال مقدّر، نحو قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٥] فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدّر، تقديره: ماذا قال لهم؟ ولهذا فُصلت عن الأولى فلم تعطف عليها. وفي قوله (سلام قوم منكرون) جملتان، حذف خبر الأولى ومبتدأ الثانية، إذ التقدير: سلام عليكم أنتم قوم منكرون.

قال الدسوقي مبيناً الاستئناف عند النحويين:" وأما النحاة فقالوا:

---

(١) مغني اللبيب: (٥٧٨).

هي المقتطعة عما قبلها سواء كانت جواباً عن سؤال أم لا، فالاستئناف عندهم أعم"[1].

وقال الأستاذ عبّاس حسن: "الاستئناف البياني: هو الذي تنقطع بسببه الصّلة الإعرابية بين الجملة المستأنفة والجملة التي قبلها، دون الصلة المعنوية بينهما، فكلتاهما مستقلة بنفسها في الإعراب وحده، أما في المعنى فلا بد بينهما من ارتباط يجعل الثانية ـ في الغالب ـ بمنزلة جواب عن سؤال ناشئ من معنى الأولى. أما غير البياني: فتنقطع فيه الصلة الإعرابية والمعنوية بين الجملتين، فتكون الجملة المستأنفة مستقلة بإعرابها وبمعناها الجديد"[2].

١١ ـ جملة الاستئناف لتجدد المعاني:

تفنّن علماء البيان في إيضاح أساليب العربية في عددٍ من المباحث؛ كالصفة والبدل والعطف فأبرزوا الصلة والرابط بين الصفة والموصوف، والبدل والمبدَل منه، والعطف والمعطوف عليه. ثم أبرزوا انقطاع هذه الصلة، وبيّنوا الأغراض الموجبة لقطع تلك الروابط، فنشأ مصطلح: قطع الصفة وقطع البدل وقطع العطف، ونحو ذلك، وهذا القطع منشَؤه تجدُّدُ المعاني لأغراضٍ بلاغية؛ منها: المدح والتعظيم والترحم والذّم.. والاختصاص..

أ ـ قطع الصفة: في الحديث عن الصفات وتعدّدها قد تقطع الصفات عن سياق الموصوف فترفع على إضمار مبتدأ أو تنصب على إضمار فعل، نحو: مررت بزيدٍ الكريمُ، أي: هو الكريمُ، أو أعني الكريمَ.

---

(١) حاشية الدسوقي:(٢/١٢).

(٢) النحو الوافي: (٤/٣٩٠).

قال الخضري: "واعلم أنّ النعت إذا قطع خرج عن كونه نعتاً كما ذكره ابن هشام، وتكون جملته مستأنفة لا محل لها"[1].

وقال الدكتور محمد خير حلواني: "قطع الصفة يعني أن تذكر الموصوف وتُتْبِعَه بصفاتٍ متعدّدة لها إعرابه نفسه، إلا أنك تقطَع واحدةً منها أو أكثر عنه، وتجعل حركتها الإعرابية مخالفةً للصفات الأخرى تثير بذلك ذهن السامع، ويدرك أنَّ هذه الصفة عندك أكثرُ أهميةً من الصفات الأخرى، وقد بيّن أغراض قطع الصفة التي تحدث عنها سيبويه: التعظيم والذم و الترحم"[2].

على أنَّ القطع ذو نظام وقواعد، وليس اعتباطيًّا يتصرَّف فيه المتكلّم كيف يشاء، فإذا كان المنعوت معلوماً بدون النعت، نحو: مررت بامرئ القيس الشاعرِ، جاز لك فيه ثلاثة أوجه: الإتباع فيخفض، قرئ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] بالوجوه الثلاثة، بالرفع بإضمار هو، وبالنصب بإضمار فعل، وهذا الفعل يجب أن يكون (أخصُّ) أو (أعني) في صفة التوضيح، و (أمدح) في صفة المدح[3]، و (أذمّ) في صفة الذمّ، كما في قوله ﷻ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد:٤] يقرأ في السبع: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ بالنصب، بإضمار أذمّ، وبالرفع إما على الإتباع، أو بإضمار هي[4].

ومن وجوه إعراب: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣] في سورة الفاتحة الرفع

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: (١/ ٢٧٠).

(٢) النحو الميسر: (٦٨٤).

(٣) النحو الوافي: (٣/ ٤٨٧).

(٤) انظر التيسير للدّاني: (٢٢٥)، النشر لابن الجزري: (٢/ ٤٠٤).

على القطع، فالجملة استئنافية استئنافاً بيانياً، جواباً لسؤال مقصود به التلذذ وتعظيم شأن المسؤول عنه لا التعيين؛ لأنَّ المولى ـ تعالى ـ لا يُجهَلُ.

أما السبب الأساسي للقطع فهو سبب بلاغي، يكاد ينحصر في توجيه الذهن إلى النعت المنقطع وتركيزه فيه، وإبراز معناه لأهمية خاصة تستدعي هذا التوجيه، ولاسيما إذا تعددت النعوت وطالت الجملة.

على أن القطع بحكمه وحكمته يظل باقياً إذا تعددت النعوت وفصل بينهما بحرف عطف فصارت بعد هذا الفصل بالعاطف معطوفات لا نعوتاً.

وإذا كان النعت المنقطع في أصله مسوقاً لغرض المدح، أو الذم أو الترحم؛ فإن عامله المحذوف بعد القطع لا يصح ذكره؛ لأنه من العوامل الواجبة الحذف، سواء أكان مبتدأ أم فعلاً. أما إذا كان النعت المنقطع مسوقاً لغرض آخر غير ما سبق فإن عامله يجوز حذفه وذكره. ومن الأغراض الأخرى: أن يكون القصد من القطع تقوية التخصيص إذا كان وقوعه بعد نكرة، أو تقوية الإيضاح إذا كان بعد معرفة، نحو: طربت للبحتري الشاعرُ أو الشاعرَ.

قال أبو علي الفارسي:"إذا ذُكرت صفات المدح أو الذمّ وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان، ويسمّى نحو ذلك قطعاً، فقد صرّح بأنَّ الكلَّ صفاتٌ، وإنما سمّي قطعاً نظراً إلى اللفظ، فلا ينافي جعله موصولاً؛ نظراً إلى المعنى.

فإن قلت: تغيير الإعراب نصباً أو رفعاً مِنْ أي وجه يدلُّ على ما قُصد به من مدحٍ أو ذم أو غيرهما..؟ قلت: من حيث إنَّ تغيير المألوف يدلُّ على زيادة ترغيب في إسماع المذكور، ومزيد اهتمام بشأنه، لاسيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ، وذلك لما يقصد به مما يناسبه ويليق بالمقام، من المدح أو الذم، أو نحو ذلك، ويتعيّن بمعونة المقام، وذكر

ابن مالك أنّه التزم حذف الفعل في المنصوب؛ إشعاراً بأنه لإنشاء المدح كالمنادى، وحذف المبتدأ في المرفوع إجراءً للوجهين على سَنَنٍ واحدٍ"(١).

ومن دقائق هذه المسائل نقرأ قول سيبويه في توضيح جمل الاستئناف، واستبعاد الصفة، قال:"ومما لا تجري الصفة عليه نحو: هذان أخواك وقد تولّى أبواك الرجالُ الصالحون؛ إلاّ أن ترفعه على الابتداء، أو تنصبه على المدح والتعظيم. ويعني بالرفع على الابتداء تقديرُ مبتدأ، الرجالُ خبره والجملة الدالة على المدح استئنافية لا غير"(٢).

وقد خصَّص سيبويه لهذا الأسلوب البليغ باباً عنوانه: **ما ينتصب على التعظيم والمدح**، قال:"وإن شئت جعلته صفةً فجرى على الأوّل، وإن شئت قطعتَه فابتدأته، وذلك قولك: الحمدُ لله الحميدُ هو، والحمدُ لله أهلَ الحمد، والملك لله أهلَ الملك، ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً، كما قال الأخطل:

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا ... أبدَى النواجذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَرُ

الخائضُ الغمْرَ والميمونُ طائرُه ... خليفةُ الله يُستَسْقَى به المَطَرُ

والشاهد فيه استئناف المدح في قوله (الخائضُ) ومابعده، وقطعه من قوله (أميرِ المؤمنين)، فرفعه، ولو نصبه على القطع لكان حسناً أيضاً، ولو جرّه على البدل أو النعت لجاز كذلك"(٣).

وقال سيبويه أيضاً:"وسمعنا بعض العرب يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية"(٤).

---

(١) حاشية الشريف الجرجاني: (١/١٢٣).

(٢) الكتاب: (٢/٦٠).

(٣) الكتاب: (٢/٦٢).

(٤) الكتاب: (٢/٦٣)، البحر المحيط: (١/١٩).

وقد أبدى الخليل بن أحمد سرَّ الاستئناف في مثل هذه الأساليب الواسعة في كلام العرب، فقال:"إنّ نصبَ هذا على أنك لم تُرد أن تحدّث الناسَ ولا مَنْ تخاطِب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناءً وتعظيماً، ونصبه على الفعل".

وفي عبارة الخليل (ثناء وتعظيماً) إرشاد للمعرب لقوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فليس من اللائق أن نقدّر: أخصُّ أو أعني، فلا أحدَ يجهل الله تعالى. ولكنَّ المناسب أن نقدّر: أمدَحُ ربَّ العالمين، إلاّ أنَّ هذا فعل لا يستعمل إظهارُه.

وبيّن سيبويه ذلك فقال:"ليس كلُّ موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كلُّ صفة يحسن أن يعظَّم بها، لو قلت: (مررتُ بعبد الله أخيك صاحبَ الثياب أو البزَّاز)، لم يكن هذا مما يعظّم به الرجل عند الناس، ولا يفخّم به.

وأما الموضع الذي لا يجوز فيه التعظيم فأن تذكرَ رجلاً ليس بنبيهٍ عند الناس، ولا معروفٍ بالعظيم ثم تعظّم النّبيه، وذلك قولك: مررت بعبد الله الصالح، فإن قلت: (مررت بقومك الكرام الصالحين) ثم قلت المطعمين في المحْل، جاز؛ لأنّه إذا وصفهم صاروا بمنـزلة من قد عُرف منهم ذلك، وجاز أن يجعلهم كأنهم قد عُلموا فاستحسنْ من هذا ما استحسنَ العرب، وأجِزْه كما أجازته.

وليس كلُّ شيءٍ من الكلام يكون تعظيماً لله ـ عزَّ وجل ـ يكون تعظيماً لغيره من المخلوقين، لو قلت: الحمد لزيدٍ تريد العظمة لم يجُز، وكان عظيماً.

قال السيرافي: يحتاج التعظيم إلى اجتماع معنيين في المعظّم: أحدهما: أن يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة، والآخر: أن يكون

المعظّم قد عرفه المخاطَب وشُهِرَ عنده بما عظم به، أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به عند المخاطب حال مدح وثناء وتشريف في المذكور يصح أن يورد بعدها التعظيم، وهذا معنى ما ذكره سيبويه"[1].

ومما ينتصب على المدح والتعظيم، قول الفرزدق:

ولكنني استبقيت أعـراض مـازنٍ وأيامهـا مـن مسـتنيرٍ ومُظْلِـمِ

أناسـاً بثغـرٍ لاتـزالُ رِمَـاحُهُمْ شوارعَ من غير العشيرة في الدمِ

أناساً: اسم منصوب على التعظيم والمدح. والجملة الاستئنافية لا محل لها من الإعراب.. ولا يجوز النّصْبُ على الحال، بل هو ضعيف كما أشار إليه سيبويه، قال:

"وممّا يدلّك على أنَّ هذا ينتصب على التعظيم والمدح، أنك لو حملت الكلامَ على أن تجعله حالاً لما بنيته على الاسم الأوّل كان ضعيفاً، وليس هاهنا تعريف ولا تنبيه، ولا أراد أن يوقع شيئاً في حالٍ؛ لقبحه ولضعف المعنى"[2].

ومن أمثلة سيبويه تقول: اصنع ما سرَّ أخاك وأحبَّ أبوك الرجلان الصالحان، على الابتداء، وتنصبه على المدح والتعظيم، والجملة استئنافية[3].

وأفرد سيبويه أيضاً باباً عنوانه:

ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أَشْبَهَه

وذلك قولك: (أتاني زيدٌ الفاسقَ الخبيثَ) لم يرد أن يكرّره ولا يعرّفَك شيئاً تُنكِره، ولكنه شتمه بذلك.

---

(١) الكتاب: (٢/٦٩)، الحاشية: (٦).

(٢) الكتاب: (٢/١٥٢).

(٣) الكتاب: (٢/٥٧).

ولعلَّ من أبرز شواهد هذا الباب قراءة حفص عن عاصم: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد:٣-٤] قال سيبويه: "لم يجعل الحمالةَ خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكُرُ حمالةَ الحطَب، شتماً لها، وإن كان فعلاً لا يُستعمل إظهارُه".

وقال عروة بن الورد العبسيّ:

سقوني الخمرَ ثم تكنفوني ... عُداةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ

الشاهد فيه: نصب (عداةَ) على الشتم، ولو رفع على القطع لجاز، قال سيبويه: "إنّما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين، وزعم يونس أنك إن شئت رفعت على الابتداء، تُضمِرُ في نفسك شيئاً لو أظهرته لم يكن ما بعده إلاّ رفعاً"[(١)].

ومن أمثلة سيبويه قوله: "وإن شئت نصبت على الشتم، وذلك قولك: اصنع ما ساء أباك وكره أخوك الفاسقينِ الخبيثينِ، وإن شاء ابتدأ، والجملة أيضاً استئنافية"[(٢)].

ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

أَمِن عَمَلِ الجرَّافِ أمسِ وظلمه ... وعُدوانه أعتبتمونا براسم[(٣)]

أميرَيْ عَداءٍ إن حَبَسْنا عليهما ... بهائمَ مالٍ أوديا بالبهائم[(٤)]

---

(١) الكتاب: (٢/٧٠-٧١)، ديوان عروة: (٩٠)، اللسان: نسأ.

(٢) الكتاب: (٢/٥٨).

(٣) الجرّاف وراسم أسماء عاملين للسلطان، ذكر جورهما وعدوانهما فيما يأخذان من صدقات المال، أعتبه: أرضاه وأزال مايوجب عتبه.

(٤) العَدَاء: الظلم وتجاوز الحدّ، بهائم مال: الإبل، أودى: ذهب به.

نصب (أميرَي) على الشتم؛ لأنك إن حملت الأميرين على الإعتاب براسم كان محالاً، وذلك لأنه لا تحمل صفة الاثنين على الواحد، ولا تحمل الذي جرّ الإعتاب على الذي جرّ الظلم، فلما اختلف الجرّان واختلطت الصفتان صار بمنزلة قولك: فيها رجل وقد أتاني آخر كريمين، ولو ابتدأ فرفع كان جيداً[(1)].

ومن قبيل المدح الفخرُ، زعم يونس أنه سمع رؤبة يقول:

أنــا ابــنُ سَــعْدٍ أكــرمَ السَّــعدِينا

نصب (أكرمَ) على الفخر والتفخيم[(2)]، والجملة استئنافية أفادت ذلك الغرض.

ومما يدور في فَلَكِ المدح والذَّم التَّرحُّمُ، ومجالُه الجملةُ الاستئنافية، قال سيبويه:"ومن هذا الترحُّمُ، والتّرحم يكون بالمسكين والبائس ونحوه، ولا يكون بكلّ صفة ولاكل اسم، ولكن ترحّمْ بما ترحَّمُ به العربُ، " أي: إنه سماعيّ. وقال السيرافي:"مذهب التّرحُم على غير منهاج التعظيم والشتم، وذلك أنَّ الاسم الذي يعظم به والاسم الذي يشتم به شيء قد وجب للمعَظّم والمشتوم، وشُهِرا به وعرفا به قبل التعظيم والشتم، فيذكره المعظِّم أو الشاتم على جهة الرفع منه والثناء، أو على جهة الوضع منه والذَّم. أمّا الترحّم فإنما هو رِقّة وتحنن يلحق الذاكر على المذكور في حال ذكره إياه رقّةً عليه وتحنّناً.

وعبارة النحويين في هذا المجال قولُهم: (مررْتُ به البائسُ)، بالرفع، كأنه لما قال مررت به، قال: المسكينُ هو، كما يقول مبتدئاً: المسكين

---

(١) الكتاب: (٢/١٥٠-١٥١).

(٢) الكتاب: (٢/١٥٣).

هو، والبائس أنت. وإن شاء قال: مررت به المسكين هو، والبائس أنت، وإن شاء قال: مررت به المسكينَ..وفيه معنى الترحّم، كما كان في قوله: رحمةُ الله عليه معنى: رحمه اللهُ.."[1].

ب ـ **قطع البدل**: من أراد أن يتعرّف البنية العميقة للكلام، والتي أفاض علماء اللسانيات الحديثَ عنها فليرجع إلى كلام سيبويه في ذلك وهو يبرز تفنُّنَ المعربين في الحديث عن البدل والاستئناف، في نحو: (مررت برجلين مسلمٍ وكافرٍ)، جمعت الاسم وفرَّقت النعت. وإن شئت كان المسلم والكافر بدلاً، كأنه أجاب من قال: بأيّ ضرب مررت؟ وإن شاء رفع، كأنه أجاب من قال: فما هما؟ فالكلام على هذا وإن لم يَلفظ به المخاطَب؛ لأنه إنما يجري كلامُه على قدر مسألتك عنده لو سألته.

وكذلك: مررت برجلين: رجلٍ صالح ورجلٍ طالح، وإن شئت جعلته تفسيراً لنعت، وصار إعادتك الرجل توكيداً. وإن شئت جعلته بدلاً، كأنه جوابٌ لمن قال: بأيّ رجل مررت؟ فتركت الأوّل واستقبلت الرجل بالصفة، وإن شئت رفعت على قوله: فما هما؟[2]

ومثال ما يجيء في هذا الباب على الابتداء وعلى الصفة والبدل قوله ﷻ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران:١٣] فقد قرئ: فئة بالوجوه الثلاثة[3]، ووفق كل قراءة توجيه إعرابي: أحدها: فئةٌ بالرفع، خبر لمبتدأ محذوف تقديره: إحداهما فئةٌ. الثاني: فئةً: بالنصب على القطع، بتقدير: أمدح فئةً

---

(١) الكتاب: (٢/٧٥-٧٦).

(٢) الكتاب: (١/٤٣١).

(٣) قراءة الرفع هي المتواترة. وقراءة الجر قراءة مجاهد والحسن و الزهري وحميد. وقراءة النصب قراءة ابن أبي ليلة وابن السميفع... البحر المحيط: (٢/٣٩٣).

مؤمنةً وأذمُّ أخرى كافرة. الثالث: فئةٍ: بالجرّ على البدل من فئتين، بدل تفصيلي.

ومنه قول كُثَيِّر عَزَّةَ:

وكنت كذي رجلين:رجل صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزمان فَشَلَّتِ

روي برفع (رجل) على القطع من البدل، وبجرها على البدل التفصيلي، ويجوز النصب(١).

وتقول: مررت بأربعةٍ: صريعٌ وجريحٌ؛ ليس فيه إلا الرفع على الاستئناف؛ لأنّ الصريع والجريح غيرُ الأربعة، فصار على قولك: منهم صريع ومنهم جريح(٢).

وهذا الأصل في قطع البدل أَسَّسَهُ سيبويه تحت عنوان: **قطع المعرفة من النكرة**؛ ومَثَّل ذلك بقولك: مررت برجلٍ عبدُ الله، كأنه قيل لك: من هو؟ أو ظننتَ ذلك(٣).

ومن البدل أيضاً: مررت بقومٍ عبدِ الله وزيدٍ وخالد، والرفع جيّد، قال الشاعر، وهو بعض الهُذَليين. وهو مالك بن خُويلد الخُناعي:

ياميَّ إنْ تفقدي قوماً وَلَدْتِهِمِ أو تُخْلَسيهمْ فإنَّ الدَّهرَ خَلاَّسُ

عمروٌ وعبدُ منافٍ والذي عَهِدَتْ ببطن عَرعر آبي الضَّيم عبّاسُ

والشاهد فيه: قطع عمرو وما بعده مما قبله ورفعه على الابتداء. والتقدير: منهم عمروٌ، فالجملة استئنافية، قال سيبويه:"والرفع جائز قوي"(٤).

---

(١) الكتاب: (١/٤٣٣)، الخزانة: (٢/٣٧٦).

(٢) الكتاب: (١/٤٣٤).

(٣) الكتاب: (٢/١٥).

(٤) الكتاب: (٢/١٥-١٦).

وقال مهلهل:

ولقد خبطْنَ بيوتَ يشكُرَ خَبْطَةً   أخوالُنا وهمُ بنو الأعمام

كأنه حين قال: خبطن بيوت يشكرَ، قيل له: وما هم؟ فقال: أخوالُنا وهم بنو الأعمام.

وقد يكون مررت بعبد الله أخوك، كأنه قيل له: مَنْ هو؟ أو مَنْ عبد الله؟ فقال: أخوك. وتقول: مررت برجلٍ الأسدِ شِدَّةً، كأنك قلت: مررت برجل كاملٍ؛ لأنك أردت أن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟

هذا وقد فضَّل سيبويه الاستئناف في مثل أسلوب قطع البدل، فقال: والابتداء في التبعيض أقوى، وهذا عربيّ جيّد[١].

الاستئناف والاختصاص اللغوي:

يدور في فَلَكِ الجملة الاستئنافية أسلوب الاختصاص اللغوي، أي: الأسلوب الذي يُقدِّرُ فيه المفسِّرُ أو الشارح بعضَ الكلامِ السابق بتقدير: أعني أو أخصُّ، دون نظرٍ إلى مدح أو ذمّ ونحو ذلك، وهذه الجملة المشروحة جملة استئنافية. من شواهدها قول الشاعر:

وما غرّني حَوزُ الرِّزاميِّ مِحْصَناً   عواشيَها بالجوّ وهو خصيبُ[٢]

---

(١) الكتاب: (٢/١٧).

(٢) حوز الإبل: جمعها للعلف. والرزامي: نسبة إلى رزام، وهم حيٌّ من بني عمرو ابن تميم، و العواشي: جمع عاشية، وهي التي ترعى بالعشي من المواشي. يقول: جمعها للعلف ليمنع الضيف في حال خصب الزمان؛ لأنها لاتحلب وهي تُعلف.

ومحصن: اسمُ الرِّزامي، فنصبه على (أعني)، وهو فعل يَظهرُ؛ لأنه لم يرد أكثر من أن يعرّفه بعينه، ولم يرد افتخاراً ولا مدحاً ولا ذمّاً، فينصبه عليه[1].

ت ـ قطع صفة المنادى : للجملة الاستئنافية دور يخفى على كثيرٍ من الباحثين، وهم يدرسون صفة المنادى المعطوف عليه آخر.

ففي الحديث عن توابع المنادى يذكر الباحثون أنّ هذه الفقرة أصعبُ ما في بحث النداء؛ لأنّ كلام النحاة عن توابع المنادى ـ في رأيهم ـ متداخل، ويعوزه التنظيم[2].

من هذه الأمثلة قولك: (يا أيها الرجل وعبدَ الله المسلمَينِ الصالحينِ)، فهذا الأسلوب مؤلف عند سيبويه من جملتين أولهما: جملة النداء، والثانية: جملة المدح والتعظيم التي حذف فعلها، والتقدير: أمدح المسلمين الصالحين، وقد نظّر ذلك سيبويه، بقولك: اصنعْ ما سرَّ أباك وأحبَّ أخوك الرجلينِ الصالحين.

وتقول: (ياأيها الرجل وزيدُ الرجلين الصالحين)، لا يوجه إعراب الرجلين الصالحين إلا على الاستئناف للمدح؛ لأنّ رفعهما مختلف، وذلك أنّ زيداً على النداء والرجل نعت لـ (أيّ)، قال السيرافيّ:"ولا يجوز نعت الرجل وزيد بنعتٍ واحدٍ؛ لأن الرجل معرب مرفوع، وزيدٌ مبني على الضمّ، فالطريق فيما أوجب ضمهما مختلف، فوجب حمل الصفتين على فعل مضمر ينصبهما، أو على: هما الرجلان الصالحان"[3].

---

(١) الكتاب: (٢/٧٤).

(٢) النحو الميسر: (٥٧٠).

(٣) الكتاب: (٢/١٩٥) حاشية١.

ث ـ قطع التوكيد : للجملة الاستئنافية صِلَةٌ فيما يلمح أنه توكيد مغاير للمؤكَّد، نحو: (مررت بزيدٍ وأتاني أخوه أنفسُهما)، يصعب على المعرب أن يوجّه إعراب (أنفسُهما) بالضم توكيداً لـ (أخوه) أو توكيداً لـ (زيد) ولايحلّ هذا إلا على توجيه الخليل ـ رحمه الله ـ إذ قال: الرفع على: هما صاحبايَ أنفسُهما، والنصب على: أعنيهما، ولا مدح فيه؛ لأنه ليس مما يُمدَح بِهِ.

وتقول: هذا رجل وامرأته منطلقانِ، وهذا عبد الله وذاك أخوك الصالحان، فـ(منطلقان) و(الصالحان) خبران لمبتدأين مقدّرين. قال سيبويه: "وهما اسمان بُنيا على مبتدأين"[1].

ج ـ جملة الاستئناف فيما لا يجوز أن يكون نعتاً لمعمولي عاملين:

الحملُ على الاستئناف من التوجيهات الدقيقة التي تيسّر الإعرابَ في كثير من التراكيب التي يظنّ أنها صعبة أو مغايرة لأسلوب الكلام الفصيح، فقد عنون سيبويه باباً قال فيه:

ما يُنصب فيه الاسم لأنه لاسبيل له إلى أن يكون صفةً

ومثاله قولك: (هذا رجل معه رجل قائمين)، فهذا ينتصب؛ لأنّ الهاءَ التي في (معه) معرفة، فأشرك بينهما، وكأنه قال: معه امرأة قائمين.. قال السيرافي: "جملة هذا الباب أن يتقدّم اسمان أو أسماء قد أعربت بإعراب مختلف أو إعراب واحد من جهتين مختلفتين، فلا يمكن جمع صفاتها أو تثنيتهما بلفظٍ واحدٍ محمول على الإعراب الأول، فيحمل على شيء يجتمعان فيه مما يصحّ اجتماعهما"[2].

---

(١) الكتاب: (٢/٦٠).

(٢) الكتاب: (٢/٥٧) الحاشية.

١٣ ـ الاستئناف والمناسبة:

المناسبةُ في اللغة: المشاكلةُ والمقاربةُ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابطٍ بينها؛ عامٍّ أو خاصٍّ، عقليٍّ أو حسيٍّ أو خياليٍّ أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب أو المسبَّب، والعلّة والمعلول والنظيرين والضدين، ونحوه. وفائدته جعلُ أجزاءِ الكلام بعضِها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالُه حالُ البناء المحكم المتلائم الأجزاء..

إنَّ هذه الألفةَ فيما بين الجمل والآيات حيث تذكر الآية بعد الأخرى إما أن تكون ظاهرة الارتباط لتعلّق الكلم بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، هذا القسم يعتني به علماء النحو والبلاغة معاً، وإما أن لايظهر الارتباط، بل يظهر أنَّ كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المَبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف، المشرِكة في الحكم، أو لا. فإن كانت معطوفةً فلا بدّ أن يكون بينهما جهة جامعة كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ:٢] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[البقرة:٢٤٥] للتضاد بين القبض والبسط، والولوج والخروج، والنزول والعروج، وشبه التضادّ بين السماء والأرض[١].

ويدور في فلكِ الاستئناف ومحاسنه مانراه من المناسبة بين الآيات والسُّوَر، وهو من الموضوعات الدقيقة اللطيفة جداً في القرآن الكريم،

---

(١) الإتقان: (٢/١٠٨-١٠٩).

تَصَدَّى لدراسته كبار المفسّرين كالزمخشري وأبي حيّان. وخَصَّصَ له الإمام برهان الدين البقاعي سِفْراً ضَخْماً سمَّاه: **نظم الدُّرر في تناسُبِ الآياتِ والسُّوَر**.

قال الإمام العزّ بن عبد السّلام:"من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض"(١) وهذا الارتباط هو ماعرَّفه الإمام البلاغي عبد القاهر الجرجاني بالنَّظم، وهو: "أن تضعَ كلامك الوضعَ الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلاتزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ لك فلا تخلَّ بشيء منها. وهذه المزايا في النظم تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعضٍ"(٢).

ومزيّة هذا الارتباط أن يبقى الكلامُ لُحْمةً واحدةً، يتشبَّثُ بعضه ببعض؛ لئلا يكون مُقطّعاً مُبتَراً، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمرٍ مُتّحِدٍ، فيرتبط أوَّلُه بآخره، حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني(٣).

قال الزركشي في البرهان:"ومن المعجز البيّن أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كلّ آيةٍ أن يُبحَثَ أوّل كلِّ شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ماوجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جَمٌّ".

وورد عن الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] أنه قال: "ومن تأمَّل في لطائف نظم هذه السورةِ، وفي بدائع ترتيبها

---

(١) نبذ من مقاصد الكتاب العزيز: (٨٩).

(٢) دلائل الإعجاز: (٦٤-٦٩).

(٣) معترك الأقران: (١/٤٤).

علم أنّ القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعلّ الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك"[1].

وبيّن البقاعي في نظم الدرر أهمية علم المناسبة وارتباط آي القرآن بعضها ببعض فقال:"وبهذا العلم يرسّخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللّب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.

والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.

والأول أقرب تناولاً، وأسهل ذوقاً، فإنّ كل من سمع القرآن من ذكيّ وغبيّ يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاطٍ ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلّما دقّق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبَر الفطِن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أنّ الجمل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظنّ أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهزّ و البسط، وربما شكّكه ذلك بكثيرٍ، وزلزل إيمانه، وزحزح يقينه"[2].

❖ تنبيه:

لم يذكر العلماءُ أنَّ المناسبةَ واجبةٌ في كلِّ الآيات؛ لأنَّ أسبابَ النُّزول لها دورُها في هذا المجال، فإن وقع الكلام على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن رَبَط ذلك فهو متكلّف لما

---

(١) التفسير الكبير: (١٢٨/٧).

(٢) نظم الدرر: (١١/١).

لم يقدر عليه إلاَّ بربط ركيك يُصان عن مثله حَسَنُ الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإنَّ القرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ في نيّف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شُرِعَتْ لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض؛ إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرّف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العِلَل والأسباب. ولذلك أمثلة:

المثال الأول :

إنّ الملوك يتصرّفون في مدّة ملكهم بتصرّفاتٍ مختلفة متضادّة وليس لأحدٍ أن يربط بعض ذلك ببعض.

المثال الثاني :

الحاكم يحكم في يومه بوقائع مختلفةٍ متضادة، وليس لأحدٍ أن يلتمس ربط بعض أحكامه ببعض.

المثال الثالث :

إن المفتيَ يفتي في مدة عمره، أو في يومٍ من أيامه، أو في مجلسٍ من مجالسه بأحكامٍ مختلفة، وليس لأحدٍ أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض.

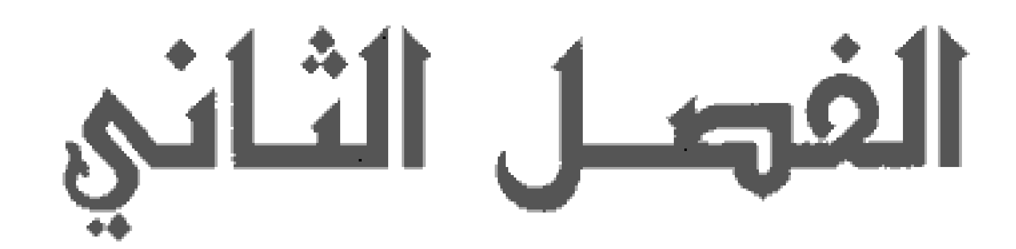
المثال الرابع :

إن الإنسان يتصرّف في خاصّته بطلب أمورٍ موافقة ومختلفة ومتضادة، وليس لأحدٍ أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض. والله أعلم[(١)].

هذا فيما يتعلَّق بتركيب الجملة وارتباطها فيما قبلها من سباق الكلام وسياقه، ولعلَّ متعةَ البحث تكمن في إبراز مقاصد الجمل الاستئنافية وأغراضها، التي تعين شارح النص الأدبي على فهمه وتذوقه، وهذا ما سنقرأه في الفصل الثاني .

---

(١) انظر نبذ من مقاصد الكتاب العزيز: (٨٩-٩١)، نظم الدرر: (١/٧) .



الفصل الثاني

مقاصد الجمل الاستئنافية
وما يدور في فلكها

تمهيد

مقاصد الجملة الاستئنافية وأغراضها عديدة، منها ماتتضمنه المعاني اللغوية والأدبية؛ كالدّعاء والتعظيم والرّدع والتوبيخ، ومنها ماتنتظمه المعاني البلاغية؛ كالتذييل والتكميل والاحتراس والرجوع وبراعة الاستهلال وحسن التخلص. وهي واسعة جداً كالشذرات المتناثرة نجدها في كتب الأدب والنقد والبلاغة وكتب التفسير، من غير قصدٍ ولانظام.

هذا وقد أَلِفْنَا في مجال الإعراب التّطبيقيّ للجمل أن نقرأ عند المعربين عبارةً مشهورةً، حفظها منّا صغارُ الطّلبة عن ظهرِ قلبٍ وردّدها الكبار أيضاً؛ هذه العبارة هي: **جملة استئنافيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب،** فتبعَ ذلك عدمُ اهتمامنا ـ غالباً ـ بمعرفة معناها، ولا التوجُّهُ نحوَ الدَّور المهمّ، والغرض الرئيسيّ الذي تحقّقه في نظم الكلام؛ هذا الدّور الذي علَّقَ عليه الجرجانيّ أهميةً كُبرى، وجَعَلَه غرضاً بارزاً في إعجاز القرآن بقوله: "إنَّ العِلْمَ بما ينبغي أنْ يُصْنَعَ في الجمل؛ مِنْ عَطْفِ بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورةً، تُسْتأنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، وممّا لا يتأتّى لتمام الصَّواب فيه إلاّ الأعرابُ الخُلَّص".

صحيحٌ أنْ لا رابطَ صناعيّاً فيما بين الجمل الاستئنافية، كما نجده في جملة خبر المبتدأ، أو خبر كان وخبر إنَّ، أو الجمل التي نجدها بعد النكرات، أو بعد المعارف، أو بعد الظروف ونحو ذلك، لكنَّ الأهميَّة هاهنا معقودةٌ في تفقُّدِ المعنى، والروابط التي تلتئم فيما بين الجمل الاستئنافية، والأغراض المتعدّدة التي تحققها. وكلُّ هذا مبني على فهم النَّص بدقّةٍ ودرايةٍ، ومستَنَدُه التّذوُّقُ الأدبي والبلاغي المتكامل.

إنَّ تدبُّرَ نَظْم الكلام بدقّةٍ لَيُظْهِرُ للدارس أغراضاً متعدّدة للجمل الاستئنافية، ويُبرزُ أواصر القربى والألفة فيما بين الجمل، ولقد سعيْتُ فذكرت منها ـ حسب ما جمعته من آراء المعربين والمفسرين والبلاغيين ـ ما يقرب من خمسين غرضاً ومقصداً وما يدور في فلك هذه الجمل أيضاً تَصِلُ القارئَ إلى درجةٍ عاليةٍ من معرفة البلاغة العربية، وسحر بيانها المشرق.

وفي الحقّ أنَّ أغراضَ الجمل الاستئنافية، وما يدور في فلكها من أسرار هي: صورةٌ رائعةٌ في إغناء ثقافة الدارس لبلاغة العربية، وتفقه أسرارها، وفيها إثراء للدراسات النحوية إثراءً عظيماً؛ لما حفِلت به من الطرائف والفرائد، التي لا نظفر بها في كتب النحو بيسرٍ وسهولة.

إنَّ تحديدَ غرضِ الجملة الاستئنافية، وبيانَ مقصدِها في النّص الأدبي، لَيدلُّنا على دقَّة التفكير التي يمتاز بها الأديب شاعراً أو كاتباً، وبراعة صياغته، وحسن تذوّقه للتعبير عما يريد:

رعــى اللهُ الأديــبَ يــروم معــنىً ... فيُسْــعِدُه البيــانُ بمــا أرادا

وأنا إذا أحببتُ أن أعرضَ جانباً من تلك المقاصد، والأغراض المتعدّدة أنشدْتُ قول الشاعر الجاهلي عمرو بن الأهتم:

وكلُّ كـريمٍ يتّقـي الـذَّمَّ بـالقِرى ... ولِلخيـرِ بـين الصـالحين طريـقُ

لعمـرُكَ ماضـاقَتْ بـلادٌ بأهلـها ... ولكـنَّ أخـلاق الرجـال تضـيقُ

وأدركتُ أنَّ روعةَ هذين البيتين تتمثّل في أمورٍ عديدة؛ منها أنها لغرض الحكمة، والإخبار عن مسالك الكرام في الحياة، كيف يَنْأَونَ عن مَذَمَّة البخل، الذي هو أشدُّ ما يُهجى به العربي.

كما أن البيت الثاني جاء للحديث عن الحلم والأناة، وهما أسمى ما يتصف بهما الفتى العربي.

وتبدو براعة الشاعر حين اختار الجملة الاستئنافية (وللخير بين الصالحين طريق) فأجراها تذييلاً للكلام السابق، وترسيخاً له. وزاد تأكيداً على تأكيد حين جاء بجملة استئنافية بناها على القسم (لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها)، وكأنَّ سائلاً سأل: لكنْ ما الذي يضيق؟؟ فقال مستدركاً: ولكنَّ أخلاق الرجال تضيق.

هذه الجمل وشبهها إنما تطيب للمتذوّق جداً، كلما دقّق في فهم نظم الكلام، والتعمق في كُنهه وحدوده وحقائقه، بشوق زائد واهتمام بالغ.

ومن الضرورة بمكانٍ الإشارةُ إلى أنَّ المنهج اللساني الحديث لا يتوقّف في درسه لتراكيب الجمل وأنماطها، عند العلاقات الشكلية التي اهتمّ بها الدرس المعياري؛ إنَّما يتعدّى ذلك إلى البحث عن المعاني التي تعبّر عنها تلك التراكيب، كذلك يُشار في هذا الصَّدد إلى أنَّ المنهج الحديث لا يقرّ الحدود الصارمة، التي كانت تفصل بين هذا الجانب من جوانب المادة اللغوية أو ذاك، على نحو ما كان معروفاً من حدود بين الصرف والنحو والبلاغة، وغير ذلك(١).

وقد راعيت في أكثر هذا الفصل شيئاً من التفصيل والتحليل؛ لما تستدعيه أهميّةُ هذه الجملة الاستئنافية، كما عنيت بالتطبيق والتمثيل؛ لترسيخ فهمها واستيعابها، وبيان ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم في هذه الجمل، كما أتيت على أكثر ما تحقّقه من الأسرار والمقاصد والأغراض، لغويةً ونحويةً، وبلاغيةً،

فكان ترتيبها على النحو التالي:

---

(١) مبادئ اللسانيات: د. أحمد قدّور: (٢١٦-٢١٧).

١- التعليل.
٢- الإخبار
٣- الجملة الاستئنافية الواقعة جواباً.
٤- جملة جواب النداء
٥- الإيضاح بعد الإبهام.
٦- التفسير والبيان.
٧- التفصيل والتقسيم.
٨- التأسيس والتفريع.
٩- الاستئناف للتخصيص.
١٠- الاستئناف للتعميم.
١١- الاستئناف نتيجة ودليل لكلام سابق
١٢- الجملة الاستئنافية المؤكدة.
١٣- الجملة الاستئنافية للتقرير.
١٤- التكرير من مظان الجملة الاستئنافية
١٥- الاستئناف للإطْنَاب
١٦- الاستئناف للتذييل.
١٧- الاستئناف للإيغال.
١٨- التتميم والتكميل والاحتراس.
١٩- التّرديد
٢٠- الهـدم
٢١- الاستئناف للتتبيع.
٢٢- الاستئناف للتغاير.
٢٣- الجملة الاستئنافية الموطئة.
٢٤- الدعاء.
٢٥- التنـزيه.
٢٦- التعظيم.
٢٧- الرجاء.
٢٨- الاستعطاف.
٢٩- التلهُّف.
٣٠- الردع.
٣١- التعجب.
٣٢- التوبيخ والتبكيت.
٣٣- الاستفهام الإنكاري.
٣٤- الوعد والوعيد.
٣٥- التهديد والأمر.
٣٦- الحث والتحريض.

٣٧- الإغضاب والتشجيع

٣٨- الردّ وقطع أطماع الكفار

٣٩- الاستئناف للتمنن.

٤٠- التسلية.

٤١- إنشاء الذم.

٤٢- التقبيح.

٤٣- التشويق

٤٤- الترغيب

٤٥- التسليم

٤٦- براعة الاستهلال.

٤٧- براعة المطلب.

٤٨- الاقتضاب.

٤٩- الخروج من قِصة إلى قصة.

٥٠- براعة التخلّص.

٥١- الاستطراد.

٥٢- الرجوع والاستدراك.

٥٣- التسبيغ أو تشابه الأطراف.

٥٤- حسن الخاتمة.

** ** **

التعليل

جعل أرباب البلاغة التعليلَ من مباحث الإطناب، وبيّنوا أنّ التعليل زيادةٌ في الكلام عن أصل المعنى الذي يُقْصَدُ التعبير عنه؛ لبيان عِلّته، أو سببه، أو الدليل على صحته أو نفعه وفائدته.

وفائدةُ التعليل الشاملِ لبيان العلّة أو السبب أو الدليل أمور منها:

١- الإقناعُ بصحَّة الكلام، أو بفائدة العمل بمقتضاه.

٢- توليد الدافع الذّاتي للعمل بمقتضاه.

٣- زيادة تقرير مضمون الكلام بذكر عِلّته؛ لأنَّ النفوسَ أكثرُ استعداداً لتقبّل الأخبار أو التكاليف المعلَّلة المقرونة ببيان أسبابها وأدلّتها، مما لو قُدِّمتْ لها الأخبار أو التكاليف مجرّدة من ذلك.

فترد الجملة الاستئنافية محقّقةً ذلك، وفيها من خلال تطويل الكلام وبيان الدليل إطناب حسن مفيد، ذو أثرٍ في نفوس المتلقّين له. وهو أسلوب واسع جداً في كلام العرب، له مظاهر متنوعة، وفي مبحث الاستئناف له دور كبير أيضاً.

ولعلّ أغلب إشارات المعربين إلى الجملة الاستئنافية البيانية إنما تتوجَّه نحو التعليل، أي: الجملة التي تكون جواباً لسؤالٍ من فحوى الكلام، نحو: لِمَ، ماذا، وغير ذلك، وهذا الموضع كثير في الشعر والبيان القرآني. وغالبُ التعليل في القرآن الكريم وارد على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وشواهد هذا النوع كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠]،

جملة ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ كلام مستأنف، جارٍ مجرى التعليل بعد استثناء إبليس من الساجدين؛ كأنّ قائلاً قال: ماله لم يسجد..؟ فقيل: كان من الجن[1].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [البقرة:٣٤]، ﴿أبى﴾ جملة مستأنفة، كأنه جواب قائل قال: لِمَ لَمْ يسجد..؟ فجاء قوله (أبى)، أي: أظهر الإباء وتوقف وتثبط.

وقوله ﷻ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة:٩٣]، جملة ﴿رضوا﴾ استئنافية، كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء قادرون على الجهاد؟ فقيل: رضوا بالدناءة والضّعة، والانتظام في جملة الخوالف[2].

ومن الاستئناف البياني قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص:٥٣]، جملة ﴿إنّه الحق﴾ تعليل للإيمان به؛ لأنّ كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به، وجملة ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ بيان لقوله (آمنا)؛ لأنَّهُ يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده، فأخبروا بأنّ إيمانهم به متقادم.[3]

والضّابط في بيان الجملة التعليلية: أنّ كل جملة دخلت عليها (إنّ) لتقوية جملة سابقة، فإنّ الفاء تصلح مكانها عند النحويين نحو قوله ﷻ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١] فإنّها مؤكدة لمضمون قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ﴾ ولم أمروا أن يتقوا..؟ وكذا قوله

---

(١) انظر الدر المصون: (٧/٥٠٧).

(٢) الكشاف: (٢/٢٠٧).

(٣) انظر الكشاف: (٣/١٨٤).

ﷺ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣]. ومن أبرز شواهد البلاغيين قول بشار بن برد:

بَكّــرا صــاحبَيَّ قبــل الهجـير   إنَّ ذاكَ النجـــاحَ في التـــبكير

وفي هذا التعليل بـ (إنَّ) ما يفوق التعليل بالفاء، فقد سُئِل بشار: لو قلت ياأبا معاذ مكان (إنَّ ذاك النجاح في التبكير): بكّرا فالنجاح في التبكير كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشيةً، فقلت: إنّ ذاك.. كما تقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح، كان هذا من كلام المولدين، ولايشبه ذاك الكلام ولايدخل في معنى القصيدة، فقام خلف الأحمر فقبّل بين عينيه، فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلاّ للطف المعنى في ذلك وخفائه؟.

قال الجرجانيّ:"اعلم أن من شأن (إنَّ) إذا جاءت على هذا الوجه، أن تغني غناء الفاء العاطفة مثلاً، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً، فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، مقطوعاً موصولاً معاً، أفلا ترى أنك لو أسقطت (إنَّ) من قوله: (إنَّ ذاك النجاح في التبكير) لم تر الكلام يلتئم، ولرأيت الجملة الثانية لاتتصل بالأولى ولاتكون منها بسبيل، حتّى تجيءَ بالفاء، فتقول: بكّرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير. ومثله قول بعض العرب:

فغنّهــا وهـــي لـــك الفـــداء   إنَّ غنـــاء الإبـــل الحُـــداءُ

فانظر إلى قوله: (إنَّ غناء الإبل الحداء)، وإلى ملاءمته الكلام قبله وحسن تشبثه به، وإلى حسن تعطف الكلام الأول عليه، ثم انظر إذا تركت (إنّ) فقلت: فغنّها وهي لك الفداء، غناء الإبل الحداء، كيف تكون الصورة؟ وكيف ينبو أحدُ الكلامينِ عن الآخر؟ وكيف يُشئِمُ هذا ويُعْرِقُ

ذاك؟ حتّى لا تجد حيلةً في ائتلافهما حتى تجتلب لهما الفاء، فتقول: فغنها وهي لك الفداء، فغناء الإبل الحداء[1].

توضيح التعليل بـ إنّ:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦] أي: ومن جاهد ابتغاء مرضاة الله فإنه إنما يجاهد؛ ليحقق لنفسه عند الله ثواباً عظيماً، وهو بجهاده لا يضيف إلى مُلك الله شيئاً. قال أبو السعود: "فإنما يجاهد لنفسه؛ لعود منفعتها إليها، إن الله لغني عن العالمين، فلا حاجة له إلى طاعتهم وإنما أمرهم بها تعريضاً لهم للثواب بموجب رحمته"[2].

وهنا يرد سؤال مقدّر: ما السبب في قصر نفع جهاده على نفسه؟

فجاء الجواب التعليلي بعبارة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، أي: إنّ الله قادر على نصرة دينه دون مجاهدة المجاهدين المؤمنين، لكن ابتلاءهم في الحياة الدنيا اقتضى تكليفَهم بالجهاد لنصرة دينه، وتركَ الأمر للأسباب التي وضعها للناس.[3]

ومن الاستئناف التعليلي قول الشاعر:

فإيّاك إيّاك المراءَ فإنّه إلى الشر دعّاء وللشر جالب

الفاء في (إنّه) للتعليل، وجملة (إنّه إلى الشر دعاء) تعليل للتحذير السابق.

---

(١) دلائل الإعجاز: (٢٠٩و ٢١٩-٢٢٠).

(٢) تفسير أبي السعود: (٧/٣٠-٣١).

(٣) البلاغة العربية: (٩٥-٩٦).

وقال آخر:

تعزَّ فلا إلفين بالعيش متّعا ... ولكن لورّاد المنُون تتابع

جملة (فلا إلفين) جملة استئنافية، أفادت تعليل الشاعر؛ لحمل السامع على الصبر عند المصيبة، فيقول: تصَبَّر؛ لأنّ سنة الحياة ألاّ يمتَّعَ فيها إلفان، حتّى يفرق الموت بينهما، فيأخذ أحدهما ثُمَّ يتبعه الآخر.

وقال جميل:

لا لا أبوح بحبّ بثْنَةَ إنّها ... أخذت عليَّ مواثقاً وعهودا

جملة (إنها أخذت) استئناف بياني، ويصحّ أن تكون للتعليل. ومنه قول الشاعر:

لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئاً أؤمّله ... تركتني أصحبُ الدنيا بلا أمل

جملة (تركتني) استئنافية، أفادت التعليل. ويوضح ذلك قول الشاعر:

لم يُبقِ جودُك لي شيئاً أُؤمّله ... دهري؛ لأنّك قد أفنيت آمالي

ومن الاستئناف التعليلي قول الشاعر:

تعزَّ فلا شيءٌ على الأرض باقياً ... ولا وزَرٌ مما قضى الله واقيا

الفاء في (فلا شيء) للتعليل، والجملة الاسمية (لاشيء.. باقياً) لامحل لها من الإعراب استئنافية؛ لتعليل التعزي. وفي الحديث: «إنَّ روح القُدُس نَفَثَ في رُوعي أنَّ نفساً لن تموتَ حتى تستكملَ رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[1].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/٢٩٩، باب في الزهد وقصر الأمل (٧١) رقم (١٠٣٧٦).

جملة (فاتقوا الله) استئنافية، تعليل للإخبار السابق، والتقدير: اتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ لأنّ الله تكفّل بأرزاق العباد جميعاً:

قد وزَّع الله بين الناس رزقهمُ   لمْ يخلُقِ اللهُ مِنْ خَلْقٍ يضيّعُه

وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود:٣٧]، جملة ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ جملة استئنافية، كأنها جواب لطالب عن بيان حالتهم ويستشرف معرفتهم. وقيل: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ جاءت للتوكيد، ونزلت منزلة السائل المتردد؛ أحُكِمَ عليهم بالإغراق أم لا..؟ فأجيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

وفي قوله ﷻ ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٥٣]، جاءت جملة النفي: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ وهي تشير إلى أنّ النفس محكوم عليها بشيء غير محبوب، أصبح المخاطب مستشرفاً متطلعاً إلى نوع هذا الحكم، فنزّل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد، وجاءت جملة ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ استئنافية، فيها معنى التوكيد.

ومِنْهُ قوله ﷻ ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة:١٠٣]، وقوله ﷻ ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١] جملة ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ استئنافية تعليلية؛ جاء معنى التعليل من جهة أنّ الكلام معها في المعنى جواب عن سؤال عن العلة مقدّر.

وجاء في سورة هود قوله ﷻ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ [هود:٩٣] وفي سورة الأعراف قوله ﷻ: ﴿...فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ..﴾ [الأعراف:١٢٣]، وقوله ﷻ: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ [هود:٣٩].

قال الزمخشريّ:[1]"أيّ فرق بين إدخال الفاء ونزعها في ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؟ أجاب: بأنَّ إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر؛ كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت..؟ فقال ﷻ: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف؛ للتفنُّن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين **وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه.**

وللجملة الاستئنافية وجه آخر، وهو أنْ تكون على معنى السببية، وانتفاء الثاني لانتفاء الأوّل، وشاهد ذلك قول الشاعر:

صلّى الإلهُ عليك من مفقودةٍ ... إذ لايلائمك المكان البلقَعُ

ولقد تركت صغيرةً مرحومةً ... لم تَدْرِ ماجَزَع عليك فتجزَعُ[2]

أي: لو عرفَتِ الجزعَ لجزعتْ، ولكنها لم تعرفه فلم تَجْزَعْ.

قال ابن جني:"هذا البيت طريف غريب الحديث، وذلك أنه ليس بجواب؛ لأنه مرفوع؛ كما ترى؛ ولو كان منصوباً جواباً لكان أوفق معنىً وأسلب طريقاً، ولا قَبْلَه أيضاً فعل مرفوع فيعطف عليه، كما عطف في قوله:

فما تحلُّ على قومٍ فترتحلُ

فلهذا كان غريباً، غير أن وجهه عندي أن يكون قوله (فتجزع) صفة لقوله (صغيرة أو مرحومةً)،ويكون معطوفاً على جملة قول: (لم تدر ما

---

(١) الكشاف:(٢/٢٨٩-٢٩٠)، الدر المصون: (٦/٣٨٠) .

(٢) المغني: (٤٨١)، شرح شواهد المغني: (٢/٨٧٢)، المحتسب: (١/١٩٣) شرح الحماسة للأعلم:(٥٩١).

جزع عليك)؛ لأنّ هذه الجملة صِفة لقوله: (صغيرةً أو مرحومةً) فكأنّه قال: فلقد تركت صغيرة جاهلةً بالجزع فجازعةً مع ذلك، فلمّا وقع (تجزع) موقع الاسم ارتفع، فجرى مجرى قولك: (مررت برجلٍ من أهل العلم ويقرئ الناس)؛ فتعطف (يقرئ) على (من أهل العلم) حتى كأنك قلت: عالم ومقرئ، وإن شئت جعلت الفاء زائدة، أي: لم تَدْرِ ما جزع عليك جازعة، أي: تركت صبية جازعة وإن لم تعرف الجزع، أي: صورتها صورة الجازعة[1].

شواهد التعليل بـ(إنَّ):

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس:٤]، جملة ﴿إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾ استئناف، معناه التعليل؛ لوجوب المرجع إليه، وهو أنّ الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلّفين على أعمالهم.

ومنه قوله ﷻ ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣]، جملة ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل عن النهي عن الوجل.

وقوله ﷻ ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥]، جملة ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ استئنافية، تعليل لتخويل ماخُوِّلَهما من الفرج بعد الشدة.. ومنه قوله ﷻ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:١١٠-١١١]، جملة ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ هذه الجملة استئنافية، علّل كونه محسناً بأنّه كان عبداً مؤمناً؛ ليريك جلالُه محل الإيمان أنه القصارى من صفات المدح والتعظيم.

---

(١) الخزانة: (٣/٦٠٤-٦٠٥).

ومنه:

لاتَخَلْنَا علـى غِرائِـك إنَّـا طالما قـد وَشَـى بِنـا الأعْـدَاءُ

أي: (لاتخلنا هالكين أو جازعين.. وإنّا طالما قد وشى بنا الأعداء) بالكسر؛ لأنَّهُ استئناف بياني[1]..

ومنه قوله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠]، قرئ ﴿إنّهم﴾ بالكسر، فالجملة استئنافية، جواباً لسؤال بياني.

وقوله ﷻ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٣]، جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعليل على طريق الاستئناف، وهو أبلغ كأنّه قيل: ماله يُعذّب هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بذلك.

وقوله ﷻ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٦-١٧]، الشاهد جملة ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ جاءت استئنافية، تعليلاً للنهي عن العجلة.

ومنه قوله ﷻ: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، المعنى: سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه، وقد علّل استواء الصبر وعدمه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ لأنّ الصبر إنما يكون له مزية على الجزع؛ لنفعه في العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأمّا الصبر على العذاب الذي هو الجزاء، ولاعاقبة له ولا منفعة، فلا مزية له على الجزع.

---

(١) الخزانة: (١/١٥٧).

مظاهر أخرى للاستئناف التعليلي:

إضافةً إلى التعليل الواضح بأسلوب الاستفهام بـ: لم، ماذا ونحو ذلك، وردت جملة الاستئناف مبدوءةً بالنفي وبالتنبيه وبعسى وإنما، ووردت جامعةً بين البيان والتعليل، وسيقت مساق ما يشبه التعليل أو مافيه معنى العلة. ولهذا كله شواهد:

أ- ورد التعليل بجملة استئناف مبدوءة بـ (ألا) في قوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ﴾ [هود:٦٠]، جملة ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ﴾ استئناف بيان؛ لسبب استحقاقهم لِلّعنتين[١].

ب- ورد التعليل في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة:٩٤]، فجملة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ تعليل للنهي، وبعدها أيضاً قوله تعالى ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾ علة للعلة[٢].

ت- من شواهد التعليل قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]، جاءت جملة ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ﴾ استئنافية، مسوقة لتعليل ماتضمنته الجملة الشرطية[٣].

ث ـ ورد التعليل بـ (إنّما) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم:٤٢]، جملة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ استئناف، فيه معنى التعليل لقوله:

---

(١) حاشية الصاوي: (٣/٢٢٢).

(٢) المصدر نفسه: (٣/١٠٦).

(٣) المصدر نفسه: (٦/١٨٤).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ والتقدير: لاتظنّ أن الله تارك مجازاتهم، ولاتحزن بتأخير العذاب؛ لأنّ تأخيرَه للتشديد والتغليظ(١).

ج ـ جاءت الجملة المستأنفة دالةً على التعليل بكلمة (عسى) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات:١١]، فجملة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهي.

ح ـ مما جمع بين البيان والتعليل قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس:٩٩-١٠٠]، جملة ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ﴾ استئناف بيان وتعليل لما قبله، والمعنى: ما ثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن في حال من الأحوال إلا في حال إرادة الله الإيمان لها(٢).

خ- مما هو كالتعليل ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٥٢]، جاءت جملة النفي ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ كالتعليل لما قبله، والمعنى: لا تؤاخذهم بذنوبهم، ولا بما في قلوبهم، إن أرادوا بصحبتك غيرَ وجه الله، وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون، وإلاّ فقد شهد الله أولاً لهم بالإخلاص(٣).

---

(١) حاشية الصاوي: (٣/٣٦٤).

(٢) المصدر نفسه: (٣/١٩٠).

(٣) المصدر نفسه: (٢/٢٩٠).

ومما هو في معنى العلة قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة:١٠١]، الشاهد جملة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ استئناف في معنى العلة لقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ﴾، أي: عفا عنها؛ لأنّه غفور يستر الذنوب ويمحوها، حليم لا يعجّل بالعقوبة على من عصاه(١).

د ـ الاستئناف التعليلي بجملة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين:٧-٨]، جاءت آية ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ دليلاً على الدينونة والجزاء؛ لأنَّ أحكمَ الحاكمين لايُمكن عقلاً أن يُسَوِّيَ بين المسلمين والمجرمين.

ذ- الاستئناف التعليلي بجملة (لعلّ) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥]، إنّ عبارة ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ هي بمعنى لتفلحوا على سبيل الرّجاء، فلقد تمّ المطلوب بعبارة ﴿فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ لكن جاء التعليل بعدها؛ لتوليد الدافع الذاتي للعمل بهذا المطلوب، فزيادة التعليل بالجملة الاستئنافية قد كانت إطناباً نافعاً(٢).

* * *

---

(١) حاشية الصاوي: (٢/٢٣٧-٢٣٨).

(٢) البلاغة العربية: (٩٤).

الإخبار

الحديثُ عن الخبر جزء مهمٌّ من الحديث عن أقسام معنى الكلام العربي، فعلماءُ البلاغة يتوسَّعون كثيراً في بيان أقسام معنى الكلام، وقد زعم قوم أنَّ معانِيَ القرآن الكريم لا تنحصر، ولم يتعرَّضوا لحصرها، وحَصَرَها آخرون بقسمين مشهورين، هما: الخبرُ والإنشاء، وتوسَّع بعض علماء التفسير فذكر أنها عشرة: النداء والاستفهام والأمر والتعجب والقَسَم والشرط والنهي والتمني والوعد والدعاء.

أما الحديثُ عن الخبر فلابدَّ من فهم معناه اللغوي، وبيان حقيقته التي يظهر معنى الاستئناف من خلالها.

من تعريفات الخبر: أنَّه الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، قال الحسن البصريّ: "كلام يفيد بنفسه نسبةً"، وقيل: الكلام المفيد بنفسه إضافة أمرٍ من الأمور إلى أمرٍ من الأمور نفياً أو إثباتاً.. وقال الزركشي: "الخبر القصد منه إفادة المخاطَب"[1].

ومن تعريفات الخبر: أنّه العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر.. تقول: خبرتُهُ خَبْراً وخُبْرةً، وأخبرتُ: أعلمتُ بما حصل لي من الخبر[2].

والخبر لفظ مجرَّد عن العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه لفظاً، نحو: زيد قائم، أو تقديراً نحو: أقائم زيد. وقيل: الخبر ما يصح السكوت عليه[3].

---

(١) انظر البرهان للزركشي: (٢/٣١٧): النوع الخامس والأربعون في أقسام معنى الكلام. وانظر الإتقان:(٢/٨٥).

(٢) المفردات: (خبر) (١٤١).

(٣) التعريفات للجرجاني:(٩٦).

وقالوا: الخبر ماأتاك من نبأٍ عمّن تستخبر، ويرد بصيغة الجملة، لا ترتبط بعاملٍ فيكون لها محل من الإعراب، إنّما ترد استئنافيةً لمحض الإخبار، فتكون أول الكلام، وتكون بعد أدوات الابتداء: الواو، والفاء، وثم..

فمن الاستئناف الإخباري أول الكلام قوله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣]، ومنه قوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥]، قوله: (أكملت لكم دينكم) و(سلام عليكم) جملتان استئنافيتان إخباريتان. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، وقوله ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠].

وقد جاءت الجملة الاستئنافية بعد الواو غير العاطفة في قوله ﷻ ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقوله ﷻ: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٨].

وفي الحديث الشريف: «إنّ لكلّ دِيْنٍ خُلُقاً، وإنَّ خُلُقَ الإسلام الحياء»[1].

وأما قوله ﷻ: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة:٢١١]، فـ ﴿كم﴾: خبرية والمسؤول عنها محذوف، والجملة ابتدائية لامحل لها من الإعراب، مبيّنة لاستحقاقهم التقريع، كأنه قيل: سل بني إسرائيل عن طغيانهم وجحودهم للحق بعد وضوحه، فقد آتيناهم آيات كثيرة بينة.

---

(١) رواه الإمام مالك مرسلاً في الموطأ: (٢/٩٠٥)، كتاب حسن الخلق:٤٧، باب ماجاء في الحياء (٢) رقم٩. وسيرد في بحث التأسيس والتفريع.

وممّا يُقوّي الاستئناف في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة:٦]، وورود الآية في سورة يس: قوله ﷻ: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس:١٠]، وسيرد أنَّ هذه الجملة من التطوع المُشَامّ للتوكيد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام:١٢٤]، قوله: ﴿الله أعلمُ﴾ ابتداء وخبر، والجملة استئناف إخباري، فقد مضت الجملة الأولى. قال البغدادي:"العرب لاتعيد لفظ الظاهر، إلاَّ أن تكون الجملة غير الجملة الثانية، وتكون الثانية مستأنفة"[١].

قال الشاعر:

حَارِ بنَ كَعْبٍ ألا أحلامَ تزجُرُكم ... عنّا، وأنتم مِنَ الجُوف الجماخير

لاعيبَ بالقوم من طولٍ ولاعِظَمٍ ... جسمُ البغال وأحلامُ العصافير

شاهد هذين البيتين: رفع (جسم) و (أحلامُ) على إضمار مبتدأ؛ لِمَا أراد من تغير أحوالهم، دون القصد إلى الشتم (الذمّ)، والتقدير: أجسامهم أجسام البغال، وأحلامهم أحلام العصافير عظماً وحقارةً، ويجوز أن يريد: لا أحلام لهم، كما أنّ العصفور لا حلم له، ولو قصد به الذمّ فنصبه بإضمار فعل لجاز. قال سيبويه:لم يرد أن يجعله شتماً، ولكنَّهُ أراد أن يعدّد صفاتهم ويفسّرها، فكأنه قال: أما أجسامهم فكذا، وأما أحلامهم فكذا، وقال الخليل رحمه الله: "لو جعله شتماً فنصبه على الفعل كان جائزاً"[٢].

---

(١) الخزانة: (١/١٨٢).

(٢) الكتاب: (٢/٧٤)، الخزانة: (٢/١٠٥).

ومنه:

تــراه كالثُّغــام يُعَــلُّ مِسْــكاً يسُــوءُ الفاليــاتِ إذا فلــيني

أي: ترى الشعر كالنَّور (النبت الأبيض)، يطيّب شيئاً بعد شيء. جملة (يسوء الفاليات) استئناف إخباري، وهو دليل جواب (إذا).

وقال الشاعر:

إن تنـاقش يكـن نقاشـك يـار بّ عـذاباً لاطـوقَ لي بالعـذاب

أو تجـاوز فأنـت ربّ عَفُـوٌّ عـن مسـيءٍ ذنوبُـه كـالتراب

جملة (لاطوق لي بالعذاب) استئنافية، فيها إخبار عن صاحب الذنب اعترافاً منه بعذاب الله تعالى ـ أجارنا الله منه ـ.

ولهذه الجملة في الشعر العربي توجيهاتٌ عديدة، منها قول الشاعر[1]:

وقـال قائلـهم أرسـوا نزاولُهـا فكلُّ حتف امرئٍ يجري بمقدار

الشاهد في الجملة الاستئنافية (نزاولُها) فهي استئنافٌ إخباري، أورده علماء المعاني مثالاً لكمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً، ولهذا لم يتعاطفا؛ فإنّ (أرسوا) إنشاء لفظاً ومعنى، و(نزاولها) خبر كذلك، فوجب ترك العطف، ولم يجعل (نزاولها) مجزوماً جواباً للأمر؛ لأنَّ الغرض تعليل الأمر بالإرساء بالمزاولة، والأمر في الجزم بالعكس، أعني: يصير الإرساء عِلّة المزاولة كما في: (أسلمْ تدخلِ الجنة).

قال البغدادي: قوله (نزاولها) استئناف، ولهذا وجب رفعه. قال سيبويه: وتقول ائتني آتِك، فتجزم على ماوصفنا، وإن شئتَ رفعت علىَ

---

(١) البيت للأخطل، انظر الكتاب: (٩٦/٣)، الخزانة: (٣٥٩/٣)، شرح المفصل: (٥١/٧).

أن لاتجعله معلّقاً بالأوّل، ولكنّكَ تبتدئه، وتجعل الأول مستغنياً عنه، كأنه يقول: ائتني أنا آتيك[1].. ومنه:

أَلَـمْ تَسْـأَلِ الربـعَ القَـوَاءَ فينطـقُ   وهل تخبرَنْك اليَوم بيداءُ سَـمْلَقُ

قال الأعلم: الشاهد فيه رفع (ينطقُ) على الاستئناف والقطع، على معنى: فهو ينطق، وإيجاب ذلك له، ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن.

وقال البغدادي: مابعد فاء السببيّة قد يبقى على رفعه قليلاً، وهو مستأنف.

وأنشد سيبويه هذا البيت وقال: لم يجعل الأول سبب الآخر، ولكنه جعله ينطق على كل حال، كأنه قال: وهو مما ينطق، كما قال: ائتني وأحدثُك، فجعل نفسه مما يحدثه على كل حال[2].

وقال لبيد:

ألا تسألان المرءَ مـاذا يحـاول؟   أنحبٌ فيُقضَى أم ضلال وباطـل

جملة (فيُقضى) استئناف إخبار. قال البغدادي: الفاء هنا للاستئناف، كقوله: **يريد أن يعربه فيعْجِمُهُ**[3].

ومن شواهد الاستئناف الإخباري قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤] هذه الجملة كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة، وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور[4].

---

(١) الخزانة: (٣/٦٥٩).

(٢) الخزانة: (٣/٦٠١)، الكتاب: (٣/٣٧).

(٣) الخزانة: (١/٣٣٩)، الكتاب: (٢/٤١٧).

(٤) حاشية الصاوي: (٢/١٨٩).

ومن صريح الإخبار قوله تعالى عن المنافقين: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد:١٣-١٤]، جملة (ينادونهم) استئناف إخباري، والمعنى: ينادي المنافقون المؤمنين:ألم نكن معكم نصلّي كما تصلون، ونطيع كما تطيعون؟!

بين الإخبار المستأنف والعطف:

ذكر النحويون في توجيه قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [فصلت: ٩-١٠]، أنَّ جملة (وجعل) استئنافية؛ للإخبار بصنع الله تعالى، ولا يجوز أن تكون معطوفةً على صلة (الذي)؛ للفاصل الأجنبي. قاله السيوطي. وقال غيره: لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال إن وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يُقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع(١).

ذكر المعنيّون بعلوم القرآن أنَّ الخبرَ قد يُشْرَبُ مع إفادة المخاطَب معاني أُخَر، منها: التعجب والأمر والنهي والوعد والوعيد والإنكار والدعاء والتمني و الترجي والنداء والدعاء. وسيرد تفصيلٌ لهذه المعاني وفق ماترد من خلال مباحث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

* * *

(١) حاشية الصاوي: (٥/٣٠٩).

الجملة الاستئنافية الواقعة جواباً

من أساليب التعبير البلاغي عند العرب أسلوب الحوار من خلال السؤال والجواب، وعلى النهج المطّرد عند الشعراء:

لكـلِّ سـؤالٍ يـابُثَينَ جَـوابُ

ترد الجملة الاستئنافية: جواباً لسؤالٍ محقّقٍ أي: مذكورٍ ظاهرٍ، نحو: نَعَمْ زيد، جواباً لمن قال: هل جاءك أحد..؟ فجملة (نعم زيد) استئناف جواب.

وجاء في حديث ابنِ عُمَرَ أنَّ رجلاً قال:"يارسول الله: أيُّ الليلِ أجوبُ دعوةً؟ قال: جوفُ الليل الغابر[1] " فالجملة الكبرى (قال جوف الليل..) استئناف جواب أيضاً.

أو استفهام مُقَدَّر: كقراءة ابن عامر وأبي بكر شعبة في قوله ﷻ ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [النور:٣٦][2]، بفتح الباء: يُسَبَّحُ، وكأن سائلاً يتشوّق فيسأل: مَنْ يُسَبِّحُهُ؟ فقال ﷻ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

فجملة (يُسبحه رجال) جاءت استئنافية، جواباً لهذا السؤال المقدّر، وأبرز شواهد المعربين لهذه الجملة قول الشاعر:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ[3]

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٢٨٧).

(٢) أوضح المسالك لابن هشام:(٢/٢٢)، الخصائص:(٢/٢٥)، السبعة: (٤٥٧).

(٣) دلائل الإعجاز:(١٨٠)، شرح الكافية: (١/٧٥).

كأنَّ سائلاً يسأل: من يبكيه؟ فقيل: يبكيه ضارع.

وبراعة التوجيه الإعرابي للجمل تُظهِرُ سرّ اختيار كلٍّ وجه وفق مايناسب المعنى، فحذف الفاعل هنا في هذه القراءة وإبهامه على السامع مدح عظيم؛ لأنه إذا حذف الفاعل اقتضى أن الذين يسبحون الإنس والجن والملائكة والخلق أجمعون. كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] على أحد الأقوال، ثم إنه ـ تعالى ـ خصّهم بالذكر في قوله: (رِجالٌ لاتلهيهم تجارة) أي: صفتهم ما ذُكِر من المدح تشريفاً لهم وعناية بهم، كأنَّ السامع تشوَّق إلى أن يعلم: مَنْ هم المسبّحون؟ فعقَّبه بجملة استئنافية بقوله (رجال)، أي: يسبحه رجال، والوقف في هذه القراءة على الآصال، ويبتدئ بقوله: (رجال)، قال الصفدي: ولو وقف على (رجال) لكان كفراً[(١)].

قال ابن هشام:"وقد حَسَّنَ الاستئنافَ في هذا البيت أنَّ في الكلام الأول إبهاماً جاء توضيحه من خلال جملة استئنافية جاءت جواباً لسؤال كما مرّ، وهذا واضح"[(٢)].

وجعل ابن جني هذا الارتباط وفق قاعدة لغوية أدرجها في الخصائص تحت باب (**في مراعاتهم الأصول تارةً، وإهمالهم إياها تارةً**) فمن الأول ذكر بيت الكتاب: لِيُبْكَ يزيد...

قال:" ألا ترى أنَّ أوّلَ البيتِ مبنيٌّ على اطّراح ذكر الفاعل، وأنَّ آخره قد عُوود فيه الحديث عن الفاعل؛ لأنَّ تقديره فيما بعد: ليبكه مختبط مما تطيح الطوائح، فدلّ قوله: ليبك، على ماأراده من قوله: ليبكه"[(٣)].

---

(١) الغيث المسجم: (١/٣٩٧).

(٢) تخليص الشواهد: (٤٨٧-٤٨٨).

(٣) الخصائص: (٣٥٣، ٤٢٤).

قال الكافيجي حول جملة الاستئناف الجوابي:"الاستئناف ليس بمنحصر في السؤال عن اللِّمِّيَّة (العلة الغائية)؛ لجواز أن يكون سؤالاً عن الحال، كما في قوله ﷻ ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤] على أحد وجوه التأويل، والمقام يناسبه ظاهراً"[1].

وقال الفيروزآبادي في البصائر:"قوله ﷻ: ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩]جميع ما في القرآن من السؤال وقع الجواب عنه بغير فاء، إلاّ في قوله ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥] فإنه بالفاء؛ لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال، وفي (طه) قبل السؤال، فكأنه قيل: إن سُئلت عن الجبال فقل"[2].

ومن أساليب القرآن الكريم ما ذكره أحد العلماء عن صحابة رسول الله ﷺ قال: ما ألطفَ صحابةَ رسولِ الله ﷺ! ما سألوه إلا عن اثنتي عَشْرة مسألةً كلُّها في القرآن، والمراد:

١- قوله ﷻ ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩].

٢- قوله ﷻ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢١٥].

٣- قوله ﷻ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:٢١٧].

٤- قوله ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢].

٥- قوله ﷻ ﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة:٢١٩].

٦- قوله ﷻ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة:٢٢٠].

---

(١) شرح الإعراب عن قواعد الإعراب: (١٤٥).

(٢) بصائر ذوي التمييز: (١/١٥٣).

٧- قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [المائدة:٤].

٨- قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف:١٨٧].

٩- قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال:١].

١٠- قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥].

١١- قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف:٨٣].

١٢- قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه:١٠٥][1].

وأجوبة هذه الأسئلة كلها جمل استئنافية، لامحل لها من الإعراب.

هذا وقد تنوَّعت صيغ السؤال والجواب في كلام العرب وفي البيان القرآنيّ والحديث النبويّ فنرى مظاهر هذه الجمل من خلال عرض الشواهد الآتية:

١- قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١].

٢- قوله تعالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء:١٧٦].

جملة (قل الله) استئناف بياني، فإنَّها جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما جوابك؟ فقيل: قل: الله يفتيكم.

٣- في الصحيحين: «**ثلاثةٌ لايكلمهم الله ولاينظر إليهم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مستكبِرٌ**».

٤- وفي الحديث «ما رياض الجنة؟؟ قال: حِلَقُ الذكر.»

٥- قال أحد الصحابة: وما الفأل يارسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم.

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي: (١/ ٢٢٠).

٦- قول النبي ﷺ:ياأبا بكر ما أبقيت لأهلك؟قال:أبقيْتُ لهم الله ورسوله.

وهذا الاستئناف البياني واسعٌ جداً، وتكاد معظم عبارات المفسرين تُوجَّه نحوه، من شواهد ذلك:

قوله ﷻ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ:١] الوقف هاهنا كاف، ثم قال ﷻ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ:٢] وهو شبيه بقوله ﷻ: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦] ثم ردّ على نفسه فقال ﷻ ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وقوله ﷻ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق:١-٣].

الشاهد جملة ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، أي: هو النجم الثاقب، أراد الله ـ عز من قائلٍ ـ أن يُقْسِم بالنجم الثاقب؛ تعظيماً له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبّهَ على ذلك فجأةً، بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره ـ وهو الطارق ـ ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ ثم فسّره بقوله ﷻ: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، وهذا الاستئناف إظهار لفخامة شأن النجم..

ومن الاستئناف البياني قول البحتري:

دنوتَ تواضعاً وعَلَوتَ مجداً فشأناك انخفاضٌ وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوءُ منها والشعاع

جملة (تبعد أن تسامى) جاءت بياناً، وجواباً لسؤال سائل: ماشأنها؟

ومن المذاهب المتّسعة في كلام العرب أنَّهم إذا أرادوا اختصاصَ ممدوحٍ أو مذمومٍ بمدحٍ أو ذمٍ ذكروا جنسه، ثم اختصُّوه بالذكر بعده؛ ليكون له ـ بالاختصاص بالذكر وإفراده به ـ ميزة عليه وتفضيل. وهذا في باب (نِعْمَ وبِئْسَ) وذلك أنك لما قصدت مدح زيدٍ في: (نِعْم الرجل زيد)،

وأردت المبالغة في مدحه، مدحت جنسه كله، وأبهمت ذكره وطويته فيه، ثم اختصصته من بعد ذلك بالذكر وعيّنته، فكان ذلك أبلغ في مدحه من سِياقة المدح إليه في أول وهلةٍ على المألوف في باب الإخبار..

وقد أدرج علماء البلاغة أسلوب المدح ضمن بحث الإطناب، وفائدته عندهم: الإيضاح بعد الإبهام، والكلام في قولنا: نعم الرجل زيد، وبئست المرأة حمالة الحطب جملتان، إحداهما مبهمة والأخرى موضّحة، والتقدير: هو زيد. والجملة مستأنفة للبيان، ولو أريد الاختصار كفى أن يقال: نعم زيدٌ. لكنَّ أهل البلاغة يرون أن الإيضاح بعد الإبهام الكائن في باب (نِعْمَ) يصح اعتبار النكت الثلاث فيه، وهي:

يصحّ أن يقصد إراءة المعنى في صورتين مختلفتين، وأن يقصد به زيادة تمكين الممدوح في القلب، وذلك من زيادة مدحه، وأن يقصد به كمال لذّة العلم به حيث يراد إمالة السامع لهذا الكلام فتتم محبته للممدوح[1].

وممّا يستحسن من هذا الأسلوب ويدل دلالةً واضحةً على الاستئناف المجدّد للمدح قول الشاعر:

نِعـم المنـاخُ لراغـبٍ ولراهـبٍ ... مِمَّـن تصـيب جـوائح الأزمـان

معن بن زائدة الـذي زيـدت بـه ... شـرفاً علـى شـرفٍ بنـو شـيبان

ومن خفايا هذه الجملة قول الشاعر:

تجلّدْتُ حـتى قيـل: لم يَعْـرُ قلبَـه ... من الوَجْدِ شيءٌ، قلت: بل أعظم الوجد[2]

(١) انظر شروح التلخيص: (٣/٢١٣).

(٢) أوضح المسالك: (١/٢٨٠).

معنى البيت: تصبرت حتى قيل فيّ لم يعرُ قلبَه شيءٌ من الوجد، ثم قدَّر أنه سُئل: فما قلت أنت؟ فقال: قلت: بل عراني أعظم الوجد.

فلأجل تقدير السؤال استأنف جملة القول، ولأجل تقدم ذكر فعل (يعر) في جملة النفي، استغنى عن إعادته في جملة الجواب.

من فوائد هذه الجملة:

قال الجرجانيّ: ما جاء في التنـزيل من لفظ (قال) مفصولاً غير معطوف، جملتُه استئنافية، جاءت جواباً لسؤالٍ مقدَّرٍ يقتضيه سياق الكلام وَيلتئم به نظمه وفحواه. وخير شاهدٍ على ذلك قوله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٤-٢٨].

قال الجرجاني:جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا: كذا، أن يقولوا: فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا، أخرج الكلام ذلك المُخرَج؛ لأنَّ الناس خُوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه. وكذلك تتمة القصة قوله ﷻ ﴿**فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ**﴾ يقتضي أن يتبع هذا الفعل بقولٍ، فكأنه قيل والله أعلم: فما قال لهم حين وضع الطعام بين أيديهم؟ فأتى قوله ﷻ ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ جواباً عن ذلك. وكذا قوله ﷻ: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾؛ لأنّ قوله ﷻ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يقتضي أن يكون من الملائكة كلام في تأنيسه وتسكينه مما خامره، وكأنه قيل:فما قالوا حين رأوه وقد تغيّر ودخلته

الخيفة؟ فقيل، قالوا: لاتخف[1].

ومن فوائد الاستئناف البياني في القرآن ماقاله سفيان بن عيينة: "كل شيء في القرآن (وما يدريك) فلم يخبر به، (وما أدراك) فقد أخبر به".

وعلى هذا فكل جملة جاءت بعد أسلوب الاستفهام نحو: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ [القارعة:١٠] هي جملة استئناف بياني نحو قوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة:١١] أي: هي نارٌ حاميةٌ.

قال الراغب الأصبهاني: كلُّ موضع ذُكر في القرآن: وما أدراك، فقد عُقّب ببيانه، نحو:

- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة:١٠-١١].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ﴾ [القدر:٢-٣].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة:٣].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:١٧-١٨].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات:١٤].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر:٢٧].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾ [المطففين:٨].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين:١٩].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق:٢].

---

(١) دلائل الإعجاز: (١٩٢).

- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ [البلد:١٢].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة:٣].
- ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ [الهمزة:٥].

وكل موضع ذُكر فيه (وما يدريك) لم يُعقِّبْه بذلك، نحو: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس:٣] و: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] و: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣][1].

قاعدة في السؤال والجواب[2]:

الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال، إذا كان السؤال متوجهاً، وقد يُعدَل في الجواب عما يقتضيه السؤال؛ تنبيهاً على أنه كان من حق السؤال أن يكونَ الحديث، وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك، والخروج عن الأصل يحتاج إلى دليل.

فمن المطابقة: أن يكون الجوابُ جملةً اسميةً إذا كان السؤال كذلك، ويجيء كذلك في الجواب المقدر، إلاّ أنَّ ابن مالك قال في قولك: زيد، في جواب: من قرأ؟ إنه من باب حذف الفعل على جعل الجواب جملة فعلية، قال: وإنما قدرته كذلك لامبتدأ، مع احتماله، جرياً على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا إتمامها، قال ﷻ: ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ﴾[يس:٧٨-٧٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

(١) المفردات: درى، ص:(١٦٨). والإتقان: (١/١٦٠).
(٢) انظر البرهان في علوم القرآن:(٤/٤٧-٥٠).

[الزخرف:٩]، وقوله ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤]، فلمَّا أتى بالفعلية، مع فوات مشاكلة السؤال، علم أن تقدير الفعل أولاً أولى[1].

وقال ابن الزملكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأنَّ (زيد) في جواب: من قام؟ فاعل، على تقدير: قام زيد، والذي توجبه صناعة البيان أنه مبتدأ لوجهين:

أحدهما: أنه يطابق الجملة المسؤول بها في الاسمية، كما وقع التطابق في قوله ﷻ: ﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل:٣٠] في الفعلية، وإنَّما لم يقع التطابق في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤]، لأنهم لو طابقوا لكانوا مُقِرِّين بالإنزال، وهم من الإذعان به على مفاوزَ.

الثاني: أن اللبس لم يقع عند السائل إلاّ فيمن فعل الفعل، فوجب أن يتقدم الفاعل في المعنى؛ لأنه متعلَّق غرض السائل، وأما الفعل فمعلوم عنده، ولا حاجة به إلى السؤال عنه، فحريٌّ أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات.

ومما يُسألُ عنه قوله ﷻ: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء:٦٣] في جواب قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٢]، فإنَّ السؤال وقع عن الفاعل لاعن الفعل، فإنهم لم يستفهموه عن الكسر، بل عن الكاسر، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل. والجواب: أن الجواب مقدّر دلَّ عليه السياق،

(١) انظر مغني اللبيب:٨٠٨، الدرّ المصون ٩/ ٥٧٥، الإنصاف لابن المنيّر (٣/ ٤٧٩).

إذ (بل) لا تصلح أن يصدر الكلام، والتقدير: ما فعلته بل فعله كبيرهم[1].

قال الشيخ عبد القاهر: حيث كان السؤال ملفوظاً به، فالأكثر ترك الفعل في الجواب، والاقتصار على الاسم وحده، وحيث كان مضمراً فالأكثر التصريح به؛ لضعف الدلالة عليه.

ويدور في فلك الاستئناف الواقع جواباً مايُسمَّى: بالرجوع. فالشاعر يخاطب نفسه، ويناجي محبّه متسائلاً، أو آمراً، أو يائساً، ونحو ذلك.. ثم يبدو له، فيرجع عما بدأه مجيباً نفسه؛ إيذاناً بالدهش والحيرة.

من أبرز شواهد هذا النوع قول كُثَيِّر:

قِف بالديار التي لم يعفِها القِدَم بلى، وغيّرها الأرواح والدِّيَم

وقوله:

فإنـك لم تبعـد علـى متعهـد بلى، كل من تحت التراب بعيد[2][3]

أدخل ابن رشيق الاستدراك ضمن مباحث الالتفات فذكر قول أبي عطاء السندي يرثي يزيد بن عمر بن هُبيرة:

وإنــك لاتبعَــد علــى متعهّــدٍ بلى كلُّ ما تحـت التـراب بعيـدُ

وهذا هو الاستدراك، ومثله قول زهير:

حيّ الـدار الـتي لم يبلـها القِـدَمُ بلـى، وغيَّرَهـا الأرواح والـدّيَمُ

وكذلك قول جرير:

غداً باجتماع الحيّ نقضـي لبانـةً فأقســم لا نقضــي لبانتنــا غــداً

---

(١) البرهان (٣/٥٠)، مشكل إعراب القرآن (٢/١٣).

(٢) دلائل الإعجاز: (١٨٤).

(٣) شرح بانت سعاد: (١٦٧).

وأنشد ابن المعتز في هذا النوع لبشار:

نُبِّئْـتُ فاضـحَ قومـه يغتـابني   عند الأمـير، وهـل علـيَّ أمـيرُ؟

وقال النابغة:

عوجوا فحيوا لـنعم دمنـة الـدّار   ماذا تحيّون من نُؤْيٍ وأحجـارِ؟!

جملة (ماذا تحيّون) استئناف، كأنه رجع عن الأمر، واستبعد مايراه من معالم ديار المحبوبة.

وقال الأعشى:

فقال: ثكلٌ وغَـدْرٌ أنـت بينـهما   فاختر، وما فيهما حـظٌّ لمختـار

جملة (وما فيهما حظّ) استئنافية، كأنَّ الكلام رجوع عما بدأ به الشاعر..

ومنه قول الشاعر:

أفي أَثـر الأظعـان عينُـك تلمـحُ   نعـم لات هنّـا إنّ قلبـك مِتْـيَحُ

(الرجل المِتْيَحُ: الذي يميل قلبه إلى كلّ شيء).

قوله (إنّ قلبَك مِتْيَحُ) استئناف بياني، وقع جواباً لسؤال عن سبب خاصّ نَشَأ من الجملة المنفية، كأنّ نفسه قالت له: هل أنا في هذا الفعل مِتْيَحُ؟ فأجابها بالجملة المؤكّدة[1]. ومنه:

فقلت: تحمَّلْ فوق طوقك إنهـا   مُطَبَّعـة مـن يأتهـا لا يضـيرها

جملة (إنها مُطَبَّعة) استئنافية، استئناف بياني، كأنه سأل البختي: هل يدعونني أن أتحمل فوق طاقتي من هذه القرية؟ فهو سؤال عن السبب الخاص للحكم، لا عن سبب الحكم مطلقاً، فلهذا أكد بـ (إن)، والجملة

---

(١) الخزانة: (٢/ ١٦٠).

الشرطية خبر ثانٍ[1].

قال النابغة:

يــادار ميّــة بالعليــاء فالسَّــنَدِ أَقوت وطال عليها سـالف الأبـد

وقفــتُ فيهــا أصــيلاناً أسـائلها عيَّتْ جواباً وما بالربع مـن أحـدِ

قال ابن السيّد: قوله (عَيَّتْ) استئناف بياني، وقيل: حال، بتقدير (قد) من ضمير الدار في (أسائلها)[2].

* * *

جملة جواب النداء

يبنى باب النداء في كلام العرب على ثلاثة أسس:

أوّلها: الأحرف التي يُنَبَّه بها المنادَى، وهي ثمانية: الهمزة، وأي: مقصورتين وممدودتين، ويا وأيا وهيا، وواو النّدبة.

ثانيهما: المنادَى. وهو أقسام:

- المنادى المعرَّف، نحو: يازيدُ.
- المنادى النكرة المقصودة، نحو: يارجلُ، تريد به مُعَيَّناً.
- المنادى المضاف، نحو: ياربَّنا.
- المنادى الشبيه بالمضاف: وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: يارفيقاً بالعباد، و: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠].
- المنادى النكرة غير المقصودة، كقولِ الواعظ: ياغافلاً والموت يطلبه.

---

(١) الخزانة: (٣/٦٤٨).

(٢) الخزانة: (٢/١٢٧).

ثالثهما : جواب النداء، وهو المهمُّ، قال الرضيّ:"النداء مع كثرته في الكلام ليس مقصوداً بالذات بل هو لتنبيه المخاطب ليصغيَ إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له"[1]، ولا يكون إلا جملة، ولها أشكال متنوعة، يتوسّع البلاغيون والمفسرون في إظهارها، وهذه الجملة المقصودة بالنداء استئنافية، لا محل لها من الإعراب.

قال ابن مسعود: متى سمعتَ في التنـزيل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فاعلم أنَّ الذي يتلوه من تمام الخطاب: إمّا أمر يجب امتثاله، وإمّا نهي عن أ مر يجب اجتنابه، وإمّا كلام يتضمن معنى أمر أو فحوى نهي[2].

والمتتبِّعُ لأدعية القرآن والحديث سيجد أنها بَدَأَتْ بالنّداء وغالبه: ربِّ، ربَّنا، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ [الشعراء:٨٣]، وقوله: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص:١٦]، وقوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه:٢٥]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، وقوله: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤]، وقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٤].

وتكرر في الحديث النداء بـ (اللهم) نحو قوله ﷺ: «اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً»، وقوله ﷺ: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً..»، وقوله ﷺ: «اللهمَّ إني أسألك من كل خير...»، وقوله ﷺ:«اللهمَّ أنت خلقت نفسي وأنت توفّاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتّها فاغفر لها..».

وجواب الدعاء في معظم ذلك من الجمل الطلبية، كما هو معلوم من الشواهد السابقة وغيرها.

---

(١) شرح الكافية: (١/١٥٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز: (٥/٤٣٠)، ذكر هذا النّداء في تسعةٍ وثمانين موضعاً.

وَجَدَ الكوفيُّون أن النداء لا يكاد ينفكّ عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب و النهي، ولذلك لا يكاد يوجد في كتاب الله ـ تعالى ـ نداء ينفك عن أمر أو نهي، ولهذا لمّا جاء بعده الخبر في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الحج:٧٣] شفعه الأمر في قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.

وقد ذكر الفيروزآبادي أسلوب النداء في القرآن، وتوسّع في عرضه مبرزاً بشكل مهم جملة جواب النداء، وذلك في كتابه القيّم: **(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)**[1].

من شواهد ذلك:

قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقوله: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

ومن الشعر قوله:

أداراً بحُزْوى هِجْتِ للعين عَبْرَةً ... فماء الهَوى يرفَضُّ أو يترقرَقُ

جملة (هجت) جملة استئنافية، جوب النداء، ويقال له: المقصود بالنداء.

وقد يرد المنادى وحدَه، وتغيب جملة جواب النداء؛ لدلالة الكلام السابق عليها، كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:٣١].

وهذا النداء من قبيل تكرير الخطاب السابق بـ (ياأيها الذين آمنوا..)، وتأكيد للإيجاب، وإيذان بأن وصف الإيمان موجب للامتثال حتماً.

---

(١) انظر الجزء الخامس من بصائر ذوي التمييز، الصفحة (٤٢٢) وما بعدها.

الإيضاح بعد الإبهام

يقول أرباب البلاغة:

يَرِدُ الإيضاح بعد الإبهام؛ ليُريَ المتكلِّمُ المخاطَبَ المعنى في صورتين مختلفتين، إحداهما مبهمة والأخرى موضّحة، وهذا أمر مستحسن، كعرض الحسناء في لباسين، وعِلمان خيرٌ من علمٍ؛ لأنَّ فيه إدراكَ الشيء من جهة الإبهام ثم من جهة التفصيل، أو ليتمكّن في النفس فضل تمكّن، لما جبل الله النفوس عليه من أن الشيء إذا ذُكِر مبهماً ثم بُيّن كان أوقع عندها، لأنَّ الإشعارَ بالشيء إجمالاً يقتضي التشوّق له، والشيء إذا جاء بعد التشوّق يقع في النفس فضل وقوع، ويتمكّن فضل تمكّن؛ لأنَّ الحاصل بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب. وهذا عند اقتضاء المقام ذلك التمكّن؛ لكون المعنى ينبغي أن يُملأ القلب به لرغبةٍ أو لرهبة، أو أن يحفظ لتعظيم وعدم استهزاء أو عمل به، أو لتكمل لذة العلم بالمعنى للسامع بسبب إزالة الحرمان الحاصل بسبب عدم علمه بتفصيله، وذلك الإدراك لذة، والحرمان منه مع الشعور بالمجهول بوجهٍ ما ألم، فإذا حصل له العلم بتفصيله ثانياً حصل له لذة كاملة؛ لأنّ اللذة عقب الألم أتمّ من اللّذة التي لم يتقدمها ألم، إذ كأنها لذّتان: لذة الوجدان ولذة الخلاص من الألم[1].

عرَّف صفي الدين الحليّ الإيضاح بقوله:"هو أن يذكر المتكلم كلاماً، في ظاهره لَبْسٌ فلا يُفهَم من أول الكلام، ثم يوضّحه في بقية كلامه، وشاهده قول مسلم بن الوليد:

---

(١) انظر التقرير في التكرير: (٥٣).

يُـذَكِّرُنيكَ الخَـيرُ والشَـرُّ كلُّـه وقِيلُ الخَنا والعلم والحلم والجهلُ

فهذا معناه ملبس لكونه يقتضي المدح والذم، ثم أوضحه فقال:

فألقـاك عـن مكروههـا متنزِّهـاً وألقاك في محبوبها ولك الفضلُ[1]

والحاصل أنه ترد الجملة الاستئنافية للتوضيح بعد الإبهام، وفائدتُها تكثير لذّة العلم بهذا الإبهام؛ لأنّ الشيء إذا عُرِف من وجهٍ ما تشوّقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتأملت، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذتُه أشدَّ من علمه من جميع وجوهه دفعةً واحدةً.

وترد أيضاً تمكيناً للمعنى السابق في النفس تمكيناً زائداً؛ لوقوعه بعد الطلب مثلاً، ولابد من حصول الربط المتكامل بين الجملتين.

وأبرز شواهد هذا النوع قوله ﷻ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧-٢٨].

فالشاهد جملة (بناها) جاءت بياناً وتفصيلاً لكيفية خلق السماء المستفاد من قوله (أم السماء)، وكذا جملة (رفع سمكها) بيان للبناء، أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض، وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمئة عام[2].

وقوله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٠-٣١].

الشاهد جملة (أخرج منها ماءها ومرعاها) جاءت استئنافية، تفسيراً لما قبلها؛ لأنّ معنى دحاها: بسطها ومهّدها للسُّكنى، ثُمّ فَسَّر التمهيد

---

(١) شرح الكافية البديعية: (٢١٤)، نهاية الأرب: (١٦٩/٧).

(٢) تفسير أبي السعود: (١٠١/٩).

بما لابدّ منه في تأتي سكنها من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتاداً لها، حتّى تستقرَّ ويُستَقَر عليها، وهو من التَّفصيل البليغ بعد الإجمال المشوِّق[1].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣].

جملة (تنـزيل من ربّ العالمين) أي: هو تنـزيل، بيان؛ لأنّه قول رسول نزل عليه من رب العالمين.

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

جملة (قد جعل الله لكل شيء قدراً) بيان؛ لوجوب التوكّل على الله وتفويض الأمر إليه؛ لأنَّهُ إذا علم أنّ كل شيء من الرزق ونحوه لايكون إلا بتقديره وتوقيته، لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل.

وترد الجملة الاستئنافية على سبيل البدل المُوَضِّح، نحو (فلان لئيم؛ إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك) الجملة الشرطية استئنافية بدل، يُوَضِّح معنى اللئيم[2].

ومن الإيضاح قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩] بعد: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]؛ وذلك لأنَّ الطغيان في الميزان أخذ الزائد، والإخسار إعطاء الناقص، والقسط التوسّطُ بين الطرفين[3].

---

(١) تفسير أبي السعود: (٩/١٠٢).

(٢) شرح عقود الجمان: (٢٤٠).

(٣) حاشية الصاوي: (٦/٥٠-٥١).

التفسير والبيان

تتشوّق النفس لمعرفة المجمل ولبيان العامّ، وتحرِصُ على معرفة جواب الاستفهام، فيرد بعد المجمل تفسيرُه، وبعد العام تخصيصه، وبعد السؤال جوابُه. والجملة في ذلك كله جملة استئنافية، تعين شارح النص الأدبيّ على فهمه وتذوقه..

قال الرضيّ:"الغرض من الإبهام ثم التفسير إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم؛ لأنّ النفوس تتشوّق إذا سمعت المبهم إلى العِلْم المقصود منه، وأيضاً في ذكر الشيء مرّتين: مبهماً ثم مفسّراً توكيد ليس في ذكره مرةً واحدة"[1].

وقال صفيّ الدين الحلّي:" التفسير أو التبيين وهو أن يُؤتى في أول الكلام أو بيت من الشعر بمعنى لايستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسَّر إما في البيت الآخر، أو في بقية البيت إن كان الكلام الذي يحتاج إلى التفسير في أوّله".

ومن أحسن شواهده عند البلاغيين قول ابن الرّومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... للحادثات إذا دَجَوْنَ نجومُ

منها معالم للهدى ومصابحٌ ... تجلو الدُّجى والأخريات رجومُ

ومنه:

غيث وليث؛ فغيثٌ حين تسأله ... عُرفاً، وليث لدى الهيجاء ضرغامُ[2]

---

(١) شرح الكافية: (١/٧٦-٧٧).

(٢) شرح الكافية البديعية: (٢٨٢).

وخصص ابن رشيق في العمدة باباً للتفسير، قال فيه: هو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً، وقلّ ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد. من شواهد ذلك قول ذي الرّمّة:

وليلٍ كجلباب العروس ادَّرَعْتُه … بأربعةٍ والشخص في العينِ واحدُ

أحمُّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ … وأعيسُ مَهْرِيٌّ وأروعُ ماجدُ

ففسّر الأربعة ماهي، ورفع على قطع البدل وإضمار مبتدأ، كأنه قيل له: ما الأربعة التي شخصها في العين واحد؟ فقال: هي كذا وكذا وكذا[١]...

بين الإيضاح والتفسير:

الفرق بين التفسير والإيضاح أنَّ التفسير تفصيل الإجمال، والإيضاح رفع الإشكال؛ لأنَّ المفسَّر من الكلام لايكون فيه الإشكال ألبتة[٢].

من روائع التفسير قول مالك بن خريم:

فإن يك شابَ الرأسُ مني فإنني … أبيت على نفسي مناقبَ أربعا

فواحدةٌ أن لا أبيتُ بغرَّةٍ … إذا ماسوام الحيّ حولي تضوّعا

وثانية أن لا تفزّعُ جارتي … إذا كان جار القوم فيهم مفزّعا

وثالثة أن لا أصمِّت كلبنا … إذا نزل الأضياف حرصاً لنودعا

ورابعة أن لا أحجل قِدرنا … على لحمها حين الشتاء لنشبعا[٣]

---

(١) العمدة: (٢/٣٦).

(٢) شرح الكافية البديعية: (٢٨٢).

(٣) أحجّل: أستر، أجعلها في حجلةٍ لتخفى عن الناس رغبةً أن نشبع، ولكن أبرزها.

ومن جيد التفسير في بيت واحدٍ قول أبي الطّيب:

فتىً كالسَّحاب الجُون يُخشى ويرتجى ... يُرجَّى الحيا منه وتُخشى الصواعق

فإنه قد أحكمه أشدّ إحكام، وجاء به أحسن مجيء، ففسّر الفعل (يرتجى) بالجملة (يُرجّى الحيا منه)، وفسّر الفعل (يخشى) بالجملة (تخشى الصواعق).. وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد:١٢].

ومن التفسير قول كشاجم:

في فمها مسكٌ ومشمولةٌ ... صِرف، ومنظوم من الدُّرِّ

فالمسك للنكهة والخمر للريـ ... ـقة، واللؤلؤ للثغر

وهذا من مليح ما وقع للمحدثين[1].

ومن أبرز شواهدها قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف:١٠-١٣].

قوله ﷻ (وأخرى تحبونها) أي: ولكم إلى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة إليكم، ثم فسّرها بقوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب)[2]. ومنه قول الشاعر:

---

(١) العمدة: (٢/٣٨-٣٩).

(٢) الكشاف: (٤/٤٠٠).

ومـــن الرجـــال أســنّة مذروبــة ومُزَنّــدون شــهودهم كالغائــب

منــهم أُســود لاتُــرَام وبعضــهم مِمّا قمشت وضمّ حبل ا لحاطب

أي: من الرجال رجال كالأسنّة المطرودة مضاءً ونفاذاً في الأمور، ومنهم شديد الضيق متين شديد بخيل، إن نالهم خطب ضاقوا عنه ولم يتجهوا لرشدٍ فيه، ومنهم رجال كالأسود في العزّة والمنعة لايُطلب اهتضامهم ولايطمع فيهم، ومنهم متفاوتون كقماش البيت، وهو رديئ متاعه، جمع من هنا ومن هنا. قال البغدادي: استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجهٍ آخر، فهو من باب البيان، وهو أن يحمل الشاعر معنىً ويفسره بما يليه[1].

قال أبو صخر الهُذَلي:

وإني لآتيهــا أُريـــدُ عتابهـــا وأُوعدها بـالهجر مـابرق الفجـرُ

فمــا هــو إلاّ أن أراهــا فُجــاءَةً فَأَبهَــتُ لاعُــرْفٌ لَـدَيَّ ولانكــرُ

جملة (فَأَبْهَتُ) استئنافية إخبارية، الفاء للاستئناف، وجملة (أبهت) خبر مبتدأ محذوف، أي: فأنا أبهت.. وجملة (لاعرف لديّ) تفسير لمعنى (أبهت).

والمُدَقّق لمعنى (أريدُ) وبيانِ المحلّ الإعرابي لها، يقرِّر أنها في محل نصب على المفعول لأجله؛ لصحَّة حلول مفردٍ محلَّها، وهو: مريداً عتابها، والأصل: لأجل عتابها[2].

قال معن بن أوس:

---

(١) خزانة الأدب: (١٤٦/١).

(٢) لم يذكر أحد من المعربين جملة المفعول لأجله، لكن المعنى هنا يناسبها.

وإنّي أخوك الدائمُ العهدِ لم أحُل ... إنَ ابْزاك خصم أو نبا بك منزل

أحَارِبُ من حاربت من ذي ... وأحبس مالي إن غرضْتَ فأعقِلُ

جملة (أحارب من حاربت) استئنافية، تفسير دوام عهده، أي: تجدني ذاباً عنك، وإن أصابك غرم حبست مالي عليك، وأعقل عنك، يُقال: عقلت عنه: إذا غرمت مالزمه في ديته[1]. وقال السموءل:

ولي دونكم أهلون سِيْدٌ عَملَّسٌ ... وأرقطُ ذُهلولٌ وعرفاءُ جيألُ

همُ الأهلُ لا مستودَعُ السِّرِّ ذائعٌ ... لديهمْ ولا الجاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

جملة (لامستودع السرّ ذائع) استئنافية، تفسير وبيان لكلمة (الأهل).

قال البغدادي: عرَّفَ الخبر لإفادة الحصر، أي: هم الأهل لاغيرهم، وبيّن وجهه بقوله (لامستودع السرّ ذائع)، يعني: أنَّه السرّ المستودع عندهم غير ذائع، بل مصون، ولا الجاني بما جرّ يُخذل عندهم، بل يُحمى[2].

وقال آخر:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فعرفتها ... لستة أعوامٍ وذا العام سابعُ

رمادٌ ككحل العين ما إن تبينه ... ونُؤْيٌ كجذم الحوض أثلم خاشعُ

أي: من الآيات رماد ونؤي، استأنف وفسّر بعض الآيات[3].

ومن شواهد النحويين:

لَدْنٌ بهزِّ الكفّ يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريقَ الثعلب

---

(١) الخزانة: (٣/٥٠٦).

(٢) الخزانة: (٣/٤١١).

(٣) الخزانة: ١ (/٤٢٩).

جملة (يعسل متنه) استئنافية، مفسّرة لقوله: لدن[1]..

قال الفند الزّماني:

صفحنا عن بني ذُهْلٍ   وقلنا: القومُ إخوانُ

فلما صرَّح الشَرُّ   فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوا   ن دنّاهم كما دانوا

مشينا مشيةَ الليث   غدا والليث غضبانُ

أي: لما أصرّوا على البغي، و أبوا أن يدعوا الظلم، ولم يبق إلاّ أن نقاتلهم ونعتدي عليهم كما اعتدوا علينا، جازيناهم بفعلهم القبيح كما ابتدؤُونا به، وإطلاق المجازاة على فعلهم: مشاكلة، على حدّ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

وقوله (مشينا مشية الليث) هذا استئناف، تفصيل لما أجمله قوله (دناهم)، وتفسير لكيفية المجازاة[2]. ومنه:

إذا ما تريني اليومَ أُزجي ظَعِينَتي   أُصَعِّدُ سَيْراً في البلاد وأُفْرِعُ

فإنّيَ من قومٍ سواكم وإنّما   رجاليَ فَهْمٌ بالحجاز وأشجَعُ

جملة (أُصَعِّدُ وأفرع) تفسير لأزجي وبيان له، وهو أرجح الأعاريب، ويجوز أن تكون الجملة منصوبةً على الحال، أو بدلاً من (أزجي)[3]... وقال آخر:

---

(١) الخزانة: (٤٧٦/١).

(٢) الخزانة: (٥٨/٢).

(٣) الخزانة: (٦٣٨/٣).

أخـو رغائـبَ يعطيهـا ويُسـألُها ويأبى الظلامة منه النوفـل الزفـر

(الزّفر: السيد، الرغائب: جمع رغيبة، وهي العطايا الكثيرة، أي: يعطي مايرغب الرجال في ادّخاره، ويحرصون على التمسك به لنفاسته).

أخو: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أخو رغائب.

جملة (يعطيها ويُسْألُها) مفسرة لوجه الملابسة في (أخو رغائب)[1].

شواهد أخرى: بما أن كثرة الشواهد تعين على استجلاء البحث وترسيخ فهمه، لذلك وجدت عرض أكثر الشواهد منها:

١- قوله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٣].

أي: ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا؟ ثُمَّ استأنف، فبيَّن أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها، ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد، كيف يمنع غيره وينصره..؟[2]

٢- قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ [الممتحنة:١]، (يخرجون) استئناف كالتفسير؛ لكفرهم وعتوّهم، أو حال من كفروا.

٣- قوله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، في مصاحف أهل الشام قوله (ماكنا لنهتدي) بغير واو، على أنها جملة استئنافية موضحة للأولى.

---

(١) الخزانة: (١/ ٩٠).

(٢) الكشاف: (٢/ ٥٧٣ـ ٥٧٤).

٤- قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود:٩٧-٩٨]، يجوز أن يريد بقوله (وما أمر فرعون برشيد): وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله تعالى (يقدم قومه) تفسيراً لذلك وإيضاحاً، أي: كيف يرشد أمر من هذه عاقبته..؟

٥- قوله ﷻ: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:٦١]، أي: أذن خير ورحمة، لايسمع غيرهما ولايقبله، ثم فَسَّر كونه أذن خير: بأنه يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة، ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار.

٦- قوله ﷻ: ﴿فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:٥٤]، قرئ: (إنّه من عمل منكم سوءاً) بالكسر على الاستئناف؛ كأنَّ الرحمة استفسرت، فقيل: إنَّه من عمل منكم...

٧- قوله ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾ [الإسراء:٥٣-٥٤]، فسّر قوله تعالى (التي هي أحسن) بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم)، يعني: يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار، وإنكم معذبون، وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويُهَيجهم على الشرّ.

٨- قوله ﷻ: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾ [يوسف:٧٧]، (فأسرها) إضمار على شريطة التفسير،

تفسيره (أنتم شرٌّ مكاناً)، وإنما أنَّث؛ لأنَّ قوله تعالى (أنتم شرّ مكاناً) جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة، كأنَّه قيل: فأسرَّ الجملة أو الكلمة التي هي قوله تعالى: (أنتم شر مكاناً)، والمعنى: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً؛ لأن قوله تعالى: (أنتم شر مكاناً) بدلٌ من قوله (أسرها).

٩- قوله ﷻ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٥-٧٦]، قال الإمام الصّاوي: جرت الجملة الثانية من الأولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطفَ البيان والإيضاح[١].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:١٢]، قوله (فمحونا) الفاء تفسيرية؛ لأنّ المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين، بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته[٢]..

١١- قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١]، إن عبارة (تلقون إليهم بالمودّة) بيان لبعض عناصر اتخاذ أعداء الله، وأعداء المؤمنين أولياء، فهو من التفسير الجزئي للموالاة وهو يدلّ على النظير قياساً، وعلى ما هو أشدُّ منه من باب أولى[٣].

١٢- من مظاهر الاستئناف للتفسير قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا

---

(١) حاشية الصاوي: (٤/ ٢٠٠).

(٢) روح المعاني: (١٥/ ٢٦).

(٣) البلاغة العربية: (٢/ ٩٧).

ﵟالَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَﵞ [الأنفال:١٢]، جملة (سألقي) كالتفسير لقوله (أني معكم)(١).

١٣- ومما يحتمل التفسير بترجيح قوله تعالى: ﵟإِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي الْكُفْرِۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗاﵞ [التوبة:٣٧]، جملة (يحلونه) استئنافية، تفسيرية للضلال(٢)، وتحتمل الحالية.

١٤- قوله تعالى: ﵟوَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِﵞ [السجدة:٢٠]، الجملة الشرطية (كلما أرادوا..) استئناف بياني؛ لكون النار مأواهم. رُوِيَ أنّ النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً(٣).

١٥- سُئِل أحد المفسرين عن معنى (هلوعاً) من قوله تعالى: ﵟ۞إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًاﵞ [المعارج:١٩-٢١]. فقال: لقد فسّره الله تعالى، ولا تفسير أبين من تفسيره تعالى(٤)، أي: تفسير الهلوع جاء بأمرين، كما قال أبو العالية وغيره من قدماء أهل التفسير؛ فالهلوع: هو الذي إذا مسّه الشرّ كان جزوعاً، وإذا مسّه الخير كان منوعاً، وهذا التفسير لم يُضف إلى المعنى الذي دلت علي كلمة (هلوع) شيئاً، لكنه كان مفيداً، إذ شرح معنى كلمة هلوع، وهذه الجملة الاستئنافية عند علماء المعاني إطناب حسن.

---

(١) حاشية الصاوي: (٣/١٠).

(٢) حاشية الصاوي: (٣/٧٢).

(٣) المصدر نفسه: (٥/٣٠).

(٤) تفسير أبي السعود: (٩/٣٢)، أضواء البيان: (٨/٢٨٠).

ومثله تماماً تفسير (**الصَّمد**) من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٤]. فجملة (لم يلد ولم يولد) تفسير للصمد. قال محمد بن كعب القرظي: وهذا معنى حسن، وهو من التفسير الجزئي لا من التفسير المطابق، صرّح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت أحكام متنوعة لمعنى الصمد؛ منها أنه هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته، ومنها أنه الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال، ومنها الذي يفعل مايشاء ويحكم ما يريد[(١)].

* * *

التفصيل والتقسيم

قال الجاحظ: "قيل لليوناني: ما البلاغة؟ فقال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام.". ولاشكَّ أنَّ الكاتبَ المقتدرَ هو الذي يلجأ إلى هذا النوع، فهو يجمع فكرة موضوعه بإحكامٍ، ثم يقوم بالتفصيل والتقسيم؛ ليعطيَ القارئَ مزيداً من الوضوح، ولرسوخ المعرفة لما يريده من موضوعه. قال ابن النقيب: وهو آلة الحصر ومظنَّةُ الإحاطة بالشيء، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ [النور:٤٥].

(١) تفسير أبي السعود: (٢١٢/٩-٢١٣)، أضواء البيان: (٣٣٠/٩-٣٣١).

وفي هذا استئناف تفصيلي يستوفي القسمة الغالبة في المخلوقات[1].

وفي مجال اللغة: التفصيل: من الفصلُ، وهو الحاجز بين الشيئين، والمصنفون يترجمون به أثناء الأبواب؛ إما لأنه نوع من المسائل مفصولاً عن غيره، أو لأنه ترجمة فاصلة بينه وبين غيره.

وحقيقة المجمل: هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخصة.

التفصيل والتقسيم عند البلاغيين: قال ابن الأثير في الجامع الكبير: وإنما نريد بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده، وهو أن يأتي المؤلف إلى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفيها غيرَ تاركٍ منها قسماً واحداً وشاهده قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢] فإنه لايخلو العالم جميعه من هذه الأقسام الثلاثة؛ إمّا عاصٍ ظالم لنفسه، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات، وإما مقتصد بينهما، وهذا من أصحّ التقسيمات وأكملها[2].

ومن هذا المعنى قوله تعالى في سورة الواقعة ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾

---

(١) أمّا ما يمشي على أكثر من أربع، مثل: العناكب والعقارب والرتيلات والحيوان الذي له أربعة وأربعون رجلاً فهذه الأجناس كالنادر، فهي ملحقة بالعدم؛ ولأنّ الفلاسفة يقرّون بأن ماله قوائم كثيرة فاعتماده إذا مشى على أربع جهاته، لا غير، فكأنه يمشي على أربع. ولأنَّ قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ كالتنبيه على سائر الأقسام. [انظر التفسير الكبير للرازي:١٧/٢٣].

(٢) الجامع الكبير: (٢١٨-٢١٩)، مقدمة تفسير ابن النقيب: (١٨٧)، وانظر أضواء البيان:(١١١/٦).

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:٧-١٠] وهذه الآية مماثلة في المعنى لما سبق ذكره، و(أصحاب المشأمة): هم الظالمون لأنفسهم، و(أصحاب الميمنة) هم المقتصدون، و(السابقون): هم السابقون بالخيرات.

وترد الجملة الاستئنافية تفصيلاً لعددٍ قبلها تبييناً له، مثال ذلك قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، وعلمٍ ينتفع به، وولدٍ صالحٍ يدعو له». روي: صدقةٍ بالرفع والجرّ والفتح، فعلى الجر: بدل من (ثلاثٍ) بدل تفصيلي، وعلى الرفع: خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره: هي صدقة جارية وعلم..، والجملة الاسمية: استئناف تفصيلي لا محل لها.

وتوضيح ذلك؛ أن العدد كما يقول أهل اللغة: هو الكمية المتألفة من الوحدات، فيختص بالمتعدد في ذاته، ومجيئه مجملاً أول الكلام يشوّق النفس لمعرفة التفصيل والبيان.

ومن شواهد هذه الجملة قوله ﷻ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران:١٣] جاء تفصيل الفئتين في جملة: فئةٌ تقاتل.. وأخرى، و التَّقدير: إحداهما فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة.

ومن أبرز شواهدها قوله ﷻ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان:٥٣] من عظيم اقتداره تعالى أن ذكرَ عبارة (مرج البحرين)، ثم فصل في توضيحها، ومعنى (مرجهما) خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما، ويمنعهما التمازج. قوله ﷻ ﴿هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ استئناف تفصيل لمرج البحرين.

وتقرب هذه الجملة من جملة الاستئناف البياني الوارد جواباً لسؤالٍ مقدَّر، و الجملة البيانية، من شواهد هذه الجملة قول الشاعر:

وما الناسُ إلا عـاملان؛ فعامـلٌ يُتَبِّــر مــا يــبني وآخــرُ رافــع

جملة (فعامل يتبر..) استئناف، تفصيل وبيان لكلمة (عاملان).

ويرد التفصيل عند النحويين بالأداة (أمّا) فهي حرف شرط وتفصيل وجزاء، ومساق الجملة مساق التفصيل، كقوله تعالى بعد إنعامه وإكرامه لرسول الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:٩-١١].

وفي الحديث «قيل: يارسول الله، إنّا نلقى العدوَّ غداً، وليست لنا مُدًى فبأيّ شيءٍ نذبح؟ فقال: أنهروا الدمَ بما شئتم إلاّ الظفر والسنّ؛ أما السّنُّ فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»(١)، جملة (أما السنُّ فعظم) استئنافية، تفصيل للنهي عنهما؛ لأنّه خنق وليس بذبح.

ومن ظواهر التفصيل ما نجده في سورة المجادلة، فقد ورد قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة:٢-٣]، جاء حكم عام ثم جاء الاستئناف التفصيلي للحكم المترتب على الظهار إثر بيان التوبيخ عليه بجملة (الذين يظاهرون منكم من نسائهم)(٢).

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب قسمة الغنم رقم (٢٣٥٦).

(٢) حاشية الصاوي: (١٠٦/٦).

ومنه قوله تعالى عن المنافقين: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١١-١٢]، بعد ورود الوعود من المنافقين جاء تفصيلُ الردّ في بيان كذبهم وهو قوله (لئن أخرجوا) فهذا استئناف فيه تفصيل لكذبهم، وهو تكذيب لقولهم (لئن أخرجتم)، و(لئن قوتلوا) تكذيب لقولهم (وإن قوتلتم)[1].

ومنه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:٧٢]. هذه الجملة استئناف تفصيل لما أجمل في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٧١][2].

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣] هذه الجملة استئناف تفصيلي لبيان ما أجمل أولاً في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١] وذكر في هذه الجملة العظيمة أحد عشر محرّماً[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان:٢٥-٢٦]. جملة (لله ما في السموات والأرض)

---

(١) حاشية الصاوي: (١٣١/٦).

(٢) المصدر نفسه: (٩٢/٣).

(٣) المصدر نفسه: (١٤٨/٢).

استئنافية جاءت نتيجةً لما قبلها، أي: فحيث ثبت أنه الخالق لها تحقّق أنه المالك لها[1].

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٤] جملة مستأنفة مكرَّرة تفصيلاً لما قبلها؛ لأنَّ المقام مقام ذم، البلاغة فيه الإطناب[2].

ومن التفصيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٦-٨]. ورد الكلام بصيغة العموم (الناس) و (ليروا) وجاءت جملة الاستئناف (فمن يعمل مثقال..) تفصيلاً للواو في قوله (ليروا أعمالهم)[3].

ومن التفصيل أيضاً ماورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٤]. جملة (فيضل الله من يشاء) استئناف مُفصِّل لقوله (ليبين لهم). وكذا قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾ [إبراهيم:٥]فالجملة تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ﴾ [إبراهيم:٤][4].

ومن الاستئناف التفصيلي ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ

---

(١) حاشية الصاوي: (١٥/٥).

(٢) المصدر نفسه: (٣٦/٣).

(٣) المصدر نفسه: (٤٥٨/٦).

(٤) المصدر نفسه: (٣٤٥/٣).

﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور:٤٧-٤٨]، قوله:(وإذا دعوا إلى الله ورسوله) استئناف تفصيل لما أجمل أولاً[١].

من خفايا الجملة الاستئنافية الواردة لتفصيل معنى سابق فيه إجمال أو إبهام قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٩-١١]، فجملة (وإذا قيل لهم لاتفسدوا) شروع في ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة، وفي الحقيقة هي تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم وهي استئنافية أقوى من أنها معطوفة على يكذبون.

ومنه ما ذكر من أحكام الميراث في سورة النساء في قوله تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ [النساء:٧] وبعدها ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء:١١] هذه الجملة استئنافية، شروع في تفصيل ماأجمل أولاً في قوله (للرجال نصيب)[٢].

وجعل بعض المعربين في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ...﴾ [هود:٤٥] جملة (فقال) استئناف تفصيل للنداء. وقال آخرون: الجملة عطف على (ونادى). قال الزمخشري: فإن قلت: إذا كان النداء هو قوله (ربّ)، فكيف عطف (فقال ربّ) على (ونادى) بالفاء؟.

قلت: أُريد بالنداء إرادةُ النداء، ولو أُريد النداء نفسه لجاء كما جاء في قوله ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ﴾ [مريم:٣-٤] بغير فاء[٣].

---

(١) حاشية الصاوي: (٤/٢٩٢).

(٢) المصدر نفسه: (٢/١٥).

(٣) الكشاف: (٢/٢٧٢)، الدر المصون: (٦/٣٣٦)، حاشية الصاوي: (٣/٢١٦).

التأسيس والتفريع

التأسيس في اللغة عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن حاصلاً قبله، ويقولون: التأسيس خير من التأكيد؛ لأنَّ حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة[1]، ومن هنا نرى النحويين يقولون في مصطلحاتهم: حال مؤسسة، والتفريع هنا جعل شيء عقيب شيء لاحتياج اللاحق إلى السابق.

وفي علم البديع وجد السيوطي غرضاً جديداً لهذا الاسم فقال:

وقد وجدت مقصداً بديعاً   سمّيته التأسيس والتفريعا

قاعدة كليّة يمهدها   يبني عليها شعبةً يقصدها

مثاله: لِكُلِّ دينٍ خُلُقٌ   وخُلْقُ ذا الدينِ الحياءُ المونَقُ

قال في شرح هذا النظم[2]: هذا نوع لطيف اخترعته؛ لكثرة استعماله في الكلام النبوي، ولم أرَ في الأنواع المتقدمة مايناسبه، فسميته **بالتأسيس والتفريع**، وذلك أن يُمهّد قاعدةً كليةً لما يقصده ثم يرتب عليها المقصود، كقوله ﷺ: «لكلِّ دينٍ خلُق، وخلق هذا الدين الحياء»[3] جملة (خلق هذا الدين الحياء) جملة استئنافية تفريع لما أسس من الكلام السابق، وأهمية الكلام بكامله موجهة نحو هذه الجملة.

والتفريع عند النقاد: أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرّع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً، وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم، نحو قول الكميت:

---

(١) التعريفات: (٥٠ و٦٣).

(٢) شرح عقود الجمان: (١٤٠-١٤١).

(٣) رواه ابن ماجه عن أنس، وانظر شواهد هذا البحث (مشكاة المصابيح) ٥٩٦.

أحلامكم لسَقام الجهل شافيةٌ   كما دماؤكمُ يشفى بها الكَلِبُ

وصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا، والشاهد هو الجملة الاستئنافية (كما دماؤكم يشفى بها الكَلِبُ).

ومن المستحسن قول الخوارزمي:

سَمْحُ البديهة ليس يُمسِكُ لفظَه   فكأنما ألفاظُه من ماله

وكأنما عزماته وسيوفه   من حدِّهن خلقن من إقباله

تبسّم في الخطب تحسب أنه   تحتَ العجاج ملثَّمٌ بفعاله

* * *

الاستئناف للتخصيص

يُعنى المفسرون بأسلوب الخطاب في القرآن ويبدون مافيه من أحكام، منه حديثهم عن العام والخاص. فقد ترد الجملة الاستئنافية تخصيصاً بعد عموم، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة:١] وهذا حكم عام مع سائر الكفار إلى يوم القيامة، ثم جاء قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨].

وهذا استئناف جاء لتخصيص الحكم النازل أول السورة؛ لأنَّ الآيةَ الأولى عامة في سائر الكفار مطلقاً، ولو كانوا مصالحين، ثم بيّن هنا أنَّ من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة، تجوز مودتهم ولم

يكن النهي شاملاً لهم.. قال الإمام الصّاوي: "وعلى هذا تكون الآية محكمة، فيجوز الآن للمسلمين موادَدَة الكفَّار الذين تحت الذمة والصلح..[1]". فتأمّل.

* * *

الاستئناف للتعميم بعد التخصيص

من أساليب البيان القرآني ذكر العامّ بعد الخاصّ؛ ليدلَّ على حكم شامل، نجد ذلك في سورة الأعراف بعد ذكر المولى ـ عزّ وجل ـ الأنبياء ودعوتهم لقومهم قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف:٩٤].

جملة (وما أرسلنا..) مستأنفة قُصِد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص، وإنّما خصّ ما تقدّم بالذكر؛ لمزيد تعنّتهم وكفرهم[2].

ومنه قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] وهذا عام، ثم جاء قوله تعالى﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة:٩١] تخصيص لقوله فيما تقدم: (انفروا)، ولا يخفى ما في هذا التخصيص من يسرٍ وتسامح[3].

* * *

---

(١) حاشية الصاوي: (١٤٥/٦).

(٢) حاشية الصاوي: (٤٢٩/٢).

(٣) المصدر نفسه: (١٠٤/٣).

الاستئناف نتيجةٌ لكلام سابق

ترد الجملة الاستئنافية نتيجةً لما قبلها، تؤدّي معنىً عاماً في سياق الكلام، كقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١]، جملة (فهم لا يعقلون) استئنافية مضمونها جاء نتيجةً لما قبلها، في قوله (صم): أي لايسمعون المواعظ ولاينزجرون بها، و(بكم): أي لاينطقون بالحق، و(عمي): أي لاينظرون الهدى ولا يتبعونه، وإن كانت صورة الحواسّ موجودة.

كما ترد الجملة الاستئنافية كالدّليل لما قبلها، كقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢]، جملة (والله يرزق..) مستأنفة كالدليل لما قبلها[١].

وهكذا أسلوب ختم آيات القرآن الكريم غالباً، وهو ما يسمّى بالفاصلة القرآنية[٢].

* * *

الجملة الاستئنافية المؤكّدة

بعض الجمل تتّصل من ذات نفسها بالتي قبلها بروابطَ معنويةٍ، تستغني بها عن حرف عطفٍ يربطها، ومنها الجملة المؤكدة.

قال ابن جنّي في الخصائص: باب في الاحتياط: "إنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكَّنَتْهُ واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين:

---

(١) المصدر نفسه: (٢٠٢/١).

(٢) انظر كتاب الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي.

أحدهما: تكرير الأول بلفظه؛ وهو نحو قولك: قام زيدٌ. قام زيدٌ... قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ. وقال الشاعر:

قُـمْ قائمـاً قُـمْ قائمـاً   رأيـتَ عبـداً نائمـاً

ثم قال: وهذا الباب كثير جداً، وهو في الجمل والآحاد جميعاً"[1]...

والتأكيد لايفتقر إلى مايصله بالمؤكَّد إلى صلة، ونراه في الجمل، إذ من الجمل ماتتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها بها عن حرف عطف يربطها، فكل جملة كانت مؤكّدةً للتي قبلها، ومبيِّنة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لاتكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد، فهي جملة استئنافية. ولها مظاهر واسعة[2].

مثال ماهو من الجمل كذلك قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، قوله تعالى ﴿**لا ريب فيه**﴾ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾، وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب، فتعيده مرةً ثانية لتثبته، وليس يُثْبِتُ الخبرَ غيرُ الخبر، ولا شيء يتميز به عنه، فيحتاج إلى ضامّ يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه.

ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٦-٧]، قوله تعالى ﴿**لايؤمنون**﴾ تأكيد لقوله تعالى ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وقوله تعالى ﴿خَتَمَ

(١) الخصائص: (٣/١٠٠-١٠٣). والضرب الثاني لا علاقة له ببحث الاستئناف.

(٢) انظر هذه الشواهد الواردة في دلائل الإعجاز: (١٦٠-١٦٢).

﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ تأكيد ثانٍ أبلغ من الأول؛ لأنّ من كان حاله إذا أُنذر مثلَ حاله إذا لم يُنذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٨-٩]، إنما قال ﴿**يخادعون**﴾، ولم يقل: (ويخادعون)؛ لأنَّ هذه المخادعة ليست شيئاً غيرَ قولهم (آمنا) من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكّد به كلام آخر هو في معناه، وليس شيئاً سواه.

وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤]، وذلك لأنَّ قولهم:(إنا معكم): أنَّا لم نؤمن بالنبي ﷺ، ولم نترك اليهودية، وقولهم:(إنما نحن مستهزئون) خبر بهذا المعنى بعينه؛ لأنَّه لافرق بين أن يقولوا: إنا لم نقل ما قلناه من أنّا آمنا إلا استهزاءً، وبين أن يقولوا: إنَّا لم نخرج من دينكم وإنا معكم، بل هما في حكم الشيء الواحد، فصار كأنهم قالوا: إنّا لانفارقكم، فكما لايكون (إنا لم نفارقكم) شيئاً غير (إنا معكم) كذلك لايكون (إنما نحن مستهزئون) غيره.

ومن الواضح البيّن في هذا المعنى قولُه ﷻ ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧]، لم يأتِ معطوفاً نحو:(وكأنَّ في أُذُنيه وقْراً)؛ لأن المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وَقْر هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلاّ أن الثاني **أبلغ وآكد** في الذي أريد، وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً: أن ينفي أن يكون لتلاوة ماتلي عليه من

الآيات فائدة معه، ويكون لها تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تُلِيَتْ عليه كحاله إذا لم تُتْلَ[1].

ومن اللطيف في ذلك قوله ﷻ: ﴿مَاهَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]، وذلك أن قوله تعالى ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مشابك لقوله تعالى ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾، ومُدَاخِلٌ في ضمنه من ثلاثة أوجه؛ وجهان هو فيهما شبيه بالتأكيد، ووجه هو فيه شبيه بالصفة، فأحد وجهي كونه شبيهاً بالتأكيد: هو أنَّه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه ملكاً تحقيقاً لامحالة، وتأكيداً لنفي أن يكون بشراً، والوجه الثاني: أن الجاري في العرف والعادة أنه إذا قيل: ما هذا بشراً، ما هذا بآدمي ـ والحال حال تعظيم وتعجب مِمَّا يشاهد في الإنسان من حسن خَلق أو خُلُق ـ أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يقال: هو مَلَكٌ، وإنه يُكْنَى به عن ذلك حتى إنه يكون مفهوم اللفظ، وإذا كان مفهوماً من اللفظ قبل أن يذكر كان ذكره إذا ذُكِر تأكيداً لامحالة؛ لأنّ **حدَّ التأكيدِ أن تُحَقِّقَ باللفظ معنى قد فُهِمَ من لفظ آخر قد سبق منك**. . . وأما الوجه الثالث الذي هو شبيه بالصفة: فهو أنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أُثبِتَ له جنسٌ سواه؛ إذ من المحال أن يخرج من جنس البشر، ثم لايدخل في جنس آخر، وإذا كان الأمر كذلك كان إثباته ملكاً تبييناً وتعييناً لذلك الجنس الذي أُرِيدَ إدخاله فيه، وإغناء عن أن تحتاج إلى أن تسأل فتقول: فإن لم يكن بشراً فما هو، وما جنسه؟ كما أنك إذا قلت: مررت بزيد الظريف، كان الظريف تبييناً وتعييناً للذي أردت من بين مَنْ له هذا الاسم، وكنت قد أغنيت المخاطَب عن الحاجة إلى أن يقول: أي الزَّيدين أردت..؟

---

(١) دلائل الإعجاز: (١٦١).

ومما جاء فيه الإثبات بـ (إنْ) و (إلاّ) على هذا الحدّ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، أفلا ترى أن الإثبات في الآيتين جميعاً: تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي؛ فإثبات ما عُلّمه النبي ﷺ وأوحي إليه ذكراً وقرآناً، تأكيد وتثبيت لنفي أن يكون قد عُلّم الشعر، وكذلك إثبات مايتلوه عليهم وحياً من الله تعالى تقرير لنفي أن يكون نطق به عن هوى.

وقد يرد التوكيد بعد أداة لايراد منها العطف الحقيقي، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٣-٤]، الشاهد قوله تعالى ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الثانية، جاءت إنذاراً؛ ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم، والتكرير فيها تأكيد للردع والإنذار عليهم، ومجيء (ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشدّ، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لاتفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله، وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٤- ١٧٥] ثم كرر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٨-١٧٩] وإنما ثنّى؛ ليكون تسليةً على تسلية، وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد..

ومن شواهد التوكيد قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٧٣]، جاءت هذه الجملة استئنافاً، فيها توكيد للجملة

المتقدمة وهي قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢][1]، وقبلَها: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقد ينضم إلى التوكيد معنى التعليل، كما وجدنا في الاستئناف التعليلي كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨]، جملة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فيها تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلام التعريف، وبلفظ العلو: وهو الغلبة الظاهرة، وبالتفضيل.

ومن الاستئناف للتوكيد قول بشّار:

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجير ... إنَّ ذاك النجاحَ في التبكير[2]

جملة (إنّ ذاك النجاح) جملة استئنافية، فيها معنى التوكيد للكلام السابق، وهذه الجملة تختلف في لطف معناها وخفائه عن قولنا: (فالنجاح في التبكير).

وقد يجعل المُقِرُّ كالمنكِر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، فيؤكد له الكلام تأكيد المنكر، نحو:

جاء شقيقٌ عارضاً رِمحَهُ ... إنَّ بني عمّي فيهم رِماح

فهو لاينكر أن في بني عمه رماحاً، لكنَّ مجيئَه واضعَ الرمح على العَرض من غير التفات. وتهيّئ أمارةٌ أنه يعتقد أن لارمح فيهم، بل كلهم عُزْلٌ لاسلاح لهم، فنزل منزلة المنكر. وأكّد له الخطاب بالجملة الاستئنافية (إنّ بني عمي...)[3].

---

(١) حاشية الصاوي: (٢٧٣/١).

(٢) انظر دلائل الإعجاز: (٢١٩).

(٣) شرح عقود الجمان: (١١).

ويرد التوكيد كما قال ابن جني بالجملة، من قبيل التوكيد اللفظي وقد ذكر من شواهد ذلك: اللهُ أكبر الله أكبر[1].. ومن شواهد ذلك قول سلامة بن جندل:

أودى الشبابُ الذي مَجْدٌ عواقبُه فيــه نَلَــذُّ ولا لــذاتِ للشّــيْبِ

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غـير مطلـوب

أودى: ذهب واضمحَلّ، كرّر الشاعر جملة (أودى) للتأكيد، والمراد به: التحسر والتفجّع، لا الإخبار المجرّد. قوله (فيه نَلَذُّ) أي: إنما تكون اللّذاذة والطيب في الشباب، والجملة استئناف بياني[2].

ومن شواهد النحويين في بحث (حَتَّى) قول الشاعر:

ألقى الصحيفة كي يخفّفَ رحلَهُ والزَّاد حتى نعلَه ألقاها

الشاهد: أنّ (حَتّى) وإن كان يستأنف بعدها الكلام، ليست متمحّضة للاستئناف.

وَمن توجيهات (حتَّى) أنها عاطفة، كأنه قال: ألقى الصحيفة حتى نعله، يريد: ونعلَه.. وجملة (ألقاها) استئناف، تكرير وتوكيد[3].

ومنه قول الشاعر:

قَــدّموا إذ قيــل قَــيسٌ قَــدّموا وارفعوا المجد بـأطراف الأسـل

---

(١) الخصائص: (٨٦/٢).

(٢) الخزانة: (٨٦/٢).

(٣) الخزانة: (٤٤٥/١-٤٤٦)، وانظر ارتشاف الضّرب: (٦٤٧/٢)، شرح المفصل: (١٩/٨)، همع الهوامع: (٢٤/٢)، الجنى الداني: (٥٤٧). الكتاب: (٩٧/١).

قوله (قدّموا) توكيد لجملة قدّموا الأولى..

وقالت الخنساء:

ألا مـــــالعيني ألا مالهـــــا قـد أخضـل الـدمعُ سـربالها

جملة (ألا مالها) استئناف، توكيد للجملة الأولى، لامحل لها ..

وقال الشاعر:

في كلت رجليها سلامى زائدة كلتاهمـا قـد قُرِنَـتْ بِواحِـدَة

هذا البيت من رجز يصف به نَعَامة، قوله (كلتاهما قد قرنت بواحدة) هذا المصراع استئناف، تأكيد للأول..[1]

* * *

الجملة الاستئنافية للتقرير

جاء في لسان العرب: تقرير الإنسان بالشيء: جَعْلُهُ في قراره؛ وقرّرْتُ عنده الخبرَ حتى استقر[2].

قال علماء التفسير: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أمر بكتبه للحين، فأُمر أن يتأنّى حتى تفسَّر له المعاني، ويتقرر عنده[3].

وفي علم البيان التقرير: تحقيق الكلام السابق، خبراً كان أم إنشاءً، يُقَالُ: الكلام إذا تَكَرَّر تقرّر، و التقرير من مظانّ الجملة الاستئنافية، تُقَرّر كلاماً سابقاً، وتؤدِّي عدداً من الأغراض البلاغية؛ كالتوضيح والتوكيد وترسيخ معاني الجمل السابقة.

---

(١) الخزانة: (١/ ٦٣).

(٢) لسان العرب: قرر، أساس البلاغة: قرر.

(٣) تفسير الرازي (٢٢/ ١٢٣).

من شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة:٢-٣]، جاءت جملة ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ تقريراً أنه من الله، وجاء هذا الاستئناف في غاية الدقة والإحكام، بأسلوب صحيح محكم؛ أثبت أوّلاً أنَّ تنزيلَه من رب العالمين، وأنّ ذلك ما لاريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ لأنّ (أم) هي المنقطعة الكائنة بمعنى (بل) والهمزة، إنكار لقولهم، وتعجيب منه؛ لظهور أمره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى تقرير، وإثبات أنه الحقّ من ربك[1].

هذا ونظيره: أن يعلّل العالم في المسألة بعلّة صحيحة جامعةٍ قد احترز فيها أنواع الاحتراز، كقول المتكلمين: النظر أوّل الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لايعْرَى عن وجوبها مُكلّف، ثم يعترض عليه فيها ببعض ماوقع احترازه منه، فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته.

وفي قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ [النمل:٥٩-٦٠]، جاء الاتصال بين جملتين ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ و(أم) هنا متصلة؛ لأنّ المعنى: أيهما خير؟ وجاءت الجملة الأخيرة تقريراً لهم؛ بأن من قدر على خلق العالم، خيرٌ من جماد لا يقدر على شيء.

---

(١) انظر الدرّ المصون (٧/ ٢٠٠).

قال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والتقدير: بل الذي خلق السماوات خيرٌ، وهذا تقديرٌ منَ الله تعالى عزَّ وجل.

قال الزمخشريّ: يحتمل أن تكون الجملة ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٦] بعد قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥] تكريراً للأولى، كما كرّر قولهﷻ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:١٥]؛ لتقرير معناها في النفوس، وتمكينها في القلوب، وكما تكرّر المفرد في قوله ﷻ ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون:٣٦][1].

وفي قوله ﷻ: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، إخلاء الجملتين من العاطف؛ لكونهما مقرّرتين لمعنى الجملة الأولى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ﴾ [القصص:٦٣].

ومن التقرير قوله ﷻ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾ [الكهف:٢٢]، قيل: الواو للاستئناف، والوقف على (سبعة)، وإنَّ في الكلام تقريراً؛ لكونهم سبعة، وكأنه لما قيل سبعة، قيل: نعم وثامنهم كلبهم، واتصل الكلامان. ونظيره قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤]، فإن قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ليس من كلامه بلقيس، فالجملة استئنافية، تفيد تقرير الكلام السابق[2].

---

(١) انظر الكشاف: (٤/ ٢٦٧).

(٢) انظر مغني اللبيب (٨٥٩).

ومنه قوله ﷻ: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٠٥]، استئناف، مقرّر لما قبله وهو قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ...﴾ [الأعراف:١٠٤-١٠٥] ولمّا ذكر تعالى آداب المجتمع الإسلامي في سورة الحجرات ورد قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] عقّب على ذلك بقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] جاءت ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مستأنفة، تفيد هاهنا تقرير الأمر بالإصلاح، أي: تحقيقه وتوكيده.

ومن الواضح جداً في الاستئناف التقريري قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣]، جملة الاستفتاح التنبيهي ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من الأمر بالإخلاص[(١)].

ومن دقائق الاستئناف التقريري ما نجده في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، جاءت جملة ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ استئنافيةً لتقرير ما قبلها، وتحقيقٍ للإظهار المستفاد من الاستثناء، كأنه قال: إلا من رسولٍ فإنه إذا أراد إظهارَه على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته، يحرسونه من تعرّض الشياطين له[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٣]، جاءت جملة ﴿سَوَآءٌ

---

(١) انظر حاشية الصاوي: (٥/٢٣٩).

(٢) المرجع السابق: (٦/٢٧٣-٢٧٤).

﴿عَلَيْكُمْ..﴾ استئنافيةً مقرّرة لمضمون ماقبلها، أي: سواء عليكم في عدم الإفادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنه، فإنه لايتغيّر حالكم في الحالين، كما لايتغير حالهم في حكم الجمادية[1].

ومن الاستئناف التقريري ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٥]، هذه الجملة استئناف لتقرير ما قبلها، كأنه قال: أولئك الذين لعنهم الله، أي: أبعدهم عنه، فجعلهم لا يسمعون النصيحة، ولا يبصرون طريقة الإسلام، فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن[2].

شواهد أخرى:

• قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

• وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١١٨].

• وقوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤]

• وقوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٩٩]

• وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤]

• وقوله تعالى: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٧].

---

(١) حاشية الصاوي: (٢/٤٨٠).

(٢) المرجع نفسه: (٥/٤٥٩).

• قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ [طه:١٢٧-١٢٨]، قوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ماقبله[١].

مسألة: قال السيوطي في شرح عقود الجمان:

جعل علماء البلاغة مجيء الجملة الاستئنافية مذكوراً فيها المسندُ إليه؛ لزيادة الإيضاح والتقرير، كقوله تعالى بعد ذكر المتقين وأوصافهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:٥].

* * *

التكرير من مظان الجملة الاستئنافية

يردُ التكريرُ لزيادة التنبيه على ماينفي التُّهمةَ؛ ليكمل تلقّي الكلام للسامع بالقبول وترسيخ الفهم لديه.

قال ابنُ الحاجب: "العرب تكرّر الشّيء مرّتين؛ لتستوعب تفصيل جميع جنسه، باعتبار المعنى الذي دلّ عليه اللفظ المذكور"[٢].

وقال الشهاب الخفاجي: "إنَّ التكرير المستَحسَن: هو كل تكريرٍ يقع على طريق التعظيم، أو التحقير في جُمَل متواليات، كلُّ جملة منها مستقلة بنفسها، والمستقبح: هو أن يكون التكرير في جملة واحدة، أو في جمل في معنى، ولم يكن فيه التعظيم والتحقير". وقال في بديع القرآن: "وقع

(١) روح المعاني: (١٦/٢٧٩).

(٢) شرح عقود الجمان:(٧٢-٧٣).

التكرار في الكلام الفصيح على أنواع: منها ما جاء للمدح، ومنها ما جاء للوعيد والتهديد، ومنها ما جاء للاستبعاد"[1].

وللتكرير نُكَتٌ واسعةٌ في كلام العرب؛ منها التوكيد للإنذار، كما في قوله ﷻ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ:٤-٥]، أو لغير الإنذار كقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:١٧-١٨].

ومنها زيادة التنبيه على ماينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول، نحو قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٠-٣٢]، كرَّر النداء فيه مرتين؛ لتلهفه وشفقته على أبناء قومه...

وانظر روعة الاستئناف المكرّر في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٣٨-٤١]، فتكرير النداء فيه زيادةُ تنبيه لهم، وإيقاظ عن سِنَة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته، وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه

(١) حاشية الشهاب:(٣٥٢/٢)، بديع القرآن (١٥١).

واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لايتهموه؛ فإنّ سرورهم سروره وغمّهم غمّه، وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرّر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه ﴿ياأبتِ﴾ [مريم:٤٢- ٤٣- ٤٤-٤٥].

هذا وقد جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؛ لأن النداء الثاني داخلٌ في كلام هو بيانٌ للمجمل وتفسير له، فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث فليس بتلك المثابة[(١)].

قال ابن رشيق:"للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل".

وقد يكون التكرار في الجمل أيضاً لأغراض عديدة منها التشوّق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب، أو على سبيل التنويه به والإشارة إلى الممدوح، أو على سبيل التقرير والتوبيخ، أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه أو على جهة الوعيد والتهديد، إن كان عِتاب موجع، كقول الأعشى ليزيد بن مسهر الشيباني:

أبـا ثابـت لاتعلقَنْـك رماحُنـا   أباثابت أقصِرْ وعِرضُك سـالم

وذرنا وقوماً إن هُمُ عمدوا لنـا   أبا ثابت!واقعد فإنك طاعمُ!!

جاءت البلاغة بتكرار جمل النداء؛ للوعيد والتهديد.

ومن التكرير ماجاء على جهة التفخيم كقول الشاعر:

إلى الأمير الحسن استجدتها   أيِّ مَـزَارٍ ومُنَـاخٍ ومَحَـلْ

أيّ مـزار ومُنَـاخ ومحـل   لخائفٍ ومستريش ذي أمل[(٢)]

---

(١) الكشّاف: (٣/٤٢٩).

(٢) العمدة: (٢/٧٣ـ ٧٧).

ومنها التلذذ بذكره، كقوله:

سقى الله نجداً والسلامُ على نجدٍ ويا حبذا نجدٌ على النأي والبعـد

هذا؛ وإنَّ من يتتبَّعُ أسلوبَ التكرار في لغة القرآن خاصةً يتضح أنه يشتمل على كثيرٍ من اللطائف والأسرار، التي تكسب الكلام حسناً وجمالاً، وتكسوه رونقاً وبهاءً، وتعين الأديب على إصابة الهدف وتحقيق الغرض. ومن هذه اللطائف والأسرار: التوكيد والتلذذ بذكر المكرّر، وإظهار التوجع والتحسر والتشويق والاستعذاب، والازدراء والتهكم والوعد والوعيد، وتذكّر ما قد بَعُدَ بسبب طول الكلام والتفخيم والتهويل، والتعظيم والاستغاثة.

والحقُّ الذي لا مراء فيه أنَّ التكرار في القرآن إنما كان لمعانٍ جزلةٍ، ومقاصد سنيّة، واشتمل على أسرار ورموز من أحاط بها فقد أُوتي من البلاغة مفاتيح الكنوز.

قال يحيى بن حمزة العلوي:"وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكرّرة، فإنها لم تتكرر إلاّ لمقصد عظيم في الرمز إلى ذلك المعنى الذي سيقت من أجله، فليحك الناظر قلبه في إدراك تلك اللطائف، وليجعلها منه على بال وخاطر ولا يتساهل في إحرازها، فليلمحها بمؤخر عينه، فإنها مشتملة على أسرار بلاغية، منها"[(١)]:

الحثُّ على العِظة والاعتبار والتأمل: كما في سورة الشعراء، فقد كرّرت الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٩-٦٨-١٠٤-١٢٢-١٤٠-١٥٩-١٧٥-١٩١] ثماني مرات، وكانت متمكّنة في موضعها في كلٍّ مكانٍ حلَّت فيه، وكما في سورة القمر، فقد كررت الآية الكريمة:

---

(١) انظر أسرار التكرار في لغة القرآن: (٥١-٥٣)، البرهان للزركشي: (٣/٨-١٠).

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧-٢٢-٣٢-٤٠]؛ للتنبيه إلى أن ما سيأتي بعدئذٍ مما عني القرآن بالحديث عنه، تذكرة وعظة، وهو لذلك جدير بالتأمل الهادئ و التدبّر والادّكار[١].

الحثُّ على المواظبة: كتكرير كلمة التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]، فإنَّ المقصود من تكريرها وجهان: أولهما: أن يكون العبد مواظباً على تكريرها طوال عمره، حتّى تترسخ في قلبه ويقينه، والثاني: كأنه قال تعالى: عبدي جعلت هذه الكلمة أول الآية وآخرها، فاجعلها أنت أيضاً أوّل عمرك وآخره حتى تفوزَ بالنّجاة والسلامة[٢].

التقرير: كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٣١-١٣٢]، كرَّر ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ تقريراً لما هو موجب تقواه؛ ليتقوه فيطيعوه ولايعصوه؛ لأنَّ الخشية والتقوى أصل الخير كله.

الإيحاء بالرهبة والخوف: كما في سورة المرسلات، فقد كررت تلك الجملة المنذرة، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:

---

(١) الكشاف: (٢/٤٠)، الطراز: (٢/١٧٨).

(٢) عجائب القرآن للرازي:(٥٢).

١١]، ومضمون السورة الحديث عن وقوع اليوم الآخر، ووصفه؛ لذا كرَّر هذا الإنذار عقب كل وصف له أو فعل، يقع فيه، أو عمل من الله يدل على قدرة، يحيي الله بها الناس بعد موتهم.

وفي هذا التكرار مايوحي بالرهبة، ويملأ القلب رعباً من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب(١).

زيادة الاستبعاد: كما في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون:٣٦]، قال أبو السعود: "تكرير لتأكيد البعد"(٢).

تثبيت المكرّر في النفس: كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦]، فإن الجملة الثانية جاءت مكرّرة؛ لتثبيتها، وتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، أو هي جملة مستأنفة عِدة بأن العسر مشفوع بيسرٍ آخر كثواب الآخرة(٣).

زيادة التنبيه على ماينفي التهمة والإيقاظ من سِنَة الغفلة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول: ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٨-٣٩]، كرّرَ نداءهم؛ إيقاظاً لهم عن سِنَة الغفلة، واعتناءً بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه(٤)..

---

(١) أسرار التكرار: (٥٦)، الطراز: (١٧٨/٢-١٧٩).

(٢) تفسير أبي السعود: (١٣٤/٦).

(٣) تفسير أبي السعود: (١٧٣/٩).

(٤) الكشاف: (٤٢٩/٣)، تفسير أبي السعود: (٢٧٧/٧).

ويبرز ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤١-٤٥]، فإنه صدَّر كل نصيحة منَ النصائح الأربع بقوله: ﴿**ياأبت**﴾؛ توسّلاً إليه واستعطافاً؛ كي ينبه ويستيقظَ ويفيقَ من غفلته(١).

هذه الشواهد تضيءُ جوانب الجملة الاستئنافية في مجال التقرير، وتبرزُ للقارئ فهماً أعمقَ للنصِّ الأدبيّ، لا يقتصر على فهم جملٍ يشترك في فهمها صغار الطَّلَبة وكبارهم؛ كالجملة الواقعة خبراً أو صفةً أو حالاً، أو الواقعة بعد الظرف، لذلك فإنَّ إبرازها بهذه الوجوه المختلفة يعتمدُ على المعنى الذي هو أساس فهم النحو العربيّ.

* * *

---

(١) الكشاف: (٢/٥١١).

الاستئناف للإطْنَاب

تمهيد :

ذكر الجاحظ أنَّ مدار كلام العرب على قُطبين هما: الإيجاز والإطناب، وقد عبَّر عن ذلك شاعرهم بقوله:

يرمون بالخُطَبِ الطوال وتارةً وَحْيَ المَلاحِظِ؛ خيفةَ الرُّقباءِ[1]

ومرادنا في الجملة الاستئنافية ما يتوسّع فيه خطباؤهم، ومجاله البلاغي الإطالة والإسهاب أو الإطناب.

قال ابن النقيب[2]:"إنَّ العرب جرت سنَّتُهم على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم، ومقاولاتهم، يقصدون بذلك إظهار قدرتهم على الكلام وتوسّعهم في النثر والنظم".

وقال ابن الأثير[3]:"أُتي بالإطالة والإطناب للمبالغة، والمبالغة تنقسم إلى أقسام.. والإطناب عند أبي هلال بمنزلة سلوك طريقٍ بعيدٍ نَزِهٍ، يحتوي على زيادة فائدة، وهو في الكلام إنما هو بيان، والبيان لايكون إلا بالاتساع، وأفضل الكلام أبينُه. وما ذُكِرَ في علم البلاغة من وجوه الإطناب؛ كالتكميل والتتميم والتذييل ونحوها ترد بجمل استئنافية لابدّ أن يدركها متذوّق الأدب العربي. وهذا تفصيلها:

(١) البيان والتبيين: (٢/٢٥١).

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب: (٢١٨).

(٣) الجامع الكبير: (١٤٨، ١٥١).

الاستئناف للتذييل

جاء في لسان العرب: الذَّيل: آخِرُ كلِّ شيءٍ، والتذييل مصدر ذيّل للمبالغة، وهي لغةً: جعل الشيء ذيلاً للآخر، ويقال: ذالت الجارية في مَشْيها، تَذِيلُ ذيلاً: إذا ماست، وجرَّت أذيالها على الأرض وتبخترت(١).

وجاء في تعبير البيانيين في مبحث الإطناب عبارةُ (التذييل): وهو يشمل مجيء جملةٍ آخر الكلام لغرضٍ معيّن، وجعلوا من معاني الاستئناف التذييل: وهو أن يؤتى بجملةٍ عقب جملة، والثانية تشتمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه؛ ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرَّر عند مَنْ فَهِمَهُ.

قال الزركشيّ: "التذييل اصطلاحاً أن يُؤتَى بعد تمام الكلام بكلامٍ مستقلّ، في معنى الأوّل؛ تحقيقاً لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لايفهم، ويكمل عند من فهمه"(٢).

ومن أبرز شواهد التذييل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ﴾ [سبأ:١٧] ثم قال عزَّ من قائل: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]، أي: هل يُجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور؛ فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدةً زائدةً(٣).

وأبرز ماتحققه الجملةُ الاستئنافية الواقعة تذييلاً أمران:

---

(١) لسان العرب:ذيل.

(٢) البرهان في علوم القرآن: (٣/٦٨).

(٣) المصدر نفسه: (٣/٦٨-٦٩).

أولهما: التأكيد والتحقيق، فهذه الجملة لا تزيد على المعنى الأول.
والثاني: أنها تخرجُ مخرج المثل السائر لتحقّق ما قبلها.

مثال ماجاء محققاً القسمين معاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١١١]، ففي الآية الكريمة تذييلان: أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ فإنَّ الكلامَ قد تمَّ قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة؛ ليحقق بها ماقبلها. والآخر: قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فأُخرِجَ هذا مُخرج المثل السائر؛ ليحقق ماتقدّم، وهو تذييل ثانٍ للتذييل الأول[1].

ونجدُ مثل ذلك إذا تعمّقنا في فهمنا وتدبّرنا للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣].

ومن روائع الاستئناف التذييلي في الحديث النبوي الشريف قول النبي ﷺ: «من همّ بحسنةٍ ولم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كُتبت عليه سيئة واحدة، ولايَهْلِكُ على الله تعالى إلا هالك»[2]. فقوله: (ولايهلك على الله إلا هالك) تذييل في غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل.

---

(١) انظر مقدمة تفسير ابن النقيب: (٢٤٨-٢٤٩).

(٢) الدر المنثور: (٣/٦٤)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: إذا همَّ العبدُ بحسنة.

وفي الحديث: «لو كان لابن آدمَ واديانِ من مالٍ لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلاّ الترابُ، ويتوب الله على من تاب». قال الطِّيبي: "وقع قولُه: (**ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلاّ الترابُ**)، موقع التذييل والتقرير للكلام السابق، كأنه قيل: ولايشبع مَنْ خُلِقَ من التراب إلا بالتراب"(١).

ومن بلاغة التذييل ما نجده في خواتم آي القرآن، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]، إذ جاءت الجملة الاسمية (وهو على كل شيء قدير) تذييلاً لما قبلها، قصد بها إفادة أنّ قدرتَه ـ تعالى ـ ليست قاصرةً على تغيير الأحوال، بل عامّةُ التعلّق بها، إيجاد الأعيان المتصرّف فيها، وتغييرها من حال إلى حال(٢).

والمتتبّع لخواتم الآي يجدُ أنَّ أغلبها جاء تذييلاً لمعنى كلام سابق، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٨]، جاءت جملة ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تذييلاً ووعداً من كريم بأنه ـ تعالى ـ يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب(٣).

ولايخفى قوة التذييل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، فجملة ﴿إن الله مع الصابرين﴾ استئناف، تذييل لما قبله(٤).

---

(١) عمدة القاري للعيني: (٤٦/٢٣).

(٢) حاشية الصاوي: (٢٠٧/٦).

(٣) المرجع نفسه: (٢٨٦/٤-٢٨٧).

(٤) حاشية الشهاب: (٢٥٨/٢).

ومن أحسن جمل التذييل عند البلاغيين قول الحطيئة[1]:

نزور فتىً يعطي على المدح ماله ... ومن يُعطِ أثمان المحامد يحمَدِ

جاءت جملة (ومن يعط أثمان المحامد يحمد) عقيب جملة المدح الأولى، وقد اشتملت على معناها، فإنَّ المعنى قد تم في الشطر الأول، ثم جاء المعنى الآخر تذييلاً للتوكيد، ذلك أنَّ التذييل ها هنا مستقل بمعناه، لايتوقف فهمه على فهم ماقبله، ويقال له: إنه جار مجرى المثل، يوضحه قول الشاعر:

ولسْـتَ بمسـتَبْقٍ أخـاً لاتلمُّـه ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجال المُهَذَّبُ؟

جملة (أي الرجال المهذب) جملة استئنافية، جاءت تذييلاً لمعنى الكلام الأول[2]، والمعنى: أي الرجال يكون مبرَّأً من العيوب، فإن قطَعتَ إخوانك بذنب لم يبق لك أخ، و (تلمُّه): تصلحه، وتصلح ما تشعث من أمره وفسد.

قال البغدادي: "وهذا البيت استشهد به علماء البيان للتذييل، وهو تعقيب الكلام بجملة تشتمل على معناه للتوكيد"[3].

وقال الشاعر:

كذاكَ أُدِّبْتُ حتى صار من خُلُقي ... إنّي وَجَدْتُ مَلاكُ الشّيمةِ الأَدبُ

جملة (إني وجدتُ ملاكُ الشيمة الأدب) استئنافية، تذييل للمعنى البليغ من الأدب الذي يريده الشاعر، أرسل هذه الجملة مثلاً.

---

(١) ديوان الحطيئة: (٨٠).

(٢) نقد الشعر: (٧٩)، مقدمة تفسير ابن النقيب: (٢٥٠).

(٣) خزانة الأدب: (٤/١٣٨-١٣٩).

والأدب الذي تعرفه العرب: هو ما يحسن من الأخلاق، وفِعل المكارم، مثل: ترك السَّفَهِ، وبذل المجهود، وحسن اللقاء.

وقال آخر:

إذا المرء أسرى ليلَهُ خالَ أنَّه ... قضى عملاً والمرءُ ماعاش عامل

جملة (والمرءُ ماعاش عامل) استئنافية، جاءت كالمثل السائر.

وقال الشاعر:

قسمْتُ الدهرَ في زمنٍ رَخِيّ ... كَذاكَ الحكم يُقصد أو يجور

جملة (كذاك الحكم..) استئناف، خرج مخرج المثل السائر والحكمة...

وحكيَ أنَّ ابن أبي ربيعة جلس إلى ابن عباس ﷺ فابتدأ ينشده:

تشُطُّ غداً دارُ جيراننا

فقال ابن عباس:

ولَلدَّار بعدَ غدٍ أبعدُ

فقال له عمر: هكذا صنعت، فأنت ترى كيف طبّق المَفْصل، وأصاب شاكلة الرويّ، لما كان المعنى يقتضي زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم. فجاءت الجملة الاستئنافية تذييلاً وتكميلاً في غاية الحسن والدقة، أضيف إليهما التسهيم الذي أبدعه ابن عباس... والتسهيم عند النقاد: تسمية مأخوذة من تسهيم البرود، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدُها ما يكون بعده[1].

---

(١) العمدة: (٢/٣٢-٣٤).

ومن يتأمل حال الاستئناف في كل تركيب من هذه التراكيب، لابُدَّ أن يرى الربط المعنوي الدقيق بين أول الكلام وبين الاستئناف الذي يكسب الكلام مزيّةً وفضلاً، ويرتفع به إلى تذوق أسرار جملة الاستئناف، من الكلام الفاخر، والنمط العالي الشريف الذي لانجده إلا في بلاغة القرآن الكريم وفصاحة النبي ﷺ، وندرك لطائفه في شعر الفحول، ثم المطبوعين الذي يلهمون القول إلهاماً.

ويصْدقُ ماقاله ابنُ أبي الحديد وهو يبيّن درجات الفصاحة، والرشاقة للكلام العربي، وسموّ بلاغته: "وأمَّا الكلام فلا يدرك إلا بالذّوق، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق، وممن لا يَصْلُحُ لانتقاد الكلام، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان، و راضوا أنفسهم بالرسائل والخُطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك درايةٌ وملكة تامة"[١].

* * *

الاستئناف للإيغال

الإيغال في اللغة: الإمعانُ في التعمّقِ والمبالغة في الابتعاد، يقال: أوغلَ في البلاد: إذا ذهب فيها وبالغ وأبعد، وأوغل في السير: إذا أسرع فيه وابتعد[٢].

قال صفيّ الدين الحلّيّ: "الإيغال مأخوذ من إيغال السير، وهو الإسراع وقطع منتهى الأرض، وذلك أنّ الشاعر إذا استكمل بيته بتمامه

---

(١) انظر الإتقان: (٢/١٨١).

(٢) لسان العرب: وغل.

أتى بقافية تفيد معنىً زائداً على معنى البيت.. وكأنه أوغل في الفكر حتى استخرجها"[1].

ومبحث الإيغال مبحث بلاغي، ترد جملته استئنافية في بعض المظاهر، ولها توجيه عند المفسرين، فهي تذكر في مجال الفاصلة القرآنية، وكيف ترتبط هذه الجملة بما يدل عليه الكلام.

وتعريف الإيغالِ عند البلاغيين: هو إضافة جملة أو مفردٍ آخر الكلام بعد انتهاء المقصود منه لفائدةٍ ما.

قال الزركشي: "من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء بما يشاكله، فلابدّ أن تكون مناسبةً للمعنى المذكور أولاً... وفواصل القرآن العظيم لاتخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل لِلَّبِيبِ.

وهي منحصرة في أربعة أشياء: التمكين، والتوشيح، والإيغال، والتصدير"[2].

وقال عن الإيغال:"إن أفادت الفاصلة معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سمّي إيغالاً"[3].

والإيغال من أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، وسمّي به؛ لأنَّ المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادةٍ على الحدّ..

والشواهد على هذه الجملة تحتاج إلى دراسة واعية، ترصد دورها وارتباطها بما سبقها منَ المعاني والأفكار منَ النواحي البلاغية والنقدية.

---

(١) شرح الكافية البديعية: (١٥٦).

(٢) البرهان: (١/ ٧٨).

(٣) البرهان: (١/ ٧٩).

ومن أبرز شواهد هذه الجملة قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، فإنّ الكلام تمّ بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾، ثم احتاج إلى تناسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنىً زائداً.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠]، فإن المعنى قد تمّ بقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة، فقال: إذا ولّوا مدبرين[1].

وأما الدّور النقديّ الذي يبرزه علماء النقد لأهمية الجملة الاستئنافية الواقعة إيغالاً فيتمثّل بما ذكره الأصمعي حين سُئِل: مَنْ أشعر الناسِ؟ فقال: الأعشى إذ يقول:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليفلِقَها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوَعِلُ

تمّ الكلام بـ (يضرها)، فلما احتاج إلى القافية قال: (وأوهى قرنه الوعل)، فزاد معنى.

قال السائل: وكيف صار الوعل مفضّلاً على كل ماينطح؟

قال: لأنه ينحط من قُلّه الجبل على قرينه فلا يضرُّه[2].

ومن أبرز شواهد البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢٠-٢١]، لقد تمّ المعنى المقصود ببيان أنهم مرسلون

(١) البرهان: (١/٩٦).

(٢) انظر البلاغة العربية: (٢/٧٦-٧٧).

يدعون إلى الحق، ولايسألون الناس أجراً، فليس لهم مصلحة لدى من يدعونهم إلى دين الله. وبعد ذلك جاءت جملة (وهم مهتدون) إيغالاً، فكون هؤلاء المرسلين مهتدين، أي: يسلكون في أعمالهم وأخلاقهم وكل تصرّفاتهم سبيل الهداية، دليلٌ على صدقهم، وهذا يدعو إلى اتّباعهم، وعدم رفض دعوتهم.

* * *

التَّتْميم والتَّكميل والاحتراس

لِلتَّتميم والتكميل تعريفات لغوية وبلاغية دقيقة لطيفة متقاربة، لها دور في توجيه الجملة الاستئنافية.

قال الزركشيّ: "**التَّتْميم**: وهو أن يتمَّ الكلامُ، فيلحق به ما يكمّله؛ إمّا مبالغة، أو احترازاً، أو احتياطاً، وقيل: هو أن يأخذ في معنى فيذكره غير مشروح، وربما كان السامع لايتأمله ليعود المتكلم إليه شارحاً"[(١)].

وقال صفيّ الدين الحلّيّ: "**التّتميم**: عبارة عن الإتيان في النظم أو النثر بكلمةٍ أو جملةٍ إذا زيدت في الكلام التام أفادته حسناً متمّماً لحسنه"[(٢)].

والتكميل: عبارة عن إتيان المتكلم أو الشاعر بمعنى تامٍ من وصفٍ أو مدحٍ أو ذمٍّ، أو غير ذلك.. ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك فقط غيرَ كامل، فيأتي بمعنى آخر في غير ذلك الفصل الذي وصف به أولاً"[(٣)].

---

(١) البرهان: (٣/ ٧٠).

(٢) شرح الكافية البديعية: (١١٩).

(٣) المصدر نفسه: (١٤٢).

والفرق بينهما من وجهين:

أحدهما: أنَّ التتميمَ يكون متمماً للنقص، فيجعل الناقص كاملاً، والتكميل يجعل التام كاملاً.

والثاني: أنَّ التتميمَ يكون متمماً لمعاني النفس، لا لأغراض الشعر ومقاصده، والتكميل يكمِّلُهما معاً.

قال ابن رشيق:"معنى التتميم أن يحاولَ الشاعرُ معنى، فلا يدع شيئاً يتمّ به حسنه إلاّ أورده وأتى به؛ إما مبالغة وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير"[1].

ولعلَّ مقاربةَ الأغراض التي يؤديها التكميل والتتميم جعلت المتقدمين يعقدون لها فصلاً واحداً دون تفريق. فقد عرَّف أبو هلال العسكري هذه الأغراض تعريفاً سهل المأخذ، فقال:"هو أن توفّي المعنى حظّه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لاتغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلاّ تذكره". وتيسيراً على الباحث نقول: توجيهُ أرباب البلاغة جهودهم نحو تذوّق النص واستجلاء جانب الحسن والتميّز فيه هو الأهمُّ، وإن افترقت تلك المصطلحات، وليس من بأس على طالب البلاغة ـ بعد ذلك ـ أن يعرف هل هذا من قبيل التتميم أو التكميل أو الاحتراس، لكنَّ دقة البحث وسموّ النظر في بلاغة الجملة الاستئنافية واستجلاء محاسنها دعت إلى هذا التفريق والتفصيل[2].

يرد التتميم من خلال الجملة الاسمية، كقول عنترة العبسي:

أثـني علـيّ كمـا علمـت فـإنني ... سَـمْحٌ مخـالفتي إذا لم أُظْلَـمِ

(١) العمدة: (٢/٥٠).

(٢) انظر مقدمة تفسير ابن النقيب ص(١٨٢) حاشية:٥.

قوله (إذا لم أظلم) جملة استئنافية، تتميم حسن لمعنى الكلام. ومنه قول سراقة البارقي يهجو رهط جرير:

صغار مقاريهم عظام جعورهم بطاء عن الدّاعي إذا لم يكن أكْلا

كأنه قال: إذا لم يكن المدعو إليه أكلاً.

ومن شواهد التّتميم مانلحظه في قوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]، جاءت جملة (وأنت خير الرازقين) تتميماً لما قبلها، على وجه الاستدلال، كأنه ـ عليه السلام ـ قال: وارزقنا؛ لأنك خير الرازقين.

ومن الاستئناف لتكميل المعنى قوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر:٥٩-٦٠]، جملة (قدّرنا إنها لمن الغابرين) جاءت استئنافية، مكمّلة لمعنى الاستثناء بـ (إلا امرأته).

أمّا الاحتراس: فهو يقرب من تتميم المعاني وتكميلها ويزيدها دقةً وإحكاماً، فمن تعريفاته ما ذكره ابن المعتز وهو من المتقدمين، قال: "**الاحتراس**: وهو أن يأتِيَ المتكلم بمعنى يتوجه عليه دَخَلٌ، فيفطُنُ له، فيأتي بما يخلّصه من ذلك، وقال ابن أبي الأصْبع: والفرق بين الثلاثة أنّ المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل زيادة يكمل بها حسنه، إمّا بفنٍّ زائدٍ، أو بمعنى، والتتميم: يأتي ليتم نقص المعنى، والاحتراس لاحتمالِ دخلٍ على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً"(١).

وقال الزركشيّ: "الاحتراس: وهو أن يكون الكلام محتملاً لشيءٍ بعيد، فيؤتَى بما يدفع ذلك"(٢). ومظاهره عديدة: يرد بالصفة، وبالجار والمجرور، وبالحال، وبالجملة الاستئنافية.

---

(١) الخزانة: (٣/٤٤٧).

(٢) البرهان: (٣/٦٤).

وفُسِّرَ الاحتراس: بأن يؤتى بمدح أو غيره بكلامٍ للانتقاد فيه مجال، فيحترس من ذلك بكلامٍ آخر، وشاهده قول الخنساء في صخر:

ولـولا كثـرةُ البـاكين حـولي … علـى إخـوانهم لقتلْـتُ نفسـي

كأنها فطَنَتْ أن يُقال لها: ساويتِ أخاك بالهالكين، فاحترست بجملة استئنافية:

ومـا يبكـون مثـل أخـي ولكـنْ … أُعـزّي الـنّفسَ عنـه بالتأسّـي[1]

ولاشك أنَّ الوضوحَ والبيان هما غاية المتكلم البليغ، وماوجدنا مصطلح الإعراب في اللغة العربية إلا بمعنى: البيان والتوضيح، وقد ذكر علماء البلاغة: أنَّ بعض الجمل ترد تكميلاً للمعنى السابق في الكلام، أو احتراساً عن إيهام معنىً غيرِ مقصود، فجاءت جملة استئنافية اسمها التكميل والاحتراس.

والمتكلّم البليغ هو الذي يحتاط في بيانه، حتى يلقي الكلام على سامعيه في غاية التمكّن. من هنا جاء تعريف الاحتراس، قال السيوطي: "وهو أن يُؤتى في كلامٍ يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، نحو قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، فجملة ﴿**والله يعلم**..﴾ استئنافية، احتراس؛ لئلا يتوهم أنَّ التكذيبَ مما في نفس الأمر[2].

وقال قيس بن عاصم:

وإني لعبد الضـيف مـادام ثاويـاً … ومالي خلال غيرُها شـيمةُ العبـد

---

(١) شرح عقود الجمان: (٧٥).

(٢) شرح عقود الجمان: (٧٦).

جملة (مالي خلال) استئنافية للاحتراس، كقوله ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وأعجبُ احتراسٍ وقع في القرآن بالجملة الاستئنافية قوله تعالى مخاطباً لنبيه عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤]، وقال حكاية عن موسى:﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢]، فلما نفى سبحانه عن رسوله أن يكون بالمكان الذي قضى لموسى فيه الأمر عرَّف المكان بالغربيّ، ولم يقل في هذا الموضع (الأيمن) كما قال:﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم:٥٢]؛ أدباً مع النبي ﷺ أن ينفيَ عن كونه بالجانب الأيمن، أو يسلبَ عنه لفظاً مشتقاً من اليمن، أو مشاركاً لمادّته[1].

* * *

التّرديد

ترد الجملة الاستئنافية مقصودُها ردُّ الكلام السابق، وترد بصورة الجملة المكرَّرة في الظاهر، من أجل ذلك فرَّق السيوطي بدقّةٍ بينهما، وأبدع مصطلح الترديد ـ وهو من زياداته ـ على أنواع خاصة من التكرير. وعرّفه بأن يعلِّق الجملة الاستئنافية المكرَّرة ثانياً بغير ماتعلّقت به الأولى. ومن أبرز شواهد هذه الجملة قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(١) البرهان: (٣/٦٦).

[الرحمن:١٣]، فإنها ـ وإن تعدّدت ـ فكل واحدة تتعلّق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كانت عائدةً لواحدٍ لم تُزَدْ، كما هو شأن التوكيد، كما ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره، وإن كان بعضها ليس بنعمة، فذكر النقمة للتحذير نعمة، وقد سُئل: أيُّ نعمة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]؟ وأجيب بأجوبة أحسنها: النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وراحة المؤمن من الفاجر[١]...

* * *

الْـهَـدْم

وهو أن يأتِيَ الغير بكلامٍ يتضمن معنىً، فتأتي بضده، فإنك قد هدمت ما بناه المتكلم الأوّل. ويرد هذا الهدم من خلال جملة استئنافية مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، هدمه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

ومنه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، هدمه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي: في دعواهم[٢].

* * *

---

(١) شرح عقود الجمان: (٧٣). وانظر كتاب نبذ من مقاصد الكتاب العزيز: (٧٨)، الإتقان (٦٨/٢).

(٢) البرهان في علوم القرآن: (٤١٢/٣).

الاستئناف للتَّتْبيع

التَّتْبيعُ عند علماء النقد نوع من الإشارة، وقوم يسمّونه التجاوز، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزُه، ويذكرُ مايتبعُه في الصّفة وينوب عنه في الدلالة عليه.

ومن أمثلة ذلك قول النابغة وأراد أن يصِفَ طول العنق وتمام الخِلقة فذكر القُرط إذ كان مما يتبع وصف العُنقِ، ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ من الشعراء:

إذا ارتعشَتْ خاف الجبانُ رُعاثَها ... ومـن يتعلّـق حيـثُ عُلِّـق يفـرَقِ

فجعل رُعاثَها، وهو ماتلبسه من القُرْط، يخافُ ويَفرَقُ، وعذره ببعد مسقطه، فجملة (ومن يتعلّق حيث عُلّق يفرق) استئناف للتتبيع. وقد تناول عمر بن أبي ربيعة هذا المعنى، فأوضحه بقوله:

بعيدةُ مهوى القُرط، إما لنوفلٍ ... أبوها، وإمّا عبدِ شمس وهاشـمِ

ومن أبرز شواهد الاستئناف للتتبيع قول ابن مقبل:

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا ... لانستجيرُ، ومن يحلل بنا يُجَرِ

جملة (لم تبرح ظعائننا)، وجملة (لا نستجير)، وجملة (ومن يحلل بنا يجر) جمل استئناف للتتبيع وزيادة المعنى[1].

* * *

---

(١) العمدة: (١/٣١٢-٣١٤).

الاستئناف للتغاير

التغاير: أن يتضادّ المذهبان في المعنى حتى يتقاوما، ثم يصحّا جميعاً، وذلك من افتنان الشعراء وتصرّفهم وغوص أفكارهم.

تناول هذا الفنّ عددٌ من البلاغيين؛ كالجرجاني والنويري والعسكري وأبدوا تعريفات عدة له. فقد عرَّفه النويري في نهاية الأَرَب فقال:"هو أن يغاير المتكلّم الناسَ فيما عادتهم أن يمدحوه فيذمَّه، أو يذمُّوه فيمدحه". وسمَّاه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين: (التلطف) وعرَّفه قائلاً: "هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجّنه، وللمعنى الهجين حتى تحسنه"[1].

من ذلك قول بعض العرب المتقدّمين يذكر قوماً بأنهم لايأخذون إلاّ بالقَودَ دون الدِّية:

لايشـــربون دمـــاءَهم بـــأكفِّهمْ ... إنَّ الـــدماءَ الشَّـــافيات تُكـــالُ

ومنه قول بشار:

وليس يعطيـك للرجـاء ولِلخـو ... ف، ولكـن يَلَـذُّ طعـمَ العطـاءِ

جاءت جملة الاستدراك للمغايرة، وهي جملة استئنافية، وقال البحتري في نحو ذلك:

لايتعـــبُ النائـل المبـذول همتـه ... وكيف يُتعبُ عـينَ النـاظرِ النظـرُ

جملة (وكيف يتعب عينَ الناظر النظرُ) استئنافية للتغاير.

ومن مليح التغاير قول أبي الشِّيص:

أجـدُ الملامـةَ في هـواك لذيـذةً ... حبـاً لـذكرك، فلـيلمني اللُّـوَّمُ

---

(١) انظر المعجم المفصَّل في علوم البلاغة: (٣٩٦).

وقول أبي الطيب في عكسه:

أأحبه وأحبّ فيه ملامةً؟ إنَّ الملامةَ فيه من أعدائه

ومنه قول أبي العلاء المعرّي:

لم يبق غيرُ العذل من أسبابهم فأحَبُّ من يدنو إليَّ عذولُ

يغدو فلا مستخبرٌ عن حالهم غيري، ولا مستخبَرٌ مسؤول

جملة (فأحبّ من يدنو إليَّ عذول) استئنافية، جاءت عند نقاد الشعر للتغاير[1].

* * *

الجملة الاستئنافية الموطّئة

ترد عند المعربين مصطلحاتُ: الخبرُ المُوَطِّئ، والحالُ الموطّئةُ، والمفعولُ المُوَطِّئ، وقد تخفى هذه المصطلحات على كثيرٍ من الدارسين، بَلْهَ المتعلّمين والمبتدئين، وتَعيينُ هذا الإعراب للمبتدي أمرٌ مهمٌّ عند محقّقي المعربين؛ كابن هشام وابن مالك وأبي حيّان؛ للظّفر بالمعنى المقصود من الكلام.

قال ابنُ هشام في الباب السابع من كتاب مغني اللبيب، وقد خصّصه للحديث عن كيفيّة الإعراب: «وإن كان الخبرُ مثلاً غير مقصودٍ لذاته قيل: خبرٌ مُوطّئ؛ ليُعْلَمَ أنَّ المقصود ما بعده كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، وقوله:

(١) انظر العمدة: (٢/١٠٣-١٠٤).

كفى بجسمي نُحُولاً أنّني رَجُلٌ ... لولا مُخَاطَبَتي إيَّاكَ لم تَرَني[1]

ولهذا أعيدَ الضمير بعد (قوم) و(رجل) إلى ما قبلهما، لا إليهما، ومثله الحال الموطئة في نحو: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢][2].

وكذا نجد المفعولَ الموطِّئ في قول الشاعر:

فقلتُ: أَجِرْني أبا خَالِدٍ ... وَإلاَّ فهبْني امْرأً هالِكَا[3]

فكلٌّ من (قوم، قرآناً، امرأً) وردت توطئةً وتمهيداً للصفة بعدها، التي هي مقصود الكلام.

ومن براعة النَّظم القرآني مجيء الجملة الاستئنافية تمهيداً، وتوطئةً لغرضٍ مهم بعدها فيه اهتمام وعناية. نجد ذلك في أول سورة النمل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] هذه الآية بساط وتوطئة وتمهيد[4] لما يريد أن يسوقه البيان القرآني من الأقاصيص، وما في ذلك من لطائف حكمة الباري ودقائق علمه، فمهَّدَت لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٢-١٣٣] وردت هذه الجملة بعد جملة مماثلة مستأنفة هناك

---

(١) البيت للمتنبي، «شرح ديوان المتنبي» (٢/ ٤٣٤).

(٢) «مغني اللبيب» (٨٧٥).

(٣) «شرح ابن عقيل» (١/ ١٥٨)، «مغني اللبيب» (٧٧٥).

(٤) انظر «تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٧٣)، «الكشَّاف» (٣/ ١٣٦).

منبهة على كمال سعته وعظم قدرته. وجاءت هنا (ولله ما في السماوات وما في الأرض) استئنافاً مسوقاً للمخاطبين توطئةً لما بعدها من الشرطية، غير داخلة تحت القول المحكي، أي: له سبحانه ما فيهما من الخلائق خَلْقاً وملكاً، يتصرّف فيهم كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة[1]...

فلله دَرُّ هذا الاستئناف وما فيه من ترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر!

❊ ❊ ❊

الـدُّعَـاء

الدعاء: هو الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال، وهو نوعان: دعاء بالخير، نحو: (غفر الله لك)، ودعاء بالشر، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ونحوهما...

يُدرس أسلوب الدعاء في مجال الجمل الإنشائية، وقد يرد في سياق الكلام من خلال الجملة الاستئنافية، ولها مظاهر عديدة من شواهد ذلك: الجملة المنقطعة عما قبلها، نحو: (مات فلان، رحمه الله)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧]. جملة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ استئنافية، دعاء عليهم بالخذلان، وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح[2].

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٢/٢٤١).

(٢) «الإنصاف» لابن المنير (٢/٢٢٣)، «الكشاف» (٢/٢٢٣)، «حاشية الصاوي» (٣/١٣٣).

وقال المبرّد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] إنَّ جملة ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ جملة دعائية، وردَّه الفارسيّ بأنَّهُ لايدعو عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قومهم، ولك أن تجيب: بأنَّ المراد الدّعاءُ عليهم؛ بأن يسلبوا أهلية القتال، حتى لايستطيعوا أن يقاتلوا أحداً البتة، وهو توجيه ابن هشام[1].

فالجملة إنشائية دعائية، استئنافية لامحل لها... وفي الآية وجوه ستة أخر فصَّلها المعربون بدقة[2].

وثمة جمل تدور في معنى الدعاء، وهي استئنافية، من شواهدها قوله تعالى:

أ- ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥] أي: اغفر غفرانك المعهود..

ب- ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ [هود: ٦٠] بعداً: مصدر بمعنى الدعاء، كأنه قيل: أبعدهم الله بُعداً، ومعناه: الدعاء بالهلاك.

جـ- ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١] انتصب (بعداً) بفعل متروك إظهاره، أي: بَعِدوا بُعداً.

د- ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١] سحقاً: انتصب بفعل محذوف، أي: سحقهم الله سحقاً..

هـ- ومن مجيء الاستئناف للدعاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ...﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) انظر «إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب» (١٠٥)، «الجامع لإعراب جمل القرآن» (١٤٣-١٤٤).

(٢) «الدر المصون» (٤/ ٦٤-٦٧).

و-وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [المائدة: ٦٤].

فهاتان الجملتان دعاء عليهم، والجمل فيها للاستئناف لا محل لها من الإعراب.

ز- ومن الدعاء بالخير ما جاء في التنزيل قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

ح- وعكسه: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] دعاء عليه بالخذلان... وتركيب الأسلوب هاهنا من (لا) الدعائية، وقد دخلت على الماضي.

ط- ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] دعاء عليهم، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] وأصله: الدعاء بالقتل والهلاك عليه، ثم جرى مجرى: لُعن وقُبّح[(١)].

ي- ومثله قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك[(٢)].

وترد الجملة الاستئنافية جواباً للنداء، وتفيد معنى الدعاء كقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٥٠] [الأعراف: ١٢٦]، ونحو ذلك من أدعية القرآن، وقد ذكرتها بقسم خاص قبلُ.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧]. جاءت جملة ﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ جواب النداء، أفادت الدعاء.

---

(١) «الكشاف» (٤/ ١٥).

(٢) «الكشاف» (٤/ ١١).

ومن ورودها في الشعر: قول أبي طالب يخاطب النبي ﷺ:

محمَّدُ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ماخِفْتَ من شيءٍ تَبَالا

جملة (تفد) استئنافية دعائية، وقبل الفعل لام الدعاء التي جزمت المضارع تفد.

ومن الاستئناف للدعاء قول الشريف الرّضي يخاطب الشيب:

أيها الصبح زُل ذميماً فما أظلم يومي من ذاك الظلام

جملة (زُل ذميماً) جاءت جواباً للنداء، وقد تضمَّن الدعاء على الشيب.

وقال الأعشى:

لن تزالوا كذالكم ثم لا زلتُ لكم خالداً خلودَ الجبال

جملة (لن تزالوا) استئنافية، أفادت الدعاء.. وقال آخر:

يا ربِّ لاَ تسْلُبَنّي حبَّها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا

(ويرحم) الواو استئنافية، ليست عاطفة، إذ لا يناسب عطف الخبر على الطلب، وجملة (يرحم الله) لا محل لها من الإعراب دعائية، وآمينا: اسم فعل دعاء بمعنى استجب.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٦].

وجاء في الحديث الشريف: «استغفروا للمغيرة بن شعبة غفر الله له»[1].

---

(١) «مسند أحمد» (٤/٣٦١).

ومن الدعاء أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

شواهد أخرى:

قال الشاعر:

سقتني على لوحٍ من الماء شربةً   سقاها به الله الرهام الغواديا[1]

وقد كَثُر في الشعر العربي الدعاء بالسقيا لأيام الشباب، وأيام السعادة والخير، والذكريات الجميلة في ربوع الطبيعة الجميلة، والأنس بالمحبوب.

وقال اليزيدي:

ملّكتـــه حبلـــي ولكنَّـــه   ألقـاه مـن زُهْـدٍ علـى غـاربي

وقـال: إني في الهـوى كـاذب   انـستقم الله مـــن الكـــاذب

جملة (انتقم الله..) استئنافية، فيها معنى الدعاء، وهي عند البلاغيين إنشائية معنىً، وإن كانت بلفظ الخبر، إذ لفظ الفعل الخالي عن لفظ الطلب خبر، ومثله: (مات فلان، رحمه الله)، أي: يرحمه الله تعالى، فهو إنشاء معنى فلا يصح عطفه على مات فلان؛ لأنه خبر لفظاً ومعنى.

وقال آخر:

قفــي قبــل التَّفــرُق ياضَــبَاعا   ولايــكُ موقــفٌ منــك الوَدَاعــا

جملة (ولايك موقف منك الوداعا) فيها توجيهان:

أحدهما: أنها جملة استئنافية دعائية، كأنه قال: لاجعلَ اللهُ موقفك هذا آخر الوداع.

(١) «البحر المحيط» (٨/٣٦٩)، «الدُّرّ» (١٠/٥٤٧)، «القرطبي» (١٩/٨١).

الثاني: أنها جملة معطوفة على جملة (قفي)، والمراد: الطلب والرغبة كأنه قال: لاتجعلي هذا الموقف آخر وداعي منك[(١)].

ومنه:

تـالله ربـك إنْ قتلـت لمسـلماً ... وجبَتْ عليـك عقوبـةُ المتعمّـد

جملة (وَجَبَتْ عليك عقوبةُ المتعمد) استئنافية، فيها معنى الدعاء. قال البغدادي: جملة (وجبت) استئناف بياني، كأنه قال: ماشأني في قتل مسلم؟[(٢)].

ومنه قول الشاعر:

ياصاحبيَّ فَدَتْ نفسي نفوسكما ... وحيثمـا كنتمـا لاقيتمـا رشـدا

جملة (فدت نفسي نفوسكما) يجوز أن تكون استئنافية دعائية، وهي جملة جواب النداء، أي: يكون المقصود بالنداء: هو الجملة[(٣)] الدعائية، ومنه:

فَدت نفسي ومـا ملكـت يمـيني ... فـوارسَ صَـدَّقوا فـيهم ظنـوني

جملة (فدت نفسي) جملة ابتدائية دعائية، ومنه:

ثـلاث كلَّهـنَّ قتلـت عمـداً ... فـأخـزى اللهُ رابعـةً تعـودُ

جملة (فأخزى الله رابعةً) استئناف دعاء، يقال: خزي الرجل خِزْياً من باب عَلِمَ: ذلّ وهان، وأخزاه الله: أذله وأهانه[(٤)].

---

(١) «الخزانة» (١/٣٩١).

(٢) «الخزانة» (٤/٣٤٨).

(٣) «الخزانة» (٣/٥٦٢).

(٤) «الخزانة» (١/١٧٨).

ومما يحتمل الدعاء والإخبار قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦].

الجملة الاسمية (عليهم دائرة السوء) استئناف، إما إخبار عن وقوعه بهم، أو دعاء عليهم...[١]

ومن طرائف الشعر العربي في مجال الدعاء قول الشاعر:

عدلوا فما ظلمت لهم دُوَلٌ ... سعدوا فما زالت لهم نعم

بذلوا فما شحّت لهم شيم ... رفعوا فما زالت لهم قَدَمُ

جرى هذا الكلام مجرى الدعاء لهم بخيرٍ، والطّرفةُ فيه أنه إذا قُلبت كلماته صار دعاءً عليهم[٢].

* * *

التنزيه

التنزيه: تسبيحُ اللهِ ـ عزَّ وجل ـ وإبعادُه عما يقول المشركون. قال الأزهري: تنزيه الله تبعيده وتقديسُه عن الأنداد والأشباه... ومنه الحديث في تفسير «سبحان الله»: هو تنزيهه، أي: إبعاده عن السوء وتقديسه.

وقد حَدَّدَ النّحويون أغراضَ الجملة الاعتراضية فذكروا من مقاصدها التنزيه، وشاهده قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] جملة (سبحانه) اعتراض فيه تنزيه وتقديس له عزّ وجل عن

(١) «حاشية الصاوي» (٥/٤٦٩).

(٢) انظر «شرح عقود الجمان» (١٥٤).

مضمون قولهم ذلك، أو تعجيب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظمة[1].

وقد وردت جملة التنزيه ـ بصيغ عديدة ـ ابتدائيةً واستئنافية وأفاض المفسرون في بيان معنى ذلك، فمن ورودها ابتدائية قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] ونحو ذلك.

أما ورودها استئنافيةً ففي كل موطن يراد منه ردّ مقالات المشركين والكافرين والمكذبين، يستأنف بجملة تنزيهية بصيغ متنوعة، منها: (سبحانه)، (تعالى)، ونحو ذلك.

من شواهد ذلك: قوله تعالى:

- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٣].

جملة (تعالى) تنزيه وتقديس لذاته، لاسيما بأفعاله التي من جملتها إبداع هذين المخلوقين.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. جملة (سبحانه وتعالى) استئناف تنزيه عن إشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة، أو عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاء عند الله، وأجازوا أن تكون الجملة اعتراضاً تذييلاً من جهته سبحانه[2].

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ١٢١)، «البرهان في علوم القرآن» (٣/٥٧).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٤/ ١٣٢).

- ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهذه الجملة الاستئنافية (سبحانه) للتنزيه، فما أبعد وما أعلى مَنْ هذه قدرته وعظمته من إشراكهم أو عما يشركون من الشركاء[1].

- ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

جملة (سبحان الله) استئناف، أي: تنزه بذاته تنزهاً خاصاً به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختيارَه اختيار[2].

- ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النمل: ٦٣].

جملتان متكاملتان: أولاهما: نفي لأن يكون معه إله آخر، والثانية: تنزيه وتقرير وتحقيق له[3].

- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

(سبحانه) جملة استئناف تنزيه وتقديس لذاته تعالى عن إشراكهم.

- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] إعجاز الآية في الجملة الاستئنافية، إذ أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها، ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له ـ تعالى ـ من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإنكار على مادلّ عليه البرهان والعيان، ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٧/٢٦٣).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٧/٢٣).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٦/٢٩٥).

- ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] جملة (سبحانك) استئناف تنزيه، والمعنى من سيدنا يونس: أنزهك تنزيهاً لائقاً بك من أن يعجزك شيء، أو أن يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي.

- ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ [النور: ١٦] جاءت جملة التنزيه استئنافية في سياق الحديث عن حادثة الإفك، وفيها تعجب ممن تفوه، وأصله: أن يُذكر عند معاينة العجيب من صنائعه ـ تعالى ـ تنزيهاً له سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجّب منه، أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيِّه فاجرة، فإن فجورها تنفير عنه ومُخِلٌّ بمقصود الزواج، فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ(١)﴾ [النور: ١٦].

- ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦].

جملة (سبحانه) استئناف، مقصوده التنزيه والتبرئة له تعالى عما قالوا...

ومثله قوله تعالى:

- ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١].

- ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

- قوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] جملة (سبحانه) استئناف مسوق؛ لتنزيهه

(١) «تفسير أبي السعود» (١٦٣/٧)، وانظر سورة يونس/ آية (١٨و٦٨)، [النحل:١]، [الإسراء: ٤٣]، [مريم: ٣٥]، [الأنبياء: ٢٦]، [الروم: ٤٠]، [الزمر: ٤و٦٧].

عزَّ وجل عما نسبوه إليه[1]..

- ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

جملة (فتعالى الله) تنزيه فيه معنى التعجب، والفاء لترتيبه على ما فصّل من أحكام قدرته ـ تعالى ـ وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك، الداعية إلى التوحيد[2].

ومما يدور في فَلَكِ الاستئناف التنزيهي استئناف الثناء، كقوله تعالى بعد الحديث عن ملكة بلقيس وعرشها العظيم..: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴾ [النمل:٢٦] فهذه الجملة استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم[3].

* * *

التعظيم

ترد الجملة الاستئنافية فيها معنى التهويل والتعظيم، وفحوى الكلام هو الدليل البارز على هذا المعنى. من شواهد هذه الجملة قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: ٢٦-٢٧]. الوقف على قوله سبحانه وتعالى: ﴿سقر﴾ كافٍ، والجملة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ استئنافية على التعظيم.

(١) «تفسير أبي السعود» (٣/١٦٨).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٣/٣٠٤).

(٣) «حاشية الصاوي» (٤/٣٩٤).

ومن الاستئناف للمبالغة والإعظام قول الشاعر:

ألا أصبحت أسماءُ جاذمةَ الحبل وضنَّت علينا والضنين منَ البُخْلِ[1]

الجملة الاسمية (والضنين من البخل) جملة استئنافية، ومعناها كقولك: (هي مخلوقة من البخل)، وفيه معنى: الإعظام والمبالغة.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]. استئناف، جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها[2]. وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ [الأعراف: ١٠١] فجاءت جملة مستأنفة، جاريةً مجرى الفذلكة مما قبلها، منبئة عن غاية غواية الأمم المذكورة.

ومما سمعناه من العلماء قول الشاعر يمدح امرأً نبيلاً:

هكـــذا هكـــذا وإلاّ فـــلا لا ليس كلُّ الرجال تُـدعى رجـالا

أي: هكذا فعل المروءة، والجملة استئنافية للتعظيم[3].

* * *

الـرّجـاء

الرجاء في اللغة: ظنٌّ يقتضي حصولَ ما فيه مَسرَّة، أو ترقُّبُ الانتفاع، بما تقدَّم له سَبَبٌ ما. وفي العرف: تعلّق القلب بحصول محبوبٍ مستقبلاً، وترتبط الأداة «عسى»، والأداة «لعلّ» بذلك غالباً.

جملة (عسى ولعلّ) مضمونهما الرجاء، وهما جملتا استئناف في غالب مواضعهما.

---

(١) «لسان العرب» (جذم)، «المحتسب» (٤٦/٢).

(٢) «روح المعاني» (١١٢/١٦).

(٣) أنشده الشيخ محمد كُرَيِّم راجح، شيخ قرّاء الديار الشامية بدمشق.

من شواهد ذلك:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢١]، وقوله سبحانه وتعالى حكايةً عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]. جاءت جملة ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ مفيدةً الرجاء.

من الترجي الواضح قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

فجملة «لعلكم ترحمون» استئناف ترجٍّ، وفي هذا الترجي إطماع من الكريم الرحيم[١].

شواهد أخرى:

قال الشاعر:

عسى الله يغني عن بلاد ابن قارب بمنهَمِرٍ جون الرباب سكُوبِ[٢]

جملة (عسى الله) استئنافية، تفيد الرَّجاء. ومثله شاهد النحويين المشهور:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ومن شواهد الاستئناف بـ(لعلّ) قول أبي فراس الحمداني:

لعلَّ خيالَ العامريّة زائرٌ فيُسعَدُ مهجور ويُسْعَد هاجرُ[٣]

(١) «حاشية الصاوي» (٥/٤٩٩).

(٢) البيت لهدبة بن الخشرم، ديوانه (٧٦).

(٣) «ديوان أبي فراس» (١١٧)، «تاج العروس» (٨/٢٢٠) (سند).

فائدة بديعة :

أورد صاحبُ (الفتوحات الإلهية) رأياً وجيهاً في إعراب جملة التّرجي من قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦] فقال ما نصُّه: جملة الترجي (لعلّهم يتفكرون) حال من ضمير المخاطَب، أو مفعولٌ له، أي: فاقصص القصص راجياً لتفكيرهم، أو رجاءً لتفكيرهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٥]، جاءت جملة الترجي (لعلكم ترحمون) إمّا حالاً من الواو في (اتقوا)، أو عِلّةً له، أي: راجين أن ترحموا، أو كي ترحموا. فأضاف جملة المفعول له...

فائدة:

ما ورد من الخطاب بـ (عسى) و(لعلّ) فإنها على بابها في التّرجي والتوقع، ولكنه راجع إلى المخاطبين، قال الخليل وسيبويه في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] اذهبا على رجائكما وطمعكما؛ لعله يتذكر عندكما، فأما الله ـ تعالى ـ فهو عالم بعاقبة أمره وما يؤول إليه؛ لأنه يعلم الشيء قبل أن يكون...[(٢)]

تنبيه:

كثيرٌ من المفسّرين فسَّروا (لعل وعسى) في القرآن باللّازم، وقالوا: إنَّ الطمع والرجاء لايصحُّ من الله، قال الراغب: وفي هذا مِنْهُم قصورُ

---

(١) «الفتوحات الإلهية» (٢/٢٠٩)، وانظر «دراسات لأسلوب القرآن» (ق٣ جـ٣) ص (١٨١-١٨٢).

(٢) الكتاب (١/٣٣١)، «البرهان في علوم القرآن» (٤/٥٧) و(٤/١٥٨-١٥٩).

نظر؛ وذاك أنَّ الله ـ تعالى ـ إذا ذكر ذلك يذكره؛ ليكون الإنسان منه راجياً، لا لأن يكون هو ـ تعالى ـ يرجو، فقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٩] أي: كونوا راجين في ذلك، وقوله: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ [المائدة: ٥٢] و: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾... [الطلاق: ٥]، و﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦](١).

* * *

الاستعطاف

الاستعطاف: تمييل قلوب المخاطَب. وقد يرد هذا الأسلوب في فحوى الكلام من خلال جملة استئنافية، ومن أبدع ما ورد منه قول كعب ابن زهير في بردته المشهورة:

أُنبئْتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمول

مهلاً هَداكَ الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف، والاستعطاف فيه من جهات:

أحدها: ما اشتمل عليه من طلب الرفق به، والأناة في أمره، بقوله: مهلاً.

والثاني: الدعاء في قوله: (هداك الذي)، فإنه خبر لفظاً ودعاء معنى.(٢)

ومنه قول الشاعر:

مَنْ مبلغٌ عني عُقَيلاً رسالةً ... فإنك مِنْ حَرْبٍ عليّ كريم

---

(١) «المفردات» (عسى) (٣٣٥).

(٢) «شرح بانت سعاد» لابن هشام (١٦٢)، «حاشية على شرح بانت سعاد» (٧٢٠-٧٢١).

جملة (إنك من حرب عليّ) جملة استئنافية، بنى الشاعر كلامه فيها على الاستعطاف، ثم أخذ في التقريع بقوله:

ألا تعلـمُ الأيـامُ إذ أنـت واحـد وإذ كـلُّ ذي قـربى إليـك مُلـيم

ومن أبرز شواهد الاستعطاف قوله تعالى عن آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] والشاهد الجملة الشرطية..

وحسبُك إمام المتقين حين سمع شعر القائلة[١]:

ماكانَ ضـرَّك لـو مَنَنْـتَ وربّمـا مَنَّ الفتى وهو المغـيظ المحنَـقُ

قال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لما قتلته، وقال الآخر:

ونحـن الكـاتبون وقـد أسـأنا فهْبنـا للكـرام الكاتبينـا[٢]

* * *

الجملة الاستئنافية للتلهف

التلهف على الشيء: الحزن والتحسّر.

ورد من هذا الاستئناف قول لقيط الإيادي متلهفاً:

يادارَ عَمْرَةَ مِنْ مُحتلّها الجَرَعَا هاجَتْ لِيَ الهمَّ والأحزان والوَجَعَا[٣]

---

(١) هي قُتيلة بنت النضر، وكان النبي ﷺ قتل أباها صبراً، مرجعه من بدر فقالت كلمةً مطلعها:

ياراكبـاً إنَّ الأثيـل مظنّـة مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وأنتَ موفّقُ

(٢) «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٣١٤).

(٣) البيت في «تاج العروس» (٢٠/ ٤٣٣) (جرع)، والجَرَع جمع جَرَعة، وهي الرملة التي لاتنبت شيئاً، وهي في هذا الشعر اسم مكان. وانظر «الأغاني» (٢٠/ ٢٣).

جملة (هاجت لي الهمّ) استئنافية، منقطعة عن جملة النداء، كأنه نادى الدار تلهفاً، ثم ترك خطابها، وقال: من احتلال عمرة (اسم المحبوبة) في الجرع هاجت لي الهمّ.

* * *

الاستئناف للردع

الردع: المنع، وقد يتضمن الإنكار والتوبيخ، قال الشاعر:

أهـلُ الأمانـة إنْ مـالوا ومسَّـهمُ طيفُ العدُوّ إذا ماذُكِّروا ارتدعوا[1]

وترد هذه الجملة في كلام العرب استئنافية تحقق هذا المعنى.

من شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] الظاهر أن الجملة الشرطية[2] مستأنفة، وجيء بها؛ للردع عن الإغلال. قال الإمام الصاوي: كلام مستأنف، قُصد به التحذير لغير المعصومين[3].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩] جملة ﴿إنا أعتدنا﴾ استئنافية، جيء بها للردع عن الكفر.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ

---

(١) «لسان العرب» (ردع).

(٢) «الكشاف» (١/٤٧٦)، «الدر لمصون» (٣/٤٦٨).

(٣) «حاشية الصاوي» (١/٣٩٥).

مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١-١٦].

الشاهد جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ جاءت بعد الردع، قطعاً لرجائه وطمعه، فهي استئناف تعليل للردع؛ كأنَّ قائلاً قال: لِمَ لايُزَاد..؟ فقيل: إنَّه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لايستحق المزيد[1].

وترد الجملة الاستئنافية للردع من خلال حرف الرّدع والزجر عند سيبويه (كَلاَّ)، من خلال السياق الذي يوجبه الردّع.

قال الصَفَّار: إنها تكون اسماً للرد؛ إما لردّ ماقبلها، وإما لرد مابعدها، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤] هي ردٌّ لما قبلها؛ لأنه لما قال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢] كان إخباراً بأنهم لايعلمون الآخرة ولايصدّقون بها، فقال: كلا سوف تعلمون، فلا يحسن الوقف عليها هنا إلا لتبيين مابعدها، ولو لم يُفْتَقَرْ لما بعدها جاز الوقف[2].

وقال ابن الحاجب: شرط الردع أن يتقدّم مايردّ بها مافي غرض المتكلم؛ سواء كان من كلام غير المتكلم على سبيل الحكاية أو الإنكار أو من كلام غيره. كقوله تعالى: ﴿كلا﴾ [القيامة: ١١] بعد قوله: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ١٠]. وكقولك: أنا أهين العالم! كلّا[3]...

* * *

---

(١) «الدر المصون» (١٠/٥٤٢).

(٢) انظر «البرهان في علوم القرآن» (٤/٣١٣).

(٣) المصدر نفسه.

التعجب

جاء في لسان العرب: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك؛ لقلّة اعتياده[1].

وأسلوب التعجب في اللغة العربية له صور عديدة، منها: جمل الاستئناف، كقولهم: لِله زيد! كأنه جاء به الله من أمر عجيب، وكذلك قولهم: لِلَّهِ درّه! أي: جاء الله بِدَرّه من أمر عجيبٍ لكثرته. قال الشاعر:

ولِلَّـــه صُــعْلُوكٌ يســـاور همّـــه ... ويمضي على الأحداث والدهر مُقْدِما!

جملة (لله صعلوك) استئنافية، تعجُّب ومدحٌ، يقال عند استغراب الشيء واستعظامه، أي: هو صنع الله ومختاره، إذ له القدرة على خلق مثله[2]. ومن صيغ التعجب الصريحة قول المتنبي:

وعذلتُ أهل العشق حـتى ذقتـه ... فعجبتُ كيف يموت من لايعشق؟!

وفي رحاب العربية والجمل الاستئنافيّة حُكِيَتْ ألفاظٌ من أبواب مختلفة مستعملة في حال التعجب، من ذلك:

- ما أنت من رجلٍ!
- سبحان الله!!
- لا إله إلا الله!
- ما رأيت كاليوم رجلاً، أي: ما رأيت مثلَ رجلٍ أراه اليوم رجلاً!
- وسبحان الله رجلاً، ومن رجلٍ!

---

(١) «لسان العرب» عجب.

(٢) «الخزانة» (١/ ٤٩٢).

- العظمة لله من ربّ!

- كفاك بزيدٍ رجلاً!

- لله درك من رجل، لله درك رجلاً!

- إنك من رجلٍ لَعَالم!

- ويل أمه رجلاً، ومن رجل!

- ياطيبك من ليلةٍ

- ياحسنه رجلاً، ومن رجل!

- يالك فارساً، يالكما، ياللمرء.

- كرمُ رجلاً زيد، شرف رجلاً زيد.

- ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ [الأعراف: ١٧٧].

- ياللعجب، وياللماء.

- ياللدواهي، أي تعالين، فإنه لايستنكر لَكُنَّ؛ لأنه من أحيانكن.

قال ابن السَّرّاج: حسبك بزيدٍ رجلاً، من رجلٍ، تعجب، والباء دخلت دليل التعجب، ولك أن تسقطها وترفع، وقال قوم: إن أكثر الكلام: أعجب لزيدٍ رجلاً، ومنه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١][1].

ومن شواهد سيبويه[2]:

وأيّ فتى هيجاء أنت وجارها إذا ما رجال بالرجال استقلّتِ؟!

ومن أساليب التعجب قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾

(١) انظر «الأصول لابن السراج» (١/١٠٩-١١٠).

(٢) «الكتاب» (١/٢٤٤).

[الطلاق: ١١]. بعد الحديث عن جزاء المؤمنين والنعيم المقيم لهم، جاءت جملة: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ فيها معنى التعجب والتعظيم؛ لما رزق المؤمن من الثواب[1].

وإذا نظرنا إلى أسلوب التعجب النحوي بصيغة: (ما أفعلَه)، و(أفعِلْ به) فإننا نطلق عليه جملةً استئنافية تعجبية، فالجملة في قولنا: (ماأطيبَ الربا) جملة تعجبيّة، متجردة لمحض الإنشاء، المقصود منه التعجب، ولا دلالة فيها على زمن، وفي الإعراب نقول: ما: تعجبيّة مبتدأ، (أطيب الربا): الجملة خبر.

وزاد الصرفيون في أساليب التعجب صيغة: فَعُل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. قال الزمخشري في بيان هذه الجملة: فيها معنى التعجب؛ كأنه قيل: وما أحسنَ أولئك رفيقاً![2]

وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. قيل معناه: التعجب، أي ماأضعف الطالب والمطلوب. وقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥].

الجملة فيها معنى التعجب، أي: ماأكبرَها كلمةً! ـ وهي قولهم: اتخذ الله ولداً ـ والجملة بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإنَّ كثيراً مما يوسوس به الشيطان في القلوب، ويحدّث به النفس لا يمكن أن يتفوه به، بل يُصرف عنه الفكر، فكيف بمثل هذا المنكر!!

---

(١) «الكشاف» (٤/ ٢٤).

(٢) «الكشاف» (١/ ٥٤٠).

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

الجملة من أساليب التعجب، أي: ماأكبرَه مقتاً..!

ومن أبرز شواهد الاستئناف للتعجب قول عباس بن مرداس:

ومــرَّةُ يحمــيهم إذا ماتبــدَّدوا ... ويطعنُهم شَزْراً فأبرحتَ فارسـاً!

جملة (فأبرحت فارساً) استئناف تعجبي، وفارساً: تمييز للنوع الذي أوجب له فيه المدح والتعجب[1].

وقد تكرَّر في الحديث: ألم تر إلى فلان، أولَمْ تر إلى كذا، وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، وعند تنبيه المخاطب، كقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣][2]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣]، أي: ألم تعجب لفعلهم، أو ألم ينته شأنهم إليك؟

ومن شواهد الاستئناف المساق للتعجب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣] تعجُّب من قلّة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب والحال أنَّ جهنم محيطة بهم يوم القيامة لامفرّ لهم منه؟![3]

ومن مظاهر الاستئناف للتعجب مجيئه بصيغة (أنّى)، كقوله تعالى: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

جملة (أنى يؤفكون) استفهام تعجب، والاستفهام راجع إلى الخلق؛ لأنَّ الله يستحيل عليه التعجب[4].

---

(١) «الكتاب» (٢/ ١٧٤)، «الأصمعيات» (٢٠٦).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٣/ ٢٥٣)، «معاني القرآن للفراء» (١/ ٤٥٥).

(٣) «حاشية الصاوي» (٤/ ٤٨٥).

(٤) «حاشية الصاوي» (٣/ ٦٧).

جملة الاستئناف للتوبيخ

ترد الجملة الاستئنافية مقصدها التوبيخ، ولها مظاهر متعدّدة تظهر بأسلوب النفي والشرط والنداء والقسم، ومضمون كلٍّ منها واضحٌ، أو خفيٌّ يحتاج إلى دِقة فهمٍ لمضمون الكلام:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]. قد يتبادر أن الجملة ﴿مَا سَبَقَكُم﴾ حالية لمجيء المعرفة قبلها، غير أنّ مضمون الكلام يغاير ارتباطها بما قبلها على الحالية، وإنما هي جملة مستأنفة، أنكر عليهم أولاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾، بطريق الإنكار التوبيخي التقريعي، ثم وبّخهم فقال: أنتم أول من عملها[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٢]. الخطاب في: (منكم) توبيخ للعرب، وتهجين لعادتهم في الظهار؛ لأنّه كان من إيمان أهل الجاهلية خاصةً دون سائر الأمم[2].

ب- من أبرز شواهد الاستئناف الوارد للتوبيخ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].قال الجمل: استئناف وارد لتوبيخهم على تردّدهم في شأن القرآن، وعنادهم المحوج إلى إيراد الآيات أو عدم اكتفائهم بإخباره تعالى[3].

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٣/٢٤٤).

(٢) «الكشاف» (٤/٧٠).

(٣) «الفتوحات الإلهية» (٤/٥٠).

جـ- يرد التوبيخ والتجهيل بمعونة الشرط، وأنه واجب الانتفاء، حقيق ألا يكون، وشاهده قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]، فالجملة الشرطية استئنافية فيها دلالة على كونهم مسرفين؛ لتصور أن الإسراف ينبغي أن يكون منتفياً، فأجراه لذلك مجرى المحتمل المشكوك[١].

د- وظهر الاستئناف التوبيخي بوضوح في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠].

قال المفسرون: هذا الاستئناف زيادة في التوبيخ عليهم؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أولاً: وبّخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجنّ، وثانياً: خاطبهم جميعاً ووبّخهم[٢].

هـ- ومن أبرز شواهد التوبيخ المقترن بالاستفهام قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ [الأعراف: ١٩١].

فجملة (أيشركون) استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشراكهم على الإطلاق، وإبطاله بالكلية، ببيان ما أشركوه به سبحانه، وتفصيل أحواله القاضية ببطلان مااعتقدوه في حقّه، أي: أيشركون به ـ تعالى ـ مالايخلق شيئاً أصلاً، ومن حق المعبود أن يكون خالقاً لعباده لامحالة[٣]..

و- ومما يدور في فلك التبكيت مجيئه بجملة القسم، نحو: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. جملة (لقد

---

(١) «البرهان في علوم القرآن» (٢/٣٦١).

(٢) «حاشية الصاوي» (٢/٣٥٠).

(٣) «تفسير أبي السعود (٣/٣٠٥).

أنزلنا..) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم، والمعنى: كيف تُعرِضُون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم؟! لأنه بلسانكم وعلى لغتكم، فكان بمقتضى الحميّة والعقل أن تعظّموا هذا الكتاب، وهذا النبيّ الذي جاء به، وتكونوا أوّل مؤمنٍ به، فإعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم..

ويرتبط بهذا الكلام أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠] والخطاب لأهل مكة تقريعاً لهم، أي: إنَّ هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير؟ أيليق منكم إنكاره، والاستهزاء به؟![١]

ز- والمتتبع لمعنى المعنى في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ ..﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٤]. يجد أنَّ جملة (تسبح له السماوات السبع) استئنافية، القصد منها التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكاً، والمعنى: كيف يشركون مع الله غيره، وكل شيء ينزهه عن كل نقص[٢]..؟!

حـ- وردَ معنى التوبيخ بمعونة حروف المعاني كـ (أم) المنقطعة، وهي في الخبر والاستفهام بمثابة «بل» والهمزة، ومعناها في القرآن التوبيخ، كما كان في الهمزة، كقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الزخرف: ١٦] أي: بل أتخذ؟؛ لأنَّ الذي قبلها خبر، وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف:١٦] والمراد بها التوبيخ لمن قال ذلك، وجريٌ على كلام العباد[٣].

---

(١) «حاشية الصاوي» (٤/١٤٣-١٥٧).

(٢) المصدر نفسه (٣/٤٩١).

(٣) «البرهان» (٤/١٨١).

استفهام إنكاري

ترد جملة الاستئناف ومعناها الاستفهام الإنكاري في شواهد عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ..﴾ [الممتحنة:١]. جملة ﴿**تسرون**﴾ استئناف، فيه استفهام إنكاري ومعناه: أيُّ طائل لكم في إسراركم، وقد علمتم أنَّ الإخفاء والإعلان سيّان في علمي، لاتفاوت بينهما، وأنا مُطْلعٌ رسولي على ماتسرّون؟! وجعله بعض المفسرين استئنافاً وارداً على نهج العتاب والتوبيخ، أي: تسرّون إليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة وأنا أعلم بما أخفيتم[١]. وأورد المعربون لها وجوهاً أخرى:

أحدها: أنها بدل كل من كل من (تلقون) إن أريد بإلقائها الإلقاء خفيةً، أو بدل بعض إن أُريد الأعم؛ لأن منها السرَّ والجهر، وقيل: بدل اشتمال لبيانه.

والثاني: أنها استئناف إخبار[٢]..

الثالث: أنها توكيد لـ (تلقون) بتكرير معناه، قاله العكبري.

الرابع: أنها خبر لمبتدأ مضمر، أي: أنتم تسرون، ولايخرج عن معنى الاستئناف[٣].

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٨/٢٣٦).

(٢) «حاشية الشهاب» (٨/١٨٥).

(٣) انظر «البحر» (٨/٢٥٣)، «تفسير النسفي» (٤/٢٤٧)، «الدر» (١٠/٢٩٩).

الوعد والوعيد

الوعدُ: هو إطماعٌ بإحسانٍ في المستقبل. والوعيد: تخويفٌ بسوء المجازاة في المستقبل، تحذيراً من الوقوع في المخالفات[1]، وهو أسلوب عربي بليغ ورد في الشعر العربي والقرآن الكريم، قال الشاعر:

وإنّـــي وإنْ أوعدتـــه أو وعدتـــه لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعـدي

والوعد والوعيد أو التهديد من الأساليب الإنشائية غالباً، ترد صيغهما من خلال جملةٍ استئنافية، ليس لها تعلّق برابطٍ صناعي بما قبلها، إنما فحوى الكلام هو الموجّه لهذا المعنى وقد أشار الشرّاح والمفسرون إلى عددٍ من هذه الجمل، تصريحاً وتضميناً:

ورد الوعد صريحاً بجملة استئنافية في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ووردت هذه الجملة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَاۚ وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ حِينَ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]. جملة ﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ استئنافية، ليست من قول الكفار قبل، ومعناها: وعيد، وفيها دلالة على أنهم لايفوتونه، وإن طالت مدة الإمهال، ولابدّ للوعيد أن يلحقهم، فلا يغرنهم التأخير.

وتكرار الوعيد أبلغ في الخطاب وأشدّ على النفس، وشاهدُ ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا

---

(١) «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٤١٧).

﴿شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق: ٨و١٠].

جملة ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقباً، كأنه قال: أعدّ الله لهم هذا العذاب فليكن لهم ذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

جملة (فمهّل الكافرين) استئناف، وعيد من الله لهم[١].

وقال الكميت:

وكنّا ياقُضَاعُ لكم فمهلاً وما مَهْلٌ بواعظةِ الجهول[٢]

ومما أشار إليه المفسرون من الاستئناف الدّال على الوعيد مانجد في قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ [القمر: ٢٦-٢٧].

فالجملة (إنا مرسلو الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود به من العذاب[٣]...

ومما يدور في فلك الوعيد ماذكره بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] قال الزمخشري: دخلت (قد) لتوكيد العلم، ويرجع ذلك لتوكيد الوعيد، وبهذا يُجاب عن قولهم: إنما تفيد التقليل مع المضارع[٤].

---

(١) «زاد المسير» (٩/٨٥).

(٢) «أساس البلاغة» (مهل) (٤٣٨).

(٣) «حاشية الصاوي» (٦/٤١).

(٤) «البرهان» (٢/٤١٨)، «الكشاف» (٣/٧٩)، «الجنى الداني» (٢٥٧).

وكذا يرد الوعيد بالجملة الاستئنافية المبدوءة بالسين والمؤكدة للوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً، يعني أنك لاتفوتني وإن تبطّأت. ومن بلاغة هذه الجملة أن يجتمع فيها مقصدان كالتعليل وتأكيد الوعد والوعيد في نحو: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [ن: ٥-٧].

والشاهد مجيء جملة (إنَّ ربك..) استئنافاً تعليلياً لما قبلها، وفيها تأكيد الوعد والوعيد من الله تعالى[1].

* * *

التهديد والأمر

ورد هذا الاستئناف في عدد من الشواهد ظاهرها الاستفهام، كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، جملة (فهل أنتم منتهون) استفهام بمعنى الأمر، وهو استفهام تهديدي، وهو أبلغ من الأمر صريحاً، كأنه قيل: قد بيَّنْتُ لكم مافي هذه الأمور من القبائح، فهل أنتم منتهون عنها، أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد؟![2]

ومما أشار إليه المفسرون في مجال التهديد قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾

(١) «حاشية الصاوي» (٦/ ٢٢٤).

(٢) «حاشية الصاوي» (٢/ ٢٩).

[المرسلات: ٤٦] فهذا خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد، والجملة استئنافية[(١)].

ومضمون قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] التهديد من متابعة الشيطان[(٢)].

* * *

الحثّ والتحريض

سيقت بعض جمل الاستئناف ومضمونها الحث والتحريض على التوكل على الله. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ [الفرقان: ٥٨-٥٩].

جاءت جملة (الذي خلق السماوات) استئنافاً، فيه تحريض للتوكل عليه تعالى، فإن من كان قادراً على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه[(٣)].

ووردت الجملة الاستئنافية محققة هذا المقصد في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٢-١٣]، الشاهد مجيء جملة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) استئنافَ تحريضٍ وحثٍّ للنبي ﷺ على التوكل على الله، والالتجاء إليه، وفيه تعليم للأمة ذلك[(٤)].

---

(١) «الدر المصون» (١/ ٦٤٥).

(٢) «حاشية الصاوي» (٣/ ٣٣).

(٣) «حاشية الصاوي» (٤/ ٣٣١).

(٤) «حاشية الصاوي» (٦/ ١٧٨-١٧٩).

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. جاءت جملة (أفلا تبصرون) مستأنفة قُصِد بها الحث على النظر والتأمّل[1].

وورد الاستئناف في بعض شواهد العربية على طريقة: (إياكِ أعني واسمعي ياجارة)، والمراد منه التحريض... مثال ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ ...﴾ [المائدة: ١٢].

جملة (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) مستأنفة، مسوقة لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود، فإنّ المقصود من ذكر الأمم السابقة، ونقضهم عهود أنبيائهم تذكير هذه الأمة بأنّ الوفاءَ بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم، ونقضه فيه الوبال الكبير[2]..

كما يرد تنبيه المخاطب وتهييجه بمعونة أداة الشرط المسبوكة مع الجملة الاستئنافية، كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، والمعنى: عبادتكم لله تستلزم شكركم له، فإن كنتم ملتزمين عبادته فكلوا من رزقه واشكروه، وهذا، كثيراً مايورد في الحجاج والإلزام، تقول: إن كان لقاء الله حقاً فاستعدّ له. وكذا قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]، الجملة الشرطية استئنافية فيها حضٌّ وتنبيه وتهييج وإلهاب[3].

---

(١) «حاشية الصاوي» (٥/٥٢٨).

(٢) «حاشية الصاوي» (٢/١٦٣-١٦٤).

(٣) «البرهان» (٢/٣٦١).

الإغضاب والتشجيع

يقرُبُ من الحث والحضّ **الإغضاب العجيب**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

كما يدور في فلك الاستئناف **التشجيعُ**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وكفى بحبّ الله مشجعاً على منازلة الأقران ومباشرة الطّعان.

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وكيف لايكون والقوم صبروا، والملك الحقُّ ـ جل جلاله ـ وعدهم بالمدد الكثير ثم قال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦][1].

* * *

الردّ وقطع أطماع الكفّار

ورد الاستئناف ومقصده قطع أطماع الكفّار في قوله تعالى عن الكفار: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٢-٣].

---

(١) «البرهان» (٣١٦/١).

الجملة الاسمية (وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدأ وخبر، قاطعة لأطماع الكفار الكاذبة، والمعنى: كل أمر من الأمور منته إلى الغاية التي يستقر عليها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر[1].

* * *

الاستئناف للتَّمنن

ترد الجملة المستأنفة لبيان تمنُّنِ المولى على عباده كما في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١]. قوله (أحلت لكم) كلام مستأنف مسوق؛ لبيان امتنان الله علينا حيث أحلَّ لنا أشياء لم تكن لليهود[2].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ...﴾ [الأنعام: ١٤١]. فالمراد من هذا الاستئناف الامتنان من الله على عباده، وبيان أنَّ كل نعمة منه[3] سبحانه وتعالى.

* * *

التسلية لرسول الله ﷺ

أشار المفسرون في عدد من الشواهد أنها جاءت استئنافاً غرضه تسلية رسول الله ﷺ والتلطّف به. مثال ذلك في سورة (طه) بعد ذكر الحديث الواسع عن سيدنا موسى، قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

---

(١) «حاشية الصاوي» (٦/ ٣٤).

(٢) «حاشية الصاوي» (٢/ ١٤٤).

(٣) «حاشية الصاوي» (٢/ ٣٥٧).

قال الصاوي: قوله (كذلك نقصّ عليك) جملة مستأنفة، ذكرت تسلية له ﷺ، وتكثيراً لمعجزاته وزيادة في علم أمته؛ ليعرفوا أحباب الله فيحبونهم، وأعداء الله فيبغضونهم؛ ليزدادوا رفعة وشأناً، حيث اطلعوا على سير الأوائل[1]. وكذا ذكرت قصص الأنبياء تسلية له ﷺ وزيادة في علم أمته.

* * *

الاستئناف لإنشاء الذّم

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

جملة (وبئس المصير) استئنافية لإنشاء الذَّم، وليست معطوفةً على «ثم اضطره»[2].

ولها عند البيانيين توجيه آخر، تدل على التذييل..

* * *

استئناف تقبيح

ورد هذا الاستئناف في قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ...﴾ [المائدة: ٨٢] هذه الجملة كلام مستأنف، سيق للتقبيح على اليهود وللتشنيع عليهم[3]..

* * *

---

(١) «حاشية الصاوي» (٤/١٢٦).

(٢) «حاشية الصاوي» (١/١٥٣).

(٣) «حاشية الصاوي» (٢/٢١٩).

التشويق

ماورد من أسلوب ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩] ونحوه استفهام استئناف فيه تشويق وتقرير في ذهن السامع[١].

وذكر المفسرون من ذلك أسلوب: ألم تر... والغرض منه التعجيب والتشويق إلى سماع قصة مايتلى[٢].

* * *

الترغيب

جاءت الجملة الاستئنافية في مساق كلام، الغرض منه الترغيب في التقوى المأمور بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وقبلها: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٣]، ولعلَّ مراعاة نظم الكلام توجه قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] فالجملة الاستئنافية (إنّه هو التواب الرحيم) مؤكدة بأربع تأكيدات[٣]، وهي: إنَّ وضمير الفصل (هو) والمبالغتان مع الصفتين له، ليدلَّ على ترغيب الله العبد في التوبة، فإذا علم ذلك طمع في عفوه، ومثله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][٤].

* * *

---

(١) «حاشية الصاوي» (٤/٩٨).

(٢) «صفوة التفاسير» (١/١٥٦).

(٣) «حاشية الصاوي» (٥/٢٤٥-٢٤٦).

(٤) «البرهان» (٢/٣٨٩).

التّسليم

التسليمُ: أسلوب من أساليب علم البديع، فيه تفنُّنٌ في طريقة التعبير البليغ المحكم والمقنع، فالمتكلّم الحاذق يفرض حصولَ أمرٍ قد نفاه أو أفهم استحالته، أو شرط فيه مستحيلاً ثم يسلم وقوعه، ويأتي بجملة استئنافية مثلاً يدلُّ على عدم فائدة هذا الأمر، كقول صفي الدين الحلّيّ:

سألت في الحبّ عُذَّالي فما نصحوا ... وهَبْه كان فما نفعي بنصحِهِمُ؟

فالشاهد جملة (وهبه كان فما نفعي بنصحِهِمُ).

وعبارة السبكي: وهو أن يفرض محالاً منفياً أو مشروطاً بشرط بحرف الامتناع؛ ليكون ماذكره ممتنعَ الوقوع لامتناع شرطه، وشاهده قوله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ[1]...﴾ [المؤمنون: ٩١]. كأنه قيل: لو كان معه آلهة ـ كما تزعمون ـ لذهب كل إله بما خلق، والتعبير بـ (إذاً) من قبيل مجاراة الخصْم.

وخلاصةُ معنى هذا الكلام: أنْ ليس مع الله ـ عزَّ شأنه ـ مِن إلهٍ. وكأنَّ قائل ذلك قال: ولو سلّمنا أنّ معه ـ سبحانه ـ إلهاً للَزِمَ من ذلك التسليم ذهابُ كلِّ إله من الاثنين بما خَلَق، وعُلُوُّ بعضهم على بعضٍ فلا يتمُّ في العالم أمرٌ، ولا يَنفذُ حُكْم، ولا تنتظم أحواله...، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال؛ لما يلزم منه من المحال، وصدق الله العظيم بقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

* * *

(١) «شرح عقود الجمان» (١٣٢).

الجملة الاستئنافية وبراعة الاستهلال

قال ابنُ رشيق:

إنَّ حسنَ الافتتاح داعيةُ الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله ﷺ.(1)

من الابتداء الحسن نوعٌ لطيف، وهو ما اشتمل على مايناسب الحال المتكلم فيه، ويشير على ما سيقَ الكلام لأجله، ويسمّى ذلك براعة الاستهلال؛ لأن المتكلم فهم غرضه من كلامه عند رفع صوته، والاستهلال: هو رفع الصوت.

قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنّق في أول الكلام؛ لأنّه أول مايقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلاّ أعرضَ عنه. ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله، وأرقه وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنًى وأوضحه، وأخلاه من التعقيد والتقديم، والتأخير الملبس أو الذي لايناسب(2).

قال صفيّ الدين الحلّيّ: أما براعة المطلع فهي عبارة عن سهولة اللفظ، وصحّة السبك، ووضوح المعنى، ورقة التشبيب، وتجنّب الحشو، وأن لايكون البيت متعلّقاً بما بعده ويسمّى أيضاً: حسن الابتداء، وقد فرّعوا منه براعة الاستهلال في النظم والنثر(3).

---

(1) «العمدة» (١/٢١٧)، وانظر روح المعاني ١٧/٦٠، بديع القرآن (٢٩٥).

(2) «شرح عقود الجمان» (١٧٢).

(3) «شرح الكافية البديعية» (٥٧).

وعند علماء البيان حسن المطالع والمبادئ، ويقال فيه حسن الافتتاح، وذلك دليل على جودة البيان، وبلوغ المعاني إلى الأذهان، فإنه أول شيء يدخل الأذن، وأوّل معنىً يصل إلى القلب، وأول ميدانٍ يجول فيه تدبر العقل.

قال ابن النقيب: وهو في القرآن العظيم على قسمين: جليّ وخفي، أما الجليّ فكقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وكقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ..﴾ [الأنعام: ١] وأكثر مطالع سور القرآن على هذا النمط.

وأما الخفيّ فمثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢١]. وقوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١] ولها أسرارها في كل سورة افتتحت بالحروف المفردة والمركبة[1].

وأذكرُ من روائع الابتداءات ما أمكن ليستدل به، نحو قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر؛ لأنّه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراعٍ واحد.

وقول القطاميّ:

إنّا محيّوكَ فاسلمْ أيّها الطَّلَلُ

وكقول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطيء الكواكب

ومما اختير في الرثاء قول أوس بن حجر:

---

(١) «مقدمة تفسير ابن النقيب» بتصرف (٢٨٦).

أيتـها الـنفس أجملـي جَزَعـا إنَّ الـذي تحـذرين قـد وقعـا

ومن اختيار النقّاد لأحسن الابتداءات قول المتنبي:

لاخيلَ عنـدك تهـديها ولا مـالُ فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ

وقول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ:

بانت سعاد فقلبـي اليـوم مَتْبُـولُ مُتَـيَّمٌ إثرهـا لم يُفْـدَ مكبـولُ

وقول البوصبري:

أَمِنْ تَـذكُّرِ جـيرانٍ بـذي سَـلَمٍ مزجْتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

وقول شوقي:

ريم على القاع بين البان والعَلَـم أحلَّ سفك دمي في الأشهر الحرم

وكلها من روائع الابتداءات.

وما قصّر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها:

ألا في سبيل الله مَنْ عُطِّلَـتْ لـه فِجَاجُ سبيلِ الثغـر وانثغـر الثغـرُ

فتىً كلمـا فاضـت عيـون قبيلـةٍ دماً ضحكت عنه الأحاديث والنشرُ

ومن جيد ابتداءات المراثي قول الشاعر:

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا وأصبح مغنى الجود بعدك بَلْقَعا

يرثي بها محمد بن حميد، وجعل خاتمتها:

فإن تُرْمَ عن عمرٍ تدانى به المدى فخانك حتى لم تجد عنه منزَعـا

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضريبةً فقطّعهـا ثم انـثنى فتقطّعـا

وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب؛ لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب مافي الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلى مابعده.

وقد تتبّع علماء النقد براعة الاستهلال في كثير من قصائد الشعراء الأمويين والعباسيين خاصّةً، وتوسعوا بذكر أبي تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي.. كما تتبّعوا بلاغة القرآن فقالوا: وقد أتت فواتح السور على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

وبيان ذلك ـ على ما جمعه ابن أبي الإصبع في كتاب (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح) ـ: أنَّ الله تعالى افتتح سور القرآن بعشَرة أنواعٍ من الكلام، لايخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثباتٌ لصفات الكمال، ونفي وتنزيه عن صفات النقص.

فالأول: (التحميد) في خمس سور: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، و(تبارك) في سورتين: الفرقان، والملك.

والثاني: (التسبيح) في سبع سور، قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح: كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل؛ لأنه الأصل، ثم بالماضي في الحديد، والحشر، والصف؛ لأنّه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى، استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

الثاني: حروف التهجّي في تسع وعشرين سورة: البقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، ومريم، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، ويس، وص، وغافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، وق، ون.

الثالث: النداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر، وخمس بنداء الأمة: النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

الرابع: الجمل الخبرية في ثلاث وعشرين سورة: الأنفال، والتوبة، والنحل، والأنبياء، والمؤمنون، والنور، والزمر، والقتال، والفتح، والقمر، والرحمن، والمجادلة، والحاقة، والمعارج، ونوح، والقيامة، وعبس، والبلد، والقدر، والبينة، والقارعة، وألهاكم، والكوثر.

الخامس: القَسَم في خمس عشرة سورةً: سورة أقسم فيها بالملائكة، وهي: الصافات، وسورتان بالأفلاك: البروج، والطارق، وست سور بلوازمها: فالنجم: قسم بالثريا، والفجر: بمبدأ النهار، والشمس: بآية النهار، والليل: بشطر الزمان، والضحى: بشطر النهار، والعصر: بالشطر الآخر أو بجملة الزمان، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر: الذاريات، والمرسلات، وسورة بالتربة التي هي منها أيضاً وهي: الطور، وسورة بالنبات وهي: التين، وسورة بالحيوان الناطق وهي: النازعات، وسورة بالبهيم، وهي: العاديات.

السادس: الشرط في سبع سور: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنّصر.

السابع: الأمر في ست سور: الجن، والعلق، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتان.

الثامن: الاستفهام في ست سور:الإنسان، والنبأ، والغاشية، والشرح، والفيل، والماعون.

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: ويل للمطففين، ويل لكل همزة، تبت.

العاشر: التعليل في: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش:١].

وما ذكرناه في قسم الدعاء، يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر، إلا سبِّح؛ فإنه يدخل في قسم الأمر، و(سبحانه) يحتمل الأمر والخبر، ونظم ذلك في بيتين فقال:

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ... تِ الحمد والسلب لمَّا استفتَح السُّورا

والأمرُ والشرط والتعليل والقسم الد ... عا حروف التهجي استفهِم الخَبَرا[١]

* * *

الجملة الاستئنافية وبراعة المطلب

من المواضيع التي يُتأَنَّقُ فيها براعةُ المطلب، وحسنُه أن يخرج إلى الغرض بعد تقدّم الوسيلة، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] جاء بين صفات المدح: ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾]الفاتحة: ٢-٤]، وبين الطلب والدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

ومنه قول أمية بن أبي الصَّلْت في المديح:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنَّ شيمتَك الحياءُ

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرّضه الثناءُ

وفسّر أصحاب البديعيات هذه الجملة الاستئنافية: بأن يُلَوِّح الطالب بالطلب بألفاظ عذبةٍ، مهذبة، تشعر بما في النفس، دون كشف وتصريح وإلحاح، مقترنة بتعظيم الممدوح.

---

(١) انظر الإتقان للسيوطيّ ٢/١٠٥-١٠٦.

هذا ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب قوله سبحانه وتعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧-٧٨] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣].

* * *

الجملة الاستئنافية التي تفيد الاقتضاب

للاقتضاب في اللغة عدد من المعاني، منها القطع، يقال: اقتضبتُ الحديثَ: إنما هو انتزعته واقتطعته.. واقتضبت الحديث والشعر تعلّقت به من غير تهيئةٍ أو إعدادٍ.

وفي الأساس: من المجاز اقتضب الكلام: ارتجله.. وانقضب عن صحبه: انقطع، ومن المجاز: رجل قَضَّابة، أي: قطّاع للأمور مقتدر عليها[1].

قال السيُوطي: مما يتأنق فيه التخلص مما ابتُدئ به الكلام؛ من نسيب أو غيره؛ كالأدب والفخر إلى المقصود، على وجه سهل، يختلسه اختلاساً رقيقاً دقيق المعنى، بحيث لايشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلاّ وقد وقع عليه الثاني؛ لشدة الالتئام بينهما، ويُسمّى الاقتضاب[2].

قال علماء البيان: إنّ الاقتضاب ضدّ التخلّص، وذلك أن يقطع الناظم كلامه الذي هو فيه، ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو هجاء أو غير ذلك، ولايكون للثاني علاقة بالأول ولاتلفيق بينه وبينه، وهو مذهب القدماء.

---

(١) «تاج العروس» (قضب) (١/ ٤٣٢).

(٢) «شرح عقود الجمان» (١٧٤).

من بديع الاقتضاب قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [سورة المطففين: ١-٧].

اقتضب الذكر عند قوله (لرب العالمين) فقال: كلا.... ولعلَّ بعض العلماء يذكرون مايشبه هذا في مجال الاستطراد[١].

ووقع منه في القرآن الكريم مايسكر العقول، ويحير الأفهام، فإنه تعالى ذكر في سورة الأعراف الأنبياء والقرون الماضية والأمم السالفة، ثم ذكر موسى وحكاية دعائه لنفسه ولأمته بقوله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وجوابه تعالى عنه، ثم تخلّص بمناقب سيّد المرسلين بعد تخلصه لأمته بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ..﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] وأخذ يُعَدِّدُ من صفاته الكريمة، وفضائله العظيمة.

وفي سورة القيامة نهى نبيه ﷺ عن العجلة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، ثم تخلّص بقوله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ...﴾ [القيامة: ٢٠]. قال الزمخشريّ: فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ إلى آخره بذكر القيامة؟

---

(١) «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٢٩٩).

قلت: اتّصاله به من جهة هذا التخلّص منه إلى التوبيخ بحبِّ العاجلة، وترك الاهتمام بالآخرة[1].

ومن حسن الاقتضاب قول الشاعر:

لأشكرنّك معروفاً هممْتَ به   إنَّ اهتمامك بالمعروف معروف

ولا ألومك إن لم يمضِه قَدَرٌ   فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

ومن الاقتضاب: مايقرب من التخلص؛ في أنَّه يشعر بشيء من الملائمة كفصله بـ (أمّا بعد)، وهذا كقولك بعد الحمد لله: أمّا بعد فإنّ كذا وكذا، فالجملة استئنافية اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلامٍ آخر عن غير ملائمة، لكن يشبه التخلُّص من حيث لم يؤت بالكلام الآخر فجأة بعد قصد نوعٍ من الربط على معنى: مهما يكن من شيء بعد الحمد والثناء فإنه كذا وكذا[2].

* * *

الجملة الاستئنافية للخروج من قصة إلى قصّة ومن غرض إلى غرض

من براعة البلاغة العربية التكاملُ في النّص الأدبي: الشعري أو النثري، ومن حسن اقتدار المتكلم البليغ: أن يحسن الانتقال من غرضٍ إلى آخر، برابطٍ وثيق بين هذا الانتقال. وقد أشار البيانيون إلى أساليب خاصة اعتمدت في البلاغة العربية، ومجالها الجملة الاستئنافية، وعُني النُّقاد ببيان طريق العرب في الخروج من غرضٍ إلى آخر وهو مايسمّى: حسن التخلص.

(١) الكشاف (٤/١٩٢).

(٢) شرح عقود الجمان (١٧٤).

قال ابن رشيق في باب المبدأ والخروج والنهاية:

وكانت العرب لاتذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح، بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وماهم بسبيله: (دع ذا)، و(عدِّ عن ذا)، ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بإنَّ المشدّدة ابتداءً للكلام الذي يقصدونه، فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله، ولامتصلاً بقوله (دع ذا) ولا (عدِّ عن ذا) ونحو ذلك سمّي طفراً وانقطاعاً.. وكان البحتري كثيراً مايأتي به، نحو قوله:

لولا الرجاءُ لَمُتُّ من ألم الهوى ... لكــنَّ قلــبي بالرجــاء مُوَكَّــلُ
إنَّ الرعيَّــةَ لم تَــزَلْ في ســيرةٍ ... عُمَرِيّــةٍ مُــذْ ساســها المتوكّــلُ

ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة: (إلى فلان قصدت) و(حتّى نزلت بفناء فلان)، وما شاكل ذلك[١].

وقال الحاتميّ مبيِّناً الصلة بين مقدّمةٍ فيها نسيب ومايليها من مدحٍ أو ذمٍّ:

من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به، غير منفصل منه، فإنَّ القصيدة مثلُها مثلُ خَلْقِ الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهةً تتخوّن محاسنه، وتُعفّي معالم جماله، ووجدت حذّاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويقف بهم على محجّة الإحسان[٢].

---

(١) «العمدة» (١/٢٣٩).

(٢) «العمدة» (٢/١١٧). ومعنى تتخوّن محاسنه: تنقصها

من أبرز شواهد هذه الجملة قول الشاعر:

إنّي إذا خفيَتْ نَارٌ لمرملةٍ   أُلفَى بأرفعِ تَلٍّ رافعاً ناري

ذاك وإني على جاري لذو حَدَبٍ   أحنو عليه بما يُحنى على الجار

قوله: (ذاك وإني)، ليس فيها إلا الكسر، قال سيبويه: تقول ذلك وأنَّ لك عندي ماأحببْتَ، وقال عزَّ وجل: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]، وقال جل ثناؤه: ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: ١٤] وذلك لأنّها شَرِكَتْ ذلك فيما حمل عليه، كأنه قال: الأمر ذلك وأن الله... ولو جاءت مبتدأة لجازت، يدلُّك على ذلك قوله تعالى: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٦٠] فـ (مَنْ) ليس محمولاً على ما حُمِل عليه (ذلك)، فكذلك يجوز أن تكون إنّ منقطعة من ذلك.

والذي يوجّهه المعربون في هذا الأسلوب أنَّ (ذاك): خبر مبتدأ محذوف، تقديره: شأني ذاك وأمري ذاك، ثم ينتقل إلى غرضٍ آخر[(١)].

قال عُبيد بن الأبرص مخاطباً امرأ القيس:

ولقد أبحنا ما حميت   ولا مبيح لما حَمَينا

هذا، ولو قدرتْ عليـ   ـك رماح قومي ما انتهينا

أي: هذا حكمنا، ثم انتقل إلى تأسيس كلامٍ آخر.

ومن شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٩] أي: هذا نوع من الذكر وهو القرآن، لما قصّ ذكر أيوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل ـ عليهم السلام ـ أكد تلك الإخبارات

---

(١) كتاب سيبويه (٣/١٢٥-١٢٦)، الخصائص (٣/١٧٥)، «الخزانة» (٤/٣٠٤).

باسم الإشارة، كما تقول لولدك: أشيرُ عليك بكيت وكيت، ثم تقول بعد ذلك: هذا الذي عندي، والأمر إليك فيما ترى. فالجملة بعد هذا استئنافية.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص: ٥٠-٥١] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥] أي: هذا شرف وذكر جميل، أو هذا متحقق، والجملة التي بعد (هذا) لامحل لها من الإعراب؛ لتدل على الخروج من قصةٍ إلى قصة.

وفي «شرح عقود الجمان» سمّى السيوطي حسن التخلص أو الانتقال من كلام إلى آخر: اقتضاباً أيضاً، قال: ومن الاقتضاب أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥] أي: الأمر هذا، أو هذا كما ذكر، فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة ارتباط.

قال ابن الأثير: (هذا) في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر(١).

ومن الاستئناف للتخلص للمدح، قول كعب بن زهير:

يسعى الوشاة جنابيها وقولهمُ ... إنك يابن أبي سُلمى لمقتولُ

جملة (يسعى الوشاة) مستأنفة للتخلص للمدح، أو حال من سعاد. أي: فارقت، والحال أن الوشاة يسعون حولها.

* * *

(١) شرح عقود الجمان ١٧٤، المثل السائر (١٢١/٣).

الجملة الاستئنافية وبراعة التخلّص

جاء في لسان العرب: «خَلَصَ الشيءُ، يخلُصُ خلوصاً وخَلاصاً، إذا كان قد نشِبَ ثم نجا وسَلِمَ، وقال: والتّخليصُ: التنحية من كلِّ منشَب، تقول: خلّصته من كذا تخليصاً، أي: نجّيته تنجيةً فتخلّص، وتخلّصَه تخلّصاً كما يتخلَّصُ الغزل إذا التبس»[1]. وعلى هذا فالمتكلم البليغ هو الذي يرسخ في نفوس السامعين الكلام الأوّل له، وحين يستقر في أذهانهم يتشجّع متخلصاً منه إلى غرض آخر.

قال ابن النقيب: التخلُّصُ هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأوّل سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً[2].

والحديثُ عن حسن التخلّص يُعنى به علماء النقد بدقة، فهم يبرزون اقتدار الشاعر وتمكّنه من ناصية البيان، حين ينظم قصيدة متكاملة متناسقة، لها بدايةٌ فيها براعة استهلال، ثم يبّينون اقتداره أيضاً في حسن تخلصه من غرضه إلى غرض مهمّ يريده.. وكذا عناية المفسرين، حين يبينون أسرار القرآن، وانسجام موضوعاته في السورة الواحدة، فهم يعنون بما يسمّى: حسن التخلّص.

المعنى الذي يحققه حسن التخلص :

المعنى الذي سجله علماء البلاغة في تتبع حسن التخلص يدور حول أمرين:

---

(١) «لسان العرب» خلص، «تاج العروس» (خلص) (٤/ ٣٩٠).

(٢) «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٢٩٢)، وانظر المراجع المهمة في الحاشية.

أولهما: معرفة حذق المتكلم وقوة ملكته في التلعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه، واتساع قدرته في الفصاحة والبلاغة.

والثاني: التفنن بحصول ملاذّ كثيرة، وتكون لذته بأمورٍ اقتضاها إعمال الفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق[1].

ومن الناس من يسمّي الخروج تخلّصاً، وينشدون أبياتاً منها:

إذا ماتقى اللهَ الفتى وأطاعه   فليس به بأسٌ ولو كان من جرم

وأولى الشعر بأن يسمّى تخلّصاً ماتخلّص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ماكان فيه، كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر:

كفكفتُ منّي عبرةً فرددتها   إلى النحر منها مستهلٌّ ودامع
على حين عاتبت المشيب على   وقلت: ألمّا أصحُ والشيب وازعُ

ثم تخلّص إلى الاعتذار فقال:

ولكنَّ همّاً دون ذلك شاغلٌ   مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه   أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عندما سمع من ذلك فقال:

فبتّ كأنّي ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع
يُسهّد في ليل التمام سليمها   لَحِلْي النساء في يديه قواقع

فوصف الحيّة والسليم الذي شبه به نفسه ماشاء، ثم تخلص إلى الاعتذار الذي كان فيه:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني   وتلك التي تستكُّ منها المسامع

---

(١) «مقدمة تفسير النقيب» (٢٩٣).

ثم اطّرد ماشاء له من تخلص إلى تخلص. حتى انقضت القصيدة[1].

وربما سُمّي حسنُ التخلّص الخروج وهو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيّل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه، كقول أبي تمام في المدح:

صُبَّ الفراق علينا، صُبَّ من كَثَبٍ — عليه إسحاقُ يوم الروع منتقما

سيف الإمام الذي سمَّتْه هيبَتُه — لما تخرّم أهل الأرض مخترِما

ثم تمادى في المدح إلى آخر القصيدة[2].

والفرق بين حسن التخلص أو الخروج من معنى إلى معنى وبين الاقتضاب أن التخلص لايكون إلا لعلاقة بينه وبين ماتخلص منه، وأما الاقتضاب فليس شرطه أن يكون بينه وبين ماقبله علاقة، بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن الأول[3].

من أبرز شواهد هذا البحث قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ١-٣]. تظهر براعة التخلص في الإشارتين إلى سيدنا موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام.

وللوهلة الأولى قد يتبادر إلى الذهن أنَّ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَآتَيْنَا

---

(١) «العمدة» (١/٢٣٧-٢٣٨).

(٢) «العمدة» (١/٢٣٤).

(٣) «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٢٩٣).

﴿مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يباين ماقبله، ولكن عند التأمل ودقة التفكّر، نجد الوصل بين الفصلين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فإنَّه سبحانه أخبر بأنه أسرى بمحمد ﷺ؛ ليريه من آياته ويرسله إلى عباده، كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب فأتى مدين، وتزوج بابنة شعيب ـ عليه السلام ـ وأسرى بها، فرأى النار، فخاطبه ربه وأرسله إلى فرعون، وآتاه الكتاب، فهذا سر الوصل بين هذين الفصلين(١).

هذا؛ وقد ذهب أصحاب الإعجاز إلى أنَّ براعة التخلّص أو ما يسمّى: معرفة الوصل من الوصل وجه الإعجاز، وهو دقيق، في عين الغبّي خفي، يخفى على غير الحذّاق من ذوي النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره.

من حسن التخلّص في الكتاب العزيز قوله سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فإنه ـ سبحانه ـ أشار بقوله: (أحسن القصص) إلى قصة يوسف، فوطّأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة؛ مشيراً إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز، وإنما كانت أحسن القصص بكون كل قضية منها كانت عاقبتُها إلى خير:

أولها: رميه في الجب، فكانت عاقبته السلامة.

ثانيهما: بيعه ليكون عبداً، فاتُّخذ ولداً.

ثالثهما: مراودة امرأة العزيز له، فعصمه الله.

رابعها: دخوله السجن، وخروجه ملكاً.

خامسها: ظفر إخوته به أولاً، وظفره بهم آخراً.

---

(١) انظر تحرير التحبير (٤٣٣-٤٣٤).

سادسها: تطلعه إلى أخيه بنيامين، واجتماعه به.

سابعها: عمى أبيه، وردّ بصره.

ثامنها: فراقه له ولأخيه، واجتماعه بهما، وسجود أبويه وإخوته تحقيقاً لرؤياه من قبل.

وكذلك حسن التخلص لذكر مبدأ خلق المسيح ـ عليه السلام ـ قوله سبحانه وتعالى موطئاً: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا...﴾ [آل عمران: ٣٣].

* * *

الاستطراد

الاستطرادُ: أصله اللغوي الطّرد، يقال: طردت الإبل طرداً، أي: ضممتها من نوحيها.. واطّرد الكلام إذا تتابع، ثم عاد وانعطف[١].

قال ذو الرُّمة[٢]:

ما زلت أطرُدُ في آثارهم بصري والشوق يقتاد من ذي الحاجة البصرا

والفرسُ يستطرد ليحمل عليه قِرنُه ثم يكُرُّ عليه، وذلك أنه يتحيّز في استطراده إلى فئته وهو ينتهز الفرصة لمطاردته، وقد استطرد له، فأصل الاستطراد أن يريك الفارس أنّه فرَّ من بين يدي الخصم يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه، وهو ضرب من المكيدة. وكذلك الشاعر يريد أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره، ولم يقصد قصده حقيقة إلا إليه[٣].

وفي استعمال أهل الأدب كالجاحظ: هو خروج المتكلم الحاذق من

(١) «لسان العرب» (طرد).

(٢) «أساس البلاغة» (طرد).

(٣) «العمدة» (٢/٤٢)، «الكليات» (١/١٦٦).

غرضٍ إلى آخر؛ ترويحاً عن النفوس، وإبعاداً للملل، واستتباعاً لمعنى مهمٍّ يجري في فكر المتكلم فيمضي فيه.

وعرَّف البيانيون الاستطراد: بأن يكون المتكلم في فنٍ من الفنون أو غرض من الأغراض، ثم يسنح له فن آخر يناسبه في الذكر، فيورده ثم يرجع إلى الأول، ويقطع الاستطراد..

وعرّفه في الإيضاح: بالانتقال من معنى إلى معنى آخر متّصل به، ثم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني.

قال الجرجاني: الاستطراد سوق الكلام على وجهٍ يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصودٍ بالذات بل بالعرض[1].

قال صفيّ الدين الحليّ:

الاستطراد: هو أن يكون الشاعر آخذاً في غرضٍ من أغراض الشعر من غزل أو وصف أو غيره.. فيستطرد منه إلى ذكر غيره بنوع من أنواع البديع، ثم يعود إلى ماكان فيه، فإن لم يعُدْ فهو خروج[2].

وخصَّص ابن رشيق في العمدة باباً للاستطراد قال فيه[3]:

هو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيءٍ وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمّي الجميع استطراداً، والصواب ما بيّنته وأوضح الاستطراد قول السموأل، وهو أوّل من نطق به حيث يقول:

ونحن أناس لانرى القتل سُبَّةً　　إذا مارأته عامر وسلولُ

يقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا　　وتكرهه آجالهم فتطول

(١) «التعريفات» (٢٠)، وانظر المعجم المفصل في علوم البلاغة ٨٧-٩٠.

(٢) «شرح الكافية البديعية» (٧٣).

(٣) «العمدة» (٢/٣٩).

فجملة (إذا مارأته عامر وسلول) جاءت استطراداً.

قال الحاتميّ: وقد يقع من هذا الاستطراد مايخرج به من ذم إلى مدح كقول زهير:

إنَّ البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكنَّ الجـواد على عِلاّتـه هَـرِمُ

فسمّى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً[1].

معرفة الجمل الاستئنافية الواقعة استطراداً يحتاج إلى مزيدٍ من التأمل والتفكر في استيعاب الكلام بكل أطرافه وحواشيه، لذلك قال أبو هلال: الاستطراد أن يأخذ المتكلم في معنى، فبينما يمرُّ فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه كالمارّ في بستانٍ ينتقل من غصْنٍ إلى غصنٍ، ومن ثمرة إلى ثمرة، ومقصوده نوع معيّن من الثمار.. قال السيوطي في الاستطراد: تمرُّ بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ماكنت فيه، كأنك لم تقصده وإنما تعرض عروضاً[2].

من أمثلته في الجملة الاستئنافية قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢] جملة (ومن كلٍّ تأكلون) استئناف استطراد؛ لكونه مناسباً لأصل الكلام.

والمتَتَبِّعُ لقصة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] يجد

(١) «العمدة» (٢/٤٠-٤١).

(٢) انظر كتاب «الصناعتين» (٢/١٦٦)، «الإتقان» (٢/٢٢٦)، «معترك الأقران» (١/٦١)، «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٢٨١).

الاستطراد بعده بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

فهذا الكلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان؛ تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك، واستطرد من الوصية إلى الحديث عن متاعب الأم (حملته وهناً على وهنٍ)[1].

وفائدة الاستطراد الأوّل: التحريض على قبول موعظة الآباء، وفائدة الثاني: التوكيد في التوصية في حقهم، وبالوالدة خصوصاً؛ لما تكابد من مشاق الحمل والرضاع[2].

وقد جعل الزمخشري قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] من الاستئناف، على سبيل الاستطراد، وهي تابعة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]، وليست من جواب القسم في شيء؛ لأن القسم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ...﴾ [الشمس: ١] ومابعده جوابه محذوف تقديره: ليدمدمنّ الله عليهم، أي: على أهل مكة؛ لتكذيبهم رسول الله ﷺ، كما دمدم على ثمود؛ لأنّهم كذبوا صالحاً عليه السلام[3].

ومن شواهد الاستطراد ماجاء في سورة آل عمران في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾ [آل عمران: ١١٠-١١١].

---

(١) انظر «الكشاف» (٢٣٢/٣)، «تفسير أبي السعود» (٧١/٧).

(٢) «شرح عقود الجمان» (١٧٠).

(٣) «الكشاف» (٢٥٩/٤).

جاءت الجملتان: ﴿منهم المؤمنون﴾ و﴿لن يضروكم﴾ على طريق الاستطراد عند ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلانٍ فإنّ من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاء من غير عاطف[1].

من شواهد الاستطراد ماذكر في سورة طه في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٣-١١٤].

قوله: (تعالى الله الملك الحقّ) استعظام له ولما يصرّف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، والإدارة بين ثوابه وعقابه على حسب أعمالهم، وغير ذلك مما يجري عليه أمر ملكوته، ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد: وإذا لقنك جبريل مايوحى إليك من القرآن فتأنّ عليه ريثما يسمعك ويفهمك، ثم أقْبِل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولاتكن قراءتك مساوقةً لقراءته، ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] وقيل معناه: لاتبلّغ ماكان منه مجملاً حتى يأتيك البيان[2].

ومما يدخل في باب الاستطراد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

روي أن بعض فقراء المسلمين وضعفائهم كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم: (لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم) والمراد

---

(١) «الكشاف» (١/٤٥٦).

(٢) الكشاف (٢/٤٥٤-٥٥٥)، روح المعاني (١٦/٢٦٨).

بالكفار المشركون، وختام هذه الآية فيه فن من فنون البيان وهو الاستطراد فإنه ـ تعالى ـ ذمَّ اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة، وهذا لايمكن أن يوجد للفصحاء في الاستطراد أحسن ولاأمكن منه، وممّا صدّروا هذا الفن به قول الشاعر:

إذا مـــاتقى الله الفـــتى وأطاعـــه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم[1]

وقال ابن خطيب زملكا: ومنه حديث خطبته ﷺ عامَ الفتح: «إنَّ الله ورسوله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، فقيل: يارسول الله أرأيتَ شحومَ الميتة؛ فإنه يُطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس؟ فقال: «لا،هو حرام»، ثم قال: «قاتل الله اليهود؛ إنَّ الله لمّا حرم عليهم شحومها جمّلوه ثُمَّ باعوه..».

فجملة (قاتل الله اليهود) استئنافية، دعائية وردت مورد الاستطراد[2].

* * *

الرجوع والاستدراك

قال ابن المعتز في حديثه عن محاسن الكلام والشعر ومنها الرجوع، وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه[3].

وسمَّاه ابن النقيب الرجوع والاستدراك، وهو عنده من أنواع الاعتراض، ولكنّ علماءَ هذا الشأن أفردوا له باباً، ومنهم من جمعه مع باب الاستثناء ومع فن السلب والإيجاب[4].

---

(١) انظر الإنصاف لابن المنيّر (٤/٩٥)، والحديث في صحيح البخاري، باب بيع الميتة والأصنام ٢١٢١

(٢) انظر «شرح عقود الجمان» (١٣٥-١٣٦).

(٣) «البديع» (٦٠-٦١)، كتاب «الصناعتين» (٤٤٢).

(٤) مقدمة «تفسير ابن النقيب» (٣٥٢).

وأبرز شواهد هذه الجملة قول زهير في مطلع قصيدته:

قف بالدّيار التي لم يعفُها القِـدَمُ بلـى وغيّرهـا الأرواح والـدِّيم

جملة (بلى) وما حذف بعدها جملة استئنافية، رجوع عما بدا لزهير.

وقد بيّن ذلك الأصمعي وهو يشرح قول زهير:

وكـلُّ محـبٍّ أعقـبَ النـأي لُبَّـه سُلُوَّ فـؤادٍ غـيرَ لبـكَ مـا يسـلو

قال الأصمعي: كل محبٍّ إذا نأى سلا، ولست أنا كذلك، وقال «صحا» في أول الشعر، ثم قال: غيرَ لبِّي، قال: فيه قولان: رجع فأكذب نفسه، كما قال:

قف بالدّيار التي لم يعفها القِـدَمُ بلى وغيّرهـا الأرواح والـدِّيم[1]

وكما قال الطُّهويّ:

فلا تبعدَنْ ياخيرَ عمرو بنِ جُنْدُبٍ بَلَـى إنَّ مـن زار القبـور ليبعـدا

قال أبو عبيدة: أكذب نفسه ثم رجع.. والعرب تخبر عن الشيء ثم ترجع عنه[2].

وقال السيوطي في بيت زهير: والنكتة فيه أنه يبيّن برجوعه دهش عقله عند رؤية ديار أحبته، فلم يعرف مايقول، وتوهّم ماليس بصحيح، فلمّا راجعه عقله رجع بالنقض عن الكلام الأوّل[3].

ومن أبرز شواهد البلاغيين قول بشار[4]:

(١) «شرح ديوان زهير» (٩٨، ١٤٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) «شرح عقود الجمان» (١١٢).

(٤) «البديع لابن المعتز» (٦١)، «كتاب الصناعتين» (٤٤٣)، «خزانة الأدب لابن حجة الحموي» (٣٦٧).

نُبِّئْتُ فاضح أمّه يغتابني | عند الأمير، وهل عليه أمير

جملة (وهل عليه أمير) استئنافية، رجوع عن مقصده الأول وتهكم به.

وقول أبي نواس:

ياخير من كان ومن يكون | إلا النبيُّ الطاهرُ الأمينُ
ولِيُّ عهد ما له قرين | أستغفر اللهَ بلى هارون[(١)]

جملة (أستغفر الله) استئناف، رجوع عن الكلام الأول، وجاء بحرف الجواب (بلى)؛ لأنّه استدراك ما ذكره في البيت السابق، فاستنكر ما فيه من تعميم.

وقال آخر:

أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها | إليكِ، وكلاً ليس منك قليل

وقال بعضهم: مامعك من العقل شيء، بلى مقدار ماتجب الحجة به عليك والنار لك[(٢)].

وقال آخر: قليل العلم كثير، بل ليس من العلم قليل[(٣)].

وقال أبو البيداء:

ومالي انتصار إن غدا الدهر جائراً | عليَّ!بلى إن كان من عندك النصرُ[(٤)]

* * *

(١) «البديع» (٦١)، ديوان أبي نواس (٤١٣).

(٢) «المصدر نفسه».

(٣) «كتاب الصناعتين» (٤٤٣).

(٤) شرح الكافية البديعية (٣٣٢).

التّسْبيغُ أو تشابُه الأطراف

من تفنُّن الشعراء أنَّهم يُعيدون لفظة القافية من كل بيتٍ في أول البيت الذي يليه، مما يسمّى عند البلاغيين تشابه الأطراف أو التسبيغ[1].

من أحسن شواهده قول ليلى الأخيليّة[2]:

إذا نزل الحجَّاج أرضاً مريضةً تتبّعَ أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العُضال الذي بها غلامٌ إذا هزَّ القناة سقاها

سقاها فروّاها بشُربِ سجالها دماء رجالٍ يحلبون ضراها

فالتفنّنُ في تشابه أطراف الأبيات (فشفاها ـ شفاها، سقاها ـ سقاها)، وفي الصنعة الإعرابية جملة «شفاها وسقاها» استئنافية، تتميم لمعنى الكلام ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [النور: ٣٥].

ويقرب من هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦-٧].

والرابط البلاغي بين (لايعلمون) و(يعلمون) هو الشاهد البلاغي، الذي تنوَّعت تسمياته عند البلاغيين، قالوا: إسهاب وإطناب، وقالوا: بدل وترديد إلى غير ذلك.

ذكر ذلك ابن الأثير تحت عنوان: (النفي والإثبات)، وهو أن يذكرَ الشيء على سبيل النفي، ثم يذكر على سبيل الإثبات أو بالعكس ولابدّ أن

---

(١) انظر «تحرير التحبير» (٥٢٠)، «شرح الكافية البديعية» (١٠٧-١٠٨).

(٢) «أمالي القالي» (١/ ٨٧).

يكون في أحدهما زيادة ليست في الآخر، وإلاّ كان تكريراً، والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود، ففي الآية السابقة الرابط بين (لايعلمون) و(يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) دقيق جداً؛ ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفي عنهم من تحقيق وعده، ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا؟ فكأنهم علموا وما علموا، إذ العلم بظاهر الأمور ليس بعلم، وإنما العلم هو ماكان بالباطن من الأمور[1].

وجعل ابن النقيب هذا الشاهد تحت عنوان أقسام الإسهاب والإطناب في مجال الجمل فقال:

الإثبات والنفي: وهو أن يذكر الشيء إثباتاً ونفياً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً[2]. وجعلها الزمخشريّ بدلاً من جملة «لا يعلمون»؛ فإنّ الجاهل الذي لا يعلم ما وعد الله عباده ولا يتفكر فيه هو الذي قصر نظره على ما يراه من الدنيا، والمصحّح للبدلية اتحاد ما صدقا عليه، والنكتة المرجحة له جعلُ علمهم والجهل سواءً، بحسب الظاهر، وإن تغايرا باعتبار متعلقهما[3].

واختار الطّيبي: أن جملة (يعلمون) استئنافية؛ لبيان موجب جهلهم بأن وعد الله ـ تعالى ـ حقّ، وأن لله ـ سبحانه ـ الأمر من قبل ومن بعد، وأنه ـ جل شأنه ـ ينصر المؤمنين على الكافرين، ولعله الأظهر[4].

* * *

---

(١) «المثل السائر» (٢/٣٥٢).

(٢) «مقدمة تفسير ابن النقيب» (٢٢٣و٢٨٤).

(٣) الكشاف (٣/٢١٥)، «حاشية الشهاب» (٧/١١٣).

(٤) «روح المعاني» (٢١/٢٢).

حسن الخاتمة

يوجّه علماء البلاغة الأدباء: شعراءَ وناثرين أن يختما كلامهما بأحسن خاتمةٍ، فإنَّها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهدوا في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها[(١)].

فهاهو ابن رشيق القيرواني قد بين أهمية ختام القصيدة في الشعر بقوله: وأما الانتهاء فهو في الشعر قاعدة القصيدة، وآخر مايبقى منها في الأسماع، وسبيلُه أن يكون محكماً؛ لاتمكن الزيادة عليه، ولايأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أوّل الشعر مفتاحاً له وَجَب أن يكون الآخر قُفْلاً عليه[(٢)].

وقال القزويني: الانتهاء آخر مايعيه السمعُ، ويرتسمُ في النفس؛ فإن كان مختاراً جَبَرَ ماعساه وقعَ فيما قبله من التقصير، وإن كان غيرَ مختار كان بخلاف ذلك، وربما أنسى محاسن ماقبله[(٣)]، فهو كالطعام الذي يتناول في الآخر بعد غيره من الأطعمة؛ فإن كان حلواً لذيذاً أنسى مرارة أو ملوحة ماقبله، وإن كان مرّاً أو مالحاً أنسى حلاوة ماقبله[(٤)].

هذا؛ وقد تَتَبَّع علماء النقد بدرايةٍ واسعة أشعار المتقدّمين فلاحظوا أنَّ حسن الخاتمة في أشعارهم قليلة جداً، وإنما عُني بها المولّدون، ومن ذلك قول أبي نواس في محمد الأمين، مما ختم به قصيدته المشهورة فيه

---

(١) «تحرير التحبير» (٦١٦).

(٢) «العمدة» (٢٣٩-٢٤٠).

(٣) «الإيضاح» (٤/٥٤٣).

(٤) «شروح التلخيص» (٤/٥٤٣).

التي أوّلها[1]:

يـادارُ مـا صـنعَتْ بـكِ الأيّـام لم يبـق فيـك بشاشـةً تُسـتَامُ

فإنه ختمها بقوله[2]:

فبقيـت للعلـم الـذي تهـدي بـه وتقاعسـت عـن يومـك الأيّـامُ

والمتتبّعُ لشعر المتنبي وأبي تمام والبحتري ومن بعدهم من حذّاق الشعر يلمس في قصائدهم براعتهم في حسن الخاتمة. من شواهد ذلك قول المتنبي:

وأُعطيـت الـذي لم يُعْـطَ خلـق عليـك صـلاة ربـك والسـلام

وقوله:

ولو جاز الخلـودُ خَلَـدْتَ فـرداً ولكـن لـيس للـدنيا خليـل

وقوله:

فـإن تَفُـقِ الأنـام وأنـت منـهم فـإنَّ المسـكَ بعـض دم الغَـزَال

وقوله في الدنيا:

تفـانى الرجـال علـى حبِّهـا ومـا يحصُـلون علـى طائـل

قال أحد النّقّاد: ماعمل في ذمّ الدنيا مثل هذا الشعر، ونُقِل عن رسول الإفرنج أنّه سمع هذا الشعر فقال: وحقّ ديني مافي الإنجيل موعظةٌ أبلغ من هذه الموعظة.

وقوله في المديح:

أنلـت عبـادك مـا أمَّلُـوا أنالـك ربُّـك مـا تأمُـلُ

جمع بين الإخبار والدعاء..

(١) «ديوان أبي نواس» (٦٣-٦٤).

(٢) «بديع القرآن» (٣٤٤)، «تحرير التحبير» (٦١٨).

ومنه:

وهـذا دعـاءٌ لـو سـكتُّ كفيتـه لأني سألت الله فيك وقـد فَعَـلْ

ومما يمتدحه العلماء خاتمة قصيدة عبدة بن الطبيب في تأبين قيس ابن عاصم:

عليك سلامُ الله قيسُ بن عاصم ورحمتـه ماشـاء أن يترحّمـا

تحيـة مـن ألبسـتهُ منـك نعمـةً إذا زار عن شحطٍ بـلادك سـلّما

فما كان قيس هلكه هلك واحدٍ ولكنـه بنيـان قـومٍ تهـدّما

ومن أبرز الشواهد على حسن التخلّص قول الشاعر:

وإني جـدير إذ بلغتُـك بـالمنى وأنـت بمـا أمّلْـتُ فيـك جـدير

فإن تولني منـك الجميـل فأهلُـه وإلاّ فـإني عـاذر وشـكور[1]

ومنه قول محمد الخضر الحسين[2]:

كلٌّ يجـود بماليـه فمـا النّـدى وقفاً علـى مـن يجزلـون عطـاء

لاتنـهض الأوطـان مـن كبواتهـا إلا علـى أيـدٍ تفـيض سـخاءَ

قال السيوطي: وأحسن الانتهاء ماآذن بانتهاء الكلام، حتى لايبقى للنفس تشوّف ألبتة، كقوله[3]:

بقيت بقاءَ الـدهر يـاكهفَ أهلـه وهـذا دعـاءٌ للبريـة شـامل

وإذا تدبّرنا خواتم السور القرآنية جميعها، وجدناها في غاية الحسن ونهاية الكمال، قال ابن أبي الإصبع حول خواتم السور[4]:

---

(١) «ديوان أبي نواس» (١٠٠-١٠١).

(٢) «ديوان الخضر» (٢٧٦).

(٣) «شرح عقود الجمان» (١٧٥).

(٤) «بديع القرآن» (٣٤٦)، «تحرير التحبير» (٦٢٠).

وهي مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر مايقرع السمع، ولهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لايبقى معه للنفوس تشوف إلى مايذكر بعده؛ لأنها بين أدعية ووصايا، وفرائض وتحميد، وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد، إلى غير ذلك.

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة؛ إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والمراد: المؤمنون، ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده، ليتناول كل إنعام؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان، فقد أنعم عليه بكل نعمة؛ لأنها مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] يعني: أنهم جمعوا بين النعم المطلقة: وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله تعالى، والضلال المسببين عن معاصيه، وتعدي حدوده. وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة، وكالوصايا التي ختمت بها آل عمران: قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وكالفرائض التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها، لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي؛ ولأنها آخر مانزل من أحكام.

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة، وكالوعد والوعيد الذي ختمت به الأنعام، وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي ختمت به الأعراف، وكالحض على الجهاد، وصلة الأرحام الذي ختمت به الأنفال، وكوصف الرسول والتهليل اللذين ختمت بهما التوبة،

وكتسليته عليه الصلاة والسلام التي ختمت بها سورتا يونس وهود، وكوصف القرآن ومدحه الذي ختمت به سورة يوسف، وكالوعيد والرد على من كذب الرسول اللذين ختمت بهما سورة الرعد، وكالثناء على الله تعالى الذي ختمت به الإسراء، ومثلها سورتا الحج، والحشر، ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] الآية، ومثلها خاتمة الأحقاف قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وكذا خاتمة الحجر بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] فسر بالموت، وهذه الخاتمة في غاية البراعة. وخاتمة الشورى مثلها قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] وسورة الزلزلة بدئت بوصف أهوال يوم القيامة، وختمت بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] وهي خاتمة في منتهى البراعة، وكذلك خاتمة سورة النصر، فيها إيذان بالوفاة قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣] وهي خاتمة بديعة(١).

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ يدخل هذا معنا؟ ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَنْ قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ

(١) انظر «بديع القرآن» (٣٥٠-٣٥١)، «شروح التلخيص» (٤/٥٤٥).

وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]...؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفُتِح علينا. وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول الله ﷺ، أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ فقال عمر رضي الله عنه: إني لا أعلم منها إلا ما تقول[1]، قلت: ولهذا كانت ربع القرآن، أي: ربع الإيمان الذي يدعو إليه القرآن.

** ** **

---

(١) انظر صحيح البخاري: باب قوله: (فسبِّح بحمد ربِّك) رقم الحديث (٤٦٨٦).

مَسْرَدُ براعةِ الاستهلال وحسن الختام في القرآن الكريم

تكميلاً لمبحث براعة الاستهلال وحسن الختام في القرآن أعرض للقارئ الكريم مسرداً أبين فيه التعابير البلاغية التي صُدِّرت بها كل سورة من القرآن الكريم، وكذلك التعابير التي جاءت خاتمة كل سورة.

● قوله تعالى في سورة البقرة:

بدايتها: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

نهايتها: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

● قوله تعالى في سورة آل عمران:

بدايتها: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

نهايتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

● قوله تعالى في سورة النساء:

بدايتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾.

● قوله تعالى في سورة المائدة:

بدايتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾.

نهايتها: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ﴾.

• **قوله تعالى في سورة الأنعام:**

بدايتها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

• **قوله تعالى في سورة الأعراف:**

بدايتها: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾.

• **قوله تعالى في سورة الأنفال:**

بدايتها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

• **قوله تعالى في سورة التوبة:**

بدايتها: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

نهايتها: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

• **سورة يونس:**

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

● **سورة هود:**

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

نهايتها: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

● **سورة يوسف:**

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

نهايتها: ﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

● **سورة الرعد:**

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

نهايتها: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

● **سورة إبراهيم:**

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

نهايتها: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

● **سورة الحجر:**

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾.

● **سورة النحل:**

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾.

• **سورة الإسراء :**

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

نهايتها: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾.

• **سورة الكهف :**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾.

نهايتها: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

• **سورة مريم :**

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

نهايتها: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا﴾.

• **سورة طه :**

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

نهايتها: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

• **سورة الأنبياء :**

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

• **سورة الحج :**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

• سورة المؤمنون :

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

• سورة النور :

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

• سورة الفرقان :

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

نهايتها: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾.

• سورة الشعراء :

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

نهايتها: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

• سورة النمل :

﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

نهايتها: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

• سورة القصص :

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

نهايتها: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

• **سورة العنكبوت :**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

• **سورة الرُّوم :**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾.

نهايتها: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

• **سورة لقمان :**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾.

• **سورة السجدة :**

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

نهايتها: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾.

• **سورة الأحزاب :**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾.

نهايتها: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾.

• **سورة سبأ :**

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾.

● **سورة فاطر :**

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

نهايتها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

● **سورة يس :**

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

● **سورة الصافات :**

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾.

نهايتها: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

● **سورة ص :**

﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾.

نهايتها: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾.

● **سورة الزمر :**

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

● **سورة غافر :**

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

• **سورة فصلت :**

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾.

• **سورة الشورى :**

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

نهايتها: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

• **سورة الزخرف :**

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ۝٣ ﴾.

نهايتها: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

• **سورة الدخان :**

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا
كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

نهايتها: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾.

• **سورة الجاثية :**

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

• **سورة الأحقاف :**

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾.

نهايتها: ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

• سورة محمد ﷺ :

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

نهايتها: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾.

• سورة الفتح :

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

نهايتها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

• سورة الحجرات :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

• سورة ق :

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

نهايتها: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

• سورة الذاريات :

﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَـٰرِيَـٰتِ يُسْرًا﴾.

نهايتها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

• سورة الطور :

﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾.

نهايتها: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

• **سورة النجم :**

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ .

نهايتها : ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾ .

• **سورة القمر :**

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ .

نهايتها : ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ .

• **سورة الرحمن :**

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ .

نهايتها : ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ .

• **سورة الواقعة :**

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

نهايتها : ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

• **سورة الحديد :**

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ .

نهايتها : ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ .

• **سورة المجادلة :**

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ .

نهايتها : ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ .

● سورة الحشر :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

نهايتها: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

● سورة الممتحنة :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

نهايتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾.

● سورة الصف :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

نهايتها: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾.

● سورة الجمعة :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾.

● سورة المنافقون :

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

● **سورة التغابن :**

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

نهايتها: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

● **سورة الطلاق :**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

نهايتها: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾.

● **سورة التحريم :**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

نهايتها: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

● **سورة الملك :**

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

نهايتها: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾.

● **سورة القلم :**

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

نهايتها: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

• **سورة الحاقة :**

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾.

نهايتها: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

• **سورة المعارج :**

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾.

نهايتها: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

• **سورة نوح :**

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

نهايتها: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾.

• **سورة الجن :**

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

نهايتها: ﴿...... وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾.

• **سورة المزمل :**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

نهايتها: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

• **سورة المدثر :**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ...﴾.

نهايتها: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

• **سورة القيامة :**

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

نهايتها: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

• سورة الإنسان :

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

نهايتها: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

• سورة المرسلات :

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا...﴾.

نهايتها: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾.

• سورة النبأ :

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (١) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

• سورة النازعات :

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا (١) وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا (٢) وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا (٣) فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا (٤) فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.

نهايتها: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

• سورة عبس :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾.

نهايتها: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.

• سورة التكوير :

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا

ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ (٧) وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ (٨) بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ (٩) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ
نُشِرَتۡ (١٠) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ (١١) وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ (١٢) وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ (١٣)
عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾.

نهايتها: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

- **سورة الانفطار :**

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣)
وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾.

نهايتها: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾.

- **سورة المطففين :**

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾.

نهايتها: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾.

- **سورة الانشقاق :**

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ (١) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ (٣) وَأَلۡقَتۡ
مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ (٤) وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾.

نهايتها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴾.

- **سورة البروج :**

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ (١) وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ (٢) وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ (٣) قُتِلَ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ (٤) ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ (٥) إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ (٦) وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ
بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾.

نهايتها: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴾.

• سورة الطارق :

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾.

نهايتها: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.

• سورة الأعلى :

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾.

نهايتها: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

• سورة الغاشية :

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾.

نهايتها: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾.

• سورة الفجر :

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾.

نهايتها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾
فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾.

• سورة البلد :

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.

نهايتها: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾.

• سورة الشمس :

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾.

نهايتها: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾.

• **سورة الليل :**

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ .

نهايتها : ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾

• **سورة الضحى :**

﴿وَٱلضُّحَىٰ (١) وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ .

نهايتها : ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ .

• **سورة الشرح :**

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ (١) وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾ .

نهايتها : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ .

• **سورة التين :**

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ .

نهايتها : ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ .

• **سورة العلق :**

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ .

نهايتها : ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ .

• **سورة القدر :**

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ .

نهايتها : ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ .

• **سورة البيِّنة :**

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ .

نهايتها : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ .

● سورة الزلزلة :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

نهايتها: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

● سورة العاديات :

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾.

● سورة القارعة :

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

نهايتها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

● سورة التكاثر :

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

نهايتها: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

● سورة العصر :

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

نهايتها: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

● سورة الهمزة :

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

نهايتها: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

● سورة الفيل :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

نهايتها: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾.

• سورة قريش :

﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

نهايتها: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

• سورة الماعون :

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾.

نهايتها: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

• سورة الكوثر :

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

نهايتها: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

• سورة الكافرون :

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

نهايتها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

• سورة النصر :

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾.

نهايتها: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾.

• سورة المسَد :

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

نهايتها: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾.

• سورة الإخلاص :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

نهايتها: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

• **سورة الفلق :**

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾.

نهايتها: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

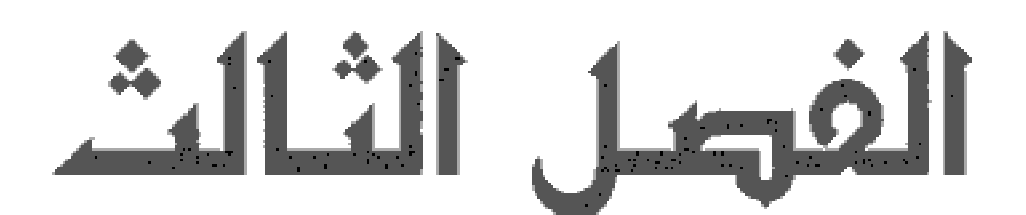
• **سورة النَّاس :**

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

نهايتها: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وهكذا كل سورة نجد خاتمتها في غاية الحسن والبراعة. أحسن الله خاتمتنا بالوفاة على الإيمان، وفَرَّج كربتنا، وجعلها كفارة لنا عما اقترفناه، وبيَّض وجهنا يوم نلقاه، آمين.

والله الموفق



الفصل الثالث

ارتباط الجملة الاستئنافية بأدوات المعاني

ارتباط الجملة الاستئنافية

بأدوات المعاني

لحروف المعاني قيمة تعبيرية كبرى في سياق الكلام، وقد بيَّن العلماء بتفصيل منهجيّ معاني هذه الحروف، وذكروا ارتباطها بأنواع الجمل: ما يرتبط بالجملة الاسمية، وما يرتبط بالجملة الفعلية، وثمَّة أدوات تستقل مع جملها بالاستئناف المعنوي، أطلق عليها المعربون أدوات الابتداء أو الاستئناف.

قال أبو حيَّان الأندلسي: ليس معنى قولهم: حرف استئناف، أو حرف ابتداء أنه يصحبها المبتدأ دائماً، بل معناه: أنها بصدد أن يقع بعدها المبتدأ، كما قالوا: هل وبل ولكنْ، وإنما وألا وأما وبينما وبينا..[1]

وتَتَبُّعُ هذه الأدوات مما يكسِبُ مزيداً من التذوّق لمعاني الكلام وأسراره، ويبيّن مناحي الفصل والوصل بدقة واقتدار.

كما أنَّ البحث في معانيها مما يحتاج إليه المفسِّر، لاختلاف مدلولها، ولهذا توزّع الكلام على حسب مواقعها.

ومن أشهر أدوات المعاني التي حققت الاستئناف بارتباطها بالجمل نذكر:

١ ـ الاستئناف بالواو.

٢ ـ الاستئناف بالفاء.

٣ ـ الاستئناف بـ (ثُمَّ).

---

(١) همع الهوامع ٢/ ٢٤.

٤ ـ الاستئناف بـ(حتّى).

٥ ـ الاستئناف بـ(أم) المنقطعة.

٦ ـ الاستئناف بـ(بل).

٧ ـ الاستئناف بـ(أو)

٨ ـ الاستئناف بـ(لكنَّ، ولكنْ).

٩ ـ الاستئناف بـ(على).

١٠ ـ الاستئناف بـ(إلاّ).

١١ ـ الاستئناف بعد (إمّا).

١٢ ـ الاستئناف بـ(ليس) و(لا يكون).

١٣ ـ الاستئناف بـ(خلا) و(عدا).

١٤ ـ الاستئناف بـ(لا سيّما).

١٥ ـ الاستئناف بـ(هل).

١٦ ـ الاستئناف بـ(بلْهَ).

١٧ ـ الاستئناف بعد (بينا) و(بينما).

١٨ ـ الجملة بعد (قلّما).

١٩ ـ الجملة بعد (ربما).

٢٠ ـ الجملة الواقعة بعد (إنما).

٢١ ـ الاستئناف بـ(كما).

٢٢ ـ الاستئناف بـ(مذ) و(منذ).

٢٣ ـ الجملة الاستئنافية بعد (إذا) الفجائية.

٢٤ ـ الاستئناف بـ(إذن).

٢٥ ـ الجملة بعد (ما) النافية.

٢٦ ـ الجملة بعد أدوات العرض والتحضيض.

٢٧ ـ الجملة الاستئنافية بعد (أمّا).

٢٨ ـ الجملة الاستئنافية بعد (ألا) و(أما).

٢٩ ـ الجملة بعد أدوات التعليق غير العاملة.

٣٠ ـ الاستئناف بـ(لوما).

٣١ ـ الاستئناف بـ(لا).

** ** **

١ ـ الاستئناف بالواو

من أقسام الواو: واو الاستئناف، ترتبط مع ما قبلها معنويًا لا صناعيًا. فيرتفع بعدها الفعل المضارع، وترِد معها الجملة الاسمية، ولا بدّ من ملاحظة المعنى الدقيق لهذه الجملة عمَّا سبقها، ويُلاحَظُ فيها معنى الابتداء دون العطف أو الحال.

قال السّمين الحلبي: «النحويون وأهل البيان نصّوا على أنّ الواو للاستئناف، بدليل أنّ الشعراء يأتون بها في أوائل أشعارهم، من غير تقدُّم شيء يكون ما بعدها معطوفاً عليه، والأشعار مشحونةٌ بذلك، ويسمّونها: (واو الاستئناف)»[١].

وقال المرادي: «من أقسام الواو واو الاستئناف، ويقال: واو الابتداء، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب، ويكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية»[٢].

فمن أمثلة الاسمية قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٢].

ومن أمثلة الفعلية قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [مريم: ٦٥ ـ ٦٦]، وهو كثير.

وقال الدسوقي: وأما دخول واو الاستئناف على الجملة المستأنفة فلا يمتنع على الأظهَر، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ

(١) الدر المصون ٣/ ١٨٤.

(٢) الجنى الداني ١٦٣.

﴿إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤] بعد قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ...﴾ [التوبة: ١١٣] فإنه جوابٌ عما يُقال: كيف استغفر لأبيه..؟

ومَنْ منع دخول الواو مطلقاً على الجملة الاستئنافية، قال: الاستئناف البياني ما كان جواباً لسؤالٍ عن شيءٍ مصرَّحٍ به في الجملة الأولى، وليس هذا منه[1].

من شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]. جملة ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ استئناف لا غير.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. الواو للاستئناف، على قراءة الرفع، وجملة ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب.

ومن مجيء الجملة الاستئنافية بعد واو الاستئناف قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]. جملة ﴿وَنُقِرُّ﴾ استئنافية لا محل لها...

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. جملة ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب.

ويتحتم أن تكون الواو استئنافية لا عاطفة، إذ لو كانت واو العطف للزم عطف الخبر على الأمر، وللزم أن يكون العلم خاصًّا بالأتقياء، وهو غير ذلك.

---

(١) حاشية الدسوقي ٢/ ١٢.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الشورى: ٢٤]. جملة ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ استئنافية غير داخلة في حكم الشرط.. وكذلك الأمر في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥]. جملة ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ استئنافية ليس غير، إذ التوبة ليست مرتبطةً بـ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾، ورحمة الله واسعة، لا تقيَّد بشيء.

*** فـائـدة:**

قرأ رُويس ﴿ويتوبَ اللهُ﴾، بنصب الباء على أنه جواب الأمر، من حيث إنه داخل فيه من جهة المعنى.

قال ابن عطية: يعني: أنّ قتالَ الكفار والجهادَ في سبيل الله توبة لكم أيها المؤمنون.

وقال غيره: يحتمل أن يكون ذلك بالنسبة إلى الكفّار؛ لأنَّ قتال الكفار، وغلبة المسلمين عليهم ينشأ عنها إسلامُ كثيرٍ من الناس..[(١)].

وممّا ذكره العلماء شاهداً بارزاً على الواو الاستئنافية قول العرب: (دعني ولا أعودُ)[(٢)]. جملة (لا أعود) استئنافية، والفعل مرفوع، ولو نصب لكان المعنى: ليجتمع تركك لعقوبتي وتركي لما تنهاني عنه، وهذا باطل؛ لأنّ طلبه لترك العقوبة إنما هو في الحال، فإذا تقيَّد تركُ المنهي عنه

---

(١) انظر: النشر ٢/ ٢٧٨.

(٢) شرح الكافية ٢/ ٢٤٨، مغني اللبيب: ٤٧٠.

بالحال لم يحصل غرض المؤدب، ولو جزم فإما بالعطف ولم يتقدم جازم، أو بـ«لا» على أن تقدر ناهية، ويردُّه أن المقتضي لترك التأديب إنما هو الخبر عن نفي العَود لا نهيه نفسه عن العود، إذ لا تناقض بين النهي عن العود وبين العود، بخلاف العَود والإخبار بعدمه، ويوضحه أنك تقول: أنا أنهاه وهو يفعل، ولا تقول: (أنا لا أفعل وأنا أفعل) معاً.

*** بين الاستئناف والعطف :**

ذكر بعض النحويين أنّ واو الاستئناف قسمٌ آخرُ غير الواو العاطفة، والظاهر أنها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب، لمجرد الربط، وإنما سميت واو الاستئناف؛ لئلا يُتوهّم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها[1].

ومن شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. جملة ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من كلام الله عز وجل، تصديقاً لإبراهيم ـ عليه السلام ـ فهي استئنافية، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. أو من كلام إبراهيم، يعني: وما يخفى على الله ـ الذي هو عالم الغيب ـ من شيء في كل مكان، فهي معطوفة على جواب النداء، وجاءت بطريق الالتفات؛ لتدل على محاسن التنبيهات.

ومن شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦] في قراءة أبي عمرو وعاصم برفع الراء[2].

---

(١) الجنى الداني ١٦٣.

(٢) السبعة ٢٩٨.

وملاحظة المعنى بين العطف والاستئناف أمر ضروري لفهم الكلام، وقد يخفى ذلك. من ذلك قول الشاعر:

على الحكمِ المأتِيِّ يوماً إذا قَضَى قضيَّتَه أن لا يجورَ ويقصِدُ

الشاهد جملة (ويقصد) فهي متعيِّنةٌ للاستئناف؛ لأنَّ العطفَ يجعله شريكاً في النفي فيلزم التناقض، وتوضيحه: أنّ نفيَ الجور يقتضي ثبوت العدل المنفي ثانياً. قال سيبويه: كأنه قال: عليه غير الجور، ولكنه يقصد - أو هو قاصد - فابتدأ، ولم يحمل الكلام على «أن».. فالابتداء في هذا أسبق وأعرف»[1].

وأنشد ابن علس:

ألا تتقون اللهَ يا آل عامرٍ وهل يتقي اللهَ الإبلُّ المصمَّم

(الإبلّ: الفاجر).

الواو: للاستئناف، والجملة الاستئنافية (وهل يتقي اللهَ الإبلُّ المصمَّم) كأنها رجوعٌ واستدراكٌ عن المعنى الأول؛ لمزيد من التهكم والسخرية.

وقال الشاعر:

ومن يتَّقْ فإنَّ اللهَ مَعْهُ ورزقُ اللهِ مؤتابُ وغادي

الواو للاستئناف في الجملة الاسمية: (ورزق الله مؤتاب)، وفيها معنى التذييل والتوكيد.

* محاسن الاستئناف بالواو:

من محاسن الاستئناف بالواو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) الكتاب ٣/ ٥٦، شرح المفصل ٧/ ٣٨.

الواو في ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ للاستئناف، وما بعدها مبتدأ وخبر، ولا يخفى مجيء هذا النظم بالجملة الاسمية الدالَّة على الثبوت والدَّوام.

وقرأ يعقوب والحسن والأعمش في رواية المطوّعي: ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ من قبيل العطف على الاسم الأول.

ولا أستسيغ قراءة النصب، فهي ضعيفةٌ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ فيه وضعَ الظاهر موضع المضمَر، إذ الوجهُ أن تقول: كلمتَه.

والثاني: أنَّ فيه دلالةً على أن كلمة اللهِ كانت سفلى ـ والعياذ بالله ـ فصارت عليا، وليس كذلك.

والثالث: أن توكيد مثل ذلك بـ﴿هِيَ﴾ بعيدٌ، إذ القياس أن يكون (إيَّاها)[1].

قال الفرَّاء: ويجوز (وكلمةَ الله هي العليا) ولست أستحبُّ ذلك لظهور الله تبارك وتعالى؛ لأنه لو نصبَها ـ والفعل فعله ـ كان أجود الكلام أن يقال: وكلمته هي العليا، ألا ترى أنك تقول: قد أعتق أبوك غلامه، ولا يكادون يقولون: أعتق أبوك غلام أبيك[2].

وقال ابن الأنباري: وقد قُرِئَ: كلمةَ الله؛ بالنصب بالعطف على ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفيه بُعد؛ لأنَّ كلمةَ الله لم تزل عاليةً، فيبعد نصبها بـ﴿وَجَعَلَ﴾؛ لما فيه من إيهام أنها صارت عاليةً بعد أن لم تكن، والذي عليه جماهير القرّاء هو الرفع[3].

وقال مكّيّ: إنَّ كلمة الله لم تزل عاليةً، فيبعد نصبها بـ﴿وَجَعَلَ﴾؛

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٣١١ ـ ٣١٢، وانظر: القراءة في النشر ٢/ ٢٧٩، الإتحاف ٢٤٢.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٤٣٨.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٤٠٠.

لما في هذا من إيهام أنها صارت عليا، وحدث ذلك فيها، ولا يلزم ذلك في كلمة الذين كفروا؛ لأنَّها لم تزل مجعولة كذلك سفلى بكفرهم[(١)].

قال البيضاوي: وقرأ يعقوب: ﴿وكلمةَ اللهِ﴾ بالنصب؛ عطفاً على ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ﴾، والرفع أبلَغ؛ لما فيه من الإشعار بأن كلمةَ الله عاليةٌ في نفسها، وإنْ فاق غيرُها فلا ثبات لتفوّقه ولا اعتبار، ولذلك وسَّط الفصل.

وقال الشهاب في «شرحه»: والرفع أبلغ، أي: أكثر بلاغةً؛ لأنَّ الجملةَ الاسمية تدلّ على الدوام والثبوت، وأنَّ الجعل لم يتطرّق لها، لأنها في نفسها عالية؛ بخلاف علوّ غيرها، فإنه غير ذاتي، بل بجعلٍ وتكلّف، فهو عرضٌ زائل غير قارّ، وإن تراءى للعقول القاصرة خلافه.

وقيل: إنما كان الرفع؛ أبلغ لما في النصب من إيهام التقييد بالظروف السالفة: إذ أخرجه ـ وما بعده ـ وهو وارد على قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ﴾ فالأولى التعليل بأن جعل كلمة الله في حيّز الجعل والتصيير غير مناسب، بل هو دائم ثابت، ولا كذلك تسفيل كلمة الكفر، الذي هو جعلها مقهورة منكوسة بين الناس، وأما التعليل بأن جعل الله كلمةَ الله؛ كأعتقَ زيدٌ غلامَ زيدٍ، فمدفوعٌ بأن هذا لا فائدة فيه[(٢)].

* فـائـدة:

ذكر الإمام العينيّ واو الاستفتاح، ففي «صحيح البخاري» قوله: بابُ غَسْلِ الأعقاب: وكانَ ابن سيرين يغسل موضع الخاتم إذا توضَّأَ.

قال: (وكانَ ابنُ سيرين) الواو فيه للاستفتاح[(٣)].

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١/ ٣٦٣.

(٢) حاشية الشهاب ٤/ ٣٢٨.

(٣) عمدة القاري ٣/ ٢٣.

* **فـائـدة:**

من لطائف الجملة الاستئنافية الوصلُ بالواو لدفع الإيهام، كقولهم: (لا وأيّدك الله[1]) فالجملة (وأيدك الله) جملة استئنافية، لا شك، وصلت وإن كان بينهما كمال الانقطاع؛ لأنَّ الأولى خبر، والثانية إنشاء؛ لئلّا يُتوهَّمُ أنَّ (لا) داخلة على جملة (أيّدك الله) فتكون دعاءً عليه..

جاءت هذه الواو في قول البلغاء: (لا وأيَّدك اللهُ) أحسنَ من واوات الأصداغ على خدود المرد الملاح. كما قال الصاحب بن عبَّاد.

وتوجيه هذا الكلام يعتمد على فهم معنى (لا)، إذ هو إخبار، فهي نفي لمضمون كلام سابق، (وأيَّدك الله)؛ دعاء بالتأييد للمخاطب، ولو لم ترد الواو، وقيل: لا أيَّدك اللهُ، لتوهّم أن هذا الكلام دعاء على المخاطب بنفي التأييد[2].

قال ابن حجة الحموي: وبعضهم يرى أنَّ الواوَ تزاد بعد (لا) النافية في الجواب، إذا قيل: هل فعلت كذا وكذا؟ فيقول: لا، وعافاك الله.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرجل عربي: أكان كذا وكذا؟ فقال: لا أطال الله بقاءكَ. فقال الإمام عمر ـ رضي الله عنه ـ: قد عُلِّمتم فلم تتعلَّموا!! هلا قلت: لا وعافاك اللهُ[3].

وفي (ربيع الأبرار): أنَّ أبا بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرَّ برجل يقال له أبو لفانة، في يده ثوب، فقال له الصدّيق ـ رضي الله تعالى

---

(١) شروح التلخيص ٣/ ٦٧ ـ ٦٨، ثمرات الأوراق ١/ ٦، عمدة الكتاب ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ثمرات الأوراق ١/ ٥ ـ ٦.

عنه ـ: أتبيعُ هذا الثوب؟ فقال: لا رحمك اللهُ، فقال له الصدّيق: قد قوَّمتُ ألسنتكم لو تستقيمون، لا تقل هكذا، بل قل: لا وجعلني الله فداءك، أو: لا ورحمك الله.

وسأل المأمونُ اليزيديَّ عن شيء، فقال: لا، وجعلني الله فداءكَ.

فقال المأمون: لله درُّك! ما وُضعتِ الواو موضعاً قطُّ أحسنَ منها هنا[1].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد، فجاءه أعرابي فقال: أعطني يا محمد، فقال: «لا، وأستغفرُ اللهَ».

قال: وكانت يمينه أن يقول: «لا، وأستغفرُ اللهَ»[2].

** ** **

٢ ـ الاستئناف بالفاء

ترِد الجملة الاستئنافية بعد فاء الاستئناف في توجيه المفسرين والبلاغيين خاصّةً.

قال الرّضي: كان الأصل في جميع الأفعال المنتصبة بعد فاء السببية الرفع على أنها جملة مستأنفة؛ لأنَّ فاء السببية لا تعطف وجوباً، بل الأغلب أن يستأنف بعدها الكلام؛ كإذا المفاجأة[3].

من شواهد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وهي في تقدير: إنما أمرُنا ذاك فيكونُ.

---

(١) شروح التلخيص ٢/ ٥٦، ثمرات الأوراق ٩٢، ربيع الأبرار ٥/٢٦٣.

(٢) شرح عقود الجمان ٦٣.

(٣) شرح الكافية ٢: ٢٤٥.

قال السِّيرافي: ﴿فَيَكُونُ﴾ ليس جواباً لـ﴿كُن﴾؛ لأنَّ الكلام الأول وجوابه جميعاً من كلام واحد.. والذي قيل للشيء: (كنْ) حسبُ، ثم خبّر عنه أنّه يكون، فصار ﴿يكون﴾ كلاماً منفرداً مستأنفاً.

قال الفرّاء: وأكثر القرّاء على رفع (فيكونُ)؛ وذلك أن تجعل الكلام مكتفياً عند قوله: ﴿إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾، فقد تمّ الكلام. ثم قال: فيكون ما أراد الله، وإنّه لأحب الوجهين إليَّ[(1)].

وتَرِدُ الفاء الاستئنافية لعددٍ من المعاني:

تأتي للتأكيد، ويكون في القَسَم، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٨].

وتأتي، وفيها معنى السبب، مثال ذلك في الحديث الشريف: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكُم أنفقَ ملْءَ الأرض ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه»[(2)].

جاءت جملة «فوالذي نفسي بيده» استئنافية، فيها معنى السبب.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١ـ ٢] جاءت جملة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ استئنافية سببية، والفاء فيها للسببيّة المحضة، وليست عاطفة، إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر، ولا العكس، ولا يحسن إسقاطها ليسهل دعوى زيادتها.

قال ابن هشام: هذا قول الأكثرين، وهو الصّحيح[(3)].

---

(١) انظر الكتاب ٣٩/٣، (حاشية٢)، معاني القرآن ١/٧٥.

(٢) الحديث رواه البخاري.

(٣) شرح «بانت سعاد» ٤٨.

شواهد أخرى :

قال أبو العتاهية:

إني رأيت عواقب الدنيا فتركتُ ما أهوى لما أخشى

ويذكر علماء البلاغة من محاسن التعليل قول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

علَّلَ عدم إصابة الغنى الكريمَ بالقياس على عدم إصابة السيل للمكان العالي، كالطود العظيم، من جهة أن الكريم لاتّصافه بعلو القدْر كالمكان العالي، والغني لحاجة الناس إليه كالسيل.

وقال غيره:

آتِ الرزقُ يومَ يومَ، فأجملْ طلَباً، وابغِ للقيامةَ زادا

ومن الحكمة: لا تتفكهوا بأعراض الناس، فشرُّ الخُلُقِ الغيبةُ.

ومن شواهد ذلك أيضاً قول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ (فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟) وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ (فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى)﴾ [طه: ٩٠].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ (فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا)﴾ [آل عمران: ٩٥].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)﴾ [يونس: ٩٤].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا (فَٱغْفِرْ لَنَا) وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)﴾ [طه: ١٠٨].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا (فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا)﴾ [مريم: ٢٦].

*** تنبيه :**

حين ذكر ابن هشام أقسام الفاء عرض ثلاثةَ أقسام: العاطفة، والرابطة للجواب، والزائدة، ثم أتبعها بتنبيه ذكر ما نصُّه[١]:

قيل: الفاء تكون للاستئناف؛ كقوله:

ألم تسألِ الربْعَ القَوَاء فينطِقُ

أي: فهو ينطق؛ لأنها لو كانت للعطف لجزم ما بعدها، ولو كانت للسببية لنصب، ومثله قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] بالرفع[٢]، أي: فهو يكون حينئذٍ.

وقول الشاعر[٣]:

الشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سلَّمُه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلَمُهْ
زلَّتْ به إلى الحضِيضِ قَدَمُهْ ... يريدُ أن يعرِبَه فيُعجِمُهْ

أي: فهو يعجِمُه، ولا يجوز نصبه بالعطف؛ لأنّه لا يريد أن يعجمَه.
والتحقيقُ: أنّ الفاء في ذلك كله للعطف، وأنّ المعتمدَ بالعطف الجملة لا

---

(١) المغني ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وحمزة في كل القرآن(السبعة٣٧٣، ٥٤٤).

(٣) الشعر نسبه سيبويه لرؤبة ٣/ ٥٢، المقتضب ٢/ ٣٣، معنى إعجامه أن يجعله مشكلاً لا بيان له، أو يأتي به أعجمياً.

الفعل، والمعطوف عليه في هذا الشعر قوله: يريد، وإنما يقدّر النحويون كلمة (هو)؛ ليبيّنوا أنّ الفعلَ ليس المعتمد بالعطف.

والشواهد التي ذكرها النحويون، من نحو:

غير أنّا لم تأتِنا بيقين فنرجّي ونكثرُ التّأميلا

ونحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

قدّروا الفاء للسببية، والمبتدأ محذوف، قال الرضي:

ولا أرى بأساً من أن لا يقدر في مثله المبتدأ؛ لأنّ فاء الجزاء قد تدخل على المضارع المثبت والمنفي بـ«لا» من غير تقدير مبتدأ... لكن الاستئناف والسببية مع تقدير المبتدأ أظهر[1].

ومن الشواهد التي ذكرها المرادي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

قال بعضهم: وإذا أردت الاستئناف بعدها من غير تشريك للجملتين كانت حرف ابتداء، نحو: قام زيد، فهل قمت، وقام زيد، فعمروٌ قائم. وعليه قوله:

ألم تسألِ الربع القواء فينطقُ

أي: فهو ينطق. وجعل من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨].

الشاهد جملة: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾، وهذه الفاء ترجع عند التحقيق للفاء العاطفة للجمل؛ لقصد الربط بينها[2].

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٢٤٨.

(٢) الجنى الداني: ٧٦.

* **الفاء التفسيرية :**

وجّه بعض العلماء الفاء للتفسير لكلام مجملٍ، أو لعددٍ مبهم، من ذلك قول طرفة:

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من لـذّة الفـتى ... وجَدِّكَ لم أحفِلْ متى قام عُوَّدي

ثم فسّرهن فقال:

فمنـــهن ســبقُ العــاذلات بشــربةٍ
وكرِّي إذا نادى المضـاف المجنّبـا
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

ووردت في توجيهات المفسرين لعددٍ من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا (فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا)﴾ [الأعراف: ٤].

قيل: الفاء ليست للتعقيب، وإنَّما هي للتفسير؛ كقولهم: توضأ فغسلَ وجهه ويديه. ونحو قوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ (فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ)﴾ [الأعراف: ١٣٦]، الفاء تفسيرية، وذلك على رأي من أثبت للفاء هذا المعنى، وإلاَّ كان المعنى: فأردنا الانتقام منهم.

ومنه: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ (فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً)﴾ [النساء: ١٥٣].

(فقالوا) الفاء تفسيرية، مثل: توضّأ فغسل وجهه.

وكذلك: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ (فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ)﴾ [الإسراء: ١٢].

الفاء تفسيرية؛ لأنَّ المحو المذكور وما عطف عليه ليسا ممَّا يحصل عقب جعل الليل والنهار آيتين، بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمّماته.

ومنه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ (أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ)..﴾ [الجاثية: ٣١].

الفاء في ﴿أَفَلَمْ﴾ زائدة أو تفسيرية، نحو: توضأ فغسل وجهه ويديه، فالفاء ليست مرتِّبة، وإنَّما هي مفسرة للوضوء، وكذلك تكون في الآية مفسرة للقول الذي يسوؤهم.

* فـائـدة :

وردت جملة الاستئناف بغير الفاء الاستئنافية في الجواب كثيراً؛ لأنّ الجواب يستغني أوّلهُ عن آخره بالوقف عليه، فيقال: ماذا قال لك؟ فيقول القائل: قال كذا وكذا. فكأنَّ حُسنَ السكوت يجُوز به طرحُ الفاء، وهذا واسع في رؤوس الآيات؛ لأنها فصول، يحسن معها ذلك[1].

* فـائـدة :

في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ هذا من كلام الملأ، وجملة ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ استئنافية من كلام فرعون، وهذا شبيه بالإدراج، وجاز ذلك على كلامهم إيَّاه، كأنه لم يُحْك، وهو حكاية، فلو صرّحت بالحكاية لقلت: يريد أن يخرجكم من أرضكم، فقال: فماذا تأمرون؟

ويحتمل القياس أن تقول على هذا المذهب: قلت لابنتك: قومي؛ فإني قائمة. تريد: فقالت: إنِّي قائمة.

وقلَّما أتى مثله في شعر أو غيره، قال عنترة:

ولقد خشيت بأن أموتَ ولم تـدُر ... للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم

الشاتمي عرضـي ولم أشـتِمْهما ... والنـاذرين إذا لقيتـهما دمـي

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٣-٤٤.

فهذا شبيه بذلك؛ لأنه حكاية، وقد صار كالمتصل على غير حكاية، ألا ترى أنه أراد: الناذرين إذا لقينا عنترةَ لنقتلنَّهُ، فقال: إذا لقيتهما، فأخبر عن نفسه، وإنما ذكراه غائباً، ومعنى لقيتهما: لقياني(١).

وقد يكون القول كلّه من قول الملأ، قالوا لفرعون وحده: فماذا تأمرون؟ كما يخاطَب الجبّارون والرؤساء: ما ترون في كذا؟؟..

** ** **

٣ ـ الاستئناف بـ(ثُمَّ)

المعروف عند النحويين أن (ثُمَّ) حرف يقتضي ثلاثةَ أمور: التشريك في الحكم (العطف)، والترتيب، والمهلة(٢).

وقد تتخلّفُ عن معنى العطف وتتمحّضُ للاستئناف؛ ليبرزَ بعدها معنى مستقل عن الأول في صناعة الإعراب، لكنّه ملتئم من حيث المعنى المراد.

قال الفرّاء: تقع (ثُمَّ) للاستئناف، نحو: أعطيتك ألفاً، ثم أعطيتك قبل ذلك مالاً.

وأبرز شواهد الجملة هنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: ١٦ ـ ١٧]، الوقف على قوله: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كافٍ، ثم تبتدئ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ بالرفع، على الاستئناف.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٨٧، معلقة عنترة، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٥٧.

(٢) المغني: ٦٠.

قال أبو حاتم: لأنه قد أهلك الأوّلين ولم يهلك الآخرين بعدُ، والمعنى: وسنتبعهم الآخرين فيما بعد. و(ثم): مبتدأ منقطع من الأول، والتفسير يؤيد ما قال[1].

قال السمينُ الحلبيّ في الدر: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ﴾: العامة على رفع العين استئنافاً، أي: ثم نحن نُتْبِعُهم، وليس بمعطوفٍ؛ لأنّ العطف يوجب أن يكون المعنى: أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك، وليس كذلك؛ لأن هلاك الآخرين لم يقع بعدُ[2].

قال السمين الحلبي: ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله: **﴿ثم سنتبعهم﴾** بسين التنفيس[3].

ومن أبرز الشواهد على ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]. جملة ﴿يُعِيدُهُ﴾ استئنافية ليس غير؛ لأنَّ إعادة الخلق لم تقع بعد فيقرُّوا برؤيتها، ويؤيد الاستئناف فيه قوله سبحانه وتعالى عقب ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

قال ابن هشام: من الوهم إعراب (ثم) حرفاً عاطفاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ..﴾ [العنكبوت: ١٩]؛ لأنَّ (ثم) لا تصلح عاطفة هنا، إذ إعادة الخلق لم تقع، وإذا لم تقع فكيف يُقرّون برؤيتها[4]..؟

---

(١) همع الهوامع ٢/ ١٣٢، معاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٦، المكتفى في الوقف والابتدا ٦٠٢، زاد المسير ٨/ ٤٤٨، القرطبي ١٩/ ١٥٩.

(٢) الدّر المصون ١٠/ ٦٣٤، انظر: البحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٣) انظر: المحتسب ٢/ ٣٤٦، البديع: ١٦٧.

(٤) انظر المغني: ٨٦.

لهذا كانت (ثم) للاستئناف في الآية الكريمة.. ويؤيد كونها للاستئناف في الآية قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، فمن المستحيل أن يسيروا فينظروا بدء الخلق ثم إنشاء النشأة الآخرة.

قال الفيروز آبادي في «بصائر ذوي التمييز» عند الكلام على معاني (ثم): تكون للابتداء كقوله سبحانه وتعالى في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣١ ـ ٣٢].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

(ثم) للاستئناف ليست للعطف على جواب الشرط(١)، وهذا الحكم دائم لهم إن شاء الله ـ تعالى ـ لا ينصرون أبداً.

وهذا الاستئناف إخبار، لذلك لم يشرك في الجزاء فيجزم؛ لأنه ليس مترتباً على الشرط، بل القولية مترتبة على المقاتلة.

قال الفرّاء(٢): (يولوكم الأدبار) مجزوم؛ لأنه جواب للجزاء: (ثم لا ينصرون) مرفوع على الاستئناف؛ ولأنَّ رؤوس الآيات بالنون، فذلك مما يقوّي الرفع، كما قال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فرُفع.

وذكر صاحب «رصف المباني»: أن «ثم» ترد حرف ابتداء، إما أن تكون حرف ابتداء على الاصطلاح، أي: يكون بعدها المبتدأ والخبر، وإما ابتداء كلام.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٦٠.

(٢) معاني القرآن ١/ ٢٣٠.

فالأول: نحو أن تقول: أقول لك أكرمْ زيداً، ثم أنت تتركُ الإكرام، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤].

والثاني: ابتداء الكلام، كقولك: هذا زيد قد خرج، ثم إنك تجلس، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ ـ ١٦].

وقد يرجع هذا إلى عطف الجمل، إذا كانت الجملتان في كلام واحد، وذلك بحسب إرادة المتكلم، والأظهر في الجمل الانفصال في المراد، إلا حيث يدل الدليل على أن مقصود الكلام واحد(١).

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ..﴾ [المائدة: ٤٣].

جملة ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ جملة مستأنفة، أي: ثم هم يتولون بعد، وهي إخبار من الله تعالى بتوليهم، وجعلها الزمخشري معطوفة على ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ..﴾ [الجاثية١٧ـ ١٨]. (ثم) للاستئناف، وجملة ﴿جَعَلْنَٰكَ﴾ استئنافية ليس غير(٣).

---

(١) رصف المباني: ١٧٥، الجنى الداني ٤٣١.

(٢) الكشاف ١/٦١٥، الدر المصون ٤/٢٧٠.

(٣) الفتوحات الإلهية ٤/١١٦.

٤ ـ الاستئناف بـ(حتى)

الكلام على أقسام (حتى) ومعانيها طويل عند النحويين والمفسرين، وما يهمُّنا هنا أن نذكرَ (حتّى) التي تكون حرف ابتداء، لا عاطفةً ولا حرفاً جاراً.

قال المرادي: حتّى الابتدائية، وليس المعنى أنها يجب أن يليها المبتدأ والخبر، بل المعنى: أنها صالحة لذلك، وهي حرف ابتداء يُستأنف بعدها الكلام[(١)]، من خلال الأشكال الآتية:

أ ـ الجملة الاسمية: (المبتدأ والخبر)، ولم تقع في القرآن الكريم.

ب ـ الجملة الفعلية: (مصدَّرةً بمضارعٍ مرفوع).

ت ـ الجملة الفعلية: (فعلها ماضٍ).

ث ـ الجملة الشرطية: كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

وتفصيل ذلك فيما يأتي:

الجمل بعد (حتى) الابتدائية لا محل لها من الإعراب، وتدخل (حتى) على الجملة الاسمية كقول جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها … بدجلةَ حتى ماءُ دجلةَ أشكلُ[(٢)]

وعلى الفعلية التي فعلها مضارع، كقراءة نافع ـ رحمه الله ـ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢١٤] برفع ﴿يقولُ﴾[(٣)].

---

(١) الجنى الداني ٥٥١ ـ٥٥٢، شرح قواعد الإعراب ١٠١، شرح الكافية٢/١١٢.

(٢) ديوان جرير ١٤٣، الخزانة ٤/ ١٤٢.

(٣) قراءة الإمام نافع المدني ومجاهد، قال سيبويه: وهي قراءة أهل الحجاز. انظر الكتاب ٣/ ١٨-٢٥، البحر المحيط ٢/ ١٤٠.

قال سيبويه: يُرفع الفعل بعد (حتّى) على وجهين:

تقول: لقد سرت حتى أدخلُها، تعني: أنه كان دخولٌ متصل بالسير كاتصاله به بالفاء، إذا قلت: سرت فأدخلُها.. كأنه يقول: سرت فإذا أنا في حال دخول، فالدخول متصل بالسير كاتصاله بالفاء، فـ«حتى» صارت هاهنا بمنزلة «إذا» وما أشبهها من حروف الابتداء.

وأما الوجه الآخر: فإنه يكون السير قد كان وما أشبهه، ويكون الدخول وما أشبهه الآن، فمن ذلك: لقد سرت حتى أدخلُها ما أُمنَعُ، أي: حتى أنّي الآن أدخلها كيفما شئت.

ومثل ذلك قول الرجل: لقد رأى مني عاماً أوّلَ شيئاً حتى لا أستطيعُ أن أكلِّمَه العامَ بشيءٍ، ولقد مرض حتى لا يرجونه. والرفع هاهنا في الوجهين جميعاً كالرفع في الاسم، قال الفرزدق:

فواعجباً حتى كليبٌ تسبّني ... كأنَّ أباها نهشلٌ أو مجاشع

و(حتى) هاهنا بمنزلة (إذا)، وإنما هي هاهنا كحرف من حروف الابتداء[1].

قال أبو نواس:

وأَخَفْتَ أهل الشرك حتّى إنه ... لتخافك النطف التي لم تُخْلَقِ

والجملة الاستئنافية جاءت للمبالغة والغلوّ الزائد مما نعي عليه، إذ جعل ما لم يخلق يخاف الممدوح.

وتدخل (حتى) على الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟﴾ [الأعراف: ٩٥].

---

(١) الكتاب ٣/ ١٧ ـ ١٨، ارتشاف الضرب ٢/ ٤٠٧..

وتدخل على جملة الشرط، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ [مريم: ٧٥].

حتى: هي التي يُحكَى بعدَها الجملُ هاهنا، ألا ترى أن الجملة الشرطية واقعة بعدها، وكذلك هي في كل سياق دخلت فيه على الجملة الشرطية..

ومن شواهد النحويين قول امرئ القيس:

سَرَيْتُ بهم حتى تكلَّ مطيُّهم   وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأرسانِ[1]

(حتى الجيادُ): (حتّى) هنا حرف غاية تقع بعدها الجملة المستأنفة لا عاطفة؛ لمصاحبتها لواو العطف، ولا جارة؛ لرفع (الجياد) بعدها، وهو مبتدأ، خبره جملة (ما يقدْنَ).

قال عباس حسن: (حتّى) الابتدائية تفيد الدلالة على الغاية، ولو بتأويل أو تقدير، ولكنها لا تدخل إلا على جملة جديدة، مستقلة عن الجملة التي قبلها في الإعراب، مع اتّصالهما معنًى بنوعٍ من الاتصال، كالتي في قول الشاعر:

كريم يميت السرَّ، حتى كأنه   إذا استخبروه عن حديثه جاهله[2]

و(كأنّ) من الحروف الناسخة التي لها الصدارة في أول جملتها.

وهذا هو المراد من قول الخضري عند كلامه عليها في باب العطف: إنها هي الداخلة على جملة مضمونها غاية لشيء قبلها، أي: نهاية وآخر له[3]،

(١) أي: هو يسري بأصحابه غازياً إلى أن تكلَّ مطاياهم، وأما الخيل فإنها تجهد وتنقطع فلا يجدي فيها أن تقاد بالأرسان، وكانوا يركبون المطي ويقودون الخيل. انظر: الكتاب ٣/ ٢٧، المغني ١٧٢.

(٢) النحو الوافي ٤/ ٣٣٣.

(٣) حاشية الخضري ٢/ ٦٣.

فتدخل على الجملة الاسمية نحو: (الصناعة مفيدة حتى فائدتها الخلقية كبيرة)، وتدخل على الجملة الفعلية الماضوية، نحو قول المتنبي يصف جيش الأعداء:

وضاقت الأرض، حتى كان هاربُهم ... إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّه رجلاً

*** تنبيه:**

الجملة بعد (حتى) الابتدائية لا محلَّ لها من الإعراب، خلافاً للزجَّاج، فإنه ذهب إلى أن (حتى) هذه جارّة، والجملة في موضع جر بـ(حتّى)، وهو ضعيف.

قال ابن الخباز: لأنه يفضي إلى تعليق حرف الجر عن العمل، وذلك غير معروف[1].

*** فائدة:**

قد يكون للوقف والابتداء دورٌ في توجيه الاستئناف، وتوضيح بعض المعاني في الجملة المبدوءة بـ(حتى)، كقوله تعالى: ﴿فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

(حتى) متعلّقة بـ(صبروا).

ويجوز أن يكون الوقف تمَّ على (كُذِّبوا)، ثُمَّ استأنف فقال: ﴿وَأُوذُواْ﴾ فتتعلَّق (حتى) به. والأوَّل أقوى.

وقال أبو حيَّان: الظاهر أنَّ الغاية هنا الصبر والإيذاء؛ لظاهر عطف ﴿وَأُوذُواْ﴾ على ﴿فَصَبَرُواْ﴾، وإن كان معطوفاً على ﴿كُذِّبُواْ﴾، فتكون الغاية للصبر[2].

---

(١) المغني ١٧٦، المرتجل ٣٣٤..

(٢) البحر المحيط ٤/١١٢.

* مسألة :

توسع الإمام الفرَّاء في حديثه عن أقسام (حتى) وبيان أعاريبها ومعانيها، وتعرَّض لقول الفرزدق المشهور في هجاء جرير:

فواعجباً حتّى كُلَيْبٌ تسُبُّني   كَأَنَّ أباها نهشَلٌ أو مجاشِعُ

قال: الرفع فيه جيِّد، وإن لم يكن قبله اسم.. فكأنه قال: يا عجباً! أتسبُّني اللئام حتى يسبّني كليب؟ فكأنه عطفَه على نيّة أسماءٍ قبله.

والذين خفَضوا توهَّموا في كليبٍ ما توهّموا في المواقيت، وجعلوا الفعل كأنه مستأنف بعد كليب؛ كأنه قال: قد انتهى بيَ الأمر إلى كليب، فسكتَ، ثم قال: تسبُّني؟؟![1]

** ** **

٥ ـ الاستئناف بـ(أم)

يُلمح من (أم) المنقطعة ـ وهي التي لا يكون قبلها إحدى الهمزتين ـ دلالتها على الإضراب مع الاستفهام، فهي ليست عاطفةً، ويأتي بعدها جملة استئنافية مستقلّة عما قبلها.

قال السِّيرافي في الحديث عن (أم) المنقطعة:

شبَّه النحويون (أم) في هذا الوجه بـ(بل)، ولم يريدوا بذلك أنَّ ما بعد (أم) محقَّق، كما يكون ما بعد (بل) محققاً، وإنما أرادوا أنَّ (أم) استفهام مستأنف بعد كلام يتقدمها، كما أن (بل) تحقيق مستأنف بعد كلام تقدمها.

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١/١٣٨، الكتاب ٣/١٨.

والدليل على أنها ليست بمنزلة (بل) مجرَّدةً قوله عزّ وجل: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ..﴾ الآية [الزخرف:١٦]. ولا يجوز أن تكون بمعنى: بل اتخذ ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وتقديره في اللفظ: آتّخذ؟ بالألف للاستفهام، والمعنى: الإنكار والرد لما ادّعوه؛ لأنّ ألف الاستفهام قد تدخل للتقرير، والردّ، والإنكار، والتوبيخ، والتّوعد[١].

قال مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل تغيّرتِ الرَّحا   رحا الحَزْنِ أو أضحت بفَلْجٍ كما هيا

قال أناسٌ: «أم أضحت» على كلامين، يريد سيبويه الانقطاع والاستئناف، كما قال علقمة بن عبدة:

هل ما علمت وما استُودعت مكتومُ   أم حبلُها إذ نأتك اليوم مصروم
أم هل كبير بكى لم يقضِ عبرَتَه   إثر الأحبة يوم البين مشكوم

استأنف السؤال، فقال: أم هل تجازيك ببكائك على إثرها، وأنت شيخ؟[٢]

قال ابن برّي: (أم) هنا منقطعة، استأنف السؤال بها، فأدخلها على (هل)، لتقدّم (هل) في البيت قبله، وهو:

هل ما علمتَ وما استُودعت مكتومُ

ثم استأنف السؤال بـ(أم) فقال: أم هل كبير..

ومثله قول الجَحَّاف بن حكيم:

أبا مالك هل لمتَني مذ حضَضْتَني   على القتل أم هل لامني منك لائم

إلا أنه متى دخلت (أم) على (هل) بَطَل منها معنى الاستفهام، وإنما دخلت (أم) على (هل)؛ لأنها لخروجٍ من كلامٍ إلى كلام[٣].

---

(١) الكتاب ٣/ ١٧٢ حاشية ٤.

(٢) الكتاب ٣/ ١٧٨، وانظر: ٣/ ١٨٨، الخزانة ٤/٥١٦-٥١٧.

(٣) لسان العرب (أم).

فـائـدة :

في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ ..﴾ [البقرة: ١٠٨]

يجوز في (أم) وجهان:

أحدهما: أنها حرف نسق (عطف).

والثاني: أنها حرف ابتداء. قال الفرّاء: إلا أنه ابتداء متصل بكلام، فلو ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام، ثم استفهمت لم يكن إلا بالألف، أو بـ(هل)، ومن ذلك قوله الله عزّ وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ١-٣]، فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، فهذا دليل على أنها استفهام مبتدأ على كلام قد سبقه..[(١)].

* * *

٦ ـ الاستئناف بـ(بل)

ترِد (بل) حرفَ إضرابٍ عن كلامٍ سابقٍ، وإثباتٍ للثاني، إن تلاها جملةٌ كان معنى الإضراب إما الإبطال؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وإمّا الانتقال من غرض إلى غرض آخر؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٦].

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٧١ ـ ٧٢.

قال سيبويه[1]: وأما (بل) فلترك شيءٍ من الكلام وأخذٍ في غيره.

قال الشاعر أبو ذؤيب حيث ترك أول الحديث:

بل هل أُريك حُمُولَ الحيّ غاديةً كالنّخل زيّنها ينعٌ وإفضاحُ[2]

وقال لبيد:

بل من يرى البرقَ بتّ أرقبُه يُزجي حَبيّا إذا خبا ثقَبا[3]

وقال المبرّد: حكمها الاستدراك أينما وقعت في جحدٍ أو إيجاب.

ووضَّح الراغب هذا الكلام، فقال: التدارك هو ضربان: ضربٌ يناقض ما بعدَه ما قبلَه، لكن ربما يُقصَدُ به لتصحيح الحكم الذي بعده إبطالُ ما قبله، وربما قصد لتصحيح الذي قبله وإبطال الثاني. ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٣ ـ ١٤].

أي: ليس الأمر كما قالوا بل جهلوا، فنبّه بقوله: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ على جهلهم[4].

ومما قُصد به تصحيح الأول وإبطال الثاني قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٢٣.

(٢) الحمول: الإبل عليها الهوادج.. أينع: أدرك. وأفضح: حين تدخله الحمرة والصفرة، يعني: البسر.

(٣) يزجي: يسوق، والحبي: ما حبا من السحاب، أي: اعترض في الأفق وارتفع. خبا: سكن لمعانه. ثقب: استطال وانتشر. انظر: الكتاب ٤/ ٢٢٣.

(٤) المفردات: بل.

﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٦ ـ ١٧]. أي: ليس إعطاؤهم المالَ من الإكرام، ولا منعهم من الإهانة، لكن جهلوا ذلك؛ لوضعهم المال في غير موضعه.

والضرب الثاني من (بل): هو أن يكون سبباً للحكم الأول وزائداً عليه بما بعد (بل)، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ [الأنبياء: ٣٩ ـ ٤٠]. أي: لو يعلمون ما هو زائد على الأول وأعظم منه، وهو أن تأتيهم بغتةً.

هذا؛ ولعلَّ جميع ما في القرآن من لفظ (بل) لا يخرج عن أحد هذين الوجهين، وإن دقّ الكلام في بعضه.

قال ابن مالك: إن كان الواقع بعد (بل) جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرضٍ واستئناف غيره، ولا يكون في القرآن إلا على هذا الوجه[١].

وهذا الحكم ليس على إطلاقه، وإنما تبرز الجملة الاستئنافية بوضوحٍ إن وقعت بعد (بل) على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال. وأبرز شاهدٍ على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ [المؤمنون: ٦٢ ـ ٦٣] فجملة: ﴿قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ استئنافية[٢]، ما قبلها كلام إخباريّ محقَّق، وما بعدها كلام إخباري محقّق، وكلاهما مقصود.

وقد يزاد قبل (بل) في سياق الاستئناف الإضرابي (لا)؛ لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب، كقوله: وجهك البدر لا بل الشمس.

---

(١) انظر شرح الكافية ٣/ ٢٠٠، البرهان للزركشي ٣/ ٢٤.

(٢) الجنى الداني ٢٣٥.

ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي كقوله:

وما هجرتك لا بل زادني شغفاً ...

وقال الأخفش: وربما استعملت العرب (بل) في قطع كلامٍ واستئناف آخر، فينشد الرجل منهم الشعر، فيقول في قول العجّاج:

بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا مـن طلـلٍ كـالأتحميّ أنهجـا

وينشد:

بل وبلـدة ما الأنـس في آلهـا

و(بل) ليس من أصل البحر المشطور، ولا يعدّ في وزنه، ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله..[1].

شواهد أخرى:

قال الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

جملة ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عطف على مقدَّر يقتضيه السياق يدل عليه ما قبله، كأنه قيل: هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلطٍ من خلقٍ جديد، مستأنف[2].

وقال ابنُ هشام (بل) التي تليها الجملة حرف ابتداءٍ، لا عاطفة على الصحيح[3].

وقال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦].

---

(١) انظر: تاج العروس: بل.

(٢) انظر الكشاف ٤/٥.

(٣) المغني ١٥٢.

جملة ﴿بَلْ﴾ استدراك لقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾، يعني: بل هم أشباه البهائم، لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك.

وقيل: إنَّ (بل) إضراب انتقالي في الحسبان. والجملة مستأنفة استئنافاً إخبارياً[1].

** ** **

٧ ـ الاستئناف بـ(أو)

لـ(أو) عددٌ من المعاني جمَعها ابن مالك بقوله[2]:

خَيِّرْ، أَبِحْ، قسّم بأو، وأبهم   واشكك وإضراب بها أيضاً نُمي

وقال الرضي:

ترد (أم) و(أو) و(إمَّا) لأحد الأمرين مبهماً، أو أحد الأمور، وإذا جاءت (أو) بمعنى (إلى أن) أو (إلا أن)، وجاءت (أو) للإضراب بمعنى (بل)، فلا يكون إذاً بعدها إلاَّ الجمل، فلا تكون حرف عطف بل حرف استئناف.

تقول في الاستئناف: أنا أخرج اليوم، ثم يبدو لك الإقامة، فتقول: أو أقيم، أي: بل أقيم، على كل حال[3].

وأكّد الرضي الاستئناف بـ(أو) قائلاً:

---

(١) انظر الكشاف ٣/٣٥، الجنى الداني ٢٣٦.

(٢) ألفية ابن مالك، وانظر: الكتاب ٣/ ١٦٩، ١٧٩ ـ ١٨٧.

(٣) شرح الكافية ٢/ ٣٦٩.

وقد يستأنف بعد (أو)، من غير معنى (إلى) أو (إلاَّ)، كما تقول: أنا أسافر أو أقيم. حكمت أولاً بالسفر، ثم بدا لك فقلت: أو أقيم، أي: أو أنا أقيم، أي: بل أنا مقيم.

من شواهد ذلك[1] قول الشاعر:

بدَتْ مثلَ قرنِ الشمسِ في رونقِ الضُّحى

وصـــورتها أو أنـــتِ في العـــين أملـــحُ

هذا البيت شاهد عند النحويين على أن (أو) فيه حرف استئناف للإضراب، ولا يحتمل أن تكون عاطفةً، إذ لا يصلح قيام الجملة بعدها مقام قوله (مثل قرن الشمس)، كما هو حق المعطوف[2].

قال الفرّاء: العرب تجعل (أو) نسقاً مفرّقة لمعنى ما صلحت فيه (أحد)، كقولك: اضرب أحدَهما: زيداً أو عمراً، فإذا وقعت في كلام لا يراد به (أحد)، وإن صلحت جعلوها على جهة (بل)، كقولك في الكلام: (اذهب إلى فلان أو دع ذلك، فلا تبرح اليوم) فقد دلّك هذا على أن الرجل قد رجع عن أمره الأوّل، وجعل (أو) في معنى (بل). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧][3].

وقال الفرّاء وأبو عليّ: تأتي (أو) للإضراب بمعنى (بل)، وحكى الفرّاء: اذهب إلى زيد أو دَعْ ذلك فلا تبرح اليومَ. وقرأ أبو السّمال: ﴿**أوْ كلما عاهدوا عهداً..**﴾ [البقرة: ١٠٠].

---

(١) شرح الكافية ٢/ ٢٤٨.

(٢) الخزانة ٤/ ٤٢٣. وانظر: النحو الوافي ٤/ ٢٨٩.

(٣) معاني القرآن ١/ ٧٢.

قال ابن جنّي: (أو) هنا بمعنى (بل). وقد ذكر سيبويه الإضراب في النفي والنهي في مسائل إذا أعدم العامل، منها: لست بشراً أو لست عمراً، وزعم بعض النحويين أنها تكون للإضراب على الإطلاق..[1].

** ** **

٨ ـ الاستدراك بـ(لكنّ، ولكنْ)

يستحسن قبل معرفة الجملة الاستدراكية فهم معنى الاستدراك، ففي اللغة: معنى الدّرَك: اللَّحاق، وقد أدركه إذ لحقه، قال الجوهري: الإدراك لحوق الشيء.. وتداركوا: تلاحقوا، أي: لحق آخرُهم أوَّلَهم، والدرك: اتّباع الشيء بعضه على بعض في الأشياء كلها. واستدراك الشيء بالشيء: إذا حاول إدراكه به، واستدرك ما فات وتداركه بمعنًى..[2].

ولعلّ إشارة علماء النحو إلى معنى (لكنّ) أنه استدراك من أجل هذه المعاني كلها. فيستدرك بها بعد النفي والإيجاب؛ وهو أن تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها، ولذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعده أو ضدّ له. قال الجاربردي: ومعنى الاستدراك: رفع وهمٍ عن كلام سابق.

قال سيبويه[3]: (لكنْ) لا يُتدارك بها بعد إيجاب، ولكنها يُثبت بها بعد النفي، فإن قلت: ما مررتُ برجل صالح ولكن طالحٌ، وما مررت برجل صالح بل طالحٌ. الرفع على الاستئناف، لأنّ (لكن) و(بل) من الحروف التي يُبتدأ بها.

---

(١) ارتشاف الضرب ٢/ ٦٤٠، المحتسب ١/٩٩، البحر المحيط ١/٣٢٣..

(٢) الصحاح: درك ٤/١٥٨٢.

(٣) الكتاب ١/ ٤٣٥.

وترد الجملة الاستئنافية في سياق الاستدراك لتحقق هذا المعنى، أي: ارتباطها بكلامٍ سابق لرفع الوهم عنه، وتارةً للتوكيد دائماً مثل (إنَّ)، ويصحب التوكيد معنى الاستدراك، ومن أبرز شواهدها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

قال الفرّاء: إذا أدخلوا عليها الواو آثروا تشديدها؛ لأنها رجوعٌ عما أصاب أول الكلام، فشبهت بـ(بل) إذا كانت رجوعاً مثلها، ألا ترى أنك تقول: لم يقم أخوك بل أبوك، ثُمَّ تقول: لم يقم أخوك لكنْ أبوك. فتراهما في معنًى واحدٍ.

والواو لا تصلح في (بل) فإذا قالوا: (ولكن) فأدخلوا الواو تباعدت عن (بل) إذ لم تصلح في (بل) الواو، فآثروا تشديد النون، وجعلوا الواو كأنها أُدخلت لعطفٍ لا بمعنى (بل)[1].

وجعل ابن هشام (لكنْ) حرف ابتداء إن تلتها جملة، كقول زهير:

إنَّ ابن ورقاء لا تُخشَى بوادِرُه لكنْ وقائعُه في الحرب تُنتظرُ[2]

فالمناسب جعل الجملة الاستدراكية (وقائعه.. تنتظر) استئنافية لا محل لها..

ونستطيع أن نوجِّه كل كلام بدأ بـ(لكنْ) أو (لكنّ) أو (ولكن) هو وسياقه بأنه جملة استئنافية تفيد الاستدراك، وهو كثير في كلام العرب والبيان القرآني، وفيه مزية المقابلة أو الطباق.

ومن أوضح شواهده قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧ ـ ٣٨].

---

(١) المغني ٣٨٥.

(٢) شرح ديوان زهير: ٢٠٠.

وقد ذُكر هذا الأسلوب في علم البديع، وسمّاه السيوطي في (شرح عقود الجمان): نفي الموضوع، وهو كثير في الحديث وكلام البلغاء بأن يكون اللفظ موضوعاً لمعنًى فيصرَّحُ بنفيه عنه ويثبته لغيره؛ مبالغةً في ادّعاء ذلك الحكم.

ومثاله في الحديث الشريف: «ليس الغنى عن كثرة العرَض، ولكنّ الغنى غنى النفس»(١).

ومنه: (ليس البيانَ كثرةُ الكلام، ولكنْ فصل فيما يحبُّ الله ورسوله، وليس العِيّ عِيّ اللسان، ولكنْ قِلّة المعرفة بالحق)(٢).

قال المرادي: ومعنى (لكن) في جميع مواضعها: الاستدراك(٣).

قال صاحب «رصف المباني»(٤): ويكون معناها الإضراب إذا كانت حرف ابتداء؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال السيوطي: الاستثناء المنقطع يُقدَّر عند البصريين بـ(لكنّ) المشدَّدة؛ لأنه في حكم جملة منفصلة عن الأولى، فقولك: ما في الدار أحدٌ إلا حماراً، في تقدير: لكنّ فيها حماراً، على أنه استدراك مخالفٌ ما بعد (لكنّ) فيه ما قبلها، غير أنهم اتّسعوا فيه فأجروا (إلاّ) مُجرى (لكنّ)، ولما كانت لا يقع بعدها (إلّا) المفرد، بخلاف (لكنّ)، فإنه لا يقع بعدها إلا كلام تام؛ لقّبوه بالاستثناء، تشبيهاً بما إذا كانت استثناءً حقيقةً، وتفريقاً بينها وبين (لكنْ).

---

(١) الحديث رواه البخاري في الرقاق: ١٥.

(٢) شرح عقود الجمان ١٤١.

(٣) الجنى الداني ٥٩١.

(٤) رصف المباني ٢٧٦.

وقال قوم ـ منهم أبو الحجّاج ابن يسعون ـ: (إلاَّ) مع الاسم الواقع بعدها في المنقطع يكون كلاماً مستأنفاً، ومنه قول النابغة:

وقفتُ فيها أُصيلاً لا أُسائلها ... عيَّت جواباً وما بالربع من أحدِ
إلاَّ الأواريَّ لأياً ما أُبيِّنُها ... والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلدِ

(إلاَّ) فيه بمعنى (لكنَّ)، والأواريَّ: اسم لها منصوب بها، والخبر محذوف، كأنه قال: لكنَّ الأواريَّ بالربع، وحذف خبر (إلاَّ) كما حذف خبر (لكنَّ) في قوله: ولكنَّ زنجياً عظيمَ المشافرِ[1].

ومما يستجاد من الاستئناف للاستدراك قول كشاجم:

ولئن شعرتُ فما تعمْـ ... ـمَدت الهجاء ولاالمديحه
لكن رأيت الشعر للـ ... آداب ترجمة فصيحه

** ** **

٩ ـ الاستئناف بـ(على)

يقرب من الاستدراك بـ(لكنّ): الاستدراك بـ(على)، وتكون للاستدراك والإضراب، كقولك: فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه، على أنه لا ييأسُ من رحمة الله.

ونلمح هذا المعنى من فحوى كلام ابن الدُّمَينة:

وقد زعموا أنَّ المحبَّ إذا دنا ... يُمَلُّ وأن النّأي يشفي من الوَجْدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يُشفَ ما بنا ... على أنَّ قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

---

(١) همع الهوامع ١/ ٢٢٣، الدر اللوامع ١/١٩١.

هذا الكلام من باب التخصيص والتقييد، وذلك أنَّ صدر البيت الثاني لمّا اقتضى: أنَّه لا خير للمحب في قرب الدار، استدركه بما ذكر في عجزه، ولما اقتضى هذا العجز أن قرب الدار نافع بكل حال، استدركه بما ذكر في البيت الثالث(١).

وتعلّق (على) بخبر مبتدأ محذوف، أي: والتحقيقُ على أنّ الأمر كذا، وهذا الوجه اختاره ابن الحاجب، وقال: ودلّ على ذلك أنَّ الجملةَ الأولى وقعت على غير التحقيق، ثم جيء بما هو التحقيق فيها(٢) وحُذف المبتدأ؛ لوضوح المعنى.

أدرج ابن رشيق تحت باب الاستثناء قول الشاعر:

فتًى تَمَّ فيه ما يسرُّ صديقه ... على أنَّ فيه ما يسوء الأعاديا

فكأنه لما كان فيه ما يسوء أعاديه لم يطلق عليه أنه يسرّ فقط، وذلك زيادة في مدحه، وليس هذا الاستثناء على ما رتبه النحويون، فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة، وإنما سمّي اصطلاحاً وتقريباً، سماه الحاتميّ وأصحابه، ولم يسمّ حقيقةً(٣).

ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

ويعدل في شرق البلاد وغربها ... على أنه للسيف والمال ظالم

** ** **

---

(١) شرح بانت سعاد: ١٦٨..، والأبيات في ديوانه ٨٢، قصيدة ٤١.

(٢) مغني اللبيب ١٩٣، الأمالي النحوية لابن الحاجب ٢/ ١٥٤..

(٣) العمدة ٢/ ٤٨، وللبيت رواية أخرى: فتًى كلُّ ما فيه...

١٠ ـ الاستئناف بـ(إلاَّ)

تَرِد (إلاَّ) لمعنى الاستثناء، وهو الأصل فيها إن كانت أركانُ الاستثناء متحققة، وقليل من المعربين من اهتمّ ببيان إعراب جملة الاستثناء.

قال السيوطي في «همع الهوامع»: الاستثناء في حكم جملةٍ مستأنفة؛ لأنك إذا قلت: جاء القوم إلا زيداً، فكأنك قلت: جاء القوم وما منهم زيدٌ. فمقتضى هذا أن لا يعمل ما بعد (إلاَّ) فيما قبلها، ولا ما قبلها فيما بعدها[١].

والأنسبُ في الجملة الواقعة بعد (إلاَّ) بمعنى (لكنْ) أن تكون مستأنفةً ومعناها الاستدراك.

من أمثلة سيبويه قوله: إنَّ لفلانٍ والله مالاً إلاَّ أنه شقيٌّ؛ فـ(أنه شقي) لا يكون أبداً على إنَّ لفلانٍ.. وجاء على معنى: ولكنه شقيٌّ[٢].

وأبرزُ شاهدٍ على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٥].

فـ(إلاَّ) بمعنى (لكن)، والاستثناء منقطع. والجملة بعدها اسمية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: مبتدأ، و﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ خبر.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢١ ـ ٢٤]. الشاهد الجملة بعد (إلاّ) بمعنى (لكنْ)، الاستثناء منقطع والجملة تفيد الاستدراك. وهو المذهب الراجح[٣].

---

(١) همع الهوامع ١/ ٢٣٠.

(٢) الكتاب ٢/ ٣١٩.

(٣) انظر المختار من أبواب النحو للحلواني: ٣٥٠-٣٥٣.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٥ ـ ٦] في أحد القولين.

ومثل ذلك قول العرب: والله لأفعلنَّ كذا وكذا إلاَّ حِلٌّ ذلك أن أفعل كذا وكذا. فـ(أن أفعلَ كذا) بمنزلة فِعلُ كذا وكذا، وهو مبنيٌّ على (حِلٌّ)، (أي: خبر) وحِلٌّ مبتدأ، كأنه قال: ولكنْ حِلٌّ ذلك أن أفعلَ كذا وكذا[1].

وقال أبو العلاء الهمداني: من العلماء من قال: إذا كان بعد الاستثناء كلام تام جاز الابتداء بـ(إلاَّ) إذا لم يتغيّر معنى ما قبلها، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ..﴾ [المطففين: ٢٤ ـ ٢٥][2].

* مسألة:

قرأ أُبيّ وابن عامر: ﴿**ما فعلوه إلا قليلاً منهم**﴾ [النساء: ٦٦] كأنه نفى الفعل وجعل ما بعد (إلاَّ) كالمنقطع عن أول الكلام؛ كقولك: ما قام القوم، اللهم إلا رجلاً أو رجلين[3].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

قال الفرّاء: إنَّ المؤمنين يشفع بعضهم في بعض، فإن شئت فاجعل (مَنْ) في موضع رفع، كأنك قلت: لا يقوم أحدٌ إلاَّ فلانٌ، وإن شئت جعلته نصباً على الاستثناء والانقطاع عن أوّل الكلام، تريد: اللهم إلاَّ من رحمت[4].

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٤٢.

(٢) المكتفى ١٩٩ حاشية ٢.

(٣) معاني القرآن: ١/ ١٦٦.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٤٢.

١١ ـ الاستئنافُ بعدَ (إمَّا)

ترِد (إمَّا) حرف تخيير بعد كلام مجملٍ، أو في جواب استفهام وما بعدها جملة استئنافية.

فيجوز أن تقول: ألاَ رجلَ، إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرو، كأنه قيل له: من هذا المتمنَّى؟ فقال: زيد أو عمرو[١].

قال الفرّاء: والعرب تستأنف بـ(إمَّا) و(إمّا) أنشدني بعض بني عُكل:

ومن لا يزل يستودعُ الناسَ مالَـه　　تَرِبْهُ على بعض الخطوب الودائعُ
ترى النـاس إمـا جـاعلوه وقايـةً　　لمــالهمُ أو تــاركوه فضــائعُ[٢]

**　**　**

١٢ ـ الاستئناف بـ(خلا) و(عدا)

خلا: كلمة من حروف الاستثناء، يقال: ما في الدار أحد خلا زيداً.

قال الجوهري: تقول: جاؤوني خلا زيداً، تنصب بها إذا جعلتها فعلاً، وتضمر فيها الفاعل، كأنك قلت: خلا مَنْ جاءني مِنْ زيدٍ، أو خلا بعضُهم زيداً، فجملة (خلا زيداً) لها توجيهان:

أحدهما: أنها في محل نصب على الحال، والتقدير: خالين من زيدٍ.

والثاني: أنها مستأنفة، فيها إخبار متجدد[٣].

---

(١) الكتاب ١/ ٢٨٩.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ١٥٨.

(٣) انظر أوضح المسالك ٢/ ٧٢.

ومن أساليب العرب قولهم: ما أردت مساءَتك خلا أني وعظتك، معناه: إلاّ أنّي وعظتكَ، ومنه قول الشاعر:

خلا اللهَ لا أرجو سِواك وإنما أعدّ عيالي شعبةً من عُيالكا[1]

** ** **

١٣ ـ الاستئناف بـ(ليس) و(لا يكون)

صرّح ابن هشام في (أوضح المسالك) بأن جملتي الاستثناء من ليس زيداً، ولا يكون زيداً، وفي نحو: «ما أنهرَ الدم وذُكِرَ اسم الله عليه فكلوا ليس السِنَّ والظفر»، وتقول: أتوني لا يكون زيداً، في موضع نصب على الحال، أو هما مستأنفتان فلا موضع لهما[2].

وبيّن الأزهريّ مقصود ابن هشام من الاستئناف فقال: دعوى الاستئناف يخلُّ بالمقصود..؟

قلت: لا يعنون بالاستئناف عدم تعلّقها بما قبلها في المعنى بل في الإعراب فقط؛ وذلك لأنّ هذه الجملة وقعت موقع (إلا زيداً)، فكما أن (إلا زيداً) لا موضع لها من الإعراب مع تعلقه بما قبله، فكذلك هذه..[3].

والمدقّق لما أصَّلَه سيبويه في بيان جملة الاستثناء بـ(لا يكونُ) و(ليس) وما أشبههما يُقِرُّ بأنَّ هذه الجملة استئنافية.

قال سيبويه: (ما أتاني القوم ليس زيداً)، و(أتوني لا يكون زيداً)، و(ما أتاني أحد لا يكون زيداً)، كأنه حين قال: أتوني، صار المخاطَبُ

(١) لسان العرب: خلا ج٢/ ١٢٥٧.

(٢) أوضح المسالك ٢/ ٧٢.

(٣) التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١٢٠.

عنده قد وقع في خَلَده أنَّ بعض الآتين زيد، حتى كأنّه قال: بعضهم زيد، فكأنه قال: ليس بعضُهم زيداً[1].

قال السيوطي: والأصحُّ أن جمل أفعال الاستثناء (ليس) و(لا يكون) و(خلا) و(عدا) و(حاشا) مستأنفة، وهو رأي ابن عصفور، إذ لا رابط لها بذي الحال[2].

من شواهد هذه الجملة:

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحدٍ من ولد آدم إلاّ قد أخطأ، أو همَّ بخطيئةٍ، ليس يحيى بن زكريا»[3].

جملة (ليس يحيى) استئنافية.

** ** **

١٤ ـ الاستئناف بـ(لا سيّما)

يدور في فلك الاستثناء الاستثناءُ بـ(لا سيّما) عند الكوفيين، وجماعة من البصريين كالأخفش وأبي حاتم والفارسي والنحاس.

ومنع ذلك آخرون؛ لأن المذكور بعدها ليس مستثنى بل منبه على أولويته بالحكم المنسوب لما قبلها[4]، فالجملة من (لا سيما) وما بعدها استئنافية للتخصيص، نحو:

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٤٧.

(٢) همع الهوامع ١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ٨٠.

(٤) انظر: همع الهوامع ١/ ٢٣٥، الدرر اللوامع ١/ ١٩٩، شرح الأشموني ١/ ٢٤١، شرح شواهد المغني للسيوطي ٤١٣، حاشية الأمير ١/ ١٢٣.

فِـهْ بـالعقود وبالأيمـان لا سـيما   عهدٌ وفاءٌ بـه مـن أعظـم القُـرَبِ

جملة (لا سيما عهد) أرى أنها استئنافية، والمعنى: أخصّ عهداً الوفاءُ به من أعظم القرب.

ولم يتعرّض كثيرٌ من المعربين لذكر هذه الجملة هاهنا.

** ** **

١٥ ـ الجملة بعد (هل)

(هل) حرفُ استفهام، تدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق الموجَب، لا غير، وهذا هو الأصل في معناها[١]. وقد ترد لمعانٍ أُخر.

ترِد (هل) بمعنى (قد) فترتبط بجملةٍ استئنافيةٍ، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية:١] أي:قد أتاك يامحمد حديثُ الغاشية.

وفي هذا الاستفهام توقيفٌ فائدته تحريكُ نفس السامع إلى تلقي الخبر، وقال به بعض المفسرين في ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان:١].

ومن معانيها الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١]، وقال الشاعر:

وإنَّ شـفائي عـبرةٌ مهَرَاقـةٌ   فهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّل؟

قال ابن جنّي:

هذا ظاهره استفهام لنفسه، ومعناه التحضيض لها على البكاء، كما تقول: أحسنتَ إليَّ فهل أشكرك، أي: فلأشكرنّك. وقد زرتني فهل أكافئنّك، أي: فَلأُكافئنَّك[٢].

---

(١) الجنى الداني ٣٤١.

(٢) سرّ صناعة الإعراب ١/٢٥٩، لسان العرب ٣/ ٤٦٩٤ (هلل).

١٦ ـ الاستئناف بـ(بله)

ترِد (بله) اسم فعل أمر بمعنى: دَعْ، بله زيداً، أي: دع زيداً[١].

وعدَّها الكوفيون والبغداديون من أدوات الاستثناء، وأجازوا النصب بها على الاستثناء، نحو: (أكرمتُ العبيدَ بلهَ الأحرارَ)، على معنى: أنّ إكرام الأحرار يزيد على إكرام العبيد، رأوا ما بعدها خارجاً مما قبلها في الوصف، فجعلوه استثناء[٢].

وفي الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سَمِعتْ ولا خطر على قلب بشَرٍ، ذخراً بلهَ ما أُطْلِعتُم عليه»[٣].

جملة (بله ما أطعتم عليه) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

** ** **

١٧ ـ الجملة بعد (بينا) و(بينما)

قالوا: بينا نحن كذلك إذ حَدَثَ كذا، وأنشد سيبويه لرجل من قيس عيلان:

فبينا نحن نرقُبُه أتانا ... مُعلِّقَ وَفْضَةٍ وزِنادَ راعٍ

قال ابنُ سِيدَه: (بينما) و(بينا) من حروف الابتداء، وليست الألف في (بينا) بصلة.

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٢، الجنى الداني ٤٢٤.

(٢) الجنى الداني ٤٢٥.

(٣) الأحاديث القدسية ٦٧ ـ ٦٨، والحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ [السجدة: ١٧]. رقم الحديث ٤٥٠٢.

وبينا: (فَعلى) أشبعت الفتحة فصارت ألفاً.

وبينما: (بين) زيدت عليه (ما)، والمعنى واحد[1].

وكون الجملة بعد (بينا) و(بينما) لا موضع لها من الإعراب، هو الصحيح من المذاهب.

قال أبو حيَّان: أصل (بين) أن تكون ظرفاً للمكان، وتتخلّل بين شيئين أو ما في تقدير شيئين أو أشياء...

وزعمَ ابنُ الأنباري أن (بين) إذا ارتبطت بـ(ما) أو الألف فهي شرطية، وفي الجملة بعدها وجهان:

أحدهما: الجملة مضاف إليها نفسها.. أو على تقدير حذف زمان مضاف إلى الجملة..

والثاني: أنّ الجملة بعد (بينما وبينا) لا موضع لها من الإعراب، استئنافية، و(ما) والألف كافتان[2].

** ** **

١٨ ـ الجملة بعد (قَلَّ)

كلمة (قلَّ) إذا اتصلت بها (ما) كفَّتها عن طلب فاعل، نحو: قلَّما يُرعَى غريبُ البلد، والمعنى: ما يُرعى غريبُ البلد.

قال ابن منظور في «لسان العرب»: وقالوا: (قلَّما يقوم زيد) هيَّأتْ (ما) (قلَّ)؛ ليقع بعدها الفعل.

قال بعض النحويين: (قلّ) من قولك: (قلّما) فِعْلٌ لا فاعل له؛ لأنّ

---

(١) لسان العرب (بين)، شرح الكافية ٢/ ١١٣، الكتاب ١/ ١٧١.

(٢) انظر: همع الهوامع ١/ ٢١١.

(ما) أزالته عن حكمه في تقاضيه الفاعل، وأصارته إلى حكم الحرف المتقاضي للفعل لا الاسم، نحو: (لولا) و(هلاّ) جميعاً، وذلك في أدوات التحضيض، و(إنْ) في الشرط، وحرف الاستفهام، ولذلك ذهب سيبويه في قول الشاعر:

صدَدْتِ فأطوَلْتِ الصّدودَ وقلَّما وِصالٌ على طُول الصدودِ يدومُ

إلى أنَّ (وصالٌ) يرتفع بفعل مضمر يدل عليه (يدوم)، حتى كأنه قال: قلّما يدومُ وصالٌ، فلمّا أضمر (يدومُ) فسّره بقوله فيما بعد: يدوم.

هذا؛ ولا يجوز أن نقول: قلَّما محمد في الدار، أو طالما زيد عندنا؛ لأن لـ(قلَّ) بدخول (ما) حكماً خاصاً: فارقت (طال) و(قل) بالتركيب الحادث فيهما ما كانتا عليه من طلبهما الأسماء[1].

والمذكور في كتاب سيبويه أنه يجوز في الشعر تقديم الاسم، وشاهده: وقلما وصال...

وقال سيبويه: إنما الكلام: وقلَّ ما يدوم وصال[2].

** ** **

١٩ ـ الجملة بعد (ربما)

قال الجوهري: (ربّ) حرف خافض، لا يقع إلا على النكرة.. تدخل عليه (ما) ليمكن أن يتكلّم بالفعل بعده، فيقال: ربما.

وفي التنزيل العزيز: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]، فجملة (يودّ) استئنافية إخبارية لا محل لها من الإعراب[3].

---

(١) لسان العرب: قلّ ٥/٣٧٢٧.

(٢) الكتاب ١/ ٣١ و٣/ ١١٥، وانظر الخزانة ٤/ ٢٨٩.

(٣) الصحاح: رُبَّ، الجنى الداني ٤٥٥.

ومنه قول الشاعر[1]:

ربّما الجامِلُ المؤبَّلُ فيهم وعَناجيجُ بينهن المِهارُ[2]

وهذا على رأي المبرّد في أن (ما) في (ربما) كافة لا نكرة موصوفة، وإليه ذهب ابن مالك[3].

** ** **

٢٠ ـ الجملة الواقعة بعد (إنّما)

تلحق إنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليت، لعلَّ الأداةُ (ما) غيرُ الموصولة، فيرتفع ما بعدها بالابتداء، والجملة استئنافية، وتكفّ هذه الأحرف عن العمل[4].

وإذا ارتبطت بالجملة الفعلية تكون (ما) مهيّئة وموطّئة لدخول هذه الأحرف المشبهة على الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

من شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٥].

** ** **

---

(١) أبو دواد الإيادي. ديوانه ٣١٦، شرح المفصل ٨/ ٩.

(٢) الجامل: القطيع من الإبل مع رعاتها، المؤبَّل: المعدّ للقِنية، العناجيج: جياد الخيل، المِهار: جمع مُهَد.

(٣) التسهيل ١٤٨، الجنى الداني ٤٥٤.

(٤) ارتشاف الضرب ٢/ ١٥٦.

٢١ ـ الاستئناف بـ(كما)

تزاد (ما) بعد الكاف الجارة، فتكف غالباً، ويليها الجمل الاسمية والفعلية[١]، كقوله:

أخٌ ماجدٌ لم يخزُني يومَ مشهدٍ   كما سيفُ عمرٍو لم تخنْهُ مضاربُهْ

جملة (سيفُ عمرٍو لم تخنْه مضاربُه) اسمية استئنافية.

وقول الآخر:

ألم ترَ أنَّ الفعلَ يتبعُ إلْفَهُ   كما عامرٌ واللؤمُ مؤتلفان

قال السيوطي:

وجوّز السيرافي والأعلم وابن خروف أن توصل (ما) بالجملة الاسمية[٢]، وشاهدهم قول الشاعر:

كما دماؤكمُ تشفى من الكَلَبِ

والجمهور منعوا ذلك، وقالوا: هي في البيت كافة، والجملة بعدها استئنافية.

قال سيبويه: وسألت الخليل عن قول العرب: انتظرني كما آتيك، وارقبني كما ألحقك، فزعم أن (ما) والكاف جُعِلتا بمنزلة حرفٍ واحد... والمعنى: لعلّي آتيك، فمن ثَمَّ لم ينصبوا به الفعل.

قال رؤبة:

لا تشتمِ الناسَ كما لا تُشتَمُ

أي: لا تَشتم الناسَ لعلك لا تُشتم إن لم تَشتمهم[٣].

---

(١) همع الهوامع ١/ ٨١.

(٢) همع الهوامع ٢/ ٣٨.

(٣) الكتاب ٣/ ١١٦.

وأورد الدماميني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣] وشاهده ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ فهي استئنافية، ولو كان لها ارتباط بسابقتها، ففي تفسير الجملة المنقطعة عما قبلها، قال: يعني بالانقطاع عَدَمَ التعلق الصناعي بإتْباع أو إخبار أو حالية، ولا يضرُّ الارتباط بغير ذلك.

يدخل في ذلك جملة ﴿ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ وإن ارتبطت من حيث التشبيه، فالارتباط معنًى لا يستلزم محليّة الإعراب[1].

** ** **

٢٢ـ الاستئناف بـ(مُذْ، ومُنْذ)

من أوجه أعاريب (مذ) و(منذ) أن تكونا اسمين في محل رفع على الابتداء، وما بعدهما خبر، نحو: (ما رأيته مذ يومُ الجمعة) أو (منذ يومان)، فالتقدير: أول انقطاع الرؤية يومُ الجمعة، أو أمد انقطاع الرؤية يومان، وهذه الجملة الأرجح أنها استئنافية، والكلام جملتان، وهذا توجيه المحققين من النحويين والبيانيين.

قال الرضي: والكلام مع (مذ) الاسمية عندهم جملتان؛ (فما رأيته) جملة، و(مذ يوم الجمعة) جملة أخرى.

ولا يجوز عطف الثانية على الأولى، وإن جاز ذلك إن صرّحت

(١) حاشية الأمير ٢/ ٤٦.

بتفسيرهما، كما تقول: ما رأيته وأمد ذلك يومان؛ وذلك أن الثانية صارت مرتبطة بالأولى ممتزجة بها، فصارتا كالجملة الواحدة، ولا محل للثانية عند جمهورهم؛ لأنها كالمفسّر[1].

يقول ابن هشام: (منذ) و(مذ) وما بعدهما في نحو: ما رأيته مذ يومان، الجملة في موضع نصب على الحال، وليس بشيء لعدم الرابط[2]. وهو مذهب السِّيرافي.

وقال الجمهور: مستأنفة جواباً لسؤال تقديره عند من قدّر (مذ) مبتدأ: ما أمدُ ذلك..؟ وعند من قدّرها خبراً: ما بينك وبين لقائه..؟[3].

قال السيوطي: اختلف هل لجملة (مذ) و(منذ) ومرفوعهما محلّ من الإعراب؟

فقال الجمهور: لا محل لجملة (مذ) وما بعدها، و(منذ) وما بعدها إذا قدِّرتا بِـ:أمدُ... والكلام هاهنا جملتان، خرجت الثانية مخرج الجواب، كأنه قيل له: ما أمد ذلك؟ قال: يومان.

ويرجّح الاستئناف على الحال بأنه لا رابط فيها من ضمير أو واو الحال[4].

** ** **

---

(١) شرح الكافية ٢/ ١٢٢.

(٢) مغني اللبيب ٥٠٥، شرح قواعد الإعراب ١٤٨.

(٣) ارتشاف الضرب ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٤) همع الهوامع ٢/ ٢١٧.

٢٣ ـ الجملة الاستئنافية بعد (إذا) الفجائية

من الفروق الدقيقة بين (إذا) الشرطية و(إذا) الفجائية ـ في مجال الجمل خاصة ـ أن الجملة بعد (إذا) الشرطية في موضع خفض بالإضافة. والجملة بعد (إذا) الفجائية لا موضع لها من الإعراب، والأقرب أن تكون استئنافية.

قال سيبويه: (أمّا) و(إذا) يقطع بهما الكلام، وهما من حروف الابتداء، يصرفان الكلام إلى الابتداء[(١)].

ونظر الرضي إلى ارتباطها بكلام سابق أو استقلالها عنه، فقال: (إذا) المفاجأة هي في ضعف الاستئناف بعدها، مثل (حتى)[(٢)]، فإذا لم ترتبط بكلام صناعي؛ كالعطف مثلاً أو جواب الشرط فهي استئنافية.

ومن أبرز شواهدها قول الشاعر:

وكنت أرى زيداً كما قيل سيداً　　　إذا إنَّه عبد القفا واللّهازمِ

جملة (إنه عبد القفا واللهازم): جملة اسمية استئنافية لامحل لها من الإعراب.

وقال آخر:

حسِبْتُك في الوغى مِرَدى حروبٍ　　　إذا خَوَرٌ لديك فقلتُ سُحقا[(٣)]

وجملة (خَوَرٌ لديك): استئنافية، والرأي الأنسب أن تكون (إذا) حرفاً للمفاجأة.

ومن شواهد النحويين قول الشاعرة[(٤)]:

وبينا نسوسُ الناسَ والأمر أمرُنا　　　إذا نحن فيهم سوقةٌ نَتنصَّفُ

(١) الكتاب ١: ٩٥، وقد قاس عليها (حتى) الابتدائية. انظر: الكتاب ٣/ ١٧.
(٢) شرح الكافية ١/ ١٧٢.
(٣) مردى حروب: رجل حرب شجاع.
(٤) الجنى الداني ٣٧٦، السوقة: العبيد، نُتَنَصَّفُ: نخدم

٢٤ ـ الاستئناف بـ(إذَنْ)

(إذَنْ) معناها: الجواب والجزاء(١).

تلي (إذَنْ) الجملة الاسمية، يقول: أزورك، فتقول: (إذَنْ) أنا مكرمٍ لك(٢).

جوَّز الكسائي النصب بها، وإن وليت عاطفاً قلَّ النصب بها، والأكثر في لسان العرب إلغاؤها، قال الله تعالى: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦]. وقرئ شاذاً: ﴿لا يلبثوا﴾، ﴿ولا يؤتوا﴾، فمن ألغى راعى تقدم حرف العطف، ومن أعمل راعى كون ما بعد العاطف جملة مستأنفة(٣).

ومن التوجيهات الصعبة بين المعربين قول الراجز:

لا تتركَنّي فيهمُ شطيرا إني إذن أهلكَ أو أطيرا

قال ابن مالك: شذّ النصب بـ(إذَنْ) بين ذي خبر وخبره في قول الراجز السابق. وأجاز ذلك بعض الكوفيين، وتأوله البصريون على حذف الخبر. والتقدير: إني لا أقدر على ذلك، ثم استأنف بـ(إذَنْ) فنصب(٤).

** ** **

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٤.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/ ٣٩٦.

(٣) همع الهوامع ٢/ ٧.

(٤) الجنى الداني ٣٦٢، الخزانة ٣/ ٥٧٤. والشطير: البعيد.

٢٥ ـ الجملة بعد (ما) النافية

(ما) النافية من الحروف المشتركة التي تدخل على الأسماء والأفعال، وهي لنفي الحال، كـ(ليس) عند الجمهور...

إذا جاءت في أول الكلام فما بعدها جملة استئنافية، نحو: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

جملة (كانوا إيانا يعبدون) بعد (ما) النافية: استئنافية إخبارية لا محل لها من الإعراب.

قال الزمخشري: وإخلاء الجملتين من العاطف؛ لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى[١].

** ** **

٢٦ ـ الجملة بعد أدوات العَرْض والتَّحْضيض

تحدّث سيبويه عن أصل أدوات التحضيض، فقال: (هلاّ) و(لولا) و(ألاّ) ألزموهنَّ (لا)، وجعلوا كل واحدةٍ مع (لا) بمنزلة حرف واحد، وأخلصوهنّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض[٢].

من شواهد ذلك قول الشاعر:

ألا رجلاً ـ جزاه الله خيراً ـ ... يدلُّ على محصّلةٍ تبيت

كأنه قال: ألا تُروني رجلاً[٣].

(١) الكشّاف ٣/١٨٨.

(٢) الكتاب ٣/١١٥.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٠٨.

وترِد (ألا) أداة عَرْض ـ وهو طلب برفق ـ فترتبط بالمضارع خاصة، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وترِد (ألا) أداة تحضيض ـ وهو طَلَبٌ بِحثٍ وشدة ـ فترتبط بالمضارع أيضاً، نحو: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

وترِد (لولا) للطلب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧].

جملة (لولا أخرتنا) استئنافية، و(لولا) بمعنى: هلاّ للتحضيض، والماضي مع (لولا) في هذه الآية في تأويل المستقبل.

ومنه: هلاّ أكرمت زيداً.

قال الفرّاء: (لولا) إذا كانت مع الأسماء فهي شرط، وإذا كانت مع الأفعال فهي بمعنى (هلاّ)، لوم على ما مضى، وتحضيض على ما يأتي.

قال الزجّاج في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠] معناه: هلاّ[1].

** ** **

٢٧ ـ الجملة الاستئنافية بعد (أمّا)

قال سيبويه: (أمّا) و(إذا) يقطع بهما الكلام، وهما من حروف الابتداء، يصرفان الكلام إلى الابتداء..[2].

وقال الرضي: (أمّا) من الحروف التي يبتدأ معها الكلام ويستأنف،

(١) لسان العرب جـ٣/ ٤٦٩٣ (هلل).

(٢) الكتاب ١/ ٩٥.

ولا ينظر معها إلى ما قبلها[1].

وعلى هذا: تَرِدُ الجملة الاستئنافية بعد (أمّا)، وهي في سياق الكلام تكون في تفصيل ما أجمله المتكلم واستئناف كلامه، كقولك: جاءني إخوتك؛ فأما زيد فأكرمته، وأما خالد فأهنته، وأما بكر فأعرضت عنه.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]. ثمودُ مبتدأ، جملة (هديناهم) خبر، والجملة الاسمية استئنافية.

قال الله تعالى ـ بعد ذكر السفينة والغلام والجدار ـ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩]، و: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٠]، و: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢].

ومن مواضع (أمّا): أن تكون آخذاً في كلام مستأنف من غير أن يتقدمها كلام، وعلى هذا يرِد ما يأتي في أوائل الكتب، كقولك: أمّا بعدُ..

أشار إلى ذلك معظم المفسرين في قوله تعالى عن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

قال أبو السعود: (فصل الخطاب): الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس؛ لما روعي فيه مظانّ الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإظهار والإضمار والحذف والتّكرار، وإنما سمي به: أمّا بعد؛ لأنه يفصل المقصود عما سبق؛ تمهيداً له؛ كالحمد والصّلاة[2].

---

(١) شرح الكافية ١/ ١٧١.

(٢) تفسير أبي السعود ٧/ ٢٢٠.

٢٨ ـ الجملة الاستئنافية بعد (ألا) و(أما)

ترِد (ألا) أداة استفتاح وتنبيه المخاطَب[١].

وهي تدخل على الجملة الاسمية، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢].

والفعلية، نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

والجمل بعد (ألا) استئنافية لا محل لها من الإعراب، وكذلك الجملة بعد (أمَا) الاستفتاحية، نحو:

أمَا للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

جاء في لسان العرب: (أمَا) ـ بالفتح ـ كلمة معناها الاستفتاح، بمنزلة (ألا)، ومعناهما: حقاً. ولذلك أجاز سيبويه: أما إنه منطلق. وأمَا أنه.

فالكسر على ألا إنه، والفتح: حقاً أنّه.

وتكسب (أما) الكلام عدداً من المعاني، منها: تكون تأكيداً للكلام واليمين، كقولك: أمَا إنه لرجل كريم، وفي اليمين كقولك: أمَا والله لئن سهرتُ لك ليلة لأدعنّك نائماً، أما لو علمت بمكانك لأساعدنّك[٢].

** ** **

---

(١) الكتاب ٤/ ٢٣٥.

(٢) الكتاب ٣/ ١٢٢، لسان العرب (أما) ١/ ١٢٢.

٢٩ ـ الجملة بعد أدوات التعليق غير العاملة

سمّى النحويون: (لو ولولا ولمّا ولوما) أدوات شرط وتعليق، وما بعدها جملة استئنافية، ومنهم من سمّى جملة الشرط غير الظرفي، وهي التي تقع بعد أداة شرط ليس فيها معنى الظرف، سواء أكانت جازمة أم غير جازمة، وهذه الأدوات هي: (إنْ، إذما، مَنْ، مهما، كيفما، أيَّ، لو، لولا).

ولم يذكر النحويون القدامى هذا المصطلح، واختلف المعربون فيها، وأكثرهم يذكرون في الأعاريب أنّها لا محل لها، دون أن يجعلوا لها اسماً، أو اصطلاحاً، يميّزها مما سواها من الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وكان أبو حيّان قد تنبّه إليها، غير أنّه قيّدها بالجمل التي «تقع بعد حروف الشرط غير العاملة، نحو: لولا زيدٌ لأكرمتُك، ولو جاء زيدٌ لأكرمتُك».

ولا بدّ من التمييز ههنا بين مصطلحين متقاربين، الجملة الشرطية، وجملة الشرط غير الظرفي، أمّا الأول فالمراد به الجملة المركّبة تركيباً شرطيًّا، أي: المكوّنة من أداة الشرط، أيًّا كانت، ومن جملتي الشرط والجواب. وأمّا الثاني فالمقصود به: الجملة الفعلية، أو الاسمية، تلي أداة الشرط التي هي ليست من ظروف الزمان أو المكان.

ولعلّ عذر النّحاة في إغفال جملة الشرط غير الظرفي، أنّ أكثرهم لم يحظ ما للجملة الشرطية من تميّز، فردّها إلى الجملة الفعلية أو الاسمية؛ تبعاً لما بعد الأداة وأثره فيها، وجعل موضع الجملة الشرطية، من الإعراب، لتلك الجملة التي تلي الأداة أو تضمها[(١)].

قال سيبويه: وأما (لمّا) فهي للأمر الذي وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة (لو) لما ذكرنا، فإنما هي لابتداء وجواب[(٢)].

---

(١) انظر إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة ٤٢-٤٣.

(٢) الكتاب ٤/ ٢٣٤.

فالجملة بعد (لمّا) استئنافية، وهو رأي سيبويه؛ لأنها عنده حرف شرط غير جازم، أي: يقتضي جملتين، وُجِدَت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو: لمّا جاءني أكرمته[1].

قال ابن سيدة: (لو) حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره..

وقال الليث: (لو) حرف أمنية، كقولك: لو قدم زيد، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: ٦٧][2].

** ** **

٣٠ ـ الاستئناف بـ(لوما)

ترتبط (ما) بعدد من الأحرف فتغير عملها، وتكسبها مزية أخرى في سياق الكلام الواردة فيه.

قال سيبويه: وقد تغيّر الحرف حتى يصير يعمل لمجيئها غير عمله الذي كان قبل أن تجيء، وذلك نحو قوله: إنّما، كأنّما، لعلّما، جعلتهن بمنزلة حروف الابتداء[3].

ومن ذلك: (لَوْما) فهي عند سيبويه لابتداء وجواب، فالأول: سبب ما وقع وما لم يقع[4].

قال الشاعر:

لوما الإصاخة للوشاة لكان لي ... من بعد سخطك في رضاك رجاء[5]

---

(١) همع الهوامع ١/ ٢١٥.

(٢) لسان العرب: لو.

(٣) الكتاب ٤/ ٢٢٢.

(٤) الكتاب ٤/ ٢٣٥، الجنى الداني ٦٠٩.

(٥) شرح التصريح ١/ ٢٦٣.

وترِد (لوما) للتّحضيض دون الشرط، كقول عمر في حديثه: لوما أبقيت! أي: هلّا أبقيت.

وهي حرف من حروف المعاني، معناها التحضيض، كقوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ [الحجر: ٧].

جملة (تأتينا بالملائكة) استئنافية.

** ** **

٣١ ـ الاستئناف بـ(لا)

قال المرادي: إذا وقع بعد (لا) جملةٌ ليس لها محل من الإعراب، لم تكن عاطفة، ولذلك يجب تكرارها، في نحو: زيد قائم لا عمرُو قائم ولا بشر؛ لأن الجملة مستأنفة، ولذلك يجوز الابتداء بها[1].

وردت (لا) النافية للاستئناف في قول المخبل السعدي:

وتُريك وجهاً كالصحيفة، لا ظمآنُ مختلجٌ ولا جَهْمُ
كعقيلة الدُّرِّ استضاء بها محراب عرشٍ عزيزها العُجمُ

وذكر الفرّاء في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣ ـ ٤٤]، أنّ وجه الكلام أن يكون خفضاً متبعاً لما قبله.

ومثله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢-٣٣] ولو رفعت ما بعد (لا) لكان صواباً من كلام العرب.. فهم يستأنفون بـ(لا) فإذا ألقوها لم يكن إلا أن تتبع أول الكلام بآخره[2].

---

(١) الجنى الداني ٢٩٥.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧.

الفصـل الـرابـع

من قضايا الجملة الاستئنافية

تـمـهيـد

عرَضتُ في الفصول السابقة أهميّة الجملة الاستئنافية من خلال تذوّق النص الأدبي، ثم بيّنتُ أغراض تلك الجملة ومقاصدها التي عُنِي بها علماء البيان، وجنى ثمارَها علماء التفسير وشرّاح النصوص الأدبية؛ الشعرية والنثرية؛ ليجد طلاّبُ العربية ومتذوقو الأدبِ جمالَ هذه الجملة وغناها، واتّساع دلالاتها.

وبيّنتُ في الفصل الثالث أهمية أدوات المعاني وارتباطها بالجملة الاستئنافية، وهو ما كان مفرّقاً في كتب النحو، جاء رصيدُه الأوفر في دراسةٍ متكاملة، يمتلك القارئ فيها مفاتيح البيان والمعرفة للجملة الاستئنافية وارتباطها بحروف الاستئناف، ومغايرتها للعطف أو الحال أو جواب الشرط ونحو ذلك، وما يتبعه من دلالةٍ معنويةٍ خاصّةٍ في كل جملةٍ.

واستكمالاً لدور الجملة الاستئنافية ـ التي هي تاج الجمل العربية ـ جاء هذا الفصل بعنوان: **من قضايا الجملة الاستئنافية**.

وفيه أغراضٌ كثيرةٌ، وموضوعات متنوعة، ومسائل دقيقة، الغرضُ الأساسي منها تمييز الجملة الاستئنافية من غيرها، مما يشبهها أو يقاربها.. أو يدور في فلكها، أو يتداخل إعرابها ويختلط بها.

وكلّ فصلٍ من فصول هذا الكتاب منه ما يَجِلُّ، ومنه ما يَدِقُّ، فيه ارتقاءٌ للمتعلّم رتبةً بعد رتبةٍ، بعد أن استوعب مقاصد الاستئناف وأغراضه، لعله يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه؛ لتكون له فضيلة المتعة والنظر ودقة الفكر وحسن الاستخراج؛ لكلّ ما يقرأه من كلام العرب بدقةٍ وإمعانٍ.

كما يُعنى هذا الفصل ببعض المسائل المهمة التي تتعلق بالجملة الاستئنافية، كيف تتشابك في الإعراب مع عدد من الجمل، كالجملة

الحالية، والواقعة صفةً، وبينها وبين جواب الشرط، وغير ذلك مما كان مثار خلافٍ كبيرٍ بين النحويين.

وفيه فوائدُ غنيّةٌ تُبرزُ أهمية بالغةً لجملة الاستئناف في كثيرٍ من التراكيب التي لا نكاد نتّفق على إعرابها بقولٍ فَصْلٍ.

كما أنّ فيه أحكاماً نحويّةً موجهةً نحو الإعراب الميسّر، مشفوعةً بتعليلاتٍ بلاغيةٍ ومنهجيّةٍ عقليةٍ واضحة، يرى القارئُ المتدبرُ أنّ كثيراً من الصعوبات الجدّية التي يعاني منها الكثير من الطلاب والدارسين، ولا سيما تلك المسائلِ التي يختلف فيها التأويل، وتتشعّب الآراء، وتتباين وجهات النظر، حلَّها وفهمها ومعرفةُ الإعراب الصحيح والتوجيه السديد لها؛ إنما يتمّ من خلال فهم الجملة الاستئنافية وما يدور في فلكها من قضايا ومسائلَ غنيّة، الأمر الذي يذكّرنا بقول البلاغيين:

«إنك لا تشفي الغُلّة، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مجملاً إلى العلم به مفصّلاً، وحتى لا يقنعك إلاَّ النظرُ في زواياه، والتغلغل في مكامنه، وحتى تكونَ كمن تتبّعَ الماءَ حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يُصنع فيه، إلى أن يعرف منبتَه، ومجرى عروق الشجر الذي هو منه»[1].

ولعلّ جمعَ قضايا الجملة الاستئنافية ومسائلها، وما يدور في فلكها في فصلٍ متكاملٍ كالدّرِّ إذا نُظم، خيرٌ منه إذا نُثر، والزهر في طاقةٍ أجملَ منه منثوراً في حديقةٍ، أو على الأقلّ هو أقرب منالاً وأسهلُ وصالاً، وأيسرُ على الفنان إن أراد الموازنةَ بين الألوان.

وهذه المسائل بعضُها من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها الدالة على الاستئناف الخفيّ، وبعضها من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٠٠ ـ ٢٠١.

على بعض، مما أشكل على بعض المعربين؛ لبلاغته ولطيف معانيه، فيحتاج إلى استنباط خفايا الكلام بأمارات ودلائلَ نحويةٍ ومعنوية معاً.

خصّص ابنُ هشام في كتابه (قواعد الإعراب) المسألةَ الثالثةَ لبيان الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وقد شرح (الكافيجي) هذا الكتاب معتنياً بكلّ لفظةٍ رسمها ابن هشام ـ رحمه الله تعالى ـ ففي عبارة ابن هشام: المسألة الثالثة في **بيان الجمل التي لا محل لها من الإعراب** يقول الكافيجي:

«فإن قلتَ: ما الحكمة في إثبات لفظة (البيان) هاهنا، وفي حذفها في الجمل التي لها محل من الإعراب؟

قلتُ: الحكمةُ هي الإيماءُ إلى أنّ الجملَ لَمَّا كان لها محلٌّ كان لها غُنْيَةٌ عن البيان، بخلاف الجملة التي لا محلَّ لها من الإعراب، فإنها محتاجةٌ إليه غايةَ الاحتياج»[1].

وهذا البيان في الجملة الاستئنافية هو الأولى والأهم والمقدّم على بقية الجمل التي لا محل لها من الإعراب، كالصلة والقسم.. فإنّ الاعتبارَ فيها للمعاني لا للصور والمباني، أي: فهم المراد واستقامة معنى الكلام.

ولتوجيهات البلاغيين دورٌ كبيرٌ ومهمّ في إبراز الجملة الاستئنافية، وتحديد أغراضها ومقاصدها، وبيان ارتباطها بنظمِ الكلام (ما بين سابقٍ ولاحق، متمِّم أو مستأنف مقطوع)، فأهل البلاغة ـ لا شك ـ لهم أغراضٌ أسمى وأدقُّ حين يبحثون عن معانٍ للتراكيب غير المباني الأولية التي تدل عليها الألفاظ، مع قطع النظر عن التقديم والتأخير أحياناً.

هذا؛ وإنّ تغييرَ المألوفِ، والخروجَ على مقتضى الظاهر يدل على زيادة ترغيبٍ في استماعه، ومزيد اهتمامٍ لشأنه، لا سيما مع التزام حذف

(١) شرح قواعد الإعراب ١٣٧.

الفعل أو المبتدأ، أو هو ما سمّاه أهل البلاغة: قطع الصفة والبدل والعطف وجواب الطلب، ونحو ذلك.

فكل انحرافٍ عن القاعدة وعن أصل الكلام الوضعي لغرضٍ بلاغي هو انحرافٌ يشكّل مَنْبهاتٍ أسلوبية، تلفت نظر القارئ إلى مدى براعة الأديب وقوة فكره، وملامح نفسيته في التعبير الأدبي المتنوّع.

وقد اعتمد العربُ هذا الأسلوبَ، وهم يرون أن الكلامَ إذا انتقل من أسلوبٍ إلى أسلوب أَدْخَلُ في القلوب عند السامع، وأَحْسنُ تطريةً لنشاطه، وأملأُ باستدرار إصغائه وهم أحرياء بذلك، أليس قِرى الأضياف سجِيّتهم، ونحرُ العشارِ للضيف دأبهم وهِجِّيراهم.. أفتراهم يحسنون قِرى الأشباح فيخالفون فيه بين لونٍ ولون، وطعمٍ وطعم، ولا يحسنون قِرى الأرواح، فلا يخالفون فيه بين أسلوبٍ وأسلوب، وإيرادٍ وإيراد؟..

إن الكلام المتفنَّن فيه أشهى غذاءً لروح الإنسان وأطيب قرى لها.

ولا يشجع على إيراد هذا الأسلوب إلاّ حذّاق العرب والكمّل من أصحاب البلاغة، فكيف نرتبط نحن بهم لفهم ذلك؟

إننا قد نكون قد عرفنا مفردات الكلم علماً، وثقفناها صناعةً، غيرَ أننا ما نزال في أشدّ الحاجة إلى أن نجتليَها ذوقاً أصيلاً، وحِسّاً مرهَفاً، في تركيبها بعضها مع بعضٍ، وبيانِ أسرارها في آياتِ الفصاحةِ العليا والبيان المعجز.

ولئن كنّا نعرف مواقع الجملة الحالية وجملة الصفة والخبر ونحوها، ونعرف روابطها في سياق الكلام وشروطها بيسرٍ وسهولةٍ. إنّ معرفة الجمل الاستئنافية أدقّ وأعمق؛ لأننا نوجّه أنظارنا هاهنا نحو المعنى خاصةً، إذ يتوجه الفكر إلى الارتباط المعنوي فيما بين الجمل، ومعرفةُ هذا الارتباط

من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتّى لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلص.. وذلك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة[1].

ولذلك كان من الضروريّ الوقوفُ على جوانب قضايا الجملة الاستئنافية عند النحويين والبلاغيين، وجمع ما تناثر من ملاحظاتهم حولها، ووضعها في إطارٍ منهجيٍّ واضحٍ، يُبرز الاهتمام الأصيل بالمعنى الذي قال عنه ابن جنّي في الخصائص: إذا كان الكلام إنما يصلحه أو يفسده معناه، وكان المعنى صحيحاً مستقيماً لم أرَ به بأساً[2].

أهم قضايا الجملة الاستئنافية في هذا الفصل هي :

١ ـ تعدد إعراب الجمل

٢ ـ تعدّد جمل الاستئناف.

٣ ـ الاستئناف بين تجاذب المعاني والإعراب.

٤ ـ بين الاستئناف والحال.

٥ ـ بين الاستئناف والنعت.

٦ ـ بين الاستئناف والعطف.

٧ ـ بين الاستئناف والبدل.

٨ ـ بين الاستئناف وحكاية القول.

٩ ـ بين الاستئناف والتعليق.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٧٠.

(٢) الخصائص ٢: ٤٣٣.

١٠ ـ بين الاستئناف والخبر.

١١ ـ بين الاستئناف والفاعل.

١٢ ـ بين الاستئناف وجواب الشرط الجازم.

١٣ ـ بين الاستئناف والاكتفاء.

١٤ ـ بين الاستئناف وجواب الطلب.

١٥ ـ بين الاستئناف وجواب الشرط غير الجازم.

١٦ ـ بين الاستئناف وجواب الأمر بالفاء.

١٧ ـ بين جواب النداء والابتداء.

١٨ ـ بين الاستئناف والاعتراض.

١٩ ـ حذف الجملة الاستئنافية.

** ** **

١ ـ تعدد إعراب الجمل

تعدُّد إعراب الجملة الواحدة أشبه بالنبع الذي تتعدّد مسالك الوصول إليه، فكل إعرابٍ أدّى المعنى المطلوب فهو مقبول، ومن غنى الكلام العربي أن تتعدّد وجوه إعرابه، قال ابن المنيّر: «أبلغُ الكلام ما تعدَّدتْ وجوه إفادته»[(١)].

ولعل ما ذكره الجرجاني حول الكلمة الواحدة أنها لا يُحكَمُ عليها بحسن أو جودة إلا في السياق ينطبق على الجملة، وكما لا تكون الفضّة خاتماً، أو الذهب سِواراً أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الجملة الاستئنافية ـ ومعرفتها أدقُّ من معرفة غيرها ـ مُحَقِّقةً بلاغتها ومُفْهِمةً معناها الدقيق إلا بانتظامها بسياقٍ متكاملٍ يُتوخّى فيه الفهم الراسخ للنّص الأدبيّ المتكامل.

وفي يقيني أنَّ المهارةَ في معرفةِ الإعراب لا تتمُّ إلا بعد تفاصيل الجمل التي ليس لها محل من الإعراب[(٢)] وخاصّةً الاستئناف، فعلى المعربِ حين تقسيم الفِقْرة إلى جُملٍ ألاّ يحكم على ابتداء جملةٍ إلا بعد استيفاء الجملة السابقة ركنيها (المسنَد والمسنَد إليه)، وعندئذٍ ينظر في علاقتها بما قبلها؛ ليتبيَّن إعرابها، بناءً على ذلك.

ونلفتُ الانتباه إلى أنّه كما يكون للجملة الواحدة إعرابٌ، يكون لمجموعٍ من الجمل إعرابٌ كذلك؛ فمقول القول مثلاً مجموعُه في محل نصب مفعول به لِـ(قال)، لكن كل جملة فيه يجب أن ينظر إليها مستقلّةً،

---

(١) انظر مغني اللبيب ٥٦١، المطوّل ٨٠.

(٢) انظر: شرح قواعد الإعراب ١٣٦.

فجملته الأولى ابتدائية؛ لأنّها أوّل ما تكلم به القائل، والتي بعدها بحسب علاقتها بها، وهكذا[1].

قال البعلي: ويمكن أن تكون الجملة المبدوءة في موضع نصب؛ لإمكان إيقاع قول المتكلم بها عليها، كقولك مبتدئاً: رأيت زيداً، يمكن أن يقال: قال فلان: رأيت زيداً[2].

ومن بلاغة العربية الإيجازُ والاختصارُ، وهو متحقق هاهنا في فَلَكِ الجملة الاستئنافية، فإننا نجد الفائدة تحصل بالاسم الواحد والحرف الواحد، كقولك: (صحيح)، لمن قال: كيف زيدٌ؟ و:(زيدٌ)، لمن قال: مَنْ عندكَ؟ و:(نعم)، لمن قال: أقامَ محمدٌ؟ و:(لا)، لمن قال: هل خرج زيدٌ؟

ولا شكَّ أن وراءَ هذا الإيجازِ بنيةً عميقةً معها حصلتِ الفائدة، أي: إنّ الفائدة إنما حصلت مع الجزء المقدّر المدلول عليه بما في كلام المستفهم، والجملة مع (نعم ولا) كأنها منطوقٌ بها، فكأنه قال: (نعم، قام زيدٌ، و:لا، ما خرج بكرٌ)، ولذلك جُعلَ حرف الجواب (نعم) صريحاً في الإقرار يُلزمُ بما ادّعى عليه به، مع أن الأصل براءة ذمّته، و(لا) صريحٌ في الجواب، فلا يعَدُّ المجيب بها ناكلاً، وتلزمه اليمين إن طلبها المدّعي[3].

كما أنّ من بلاغةِ الكلام العربي ما نجد فيه من تفنُّنٍ في التعبير، ووراء هذا التفنّن توجيهاتٌ متعددة. وفي مجال الجمل وإعرابها قد نجد للجملة الواحدة عدداً من وجوه الإعراب، كلُّ وجهٍ يحقّق معنًى.

وهذا يذكّرنا بما قاله البقاعي في كتابه (نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور):

---

(١) الموجز في قواعد اللغة العربية ٤٠٤.

(٢) الفاخر في شرح جمل عبد القاهر ٢/ ٨٨٣.

(٣) انظر: الفاخر ٢/ ٨٨٢.

إنّ في كلّ آيةٍ معنًى ينتظم به بما قبلها، ومعنًى يتهيّأ به للانتظام بما بعدها، وبذلك كان انتظام الآي داخلاً في معنى الإعجاز الذي لا يأتي الخلق بمثله، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً[1].

ولعلَّ من أدق الشواهد في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ففي الجملة المنفية ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ثمانيةُ أوجه من الإعراب، هي باختصار:

١ ـ مفسِّرةٌ لأخذ الميثاق.

٢ ـ حالٌ من بني إسرائيل، والتقدير: أخذنا ميثاقهم ملتزمين الإقامةَ على التوحيد..

٣ ـ جواب قسم محذوف، دل عليه الميثاق، أي: استحلفناهم بالله لا تعبدون إلا الله.

٤ ـ على تقدير حذف حرف الجر، أي: أخذنا ميثاقهم على ألا تعبدوا إلا الله.

٥ ـ في محل نصب بالقول المحذوف وذلك القول حال، تقديره: قائلين لهم ألا تعبدوا إلا الله.

٦ ـ بدل من ميثاق.

٧ ـ في محل نصب بقول محذوف: وقلنا لهم: لا تعبدون إلا الله.

٨ ـ مفسرة حذف منها حرف التفسير (أن)...[2]

وكل وجهٍ من هذه الوجوه يقوم على اعتبارٍ معنويٍّ خاصّ به، قد يخالف الآخرَ، وينبغي على المُعربِ اختيار الوجه الإعرابي الذي يقوم

(١) نظم الدّرر ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) انظر: الجامع لإعراب جمل القرآن ٦٣ ـ ٦٤.

على الاعتبار المناسب للسياق، ولما يقتضيه المعنى، ومن الخطأ الزعمُ أنَّ كلَّ ما يجوز صناعةً يصلح بغير تقيّد بهذا الاعتبار المعيّن الخاص، وإلاّ صارت اللغة فوضى بسبب محو القيود، أو إهمالها، وإهمال الاعتبارات التي تميّز المعاني بعضها من بعض[1].

وينبغي أن يُتفطَّن لأمرٍ لا بدّ منه ـ في دراسة إعراب المفردات أو الجمل ـ وهو أنه لا يجوز أن يُحمَلَ كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ويُفسَّرُ بمجرّد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام، ويكون الكلام به له معنًى ما، فإنَّ هذا مقامٌ غلطَ فيه أكثر المعرِبين للقرآن، فإنهم يفسِّرون الآية ويعربونها بما يحتملُ تركيبَ تلك الجملة، ويفهم من ذلك التركيب أيُّ معنى اتّفق، وهذا غلطٌ عظيمٌ، يقطع السامعُ بأنَّ مرادَ القرآنِ غيرُه، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياقٍ آخرَ وكلامٍ آخرَ، فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن[2].

٢ ـ تعدد جمل الاستئناف:

تتعدد جمل الاستئناف في النّص الأدبي؛ شعرِه ونثرِه، وتُحقِّق أغراضَها ومقاصدَها التي ذُكِرَت بتفصيلٍ في الفصل الثاني من هذا البحث.

وبما أنَّ كلَّ كلامٍ له حظٌّ من البلاغة وقسطٌ من الجزالةِ والبراعةِ، فلا بدَّ أن يوفَّى فيه حق كلٍّ من مقامَي الإطنابِ والإيجازِ.

وحديثُ تعددِ الجمل الاستئنافية يطابق مقتضى الحال في كل صورةٍ بيانيةٍ، مثال ذلك قول الله ـ تعالى ـ عن أحوال المنافقين: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ

---

(١) انظر: النحو الوافي ٤/ ٤٧٧، الحاشية ١.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيّم ٣/ ٢٧.

ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩ ـ ٢٠].

في توضيح ارتباط جمل هذه الآيات نجد أنّه لما تمّ مثَل القرآن استأنف الخبر عن حال الممثَّل لهم والممثل بهم حقيقةً ومجازاً فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾، فهذه أول جمل الاستئناف، كأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول، قيلَ: فكيف حالهم مع مثل ذلك؟ فأُجيب بها.

ثم استأنف الحديث عن بقية حالهم فقال: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ وهذه جملة استئناف ثانٍ، كأنه جواب لمن يقول: ما حالهم مع تلك الصواعق؟

ولما كان من المعلوم أنَّ البرقَ ينقضي لمعانه بسرعةٍ كان كأنه قيل: ماذا يصنعون عند ذلك؟ فقال: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ فالجملة استئنافٌ ثالثٌ.. وجملة ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ اعتراضية في آخر الكلام الذي هو الاستئناف الأول(١).

ومن أبرز الشواهد على تعدُّد جمل الاستئناف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

في رحاب هذه الآية عدد من الجمل، اختُلفَ في إعرابها؛ صناعةً ومعنًى، فقالوا:

---

(١) انظر الإنصاف لابن المنيّر ١/٢١٨-٢١٩.

١ ـ جملة ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ و﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ و﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ في محل نصب نعتاً لـ﴿بِطَانَةً﴾.

وقالوا: هي حال من الضمير المستكن في ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ على أنَّ الجار صفة لـ﴿بِطَانَةً﴾.

٢ ـ أنها استئنافيةٌ، لا محل لها من الإعراب، وإنما جيءَ بها؛ لبيان حال الطائفة الكافرة حتى ينفروا منها، فلا يتخذوها بطانةً، وهذا الأرجح والأنسب والأليقُ من توجيهات المفسرين لمقتضى الآية.

ومن ذهب إلى أنها صفةٌ أو حالٌ؛ فقد أبعَدَ عن فهم الكلام الفصيح؛ لأنهم نُهوا عن اتخاذ بطانةٍ كافرةٍ، ثم نبّه على أشياءَ مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين، والتعبير بالوصف أو بالحال يؤذِن بجواز الاتخاذ عند انتفائهما.

وقد فصَّل أبو السعود الحكمة في مجيء هذه الجمل الاستئنافية بهذا النسق، فقال مبيِّناً مقاصدَها:

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: جملة مستأنفةٌ مبيِّنةٌ لحالهم، داعيةٌ إلى الاجتناب عنهم.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنوا عنتكم، أي: مشقَّتكم وشدة ضرركم، وهو أيضاً استئنافٌ مؤكِّدٌ للنهي، موجبٌ لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: استئنافٌ آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهيِّ عنه، أي: قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضُهم للمسلمين(١).

والآية بعد ذلك شاهدٌ لتعدد جمل الاستئناف، واختلاف مقاصدها..

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٧٦.

٣ ـ الاستئناف بين تجاذب المعاني والإعراب

هذا العنوان مستَمَدٌّ من عبارة ابن جني في (الخصائص)، فقد وجّه بعض الشواهد التي يتجاذبها الإعراب والمعنى؛ هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعُروَةِ المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب.

فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٨ ـ ٩].

فمعنى هذا: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأً؛ لفصلك بين الظرف الذي هو ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ وبين ما هو معلّقٌ به من المصدر الذي هو الرّجع، والظرف من صلته، والفصلُ بين الصلة والموصول أمر لا يجوز في صنعة الإعراب.

فإذا كان المعنى مقتضياً له والإعراب مانعاً منه؛ احتلت له بأن تُضْمِرَ ناصباً يتناول الظرف، ويكون المصدرُ الملفوظُ به دالاًّ على ذلك الفعل، حتى كأنه قال فيما بعد: يُرجِعُه يوم تبلى السرائر، ودلَّ (رجعه) على (يرجعه) دلالةَ المصدر على فعله[1].

وعلى هذا؛ فجملة (يرجعه يوم تبلى السرائر) استئنافٌ إخباريٌّ تقريري.

وقد التفت ابن جني إلى المعنى فوجّه تعليق الظرف بالفعل المضمَر، ولا يجوز أن تعلِّق ﴿يومَ﴾ بقوله ﴿لقادر﴾؛ لئلا يصْغُرَ المعنى؛ لأنَّ الله ـ تعالى ـ قادرٌ يوم تبلى السرائر وغيره في كل وقت وعلى كل حال على رجع البشر وغيرها.

---

(١) الخصائص ٣/ ٢٥٦.

وتابعه على ذلك ابن هشام في المغني والقطر.

قال ابن عطية بعد أن حكى أوجهاً عن النحاة: وكل هذه الفرق فرّت من أن يكون العامل ﴿لقادر﴾؛ لأنه يظهر من ذلك تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده، وإذا تؤُمّل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أن يكون المعنى: لقادر، وذلك أنه قال: ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ على الإطلاق أولاً وآخراً، وفي كل وقت، ثم ذكر تعالى وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفّار؛ لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب، ليجتمع الناس إلى حذره والخوف منه[1].

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠].

يمتنع تعليق (إذ) بالمصدر (مقت) الأول أو الثاني؛ أما الامتناع عن تعليقه بالثاني فلفساد المعنى، لأنهم لم يمقتوا أنفسهم في ذلك الوقت، وإنما يمقتونها في الآخرة...

قال ابن جني في توضيح ذلك: (إذْ) هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾، أي: يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم؛ أكبر من مقتكم أنفسكم الآن.

إلا إنك إن حملت الأمر على هذا كان فيه الفصل بين الصلة التي هي (إذ) وبين الموصول الذي هو (لمقت الله)، فإذا كان المعنى عليه ومُنع

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، المغني ٧٠٠، قطر الندى ٢٦٦، أمالي ابن الشجري ١/ ١٩٢، الخصائص ٢/ ٤٠٢، منار الهدى ٣٠٣، كتاب القطع والائتناف ٧٧٢، إيضاح الوقف ٩٧٤، وفيه أن الوقف على ﴿لقادر﴾ حسن.

جانب الإعراب منه أضمرتَ ناصباً يتناول الظرف، ويدل المصدر عليه حتى كأنه قال بآخَرَة: مقتَكم إذ تُدعَون[1].

فالشاهد أن جملة (**مَقْتَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ**) استئناف إخباري، بها يحل الإشكال الصناعي عند النحويين.

ومنه قول الحطيئة:

أزمعتُ يأساً مبيناً من نوالكمُ ... ولن ترى طارداً للحر كاليأس

أي: يأساً من نوالكم مبيناً، فلا يجوز أن يكون قوله (من نوالكم) متعلِّقاً بـ(يأس)، وقد وصفه بمبين، وإن كان المعنى يقتضيه؛ لأن الإعراب مانع له، لكن تضمر له، حتى كأنك قلتَ: يَئِستُ من نوالكم[2].

فجملة (يئست من نوالكم) استئنافية إخبارية...

وتذكر كتب الوقف والابتداء أمثلةً دقيقةً توضّح فيها جوانب مهمّة مما يدور في فلك الاستئناف، معرفتها من الأهمية بمكان، والإخلال بفهمها يؤدي إلى سوء فهم المعنى وفساد الكلام.

من ذلك ما روي عن عدي بن حاتم أنه قال: جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما!! فقال رسول الله ﷺ: «قم ـ أو اذهب ـ بئس الخطيب أنت».

قال الحافظ أبو عمرو الداني ـ رحمه الله ـ: ففي هذا الخبر إيذانٌ بكراهة القطع على المستبشع من اللفظ المتعلق بما يبين حقيقته، ويدل على المراد منه؛ لأنه ـ عليه السلام ـ إنما أقام الخطيب لما قطع على ما يقبح، إذ جمع بقطعه بين حال من أطاع ومن عصى، ولم يفصل بين

---

(١) الخصائص ٣/ ٢٥٦، المغني ٦٩٩.

(٢) الخصائص ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

ذلك، وإنما كان ينبغي له أن يقطع على قوله: فقد رشد، ثم يستأنف ما بعد ذلك، ويصل كلامه إلى آخره، فيقول: ومن يعصهما فقد غوى[1].

وإذا كان مثل هذا مكروهاً مستبشعاً في الكلام الجاري بين المخلوقين، فهو في كتاب الله عز وجل ـ الذي هو كلام رب العالمين ـ أشد كراهةً واستبشاعاً، وأحق وأولى أن يتجنَّب.

قال الداني في توضيح الوقف التام:

وقد يكون التام أحياناً في درجة الكافي من جهة تعلق الكلام من طريق المعنى لا من طريق اللفظ، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤].

هذا تامٌ، ثم تبتدئ بقوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الكهف:٥]؛ لأنَّ ما بعده مستغنٍ عنه.

وكذلك الوقف على قوله: ﴿وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] تامٌ أيضاً، ثم تبتدئ بقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾.

. وكذلك ما أشبهه مما يتم الوقف عليه بإجماعٍ من أهل التأويل وأصحاب التمام؛ لانقضاء الكلام عنده واستغناء ما بعده عنه أو من سببه من جهة المعنى، فهو بذلك في درجة الكافي[2].

مسألة:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) المكتفى ١٣٣ـ١٣٤، مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٧٩.

(٢) المكتفى ١٤١ ـ ١٤٢.

أفاض المفسِّرون وعلماء الوقف والمعربون في بيان الصلة بين قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ وبين ما قبلها وما بعدها، وهي تدور في فلك الاستئناف، ومختصر القول فيها أنَّ الوقف تام على قوله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، ومعنى هذا: أنَّ الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله. وهو قول أكثر العلم من المفسرين والقرَّاء والنحويين.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود تصديقٌ لذلك: ﴿**ويقول الراسخون**﴾، وعلى هذا فالجملة استئنافيةٌ إخبارٌ بحال الراسخين.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ قال: الراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به، وقال بذلك جماعةٌ من أهل العلم، فعلى هذا يكون الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ لأنَّ الراسخين نَسَقٌ (عطف) على اسم الله عز وجل.

وقد رُجِّح الوجه الأول على الاستئناف، أن الراسخين غير عالمين بتأويله، والدليل عليه (أما) التي لا تكاد تجيء وما بعدها رفع حتى تثنّى أو تثلّث أو أكثر، كما قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف:٧٩]، ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ﴾ [الكهف:٨٠]، ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال هاهنا: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمران: ٧]، ثم لم يقل (وأما)، ففيه دليلٌ على أن الموضعَ موضعُ مبتدأٍ منقطعٍ من الكلام الذي قبله؛ قاله السجستاني(١).

من التكلّف في الوقف أن يقف القارئ على قوله تعالى: ﴿وَٱعۡفُ

(١) انظر: المكتفى ١٩٤ـ١٩٧، الإيضاح ٥٦٨/٢، تفسير الطبري ١٢٢/٣، معاني القرآن للفراء ١٩١/١، القطع والائتناف ٢١٢ ـ ٢١٣، الدر المنثور ٦/٢.

عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فيجعل الضمير (أنت) توكيداً للمضمر في ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾.

ومن العلماء من منع الوقف على ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ لمكان الفاء في ﴿فَٱنصُرْنَا﴾؛ لأن في الفاء طرفاً من معنى المجازاة. وجوّز الشافعي الابتداء بالفاء[1].

ومن أمثلة الوقف القبيح من يقرأ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٦] إن وقف على ذلك؛ لأنّ الموتى لا يسمعون ولا يستجيبون، وإنما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم أنهم يُبعثون، فهم مستأنفون بحالهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النور:١١]، إن وقف على ذلك؛ لأنَّ من كنَّى عنهم أوّلاً مؤمنون، ومتولِّي الكبر منافق، وهو عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول، فهو مستأنف بما يلحَقُه خاصةً في الآخرة من عظيم العذاب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِى هَٰرُونُ﴾ [القصص: ٣٣ ـ ٣٤] إن وقف على ذلك؛ لأن موسى ـ عليه السلام ـ إنما خاف القتل على نفسه دون أخيه، وأخوه مستأنف بحاله وصفته[2].

مسألة:

قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤ وَإِذْ جَعَلْنَا

---

(١) المكتفى ١٩٣، القطع والائتناف ٢٠٩.

(٢) انظر: المكتفى ١٥١.

ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٤ ـ ١٢٦].

لعلَّ روعةَ النظم القرآني ودقائقَ أسراره البلاغية التي تُعجز أربابَ الفصاحةِ واللَّسَنِ، فيقفون مبهورين لدقتها وسموّها، تكمنُ في الشاهد الذي قال عنه أحد المفسرين لهذه الآية: لولا الواوُ لمات الكفّار جوعاً(١).

أعني قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ..﴾ فقد طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أئمةً فقال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، ثم طلب الرزق فقال: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ فتذكّر أن المولى منعَهُ جعلَ الذريةِ أئمةً، فخصَّص سيدنا إبراهيم الرزق فقال: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾.

قال الإمام مجاهد: استرزقَ إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ لمن آمن بالله واليوم الآخر، قال الله عز وجل: ومن كفر فأنا أرزقه أيضاً(٢).

قال ابن عباس: دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لمن آمن دون الناس خاصّةً، فأعلم اللهُ ـ عز وجل ـ أنَّه يرزق من كفر كما يرزق من آمن، وأنه يمتّعه قليلاً ثم يضطره إلى عذاب النار.

قال أبو جعفر: وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠](٣).

---

(١) غرائب التفسير ١/ ١٧٤.

(٢) انظر: المكتفى ١٧٥، الدر المنثور ١/ ١٢٥.

(٣) الجامع للقرطبي ٢/ ١٢٠، منار الهدى ٤١.

قال أبو حيان: لما سمع في الإمامة قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قيَّد هنا مَنْ سأل له الرزق فقال: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

وقال البقاعي: تقييداً لدعوة الرزق بما قيّدت به دعوة الإمامة؛ تأدباً معه.

قال الله تعالى معلِّماً أنَّ شمولَ الرحمانية بأمن الدنيا ورزقها لجميع عَمَرةِ الأرض: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، أي: أُنيله أيضاً ما ألهمتُكَ من الدعاء بالأمن والرزق، وعبَّر عن ذلك بقوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ تحسيساً له بما أفهمه لفظ المتاع بكونه من أسماء الجيفة التي هي منال المضطر على شعورٍ برفضه على قربٍ من مترجّي الغناء عنها[1].

قال الألوسي: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ عطفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: وأرزقُ من كفرَ أيضاً.. وكأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قاس الرزق على الإمامة، فنبَّهه سبحانه على أن الرزق رحمةٌ دنيويةٌ، لا تخصُّ المؤمنَ؛ بخلاف الإمامة، أو أنه ـ عليه السلام ـ لما سمع ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ احترز من الدعاء لمن ليس مرضياً عنده تعالى، فأرشده إلى كرمه الشامل.

والارتباط بين الجملتين حاصِلُه أنَّ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ معطوفٌ على محذوفٍ أي: أرزقُ من آمن ومن كفرَ.

والوجه الآخر أن تكونَ ﴿مَنْ﴾ مبتدأً، شرطيةً، أو موصولةً، وجملة ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ خبر المبتدأ، والفاء رابطةٌ للشرط.. والجملة الاسمية استئنافية للإخبار[2].

---

(١) نظم الدرر ٢/ ١٥٦.

(٢) روح المعاني: ٢/ ٣٨٢.

مسألة: قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن:

يستوحش كثير من الناس من أن يُلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويحملهم التنزيه لهم ـ صلوات الله عليهم ـ على مخالفة الله ـ جلّ ذكره ـ وهو استكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تخيل عليهم، أو على من علِم منهم أنها ليست لتلك الألفاظ بشكل، ولا لتلك المعاني بلفق.

وأورد بعض الشواهد، منها تأولهم في قوله ـ سبحانه ـ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قالوا: إنها همّت بالمعصية، وهمّ هو بالفرار منها! وقال بعضهم: وهمّ بضربها! والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

أفتُراه أراد الفرار منها، أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها؟! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلطُ متأوله، ولكنها همّت منه بالمعصية همَّ نيَّةٍ واعتقاد، وهمَّ نبي الله ـ ﷺ ـ همّاً عارضاً بعد طول المراودة، وعند حدوث الشهوة التي أُتي أكثرُ الأنبياء في هفواتهم منها... ولذلك قال يوسف ـ ﷺ ـ: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣][1].

أقوال أئمة الوقف والابتداء في توجيه الآية:

ولأهمية هذه القضية لا بدّ من عرض آراء أئمة التفسير الذين عنوا بالعربية ووجهوا الآية وفقها، واعتمدوا علم الوقف والابتداء..

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٤٠٣ ـ ٤٠٤، وانظر: القرطبي ٩/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

قال الشيخ زكريا الأنصاري في المقصد: «ولقد همت به» كافٍ[1].

قال أبو جعفر النحاس في القطع والائتناف: (ولقد همت به) قطع تام، على قول من قال: إنه لم يهمَّ بها، وذهب أن التقدير: ولولا أن رأى برهان ربه هم بها.

قال أبو حاتم: قال لي أبو عبيدة وأنا أقرأ عليه كتابه في القرآن: هو على التقديم والتأخير، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، أي: لم يهمَّ.

قال أبو جعفر: وخُولف أبو عبيدة في هذا، وقيل: كان ضعيفاً في العربية، لأنه لا يجوز الاستثناء بالفعل الماضي، لا يجوز: قام زيد لولا عمرو، ولا قام زيدٌ إن شاء، حتى قال بعض النحويين: لو كان كما قال لكان: ولهمَّ بها، وقيل الوقف: ولقد همت به وهمَّ بها، منهم من جعل الهمَّ الثَّاني كالهمِّ الأول، وهذا قول أبي عبيدة، قال: ولم يذكر الله ـ جلَّ وعزَّ ـ معاصي الأنبياء ليذمهم بها، ولكن لئلا ييأس الناس، واحتج بما روي عن ابن عباس وغيره من أئمة المسلمين.

وقال غيره: الهمُّ الثاني خلافُ الهمِّ الأول؛ لأنَّ الهمَّ الثاني إنما هو يخطر بالأنبياء والصالحين من احتيال الشيطان وهوى الأنفس، كما قال النبي ـ ﷺ ـ: «إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله ـ جلَّ وعزَّ ـ في اليوم والليلة مئة مرة»[2].

قال أبو حاتم: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وقف جيد.

قال ابن الأنباري: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: قال عامة أهل العلم: همَّ بها معناه: قعَدَ منها مقعدَ الرجل من

---

(١) منار الهدى ٤٧.

(٢) القطع والائتناف ٤٠٠ـ٤٠١، والحديث في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد.

المرأة، فالوقف من هذا المذهب على ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، والتمام ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وقال آخرون: الأنبياء ـ عليهم السلام ـ معصومون، لا يعصون ولا يهمّون بالكبائر، وقالوا: معنى الآية: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، فالوقف من هذا المذهب على: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ثم نبتدئ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها.

وقال آخرون: الهاء هنا كنايةٌ عن الفَرَّة، كأنّه قال: ولقد همّت به وهمَّ بالفرّة، فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ويتم على ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ولا يتم على ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾؛ لأنّ ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ نسَقٌ عليه[1].

وقال أبو عمرو الداني في المكتفى:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كافٍ، وقيل: تام على مذهب أبي عبيدة[2].

وقال الأشموني في منار الهدى:

﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ كافٍ، وبهذا الوقف يتخلّص القارئ من شيءٍ لا يليق بنبيٍّ معصوم أن يهمّ بامرأةٍ، وينفصل من حكم القسم قبله في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ويصير ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مستأنفاً، إذ الهمُّ من السيد يوسف منفيٌ لوجود البرهان، والوقف على ﴿بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ويبتدئ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: عصمته كذلك، فالهمّ الثاني غير الأول، وقيل: الوقف على ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٧٢٠ ـ ٧٢١.

(٢) المكتفى ٣٢٥.

وإن الهمّ الثاني كالأول، أي: ولقد همّت به وهمّ بها كذلك، وعلى هذا ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ متصل بقوله ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: أريناه البرهان لنصرف عنه ما همَّ به[1].

مسألة:

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

يجوز تعليق ﴿عَلَيْكُمُ﴾ و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ بالخبر المحذوف، ويكون الوقف على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ تامّاً، وجملة ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ استئنافيةٌ دعائية، وهو قول جماعة من المعربين[2].

ومن أمثلة التجاذب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يجوز أن يتعلّق ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بـ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ وبقوله ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾، فإن علّق بـ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة، ثم قيل له: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ويعني: فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد.

وإن علقته بقوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ فقد نهي عن الامتناع عن الكتابة على سبيل الإطلاق، ثم أُمر بها مقيدةً[3].

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١].

---

(١) منار الهدى ١٤٢.

(٢) انظر: كشف المشكلات ١/ ٦١٤ ـ ٦١٥، إعراب النحاس ٢/ ١٥٨، منار الهدى ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) انظر: الكشاف ١/ ٤٠٢.

في الآيات توجيهات عديدة تحوج إلى مزيد من التدبر لفهم روابط الكلام بين أتلُ عليكم، أو ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ وبين المصدر ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وقد خاض المعربون في توجيه ذلك بآراءٍ لا تخلو من تكلّفٍ وتعقيد.

ولعلّ التوجيه الميسّر للآية يندرج في فلك الجملة الاستئنافية.

قال بعضهم: إنّ الوقف قبل ﴿عَلَيْكُمْ﴾، وإنّ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إغراء حسَن، وبه يتخلّص من إشكالٍ ظاهرٍ في الآية مُحوجٍ للتأويل.

وقد أكد الأشموني هذا التوجيه فقال: الوقف على ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ حسَنٌ، ثم يبتدئ: ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ على سبيل الإغراء، أي: الزموا نفي الشرك، وإغراء المخاطب أسلوبٌ فصيح[(١)].

والغريب أنّ أبا حيّان لم يرتضِ هذا الإعراب، فقال: إنّ هذا بعيدٌ؛ لتفكيك الكلام عن ظاهره[(٢)].

ويقرب من هذا التوجيه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قال علماء الوقف: من قرأ (أنها) بالكسر[(٣)] وقف على قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾.

و﴿ما﴾: استفهامٌ، وفي ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ ضمير يعود إليه، والمفعول

---

(١) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا ٢٦٢، منار الهدى ١٠٥، أمالي ابن الشجري ١/ ٤٧ ـ ٤٨، مغني اللبيب ٣٣٠، ٧١٤، الدر المصون ٥/ ٢١٥.

(٢) البحر المحيط ٤/ ٢٥٠.

(٣) قرأ ابن كثير ﴿إنها﴾ بكسر الألف، وكذلك قرأ أبو عمرو... (السبعة ٢٦٥).

محذوف، والتقدير: وما يشعركم إيمانهم، ولا يجوز أن يكون (ما) نفياً، على تقدير: وما يشعركم الله إيمانَهم؛ لأنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أعلمَنا أنهم لا يؤمنون؛ بقوله: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، فلا يجوز أن يكون (ما) نفياً، ولكن يكون استفهاماً[(١)].

فالجملة ﴿إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استئناف إخباري من الله تعالى.

٤ ـ بين الاستئناف والحال

جرت عادة بعض النحاة أن يذكر في مبحث الحال ما يشبه جملة الحال، وهي جملة الاعتراض والتفسير والاستئناف[(٢)]؛ لأنه كثيراً ما تشبه الجملة الحاليةُ الاستئنافيةَ، والمخلّص في تحديدهما هو النظر إلى مدى ارتباطها بما قبلها وتقييدها بها؛ فمن حيثُ الاتصالُ والربط هي جملة حاليّةٌ، ومن حيث الفصل وعدم التعلّق هي جملةٌ استئنافيةٌ، والحدود بينهما متقاربة.

من شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، يجوز أن تكون جملة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ استئنافاً، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في ﴿خَلَتْ﴾، أي: انقضت مستقرةً ثابتاً لها ما كسبت.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٠، ٣٧٤، البحر ٤/ ٢٠١ ـ٢٠٢، الكشاف ٢/ ٤٣ ـ ٤٤، شرح المفصل ٨/ ٧٨ ـ ٨٨.

(٢) انظر: ارتشاف الضرب ٢/ ٣٧٢.

والأظهر الأول؛ لعطف قوله تعالى: ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾، ولا يصح أن يكون قوله: ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ عطفاً على جملة الحال قبلها؛ لاختلاف زمان استقرار كسبها لها، وزمان استقرار كسب المخاطبين، ولو عطفَ الحال على الحال لوجب اتحاد الزمانين(١).

ومن شواهد الجملة بين الاستئناف والحال قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، جملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ حاليةٌ، أو خبر، أو استئناف بياني.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [البقرة: ١١٤]، جملة ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ مستأنفةٌ، وليست حالاً مثل ﴿خَآئِفِينَ﴾؛ لأن استحقاقهم للخزي ثابتٌ في كل حالة، لا في دخولهم المساجد خاصةً(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، جملة ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مستأنفة، وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف موقع قوله ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ قلت: موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون، لا يظعنون عنها ولا يموتون.

وأضاف البيضاوي بأنَّ فيها توكيداً لما قبلها(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾

---

(١) الجامع لإعراب جمل القرآن ٧١.

(٢) الدر المصون ٢/ ٧٩ ـ ٨٠.

(٣) تفسير البيضاوي ٣/ ٥٥، الدر المصون ٣/ ٣٤٥.

[الأنعام: ١١٥]، جملة ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ مستأنفة، ولا يجوز أن تكون حالاً من ﴿ربك﴾ لئلا يفصل بين الحال وصاحبها بالأجنبي؛ وهو قوله تعالى: ﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾.

ولها توجيه معنوي في أن تكون احتراساً وبياناً؛ لأن تمام كلمات الله ـ عزّ شأنه ـ ليس كتمام غيرها[١].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]، جملة ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ الظاهر أنها خبرٌ مستأنف عن صفة حالهم، وهي عند العُكْبَري في موضع الحال من الضمير المجرور بالإضافة، والعامل فيها معنى الإضافة[٢].

قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [هود: ٥٩]، جملة ﴿جحدوا﴾ جملة مستأنفةٌ للإخبار عنهم بذلك، وليست حالاً مما قبلها[٣].

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ..﴾ [يوسف: ٣٦]، جملة ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ مستأنفةٌ، ولا يجوز أن تكون حالاً؛ لأنهما لم يقولا ذلك حالة الدخول، ولا جائزٌ أن تكون حالاً مقدّرة.

قال العكبري: ﴿قال﴾ مستأنف؛ لأنّه لم يقل ذلك المنام حال دخوله، ولا هو حالٌ مقدّرةٌ؛ لأنّ الدخول لا يؤدي إلى المنام[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:

---

(١) انظر: حاشية الشهاب ٤/ ١١٧.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ٢٨١.

(٣) الدر المصون ٦/ ٣٤٥.

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ٣٤٩.

٢٣٦]، الجملة الاسمية ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ تحتمل أن تكون استئنافاً بيّنت حال المطلِّقِ في المتعة بالنسبة إلى يساره وإقتاره، وتحتمل أن تكون حالاً، صاحبها الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، والرابط محذوفٌ، أي: منكم.

قال العكبري: الجملة في موضع الحال من الفاعل، تقديره: بقدر الوسع[١].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿ءَايَٰتٌ﴾ فاعل، والجملة مستأنفة استئنافاً إخبارياً.

وعند العكبري هي في موضع النصب على الحال من الكتاب[٢]، أي: منقسماً إلى محكم ومتشابه[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، جملة ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ﴾ مستأنفة، مفسرة لمعنى البركة والهدى، أو حالٌ أخرى، أو حال من الضمير في ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، أو حال من الضمير في ﴿مُبَارَكًا﴾، أو صفة لـ(هدًى)[٤].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧]، قوله ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ يجوز أن يكون استئنافاً، وهو الظاهر، ويجوز أن يكون حالاً من ﴿**الذي**﴾، أو من الضمير في ﴿**فطرني**﴾ إن جعلنا الفاء بمعنى الواو، فإنه يجوز: (جاء زيد وإنه لضاحك) على الحال، لكن ورود الفاء بمعنى الواو قليل.

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٣٠.

(٣) الدر المصون ٣/ ٢٥.

(٤) الدر المصون ٣/ ٣١٦، حاشية الشهاب ٣/ ٤٨.

قوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، جملة ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ الظاهر أنها مستأنفة، جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما بالهم يُستخلفون ويؤمنون؟ فقيل: يعبدونني..

وقد ذكر المعربون لهذه الجملة سبعة أوجه تدور في فلك الخبر والحال والاستئناف...[(١)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، جملة ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ تحتمل أن تكون استئنافية، وهو الأظهر، وتحتمل الحال، والمعنى[(٢)]: وغير مسؤول.

وقراءة ابن مسعود: ﴿ولن تُسألَ عن أصحاب الجحيم﴾ يتعين فيها الاستئناف، والمعنى على الاستئناف: إنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا؛ لأنّ ذلك ليس إليك، إنْ عليك إلا البلاغ.

وفي ذلك تسلية له ﷺ وتخفيفٌ؛ لما كان يجده من عنادهم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ..﴾ [آل عمران: ١١٠]، جملة ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ جملة استئنافية، وهي أمكن وأمدح من الحالية، بيّن بها كونها خير أمة، كأنّه قيل: السبب في كونهم خير أمةٍ هذه الخصالُ الحميدة.

وأجاز الحوفي: أن تكون خبراً بعد خبر، وأن تكون نعتاً لقوله تعالى: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾، وعند العكبري: هي تفسيرٌ لـ(خير)[(٤)].

---

(١) انظر: الجامع لإعراب جمل القرآن ٣٣٩.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ٦٧.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٣٦٨، معاني القرآن للفراء ١/ ٧٥.

(٤) إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ١٥٢، المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥، الجامع لإعراب جمل القرآن ١١٣.

قوله تعالى: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[غافر:٤١]، جملة ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ﴾ مستأنفة، ويضعف أن تكون حالاً، أي: ما لكم أدعوكم إلى النجاة حالَ دعائكم إيّايَ إلى النار؟ (١)

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: ١٧٠ ـ ١٧١].

قال الزمخشري وابن عطية: كرر الفعل ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ توكيداً للأوَّل؛ لأنه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الأول.

وقال غيرهما: هو بدلٌ، والظاهر أنه استئناف متعلق بهم أنفسهم، لا بالذين لم يلحقوا بهم، فقد اختلف متعلق الفعلين فلا تأكيد، وليس لها وجه من الحال، أي: حال من فاعل ﴿يَحْزَنُونَ﴾، وفيه بُعد(٢).

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [آل عمران: ١١]، جملة ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسير للدأب، كأنه قيل: ما فعلوا وما فعل الله بهم..؟ فهي جواب سؤال مقدّر، وجوّزوا أن تكون حالية بإضمار (قد)، وجوّزوا أن يكون ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿كَذَّبُواْ﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، جملة ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ معطوفة على الحالية، أو استئناف.

---

(١) الدر المصون ٩/ ٤٨٤.

(٢) الكشاف ١/ ٤٨٠، الدر المصون ٣/ ٤٨٧.

(٣) انظر: إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ١٣٣.

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، جملة ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ معطوفةٌ على ﴿فَرِحِينَ﴾، كقوله تعالى: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾(١) [تبارك: ١٩] أو على إضمار (هم)، والواو للحال من ضمير ﴿فَرِحِينَ﴾، أو من ضمير المفعول في ﴿ءَاتَىٰهُمُ﴾، أو للعطف، ويكون مستأنفاً من باب عطف الجملة الاسمية، أو الفعلية على نظيرها.

وتنوعت أعاريب الجملة في قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يُخْفُونَ﴾، أو استئناف على وجه البيان والتفسير له.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤]، جملة ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حالٌ ثانية من فاعل ﴿عَلَّمْتُم﴾، أو مستأنفة للإخبار لا محل لها من الإعراب(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، أجازوا في جملة ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ الاستئناف، أو الحال بإضمار (قد).

وفي شرح التفتازاني: لا يحسن الاستئناف والحال، وعندي أنها صلة بعد صلة، كما في الخبر والصفة، فإن أبيت بناءً على أنه لم يسطّر في

---

(١) لأن اسم الفاعل هنا يشبه الفعل المضارع.

(٢) انظر: الدر المصون ٤/ ٢٠٣.

كتاب فليكن عطفاً بترك العاطف، لكن عطف ﴿وَبَشِّرِ﴾ [البقرة:٢٥] على لفظ المبني للمفعول عليه يقوّي جانب الاستئناف.

وفي الدر المصون: الظاهر أن هذه الجملة لا محل لها؛ لكونها مستأنفة، جوابًا لمن قال: لمن أعدّت؟

وقال أبو البقاء: محلها النصب على الحال من ﴿النار﴾، والعامل فيها ﴿اتقوا﴾، قيل: وفيه نظر؛ لأنها معدّة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا، فكيف يكون حالاً، والأصل في الحال التي ليست مؤكدة أن تكون منتقلة، فالأولى أن يكون استئنافاً، وقيل: الجملة معترضة؛ لأن فيها تأكيداً[(١)].

وفي حديث ابن هشام عن قضايا الجملة الواقعة بعد المعرفة ذكرَ انتفاء المانع، منها: ما يمنع حالية كانت متعينة لولا وجوده، ويتعين حينئذ الاستئناف، نحو: أرني زيداً سأكافئه، أو لن أنسى له ذلك. فإنّ الجملة بعد المعرفة المحضة حال، ولكن (السين) و(لن) مانعان؛ لأنّ الحالية لا تصدر بدليل استقبال.

وأمّا قول بعضهم في: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩] إن ﴿سَيَهْدِينِ﴾ حال، كما تقول: سأذهب مهديّاً، فسهو[(٢)].

هذا؛ ومن الوهم جعل جملة ﴿يُخْرِجُهُم﴾ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] حالاً من ضمير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذي هو مفعول (يخرج)، إذ يصبح التقدير على هذا: الله ولي المؤمنين حالَ كونه مخرجاً لهم بالهداية.. والله تعالى ولينا دائماً، سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: حاشية الشهاب ٢/ ٥٥، الدر المصون ١/ ٢٠٨.

(٢) حاشية الدسوقي ٢/ ٨٥، المغني ٥١٩، ٥٦٤، الخزانة ٤/٥٦٧.

ويصحُّ أن تكون حالاً من المستكن في ﴿ولي﴾، وهي حالٌ لازمة.

والأحسن فيها أن لا يكون لها محل من الإعراب؛ لأنّها خرجت مخرج التفسير للولاية[1].

❖ قطـع الحـال

ما وجدناه من أساليبَ بلاغيةٍ في المدح والذم في مبحث قطع الصفة والبدل، نجده في مبحث قطع الحال أيضاً، وأبرز شاهد له قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧ ـ ١٨].

جاءت جملة ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ استئنافية، والتقدير: هم صم بكم عمي، وما قبلها جملةٌ حالية ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾: فلم تتبعها في الإعراب.

قال الفراء: رُفِعن وأسماؤهن في أوّل الكلام منصوبة، يريد الضمير المنصوب في قوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾؛ لأنّ الكلام تم وانقضت به آية، ثم استؤنفت: صم بكم عمي في آية أخرى. فكان أقوى للاستئناف، ولو تم الكلام ولم تكن آية لجاز أيضاً الاستئناف. قال الله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٦-٣٧]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يرفع ويخفض في الإعراب. وليس الذي قبله بآخر آية.

فأمّا ما جاء في رؤوس الآيات مستأنفاً فكثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم...﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، ثم قال جل وجهه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ١/١١٥، الدر المصون ٢/ ٥٤٩، روح المعاني ٣/١٤.

﴿ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ...﴾ [التوبة:١١٢] بالرفع في قراءتنا، وفي حرف ابن مسعود: التائبين العابدين الحامدين...

وقال: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَـٰلِقِينَ ۝١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ﴾ [الصافات: ١٢٥-١٢٦] اسم الجلالة (الله) يُقرأ بالرفع والنصب على ما فسّرتُ لك.

وما يعنينا من هذه الشواهد قطع الحال في قوله تعالى: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله: صمًّا بكماً عمياً، بالنصب، ونصبه على جهتين: إن شئت على معنى: تركهم صمًّا بكماً عمياً [على الحال المتعددة]، وإن شئتَ اكتفيتَ بأن توقع التركَ عليهم في الظلمات، ثم تستأنف: صمًّا بكماً عمياً.. بالذّمِّ لهم.

والعرب تنصب بالذّمّ، وبالمدح؛ لأنّ فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم: ويلاً لهم، وثواباً له، وبُعداً وسَقياً ورعياً[(١)].

وقد استحسن الفرّاء الاستئناف في كثير منَ المواضع التي فيها الإخبارُ، وسُبِقتْ بكلامٍ يحتمل الإتباعَ على الصفة أو البدل أو الحال. وانضمّ إلى هذا الاستحسان كون ما قبل الجملة رأسَ آية[(٢)].

مسألة: بين مجيء الحال شرطاً وبين الاستئناف:

يجوز في قول الشاعر:

حتّى إذا مااستقلّ النجمُ في غَلَسٍ ... وغودر البقل ملويٌّ ومحصودُ

(١) معاني القرآن ١/ ١٦.

(٢) انظر الآية ١٠-١١ الطلاق، التوبة ١١١-١١٢، البقرة ١٧-١٨، البروج ١٦.. ومعاني القرآن ٣/ ١٦٤.

رفع (ملويٌّ)، ونصبه، الرفع على الاستئناف، والنصب على الحال. قال الفرّاء: وكلُّ فعلٍ أوقعْتَه على أسماء لها أفاعيل ينصب على الحال الذي ليس بشرط ففيه الرفع على الابتداء، والنصب على الاتّصال بما قبله. من ذلك: رأيتُ القومَ قائماً وقاعداً، وقائمٌ وقاعدٌ؛ لأنّك نويتَ بالنصب القطعَ، والاستئنافُ في القطع حسن.

وأمّا الذي على الشرط مما لا يجوز رفعه فقولك: اضرب أخاك ظالماً أو مسيئاً، تريد اضربه في ظلمه وفي إساءته. ولا يجوز هاهنا الرفع في حالَيْه؛ لأنّهما متعلّقان بالشرط[١].

٥ ـ بين الاستئناف والنعت

أواصر القربى شديدة بين الجملة الاستئنافية والجملة الواقعة صفة أو نعتاً، وما وجدناه من روابطَ بين الاستئناف والحال نجده هاهنا بين الاستئناف والنعت.

فقد ترِد النكرة محتاجة أشد الاحتياج إلى تخصيص أو توضيح أو مدح أو ذم أو توكيد، ممّا هو من أغراض الصفة، فترد الجملة بعدها نعتاً لها، وقد يتمُّ الكلام وتكون النكرة في غنًى عن الصفة، أياً كانت، فتوجه الجملة بنحو الاستئناف، ومن لا يتدبر هذه الأواصر بين الجملتين، فيتكلّفُ جعلَ الاستئنافِ صفةً أفسد المعنى، وحاد عن غرض الفائدة التي بُنِيَ الكلام عليها.

ولعلَّ من أخطأ في ذلك كان يحفظ على الدوام قول المعربين تسهيلاً وتقريباً على المتعلمين: الجمل بعد النكرات صفات.

---

(١) معاني القرآن ١/١٩٣-١٩٤.

قال ابن هشام[1]: وشرح المسألة مستوفاةً أن يقال: الجمل الخبرية التي لم يستلزمها ما قبلها إن كانت مرتبطة بنكرة محضة فهي صفةٌ لها... بشرط وجود المقتضى وانتفاء المانع.

وأبرز شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وأمثال هذه كلها صفة لشدة ارتباطها بالموصوف، واقتضاء المعنى له.

أما ما لا يصح أن يكون صفة ويحتم الاستئناف فيه فله أمثلة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ [القصص: ٨٨].

الوقف على (إلهاً آخر) حسن، ولا يوصل بما بعده؛ لأنَّ وصله يوهم أن (لا إله إلا هو) صفة لـ(إلهاً)، وليس كذلك[2].

قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ..﴾ [الصافات: ٧ ـ ٨]، وفيها احتمالات أربع، اثنان منها مردودان، وواحد مرجوح، والآخر مختار.

أحد الأوَّلَين: أنَّ جملة (لا يسَّمَّعون) صفة لـ(شيطان)، وليس المعنى بمستقيم عليها؛ لأنَّ حفظ السماوات لأجل أن الشياطين يطّلعون إليها ويسمعون أخبارها، ويضلّون بها الناس، فإذا كانوا غير متسمّعين ولا سامعين فلا فائدة في حفظ السماء منهم، وهو توجيه فاسد.

والثاني: احتمال الحالية، والقول فيها كالقول في الصفة؛ لأنها صفة في المعنى.

---

(١) مغني اللبيب ٤٩٢.

(٢) منار الهدى ٢١٤.

والثالث: أن يكون أصله: لئلاً يسَّمعوا، حذفت اللام كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، أي: لأن تكرمني، فبقي ألا يسمعوا، ثم حذفت (أن) وأهدر عملها، وفي هذا من التكلف ما فيه.

ولا يجوز أن تكون جواباً لسؤال سائل: لم تحفظ من الشياطين؟! إذْ يفسُد معنى ذلك.

الاحتمال الراجح: أن تكون جملةً منقطعةً عما قبلها، استئنافية إخبارية لما عليه حال المسترِقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أن يسَّمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا[1].

ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، فالجملة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ استئناف كأنه قيل: كيف العبرة..؟ فقيل: نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً، فهي جملة استئنافية بيان لسؤال مقدّر، وهذا توجيه الزمخشري.

ويجوز في الإعراب أن تكون خبراً لمبتدأ مضمر، والجملة جواب لذلك السؤال، أي: هي ـ أي: العبرةُ ـ نسقيكم[2].

وقال أبو السعود: (نسقيكم) استئناف لبيان ما أبهم أولاً من العبرة[3].

ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الكهف: ٤ ـ ٥].

---

(١) انظر: شرح قواعد الإعراب ١٤٣ ـ ١٤٥، المغني ٤٢٩، حاشية الدسوقي ٢/ ٤٢، الكشاف ٣/ ٣٣٥، الانتصاف ٣/ ٣٣٥، الدر المصون ٩/ ٢٩٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٦، الدر المصون ٧/ ٢٥١.

(٣) تفسير أبي السعود ٥/١٢٤.

والشاهد هنا في كلمة ﴿وَلَدًا﴾ وجملة ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾، فهذه الجملة استئنافية ليست صفةً، وجاءت لغرضٍ بلاغي فيه: نفي الشيء بإيجابه أو عكس الظاهر، والمراد أن تذكر كلاماً يدلُّ ظاهره على أنه نفيٌ لصفة موصوف، وهو نفيٌ للموصوف أصلاً، فاتخاذ الله ـ تعالى ـ ولداً في نفسه محالٌ، فكيف قيل: ما لهم به من علم..؟ ومعنى ذلك: مالهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم؛ لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء؛ إما للجهل بالطريق الموصل، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به، فقد ورد الكلام على سبيل التهكُّم والاستهزاء بهم(١).

وفي مورد الجملة الواقعة صفةً يشترط المعربون أن تكون خبريةً لا طلبيةً، وعلى هذا فالجملة الطلبية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ﴾ [الكهف: ١٥] جملة استئنافية فيها معنى الإنكار. قال السمين الحلبي: لا يجوز أن تكون جملة: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ﴾ التحضيضية صفةً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ءَالِهَةً ۖ﴾ لفساده معنًى وصناعةً؛ لأنها جملةٌ طلبيةٌ(٢).

❖ ترجيح الاستئناف على النعت

تترجح جملة الاستئناف على جملة النعت: إذا لم يكن الكلام السابق طالباً توضيحاً أو تبييناً أو تخصيصاً مما تفيده جملة النعت.

وإذا لم تقتضِ النكرة ارتباطاً بصفةٍ ما، فالجملة بعدها استئنافية، يظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾

---

(١) انظر: الكشاف ٢/ ٤٧٢.

(٢) الدر المصون ٧/ ٤٥٤.

[البقرة: ٢٦]، فجملة ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ الصواب أنها استئنافية لا يصح أن تحمل على أنها صفة، ويشهد للاستئناف قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١] [١].

وفي الحديث الصحيح: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» [٢]، جملة «من أحصاها» جملةٌ مستقلة استئنافية، وليست صفةً.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [المائدة: ٥١]، جملة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ الظاهر أنها مستأنفة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾ [لقمان: ١٠]، جملة ﴿تَرَوْنَهَاۖ﴾ الضمير فيه للسماوات، وهو استشهادٌ برؤيتهم لها غير معمودة على قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني.

وتحتمل جملة ﴿تَرَوْنَهَاۖ﴾ أن تكون في محل جر صفة للعمد، أي: بغير عمد مرئية، يعني: أنه عمّدها بعمدٍ لا تُرى، وهي إمساكها بقدرته، وتحتمل أن تكون استئنافية لا محل لها..

والاستئناف بياني، على تقدير سؤال من سأل: ما دليل أنها بغير عمد؟ فقيل: المشاهدة التي لا أجلى منها [٣].

وقال الزمخشري [٤]: كلامٌ مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك.

---

(١) انظر: البحر ١/ ٢٥.

(٢) الحديث في صحيح البخاري ٢٥٨٥، الترمذي في الدعوات ٣٥٠٧.

(٣) نظم الدرر ١٠/ ٢٧٠.

(٤) الكشاف: ٢/ ٣٤٩.

قال بعض الباحثين المعاصرين: هناك عَمَدٌ: جمع عمود، ولكنكم لا ترون العمد. وهذه إشارةٌ إلى قُوى الجذب فيما بين المجرّات والكواكب والكتل..[1].

ـ شواهد الجملة الفعلية بين الاستئناف والنعت:

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤]، جملة ﴿يُجَٰهِدُونَ﴾ صفة رابعة، ويجوز أن تكون مستأنفة للإخبار عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧ ـ ١١٨]، جملة: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ صفة، أو استئناف يراد منه الدعاء.

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠]، جملة ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ صفة، أو حال، أو استئناف، وهو الأظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ [الأعراف: ٦١ ـ ٦٢]، جملة ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ استئناف على سبيل البيان بكونه رسولاً، أو في موضع الصفة لـ(رسول) ملحوظاً فيها كونها خبراً لضمير المتكلم، والأكثر مراعاة ضمير المتكلم أو المخاطب.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ [إبراهيم: ١٠]، جملة ﴿تُرِيدُونَ﴾ صفة أخرى لـ(بشر)، أو مستأنفة.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي: د. محمد راتب نابلسي ٥٦.

- **شواهد الجملة الاسمية بين الاستئناف والنعت:**

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧]، الجملة المنفية في موضع جر صفة مؤكدة لـ(شكٍّ)، أو مستأنفة للإخبار عنهم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ [النحل: ١٠]، جملة ﴿لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ مستأنفة، أو صفة لـ(ماء).

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، جملة ﴿هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ صفة لـ(آلهةً)، أو مستأنفة.

- **شواهد أخرى:**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ [غافر: ٧٨]، جملة ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا﴾ صفةٌ لـ(رسلاً)، وهو الظاهر، أو مستأنفة.

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحديد: ٢١]، جملة ﴿عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ صفة لـ(جنة)، وكذلك (أعدت)، أو مستأنفة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، جملة ﴿تُلۡقُونَ﴾ بيان لموالاتهم، أو استئناف إخبار، أو حال من الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ﴾، أو صفة لـ(أولياء).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا

﴿يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ٩]، يتبادر إلى الذهن أن جملة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩] صفةٌ لـ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وهذا غير المراد أصلاً من معنى الآية، لذلك كان الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ لازماً، إذ لو وصل بقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: توهم أن الجملة صفةٌ لقوله تعالى: ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾، فانتفى الخداع عنهم، وتقرر الإيمان خالصاً عن الخداع، كما تقول: ما هو بمؤمن مخادع، والآية القصد فيها إثبات الخداع بعد نفي الإيمان عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ [يس: ٣٣]، أي: بالمطر، جملة ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ استئنافية بيان لكون الأرض الميتة آية، ويجوز أن توصف الأرض بالفعل؛ لأنه أريد بها جنسٌ مطلق لا أرضٌ بعينها، فعوملت معاملة النكرات في وصفها بالأفعال، ونحوه:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبُّني فمضيت ثُمَّة قلتُ: لا يعنيني

فجملة (يسبني) تحتمل الوصفَ، والحال[1].

٦ ـ بين الاستئناف والعطف

بين الاستئناف والعطف صلةٌ وثيقةٌ، فكثيراً ما توجَّه الشواهد وفق هذين البحثين دون ترجيح لأحدهما، إذا كان مقتضى الكلام يبيح ذلك، وقد تستقل الجملة عن سابقتها رغم ارتباطها بالواو أو الفاء مثلاً، وتنقطع الصلة الصناعية بينهما، فتوجه نحو الاستئناف.

---

(١) الانتصاف من الكشاف ١/ ٤٩٥.

ومجال التمييز بينهما يحدّده المعنى الدقيق الذي يرصده علماء البلاغة، ولذلك أمثلة:

أ ـ تحتمل الفاء الاستئناف في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿فَيُضِلُّ﴾ بالرفع، ولم ينصب على العطف على ﴿لِيُبَيِّنَ﴾؛ لأنَّ العطف يجعل معنى المعطوف كمعنى المعطوف عليه، والرسل أرسلوا للبيان لا للإضلال[1].

ب ـ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ [النحل:٢٨].

﴿فألقوا﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [الآية ٢٧] ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾، ويجوز أن يكون مستأنفاً[2] إخباراً عن أحوالهم وتسليمهم في ذلك الوقت، ولات ساعة مندَم.

جـ ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة:٢٤٥].

قرأ ابن عامر وعاصم بالنصب فيهما، والباقون بالرفع على الاستئناف[3]. ويجري في هذه الجملة التوجيه النحوي الذي يقدّر مبتدأً محذوفاً، أي: فهو يضاعفه.

د ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [غافر:٦٨].

من قرأ بالرفع جعل ﴿فَيَكُونُ﴾ عطفاً على قوله تعالى: ﴿يَقُولُ﴾، وقيل تقديره: فهو يكون.

---

(١) الدر المصون ٧/ ٧٠، إملاء ما منّ به الرحمن ٣٦٢.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ٣٧٦، الدر المصون ٧/ ٢١٣.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١٠٩، البحر المحيط ٢/ ٢٥٢، شذور الذهب ٣٩٧.

ومن قرأ بالنصب[1] اعتبر لفظ الأمر. وجواب الأمر بالفاء منصوب، والنصب ضعيف؛ لأنَّ (كن) ليس بأمرٍ في الحقيقة، فقوله ﴿كُن﴾ إمَّا أن يكون أمراً لموجودٍ أو معدوم، فإن كان موجوداً فالموجود لا يؤمر بـ(كن) وإن كان معدوماً فالمعدوم لا يخاطب، فثبت أنه ليس بأمرٍ على الحقيقة، وإنَّما معنى ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أي: يكوِّنه فيكون، فإنه لا فرقَ بين أن يقول: إذا قضى أمراً فإنما يكون فيكون، وبين أن يقول له: كن فيكون، فلهذا كانت هذه القراءة ضعيفة.

وقال أبو حيان: الرفع عطفٌ على ﴿يَقُولُ﴾، أو على الاستئناف[2].

والنصب على أنه جواب لفظ ﴿كُن﴾ شبه بالأمر الحقيقي، ولا يصح أن يكون جواباً لأمرٍ حقيقي؛ لأنّ ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرطٌ وجزاء، وهنا لا يصح: إن يكن يكن.

هـ ـ وترِد الجملة محتملةً للعطف على أنها جوابُ الطلب بعد الفاء السببية والقطع عنه للاستئناف، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٦].

جملة ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ استئناف، وتقديرها: فإذاً أنتَ تردَى[3].

---

(١) قرأ ابن عامر بالنصب. انظر: القراءة في التيسير ٧٦، النشر ٢/ ٢٢٠، إتحاف فضلاء البشر ٣٨٠.

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٦٦، إملاء ما منّ به الرحمن ٦٧، مجمع البيان ١/ ١٩٣.

(٣) ومثل هذا التوجيه ورد في قوله تعالى: ﴿فأطَّلعَ﴾ [غافر:٣٧]، و﴿فأطَّلعُ﴾ [غافر:٣٧]، و﴿فتنفعَه الذكرى﴾ [عبس:٤]، و﴿فتنفعُه الذكرى﴾ [عبس:٧]، و﴿ولا نكذِّبَ﴾ [الأنعام:٢٧]، و﴿ولا نكذِّبُ﴾ [الأنعام:٢٧]، و﴿ونكونُ﴾ [الأنعام:٢٧]، و﴿ونكونَ﴾ [الأنعام:٢٧]. انظر: كشف المشكلات ٢/ ٨٢٠.

و ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

ذكر التوجيهين ابن الأنباري والعكبَري وأبو حيان والباقولي[١].

وقال المولى جلّ جلاله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦].

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطفٌ على ﴿يُؤْذَنُ﴾ منخرط في سلك النفي، والمعنى: لا يكون لهم إذنٌ واعتذارٌ متعقَّبٌ له، من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن لا محالة.

وقيل: ﴿**يعتذرون**﴾ عطفٌ على ﴿**ينطقون**﴾، فيعتذرون داخلٌ في النفي، كأنه قال: لا ينطقون ولا يعتذرون، فلو حملت الآية على ظاهرها لتناقض المعنى؛ لأنه يصير التقدير: هذا يوم لا ينطقون فيعتذرون، فيكون ذلك متناقضاً؛ لأن الاعتذار نطق.

وقال العكبري: في رفعه وجهان:

أحدهما: هو نفي كالذي قبله، أي: فلا يعتذرون.

والثاني: هو مستأنف، أي: فهم يعتذرون، فيكون المعنى: أنَّهم لا ينطقون نطقاً ينفعهم، لا ينطقون في بعض المواقف، وينطقون في بعضها، وليس بجواب النفي، إذ لو كان كذلك لحذف النون[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧].

---

(١) البحر المحيط ٦/٢٣٣، القرطبي ١١/١٨٥، كشف المشكلات ٢/٨١٩ ـ ٨٢٠.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ٥٧٥.

قرئ: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ والجملة استئنافيةٌ، وعْدٌ منهم. قال ابن السَّرّاج: والفرّاء يختار في الواو والفاء الرفعُ؛ لأنَّ المعنى: يا ليتنا نردُّ، ولسنا نكذِّب، استأنف.

ثم تمنّيهم عند ﴿نُرَدُّ﴾ ثم ابتدؤوا ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾، واعدين الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذّب ونؤمنُ على وجه الإثبات.

وشبّهه سيبويه بقول العرب: (دعني ولا أعودُ)، بمعنى: دعني وأنا لا أعودُ، تركتني أو لم تتركني، فهذا وجه الاستئناف.

ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿نُرَدُّ﴾، أو حالاً، على معنى: يا ليتنا نردُّ غيرَ مكذبينَ وكائنين من المؤمنين(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

جملة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز أجزاء الشرط؛ كأنه حكاية حال الرامين عند الله تعالى بعد انقضاء الجملة الشرطية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

مسألة: إذا وقع بعدَ جملة جواب الشرط الجازم مضارع مقرون بالواو أو الفاء جاز فيه ثلاثة أوجه إعرابية، يختار منها المتكلم والمعرب ما يناسب السياق، ويساير معنى التركيب.

أولها ـ وهو الشاهد في بحثنا ـ اعتبارُ الواو والفاء حرفي استئناف،

---

(١) الأصول ٢/ ١٨٥، الكشاف ٢/ ١٢ ـ ١٣، النشر ٢/ ١٥٧، التيسير ١٠٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٠٦، البحر المحيط ٤/ ١٠١ ـ ١٠٢.

فالجملة بعدهما استئنافيةٌ، مستقلةٌ في إعرابها عمّا قبلها، والمضارع فيها مرفوع؛ إن كان مجرّداً من ناصب وجازم، ومن نوني التوكيد.

ولهذا شواهد، منها قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ [البقرة: ٢٧١].

قرئ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالنصب والجزم والرفع. قال أبو حيان: والأحسنُ التشريك في الجزم إذا كان قبله أو بعده مجزوم، وإذا ارتفع فهو على إضمار مبتدأ، وإذا كانت جملة الجزاء اسمية فالرفع وجه الكلام، ويجوز الجزم والنصب. ولم يذكر سيبويه فيه النصب[(١)].

وإذا عطفت مضارعاً بعد الفعل المنصوب بعد فعل الجزاء جاز في المضارع الرفع على الاستئناف، والنصب عطفاً على المنصوب، والجزمُ على موضع المنصوب.

ومثاله: إن تأتني أحسن إليك وأزورك وأكرم أخاك. فيجوز في (أكرم) النصب، وهو ظاهرٌ، والرفع على الاستئناف.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

في الاتحاف: وعن الحسن: ﴿ويذرُكَ﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أتذر﴾ أو استئناف، أو حال[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾

---

(١) انظر الدر المصون ٢/٦١١، السبعة ٢٩٩، البحر المحيط ٢/٣٢٥.

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر ٢٢٩، البحر ٤/ ٣٦٧.

[البقرة: ٢٨٤]، برفع ﴿يغفر﴾[١] على الاستئناف، أي: فهو يغفر بفضله.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، برفع ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾[٢] على الاستئناف.

وقول الشاعر يمدح:

فإن يهلكْ أبو قابوس[٣] يهلِكْ ... ربيعُ الناس والبلدُ الحرامُ
ونأخذُ بعده بِذَنَابِ[٤] عيشٍ ... أجبِّ الظَّهرِ[٥] ليس له سنامُ

برفع المضارع (نأخذ) بعد واو الاستئناف[٦].

مسألة: اعتبار الجملة الاستئنافية اعتراضية:

يرى المحققون أن رفع المضارع المتوسط بين جملتي الشرط والجواب جائزٌ بعد حرف (الواو، والفاء، وأو، وثم) وحجتهم أنه لا مانع من اعتبار تلك الجملة الأجنبية جملةً استئنافية معترضة، وليست للاستئناف المحض، ورأيهم صحيح؛ لأنه تطبيق ما قرّره النحاة من جواز وقوع الجملة المعترضة بين جملتي الشرط والجواب، ولا ضرر في الأخذ به إن اقتضاه المعنى.

---

(١) قراءة ابن عامر وعاصم.
انظر: البحر ٢/ ٣٦١، الكشاف ١/ ٤٠٧، الدر المصون ٢/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨.

(٢) قراءة عاصم وأبي عمرو.
انظر: النشر ٢/ ٢٧٣، البحر المحيط ٤/ ٤٣٣، الدر المصون ٥/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨، أمالي الشجري ١/ ٢١ ـ ٢٢.

(٣) أبو قابوس: هو النعمان بن الحارث الأصغر.

(٤) ذناب: عقيب.

(٥) أجب الظهر: مقطوع، يريد: لا ظهر له ولا سنام لضعفه وهزاله، فلا خير فيه.

(٦) انظر: النحو الوافي ٤/ ٤٧٧، أمالي ابن الشجري ١/ ٢١.

وعلى هذا يجوز في المضارع المسبوق بأحد أحرف العطف السابقة ـ والذي تتوسط جملته بين جملتي الشرط والجواب ـ الأوجه الثلاثة؛ وهي الرفع على اعتبار الجملة استئنافية اعتراضية، والجزم على فعل الشرط المجزوم.. والنصب على اعتبار الواو للعطف مع المعية[1]..

٧ ـ بين الاستئناف والبدل

إنَّ تذوقَ الكلام المبنيّ على البدلِ والمبدلِ منه ليَدلُّ على ارتباطٍ وثيقٍ بين عمومٍ وخصوصٍ، أو إجمالٍ وتفصيلٍ، أو إبهامٍ وتوضيحٍ.

وقد ينقطع هذا الارتباط لمزيّة خاصة في البدل تدلّ على مزيد العناية به والتوجّه لأهميته.

قال أبو حيّان[2]: «يجوز فيما فُصِّل به جمعٌ أو عددٌ الإتباعُ بدلاً والقطعُ إن كان وافياً بالفصل، فتقول: مررت برجالٍ زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ، ومررتُ بثلاثةٍ بكرٌ وجعفرٌ وخالدٌ، فإن أبدلتَ أتبعت المبدلَ منه في الإعراب، وإن شئتَ قطعت إلى الرفع فقلت: زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ.

وكذا في ما أبدل من اسم العدد، وإن لم يفِ ـ بأن لم يطلق عليه اسم المفصّل ـ قطعتَ، فتقول: مررتُ برجالٍ زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ، ومررت بثلاثةٍ بكرٍ وجعفرٍ وخالدٌ، أي: منهم، فلمزيد الاهتمام بخالدٍ خاصةً أُخرِج على سبيل قطع البدل».

وليس من شرطِ القطع التفصيلُ، بل يجوز في نحو: مررتُ بزيدٍ أخيكَ، أن تقطعَ، فتقول: أخوكَ، أي: هو أخوكَ، فالجملة استئنافيةٌ. نصَّ

(١) انظر: النحو الوافي ٤/ ٤٧٩.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨.

على ذلك سيبويه والأخفش، وهو قبيحٌ عند بعضهم إلاّ إن طال الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ﴾ [الحج:٧٢]، أي: هي النار[١].

فإن جاء جمعٌ وتبعه ما ليس موافقاً فتؤول الجمع على أنه متجوَّزٌ فيه، واقعٌ على الاثنين، أو اعتقد محذوف يفي به وبالمذكور الإطلاق، وذلك نحو قول النابغة:

توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتها لستةِ أعوامٍ وذا العام سابعُ
رماداً ككحلِ العين لأياً أُبينه ونؤي كجذم الحوضِ أثلم خاشعُ

يُروى برفع (رماد)و(نؤي) على القطع من آيات، أي:منها رمادٌ ونؤيٌ[٢].

وقال عمر بن أبي ربيعة:

اعتاد قلبكَ من سلمى عوائده وهاجَ أهواءَكَ المكنونة الطَّللُ
ربعٌ قواءٌ أذاع المعصراتُ به وكلُّ حيرانَ سارٍ ماؤُه خضِلُ[٣]

الشاهد في قوله: رَبْعٌ، فهو خبر لمبتدأٍ محذوف، تقديره: هو رَبْعٌ. ولا يجوز أن يكون بدلاً من الطلل؛ لأن الربع أكثر من الطلل، والبدل عند النحويين لا يجوز إذا كان الثاني أكثر من الأول، ولهذا ما حمله سيبويه على القطع والابتداء، دون البدل والإتباع[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/ ٦٢٨، الكتاب ٢/ ٨٦.

(٣) القواء: القفر، أذاع به: فرّق وغيّر، المعصرات: السحاب ذوات المطر، وأراد بالجيران: سحاباً تردّد بمطره عليه ولازمه فهو كالجيران، الخضِل: الغزير.

(٤) الخصائص ٣/ ٢٢٦، الكتاب ١/ ١٤٢، دلائل الإعجاز ١٤٦.

ومزية قطع البدل دَرَسها الجرجانيّ تحت باب الحذف الذي أبدى فيه تعليلاً ذوقياً في غاية الوضوح والإشراق لمحبّي العربية، لفت أنظارهم إلى أن هذا الباب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذّكر أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة أزيدَ للإفادة، وتجدكَ أنطق ما تكون إذا لم تنطِق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن، وهذه جملةٌ قد تنكرها حتى تخبرَ، وتدفعها حتى تنظرَ، وأوّل الشواهد التي عرضها أمثلة سيبويه السابقة[1].

اعتاد قلبك...

وقال: ربَّ حذفٍ هو قلادة الجيدِ، وقاعدة التجويد..

ومن ألطف التوجيهات التي تبيّن ارتباط الجمل بعضها ببعض ما نجده في توجيهات المعربين لقوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

فإنه لا يتأتى لنا فهم إعراب جملة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ بدقة حتى نتبين مَنِ القائل؟ هل هو المولى عز وجل ـ وهو الأوضح والأرجح ـ وعلى هذا فهذه الجملة بدلٌ من (ما)، و(ما) اسمٌ موصول في محل رفع نائب فاعل.

والتوجيه الثاني: أن تكون استئنافية، والمعنى: ما يقول لك كفّار قومك من الكلمات المؤذية إلا مثل ما قد قال الكفّار الماضون لأنبيائهم، وفي هذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ، وقد يكون الوقف تامًّا على قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾[2].

(١) دلائل الإعجاز ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) انظر: الكشاف ٣/ ٤٥٥، المغني ٥٥٦، المنصف للشمني ٢/ ١٥٩، الدر ٩/ ٥٣٠.

فإذن على كلِّ معربٍ أن تكون عنايته مصروفةً إلى تحرّي المعنى وتوسُّم الدلالة اللائقة؛ ليكون فهمه أتمّ وإدراكه أكمل.

وأورد المعربون شاهداً على الاستئناف والبدل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

والشاهد في جملة ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾، فقد قرئ في السبع برفع الفعل، والجملة على الاستئناف وليست بدلاً، وهو الوجه الذي ذهب إليه الفرّاء والنحّاس والفارسي[1].

ويدور في فلك الاستئناف والبدل مسائل إدراكها يعني فهم المعنى بدقةٍ واستقامة، من هذه المسائل اكتفي بالشواهد الآتية:

ـ تنوعّت أقاويل المعربين في توجيه الجملة من قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ...﴾ [الأنعام: ٥٤].

فمن فتح (أنَّه) فالمصدر بدل من الرحمة، أي: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل منكم..

ومن قرأ بالكسر: إنه، فلأن (كتبَ) يؤولُ إلى قال، والتقدير: قال إنه من عمل.. ويجوز أن تكون الجملة استئنافية للإخبار، وهو مذهب الفراء.

وذهب الفارسي إلى أن الجملة تفسيرٌ للرحمة، وقيل: الجملة جواب القسم لقوله ﴿كَتَبَ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٧٣، البحر ٦/ ٥١٥، المقتضب ٢/ ٦٢، الأصول ٢/ ١٨٩، والقراءة في السبعة لابن مجاهد ٤٦٧، التيسير ١٦٤، القرطبي ١٣/ ٧٦، الدر المصون ٨/ ٥٠٣.

قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ غاية كلام، ثم استأنفت بعدها ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾، وإن شئت جعلته في موضع نصب، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ..﴾ [الأنعام: ٥٤].

والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جواب الأيمان (القَسَم) بـ(أن) المفتوحة وباللام، فيقولون: أرسلت إليه أن يقوم، وأرسلت إليه ليقومنّ[1].

وفي قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]، أُعربت ﴿بَعُوضَةٗ﴾ بدلاً من ﴿مَثَلٗا﴾، وأُعربت مفعولاً أوّل لـ(ضرَبَ). وقُرئ: بعوضةٌ؛ بالرفع، أي: المثل بعوضةٌ. والجملة استئنافيةٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّر، ما هو؟ قيل: هو بعوضةٌ[2].

واختار الزمخشري كون (ما) استفهاميةٌ مبتدأ، بعوضةٌ: خبرها، والمعنى: أيُّ شيءٍ البعوضةُ فما فوقها في الحقارة؟!

قال الأشموني: والوقف يبيّن المعنى المراد؛ فمن رفع (بعوضة) على أنها مبتدأٌ محذوف الخبر، أو خبرُ مبتدأٍ محذوف كان الوقف على (ما) تاماً[3].

وفي توجيه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] أقوالٌ:

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٢٨، البحر ٤/ ١٤١، الدر المصون ٤/ ٦٥٣، كشف المشكلات ١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٢) انظر: حاشية الشهاب ٢/ ٨٨ ـ ٨٩، تخليص الشواهد ١٦٠ ـ ١٦١، البحر ١٢٣/١، المحتسب ١/ ٦٤، الأزهية ٨٣، معاني القرآن للفراء ٢١/١ ـ ٢٢، شرح التصريح ١٤٤/١، الكتاب ١٣٨/٢، منار الهدى ٣٣، الكشاف ٢٦٤/١.

(٣) منار الهدى ٣٣.

أحدها: أنَّ ﴿مَنْ﴾ فاعلٌ للمصدر ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾، وهذا مردودٌ بأنه يصيِّرُ المعنى: ولله على جميع الناس أن يحجَّ البيت المستطيع. وليس كذلك.

الثاني: ﴿مَن﴾ بدلٌ من ﴿الناسِ﴾، والتقدير: ولله على الناسِ مستطيعِهم حجُّ البيت.

الثالث: ﴿مَن﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: من استطاع منهم فعليه ذلك[1]. والجملة الاسمية الشرطية استئنافية إخبارية. وهذا توجيه الكسائي.

وأرى أن لا حاجة إلى الحذف مع إمكان تمام الكلام.

ومن الشواهد البارزة التي تدور في فلك الاستئناف والبدل ما رصده علماء الوقف والابتداء في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

الشاهد في قوله ﴿النارُ﴾ وفيها وجهان:

أحدهما: أنها مبتدأ، وجملة ﴿يُعْرَضُونَ﴾ الخبر.

الثاني: أنها بدل من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

قال علماء الوقف: الوقف على ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ كافٍ، وقال أبو عمرو: تامّ إن جعل ﴿النارُ﴾ مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف، كأنَّ قائلاً قال: ما سوء العذاب؟ فقيل: هي النار، وليس بوقفٍ إن جعل بدلاً من ﴿سُوٓءُ﴾[2].

* * *

(١) انظر: مغني اللبيب ٦٥٨، ٦٩٤، ٧٨٤، تذكرة النحاة ١٨٩، الكتاب ١/ ٧٥، البحر ٣/ ١١، المقتضب ١/ ٢٧، إعراب القرآن للزجاج ١/ ٤٤٦.

(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ٥١٥، منار الهدى ٢٤٤.

٨ ـ بين الاستئناف وحكاية القول

من الأمور المهمة التي ذكرها أرباب البلاغة ـ ومنهم الجرجاني ـ أن ينظر المعرب في الجمل فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل، والمراد: النظر الدقيق إلى الوجوه التي تذكر في النحو، فيعرف من خلالها أنَّ لكل واحد منها موضعاً مخصوصاً عند تركيب الكلام باعتبار إفادتها الأغراض المطلوبة منها، وتجيءُ بكل واحدةٍ في موضعٍ ينبغي له.

ومن مزايا الاستئناف وما يدور في فلكه التمييز بين ما هو إخبار مستقلّ، وما هو حكاية قول، هذا التمييز لا يدرك إلا باستيعاب المعنى بدقة ووضوح. وربما وجدنا لعلماء الوقف دوراً كبيراً في هذا المجال يتضح ببعض الأمثلة:

ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ ـ ١٢].

إنما جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ مستأنفاً مفتتحاً بـ«ألاَ»؛ لأنه خبر من الله ـ تعالى ـ بأنهم كذلك، والذي قبله من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ حكايةٌ عنهم، فلو عطف للزم عليه الجمع بين الخبر والحكاية، ولصار خبراً من اليهود، ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون، ولصار كأنه قيل: قالوا: إنما نحن مصلحونَ وقالوا: إنهم هم المفسدون، وذلك ما لا يشكُّ في فساده[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥].

---

(١) انظر: الدر المصون ١/١٤٢ ـ ١٤٤، الكشاف ١/١٨٠، دلائل الإعجاز ٢٧٤.

جملة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ليست محكيّةً بالقول، حتى تكون من الجمل التي لها محل من الإعراب، وإن كان الوهم ينساق إليها من أوّل الأمر بلا رويّة لفساد المعنى، فإن هذا قول الله ـ تعالى ـ لا قولهم؛ ولأن الكفّار لو قالوا: إنّ العزّة لله جميعاً، لم يكونوا كفّاراً، لاعترافهم بأنّ آلهتهم لا عزّة لهم، ولَمَا أحزنه قولهم.

والوجه السديد في جملة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أنها استئنافية على سبيل التعليل، كأنه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: إنَّ العزّة لله جميعاً، لا يملك أحدٌ شيئاً منها، لا هُم ولا غيرُهم، فالله تعالى يغلبهم وينصرك عليهم: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١].

ويدلّك على ذلك قراءة أبي حَيْوَة: ﴿أنَّ العزَّة﴾ بالفتح، بمعنى: لأن العزّة، على صريح التعليل[1].

عقَّب الأمير على كلام ابن هشام هاهنا: «فإنه ربما يتبادر إلى الذهن أنه محكيّ بالقول؛ بقوله:

بطلانُ هذا واضحٌ، فلا ينبغي أن يعدَّها من الاستئناف الخفي، إلاَّ أن يتوهّم أنه مقولٌ لهم تهكماً من كفرهم[2].

ولعلَّ أهمية هذه المسألة والتفريق ما بين الاستئناف والحكاية جعلت ابن قتيبة يفردها تحت باب مهم عنوانه: باب ذكر العرب وما خصَّهم اللهُ به من العارضة والبيان واتساع المجاز، فقال: ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحِلْيةً لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين

---

(١) انظر: شرح قواعد الإعراب ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) حاشية الأمير ٢/ ٤٧.

المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يُفرَّق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما إلا بالإعراب.

وشاهد البحث قول ابن قتيبة: لو أن قارئاً قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦] وترك طريق الابتداء بـ«إنّا»، وأعمل القول فيها بالنصب؛ على مذهب من ينصب (أنَّ) بالقول كما ينصبها بالظن، لَقَلَب المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبي ـ عليه السلام ـ محزوناً لقولهم: إنّ الله يعلم ما يُسرّون وما يعلنون، وهذا كفر مِمَّن تعمده، وضربٌ من اللحن، لا تجوز الصلاة به، ولا يجوز للمأمومين أن يتجوَّزوا فيه[1].

وقد يُوصَلُ بالجملة المحكيّة غيرُ محكيٍّ، وهو ما يسميه المحدِّثونَ مُدْرَجاً[2]، نحو: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، فجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ استئنافية، ولا علاقة لها بالقول والمحكيّ به، ولا يقدّر لها قول[3].

---

(١) تأويل مشكل القرآن ١٤، وراجع البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي ١/ ١٨٢، كشف المشكلات ١١٢١، البحر ٧/ ٣٤٧، إيضاح الوقف ٨٥٦، منار الهدى ٢٣٢.

(٢) المُدْرَجُ: أن يأتِيَ المُحدّثُ في المتن بكلامٍ من عنده، فيوهم أنه ليس من عنده، بل من الحديث، وهذا نوعٌ من الإدراج، وهناك نوعٌ آخرُ له، وهو أن يذكر حديثين بسند واحد، على أنهما حديثٌ واحد، يحذف سند الثاني، والغرض أن لكلٍّ سنداً في الواقع، وهذان النوعان حرام عند عدم بيان الإدراج، وأما إذا كان يزيد كلمةً في المتن لكن هناك ما يدل على أنها ليست منه فلا حرمة؛ بل جائز.

(٣) المغني ٤٦٤، حاشية الدسوقي ١/ ٧٠، إعراب الجمل د. قباوة ١٦٩.

ومن شواهد ذلك في الحديث الشريف، قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح»(١).

جملة «وإذا أصبحت..» الخ، غير محكيةٍ؛ لأنه ليس مقولاً للنبي ﷺ، بل من كلام عمر رضي الله عنه.

وكشفُ هذا المدرج ـ وهو جملة اعتراضية ـ يحتاج إلى دقة فهمٍ عميقةٍ لنظم القرآن الكريم وأسلوب خطابه، وكذا فهم متن الحديث ومعرفة هذا المدرج بوروده منفصلاً في روايةٍ أخرى، أو بالنص على ذلك من الراوي، أو من بعض الأئمة الحذَّاق المطَّلعين، أو باستحالة كونه ﷺ يقول ذلك(٢).

وغالب الإدراج يقع في آخر المتن(٣).

من شواهد الجملة الاستئنافية التي جاءت كنظير المدرج(٤) من الحديث قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فهذه صفةٌ لأتقياء المؤمنين، ثم قال مستأنفاً: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ

---

(١) حاشية الدسوقي ٢/ ٧٠، والحديث في صحيح البخاري كتاب الرقاق ٣ رقم ٦٠٥٣.

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث.. ابن كثير ٧٠ ـ ٧١.

(٣) الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح ٢١٧.

(٤) قال الزركشي: المدرج هذا النوع سمّيته بهذه التسمية، بنظير المدرج من الحديث، وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجيء الكلمة إلى جانب أخرى كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير ذلك.

﴿فِي ٱلْغَيِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، فهذا يرجع إلى كفار مكة، تمدهم إخوانهم من الشياطين في الغيّ.

ومنه: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢] تمَّ الكلام، فقالت الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥١ ـ ٥٣]. انتهى قول امرأة العزيز، ثم قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: ليعلم الملك أني لم أخنه[1].

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] بالتدقيق نلاحظ أن العبارة الأخيرة ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ هي من قول موسى وليس من قول شعيب ـ عليهما السلام ـ.

هذا؛ وتتضمَّنُ بعضُ الأفعال معنى القول، فتجري مجراهُ في تطلُّبِ جملةٍ محكيَّةٍ عند الكوفيين، في حين يقدّر لها البصريون فعلاً صريحاً من أفعال القول؛ كالفعل (أذّن، استجاب، دعا، قضى، كتب، كلّم، نادى، أوحى).

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٩٤.

وربما يلمح أن الجملة جاءت على الحكاية، أو جاءت للاستئناف، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قُرئَ: ﴿إنَّه﴾ بالكسر، فالجملة استئناف إخباريّ فيها توضيح وتفسير للرحمة. ويجوز حمل ﴿كَتَبَ﴾ على «قال»، فالجملة حكاية القول المضمَّن، وهذا مذهب الكوفيين في هذا الأسلوب وما يشبهه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

قرئَ بالكسر على الاستئناف، توضيحٌ وجوابٌ عن الأمر المقدَّر ما هو؟ ويجوز مع ذلك وجهان آخران:

أحدهما: تضمين «قضى» معنى «قال» على مذهب الكوفيين.

والثاني: إضمار القول على مذهب البصريين[(٢)].

ومنه: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر همزة ﴿**إنّ القوة لله جميعاً**﴾ استئنافاً تقريرياً، وقالوا: الاستئناف بمعنى التعليل، نحو: أكرِمْ زيداً إنَّه عالمٌ، أهِنْ عمْراً إنّه جاهلٌ.

والوجه الآخر أن يكون مقولاً للقول المقدّر، أي: لَقالوا:..[(٣)]

---

(١) انظر: البحر المحيط ٤/ ١٤١، الدر المصون ٤/ ٦٥٣، والقراءة في النشر ٢/ ٢٤٩، السبعة ٥٨.

(٢) انظر: الكشاف ٢/ ٣٩٥، البحر ٥/ ٤٦١.

(٣) انظر: الجامع لإعراب جمل القرآن ٧٣.

شواهد أخرى:

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم﴾ قرئ بالكسر على الاستئناف، كأنّ سائلاً سأل: ما هذه الآية وما علامتها؟ إني أخلق لكم، أو على إضمار القول: فقلت...[(١)]

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠].

قرئ بكسر همزة «إنّه» على الاستئناف، أو على إضمار القول..

وفي الجملة وجوهٌ أخرى[(٢)].

٩ ـ بين الاستئناف والتعليق

بعد أن اتضحت معنا الروابط العديدة فيما بين الاستئناف والحال أو النعت ونحو ذلك، نذكر أموراً دقيقةً للمعرب في توضيح الصلة بين الجملة الاستئنافية والجملة المعلقة، وهذا يعتمد على فهم التعليق ثم فهم الارتباط بأفعال القلوب وما يشبهها، وكم غاب فهم الإعراب بسبب الجهل بذلك التعليق في اللغة والاصطلاح:

يقال في اللغة: علِقَ الشيءَ علَقاً، وعلَقَ به علاقةً؛ لزمَه[(٣)]. وعَلِقَ بالمرأة وعُلِّقَها، قال الزمخشري: وتقول المرأةُ معلّقة، لا ذات زوج ولا

---

(١) انظر: الجامع لإعراب جمل القرآن ١٠٣ ـ ١٠٤، تفسير أبي السعود ٢/ ٣٨.

(٢) انظر: الجامع لإعراب جمل القرآن ٢٤٥، تفسير أبي السعود ٤/ ١٧٣.

(٣) لسان العرب: علق.

مطلقة... وعلّق فلانٌ أمره، وأمرُه معلَّق إذا لم يصرمه ولم يتركه، ومنه: تعليق أفعال القلوب[1].

وقالوا: المعلّقة من النساء التي فُقِد زوجها. قال تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩].

وفي التهذيب: وقال تعالى في المرأة التي لم ينصفها زوجها، ولم يخلّ سبيلها: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾، فهي لا أيّم ولا ذات بعل.

وفي حديث أم زرع: إن أنطق أطلَّق، وإن أسكت أعلَّق؛ أي: يتركني كالمعلقة، لا ممسكة ولا مطلقة[2].

قال الرضي: التعليق مأخوذ من قولهم: امرأة معلّقة، أي: مفقودة الزوج، تكون كالشيء المعلّق؛ لا مع الزوج لفقدانه، ولا بلا زوج لتجويزها وجوده، فلا تقدر على التزوج، فالفعل المعلَّق ممنوع عن العمل لفظاً، عاملٌ معنًى وتقديراً[3].

وبمثل ذلك قال ابن هشام في القطر[4]:

وإنّما سُمّيَ هذا الإهمال تعليقاً؛ لأنّ العامل في نحو: (علمت ما زيدٌ قائم) عامل في المحلّ.. وليس عاملاً في اللفظ، فهو عاملٌ في المحل لا عاملٌ في اللفظ، فشبّه بالمرأة المعلّقة، التي لا هي مزوجة ولا مطلقة.

والمرأة المُعلَّقة هي التي أساء زوجها عشرتها، ولهذا قال ابن الخشاب: لقد أجاد أهل هذه الصنعة في وضع هذا اللقب لهذا المعنى[5].

---

(١) أساس البلاغة (علق) ٣١١.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣/٢٨٨.

(٣) شرح الكافية ٢/ ٢٨١، وشرح الملا جامي ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٤) شرح قطر الندى ١٨٦.

(٥) شرح شذور الذهب ٤٧٦، حاشية العدوي ٢/ ١٣٩.

المشهور من الأفعال التي تعلّق: أفعال القلوب، وقد عدد الزمخشري من أفعال القلوب سبعة، وهي: ظننتُ وحسبتُ وعلمتُ وزعمتُ وخلتُ ورأيتُ ووجدتُ. وهي تدخل على الجملة من المبتدأ والخبر إذا قُصد إمضاؤها على الشك واليقين فتنصب الجزأين على المفعولية[1].

وأرى منعاً لِلَّبْسِ أنّ هذه الأفعال إن ارتبطت بمفعول صريح أو مقدر من خلال قرينة لفظية أو حالية واستتم المعنى منها ولم تستدعِ تعلّقاً بكلامٍ متمِّم، فالجملة بعدها استئنافية تحقق غرضاً ومقصداً من المقاصد التي ذكرت سابقاً، ويكون الوقفُ تاماً عندها.

أما إذا تعلق هذا الفعل بالجملة التي هي مؤدى المعنى، فالجملة هاهنا هي التي سماها النحاة: الجملة المعلقة، سدّت مسدّ مفعول أو مفعولين.

وهذا من ضوابط الاستئناف أيضاً عند علماء الوقف: إنّ كل كلامٍ قائمٍ بنفسه مستغنٍ بعاملٍ ومعمولٍ فيه يفيد معنى يكتفي به، فالقطع عليه كافٍ ويُسَمّى أيضاً هذا الضرب: مفهوماً[2].

❖ التعليق عند سيبويه:

خصص سيبويه باباً لهذه الجملة عنوانه:

باب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدّى إلى المفعول ولا غيره؛ لأنه كلام قد عمل بعضه في بعض، فلا يكون إلا مبتدأً لا يعمل فيه شيء قبله[3].

---

(١) شرح المفصل ٧/ ٢٠٨.

(٢) المكتفى ١٤٤.

(٣) الكتاب ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٩.

وهذا الباب يتناول الكلام في تعليق الأفعال ونحوها، وأورد شواهد عديدة بيّن فيها هذا الأسلوب وكيف ارتبط بجملة استفهام في محل نصب على المفعولية.

من خفايا الشواهد في هذا البحث:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

فيه توجيهان؛ أحدهما: أن الجملة المنفية ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ استئنافية، إخبار بكمال المصطفى ﷺ، وعليه فَـ(ما) نافية، والكلام تمّ عند قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ثم ابتدأ كلاماً آخر[1].

والوجه الثاني: أن الجملة في محل نصب بعد إسقاط الخافض (الجار)، لأنهما علّقا التفكر لأنه من أفعال القلوب.

قال ابن هشام: جملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ في موضع مفعولٍ مقيّدٍ بالجار... لأنه يقال: تفكرت فيه[2].

وقال غيره: جملة ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ أغنت عن ذكر معمول فعل ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾؛ لأن تفكرهم في شخصه سيوصلهم حتماً إلى الإقرار بمضمونها حتماً.

قال المفسرون: أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله فيعلموا أنه ليس بمحمدٍ جنون، بل هو رسول الله حقاً، أرسله الله لهدايتهم، وهذا نفيٌ لما نسبَه المشركون من الجنون في قولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ

---

(١) الدر المصون ٥/ ٥٢٥، المغني ٥٤٣، تفسير أبي السعود ٣/ ٢٩٨.

(٢) المغني ٥٤٣.

﴿ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر:٦] [(١)].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [سبأ: ٤٦].

في إعراب جملة ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ وجوه، تعتمد على ملاحظة الرابط بين ﴿تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ وبين الجملة المصدّرة بـ(ما).

فإذا أعربتَ (ما) نافية فالوقف عند ﴿تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ والجملة المنفية استئناف إخباري فيه تنزيه رسول الله من ادّعائهم.

وكذا إن أُعربت (ما) استفهامية ولكن لا يراد به حقيقة الاستفهام، فيعود إلى النفي.

وأضاف المعربون وجهين آخرين:

أحدهما: أن الفعل ﴿تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ معلَّق، والجملة المنفية في موضع نصب، وهو محطّ التفكير.

الثاني: أن الفعل ﴿تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ متضمّن معنى تتبيّنوا، ونُزّل منزلة القسم، فالجملة جواب القسم.

قال أبو حيّان: وهو عند سيبويه جواب ما ينزل منزلة القسم.

قال الشهاب الخفاجي: التفكّر مجازٌ عن العلم، فلذا عمل في الجملة المعلَّق عنها. وذهب ابن مالك في التسهيل إلى أن تفكّر يعلَّق، حملاً على أفعال القلوب، ولو حمل على التضمين لم يبعد.

وقدّر السيوطي: تتفكّروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنّة، أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر والعلم ومعمول التفكّر محذوف، والتقدير: فتفكّروا في

---

(١) تفسير أبي السعود ٢/ ٢١٢.

أحوال محمد ـ ﷺ ـ فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنونٌ ولا نقص[1].

قوله تعالى: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].

الظن اسمٌ لما يحصُل عن أمارةٍ، ومتى قويت أدّت إلى العلم، ومتى ضعُفت جداً لم يتجاوز حدّ التوهم، ومتى قويَ أو تصورَّ تصوُّرَ القويِّ استُعمِلَ معه (أنَّ) المشدَّدة و(أن) المخففة منها[2].

قال تعالى:

١ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧١].

٢ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

٣ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: ٢٢].

٤ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

٥ ـ ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

٦ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩].

٧ ـ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢].

٨ ـ ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾ [الجن: ٧].

جميع هذه الآيات وقع فعل الظن على المصدر المؤوّل، ووردت آيةٌ واحدةٌ هي الشاهد في بحث الجملة الاستئنافية. قوله تعالى: ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، البحر ٧/ ٢٩١، الدر المصون ٩/ ٢٠٠، المحرَّر الوجيز ١٤٨/١٣، حاشية الصّاوي ١١١/٥، حاشية الشهاب ٢١٠/٧، إعراب الجمل ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) انظر: المفردات (ظنّ) ص٣١٧.

﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾[فصلت:٤٨]، فقيل: الجملة جواب قسم، ويصحُّ أن تكون معلَّقة، ولعلّ الأنسب أن تكون استئنافية، فيها وعد من الله ـ تعالى ـ بأنه لامحيص لهم عن جهنم، ويكون الوقف على «ظنوا»، أي: ظنوا ظنَّهم السخيف.

ومذهب الأخفش: أنّ (ما) نفي، وعلَّقت معنى الظنّ؛ لأنه بمعنى العلم، وكأنه إذا كان النفي واقعاً بعد الظن والعلم كان جارياً مجرى القَسَم، فيكون حكمه حكمَ القَسَم، وذلك لإفادته التحقيق.

وكان أبو حاتم السِّجستاني يقف على قوله: وظنّوا، وهذا عندهم ليس بالوجه؛ لأنه إذا لم يُذكر للظن مفعولٌ كان مجاباً بجواب القسم، وكان التقدير عنده: وضلَّ عنهم ما كانوا يدّعون من قبل وظنوا، أي: ظنوا ظنّاً، ثم ابتدأ فقال: ما لهم من محيص[(١)].

قال ابن الجوزي: ﴿وَظَنُّواْ﴾، أي: أيقنوا ما لهم من محيص[(٢)].

وقال السيوطي: النفي معلِّق عن العمل، وجملة النفي سدَّت مسدّ المفعولين[(٣)]، أي: الأول والثاني.

ولتوضيح الصلة بين ﴿ظَنُّواْ﴾ والجملة المنفية ذكر الشنقيطي أنّ الكفّار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق، علِموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص، أي: ليس لهم مفرٌّ ولا ملجأ.

---

(١) انظر: ارتشاف الضرب ٣/ ٧١، إيضاح الوقف ٨٧٨، القطع والائتناف ٦٣٦، المكتفى ٤٩٩، منار الهدى ٢٤٨، المسائل المنثورة للفارسي ٦٦، المغني ٥٢٤، شرح الكافية ٢/ ٢٨١، الكتاب ١/ ٤٥٦، البحر ٧/ ٥٠٤، مجمع البيان ٥/ ١٨، البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٣٤٢، غرائب التفسير ٢/ ١٠٤٦.

(٢) زاد المسير ٧/ ٢٦٥.

(٣) تفسير الجلالين ٤٨٢.

وما ذكرنا من أنّ الظن في هذه الآية الكريمة بمعنى اليقين والعلم هو التحقيق إن شاء الله؛ لأنَّ يوم القيامة تنكشف فيه الحقائق، فيحصل للكفار العلم بها، لا يخالجهم في ذلك شك، كما قال تعالى عنهم إنهم يقولون يوم القيامة: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] (١).

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].

الجملة المنفيّة فيها وجهان:

أحدهما: أنها معلقة لـ(آذنّاكَ)؛ لأنها بمعنى: أعلمناكَ، فهذه الجملة سدّت مسدّ المفعولين الثاني والثالث لـ(آذنّاكَ)؛ لأنه يتعدّى إلى ثلاثة؛ كأعلم وأرى.

والثاني: أنها استئنافية إخبارية، والوقف على (آذنّاكَ) قاله أبو حاتم(٢).

مســألــة:

تفنّن المعربون في توجيه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]، فذكروا الأقوال التالية:

ـ (أيُّ) موصولةٌ؛ كالذي، والتقدير: الذي هو أشدّ، والموصول مع صلته منصوب المحل. قاله سيبويه.

ـ (أيُّ) اسم استفهام: مبتدأ، و(أشدُّ) خبره، قاله الخليل، وهذه الجملة منصوبة المحل على أنها مقول لقولٍ مقدّر، كأنه قيل: لننزعنّ الذين يقال فيهم: أيُّهم أشدُّ. وفيه تكلّف.

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٩٢ ـ ٩٣.

(٢) الدر المصون ٩/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥، منار الهدى ٢٤٨.

ـ (أيُّ) اسم استفهام: مبتدأ، و(أشدُّ) خبره، والجملة في محل نصب بالفعل (ننزعُ)، والفعل (ننزعُ) معلَّق عند يونس؛ لتضمّنه معنى التمييز اللازم للعلم، وهذا أظهر لخلوه عن ارتكاب محذور، ولتبادر الذهن إليه.

ـ زيادة (مِنْ) و(كلِّ شيعةٍ) مفعول لِـ(ننزعنَّ)، وجملة (أيُّهم أشدُّ) جملة مستأنفة عند الأخفش[1].

ويدور في فلك الاستئناف بعض الشواهد التي اختلفت وجهات النظر فيها، هل هي من قبيل الجملة المعلقة أم هي استئنافية.

من هذه الشواهد قول الشاعر:

يا أيها المُتَحلّي غيرَ شيمتِه ... إنّ التخلّق يأتي دونَه الخُلُقُ[2]

ولا يواتيكَ فيما نابَ من حَدَثٍ ... إلاّ أخو ثقةٍ فانظر بمن تثقُ

في هذا الشعر شاهدان؛ أحدهما بلاغي، والآخر نحوي.

أما الشاهد البلاغي: فهو شاهدٌ على المساواة، أي: شعر لا يزيد لفظه على معناه، ولا معناه على لفظه شيئاً.

وأما الشاهد النحوي: فالحديث عن قوله (فانظر بمن تثق)، وله توجيهان؛ أحدهما: أن الباء زائدة والجملة الاستفهامية معلقة.

ذكر ابن مالك أن الباء تزاد عوضاً، وشاهده:

ولا يؤاتيك فيما ناب من حَدَثٍ ... إلاّ أخو ثقةٍ فانظر بمن تثقُ!

قال: أراد من تثق به، زاد الباء قبل (مَنْ) عوضاً، وتأوّله غيره على غير الزيادة. وجملة (بمن تثق) جملة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب[3].

---

(١) الكتاب ١/ ٣٩٧، المغني ٨٢، ارتشاف الضرب ١/ ٥٣٤.

(٢) الشعر لسالم بن وابصة الأسدي. انظر: المؤتلف والمختلف ١٩٧، شرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٣) ارتشاف الضرب ٢/ ٤٣١.

قال السيوطي في همع الهوامع: وردَّ أبو حيان العِوضَ بأنواعه، فقال في الأبيات المستشهَد بها: لا يتعيّن فيها التأويل المذكور، لاحتمال أن يكون الكلام تمّ عند قوله: فانظر، أي: فانظر لنفسك، ولمّا قدّم أنه لا يؤاتيه إلاّ أخو ثقةٍ، استدرك على نفسه، فاستفهم على سبيل الإنكار على نفسه، حيث قرّر وجود أخي ثقةٍ، فقال: بمن تثق؟ أي: لا أحدَ يُوثَق به، فالباء في (بمن) متعلقةٌ بـ(تثق)، وزيادة الباء في مثل ذلك غير قياسي، فلا يقاس عليه.

وبمثل هذا التوجيه الشاهدُ في قول الشاعر[1]:

إنَّ الكــريم وأبيــكَ يعتمــلْ إن لم يجد يوماً على من يتّكل

تم الكلام عند قوله: إن لم يجد يوماً، أي: إنه إذا لم يجد ما يستعين به اعتمل بنفسه، ثم استأنف فقال: على من يتكل[2].

❖ الجملة بعد رأى وما يدور في فَلَك الرؤية

للفعل (رأى) في كلام العرب عددٌ من المعاني: الرؤية بالعين؛ فتتعدّى إلى مفعول واحد. وبمعنى: العلم؛ فتتعدّى إلى مفعولين.

قال ابن سِيْده: الرُّؤية النظر بالعين والقلب[3].

وقال أبو حيان: «رأيتُ» كثيرة الدوران في القرآن وكلام العرب.

وقال ابن يعيش: «رأيت» تجيء على نوعين:

أحدهما: بمعنى إدراك الحاسة، تقول: رأيت زيداً، أي: أبصرتُه، فتتعدى إلى مفعول واحد، ولا يكون ذلك المفعول إلا مما يبصر، قال الله

(١) الرجز في الكتاب ١/٤٤٣، الخزانة ٤/٢٥٢ ـ ٢٥٣، أمالي الزجاجي ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٢) ارتشاف الضرب ٢/ ٤٣٢، همع الهوامع ٢/ ٢٢، الدرر اللوامع ٢/ ١٥.

(٣) انظر: اللسان رأى.

تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨]، فـ(ترى) هاهنا بمعنى بصر العين، والهاء والميم مفعول به، و(ينظرون إليك) في موضع الحال.

والثاني: أن تكون من رؤية القلب، فتتعدى إلى مفعولين، وله معنيان: الحسبان والعلم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]، أي: يحسبونه بعيداً ونراه قريباً، أي: نعلمه؛ لأنّ المولى ـ سبحانه ـ عالمٌ بالأشياء من غير شك ولا حسبان(١).

هذا وقد تكرّر أسلوب: أرأيتك وأرأيتكم وأرأيتكما، وقد ارتبط بتراكيب عديدة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح:

أ ـ بيّن سيبويه ارتباط الفعل (أرأيت) بمفعولين فقال:

تقول: أرأيتكَ زيداً أبو مَنْ هو؟ وأرأيتكَ عَمْراً (أعندكَ هو أم عند فلان؟)، لا يحسن فيه إلا النصب في زيد، ألا ترى أنك لو قلتَ: أرأيتَ أبو مَنْ أنت؟ أو: أرأيتَ أزيد ثَمَّ أم فلان؟ لم يحسن؛ لأنّ فيه معنى: أخبرني عن زيد، وهو الفعل الذي لا يستغني السكوت على مفعوله الأول، فدخول هذا المعنى فيه لم يجعله بمنزلة أخبرْني في الاستغناء، فعلى هذا أجريَ وصار الاستفهام في موضع المفعول الثاني(٢).

ب ـ قال الفراء: العرب لها في (أرأيت) لغتان ومعنيان؛ أحدهما: أن يسأل الرجلُ الرجلَ: أرأيتَ زيداً بعينكَ؟... فإذا أوقعتها على الرجل منه قلت: أرأيتكَ على غير هذه الحال؟ يريد: هل رأيتَ نفسك على غير

---

(١) شرح المفصل ٧/ ٨١ ـ ٨٢.

(٢) الكتاب ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠. وانظر: شرح المفصل ٧/ ٧٨ ـ ٨٣، كشف المشكلات ١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧، والحاشية ٦ منه، تذكرة النحاة ٣٥ ـ ٣٦.

هذه الحالة؟... والمعنى الآخر أن تقول: أرأيتكَ، وأنت تقول: أخبرني[1].

جـ ـ قال الزجّاج: والذي يذهب إليه النحويون الموثوق بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى: أرأيت زيداً ما حاله؟ وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب، وهي المعتمد عليها في الخطاب.

د ـ قال أبو حيان في الحديث عن (أرأيتك):

وإن كانت، بمعنى: أخبرني صارت لا تدل على استفهام، ولا تقتضي جواباً[2].

هـ ـ جاءت (أرأيت) ليس بعدها منصوب ولا استفهام، بل جملة مُصَدَّرة بالفاء، كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣]، فزعم أبو الحسن أنها خرجت عن بابنا بالكلية وضمنت معنى (أما)، فالفاء في جواب (أرأيت) على تضمين المذكور.

و ـ زعم أبو الحسن أن العرب لا تحذف معمول (أرأيت) الذي بمعنى أخبرني حتى تؤكد التاء في: أرأيتك، فتقول: أرأيتك أنت ما صنعت، وأرأيت أنت وزيداً ما صنعتما؟

وزعم أن هذا التوكيد يقوم مقام المفعول، بدليل أنهم يعطفون عليه المنصوب[3].

ز ـ قال الراغب الأصبهاني في المفردات:

ويجري (أرأيت) مجرى أخبرني، فيدخل عليه الكاف ويترك التاء على حالته في التثنية والجمع والتأنيث، ويسلط التغيير على الكاف دون

---

(١) لسان العرب (رأى) ١٥٤٣.

(٢) ارتشاف الضرب ١/ ٥١٠.

(٣) ارتشاف الضرب ٣/ ٧٣ ـ ٧٥، الكشاف ٢/ ٤٩١، البحر ٦/ ١٤٦.

التاء، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ..﴾ [الأنعام:٤٠]، وقوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ..﴾ [العلق:٩]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ..﴾ [القصص:٧١]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ..﴾ [فصلت:٥٢]. ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ..﴾ [الكهف:٦٣].

كل ذلك فيه معنى التنبيه[1].

وإذا عدّي (رأيت) بـ(إلى) اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار؛ نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ..﴾ [الفرقان:٤٥].

ح ـ قال أبو حيان في (ارتشاف الضّرب):

إذا تقدم على الاستفهام أحد المفعولين؛ نحو: (علمت زيداً أبو من هو)، فنصب زيد متفق عليه، وهو المختار. واتفقوا في رفعه فأجاز ذلك سيبويه، ومنع ذلك ابن كيسان، ورفعه يمتنع بعد (أرأيت) بمعنى أخبرني، كقولك: أرأيتك زيداً أبو من هو؟ وأرأيتك عمْراً أعندك هو أم عند فلان؟

والجملة التي بعد المنصوب في موضع المفعول الثاني، وليست (أرأيت) معلقاً عنها، بل هي كالجملة في: علمت زيداً أبو من هو. هذا مثل سيبويه،وزعم ابن كيسان أن الجملة الاستئنافية في موضع بدل من المنصوب.

وزعم كثير من النحاة أن (أرأيت) تعلّق كثيراً، وانتقدوا على سيبويه قوله: إنها لا تعلّق، واستدلوا بآيات من القرآن وقع فيها ما ظاهره التعليق، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧][2].

---

(١) المفردات (رأى) ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) ارتشاف الضرب ٣/ ٧٣.

وفي شرح الكافية: إذا صُدِّر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالأَولى أن لا يعلَّق فعل القلب عن المفعول الأول، نحو: علمتَ زيداً مَنْ هو؟ وعلمتَ بكراً أبو مَنْ هو؟

وجوَّز بعضهم تعليقه عن المفعولين؛ لأن معنى الاستفهام يعمُّ الجملة التي بعد (علمت)، كأنه قيل: علمتُ أبو مَنْ زيدٌ. وليس بقوي؛ لاتفاقهم على النصب في نحو: علمت زيداً ما هو قائماً، مع أن المعنى: علمت ما زيدٌ قائماً.

وأما قولهم: أرأيت زيداً ما صنع؟ بمعنى: أخبرني، فليس من هذا الباب، حتى يجوز الرفع في زيد، بل النصب واجب فيه، ومعنى أرأيت: أخبرني، وهو منقولٌ من: رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت، كأنه قيل: أبصرته وشاهدت حاله العجيبة، أو أعرفتها؟ أخبرني عنها، فلا يستعمل إلا في الاستخبار عن حالةٍ عجيبةٍ لشيءٍ، وقد يؤتى بعده بالمنصوب الذي كان مفعولاً به لرأيت نحو: أرأيت زيداً ما صنع؟

ولا بدّ من استفهام ظاهر أو مقدّر بعد (أرأيتَ) يبيّن الحال المستخبَر عنها، فالظاهر نحو قولك: أرأيتَ زيداً ما صنع؟ و: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٤٧]، و: ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى ..﴾ [هود:٤].

والمقدَّر كقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ..﴾ [الإسراء: ٦٢]، أي: أرأيتك هذا المكرّم، لِمَ كرّمته؟

ولا محل للجملة المتضمّنة لمعنى الاستفهام؛ لأنّها مستأنفةٌ لبيان الحال المستخبر عنها، كأنه قال المخاطب لمّا قلت: أرأيت زيداً: عن أيّ

شيء من حاله تسأل؟ فقلت: ما صنع؟ فهو بمعنى قولك: أخبرني عنه، ما صنع؟؟

وليس الجملة المذكورة مفعولاً ثانياً لرأيت، كما ظن بعضهم[1].

وفي همع الهوامع للسيوطي:

تختص بعض أفعال القلوب كعلِم وتفكّر بالتعليق، وهو ترك العمل في اللفظ، لا في التقدير لمانعٍ، أي: لا تنصب مفعولين، وإنّما الجملة بعدها في موضع نصب سدّت مسدّ المفعولين.

وألحقَ بعضُ النحويين بالأفعال المذكورة في التعليق، لكن مع الاستفهام خاصّةً: أبصر، وتفكّر، وسأل، ونظر..

وزاد ابن مالك أيضاً: ما قارب المذكورات من الأفعال التي لها تعلّق بفعل القلب (رأى) نحو:

أما ترى أيُّ برقٍ هنا؟

ولهذا الفعل مزايا إضافية عن الأفعال؛ منها: أنه يجب النّصب بعد (رأيت) بمعنى أخبرني، نحو: أرأيتك زيداً أبو مَنْ هو؟ ولا يجوز التعليق فيرفع كما جاز في: علمت زيداً أبو من هو؛ لأنها في معنى: أخبرني، وأخبرني لا تعلّق، هذا مذهب سيبويه.

ونازعه كثيرون وقالوا: كثيراً ما تعلّق أرأيتَ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق:١٣-١٤]، وفي غيرها من الآيات.

---

(١) شرح الكافية بتصرف ٢/ ٢٨٢.

وأُجيب بأنه حذف فيها المفعول اختصاراً، أي: أرأيتكم عذابكم؟

وقال أبو حيان: هي من باب التنازع، فإن (أرأيت) وفعل الشرط تنازعا الاسم بعده، فأعمل الثاني وحذف من الأول؛ لأنه منصوب، أي: أريتكموه؛ أي: العذاب، ويضمر في (أرأيت) معمول فعل الشرط الذي يمكن تسليط (أرأيت) عليه[1].

ويبدو من استعراض هذه الآراء جميعها موافقة جميع النحويين على أن الجملة الاستفهامية معلقة، وهي في محل نصب على المفعولية، إلا تفرد الرضي فقد جعلها استئنافية.

وقد ذكرت في طُرَّة هذا البحث أن المراعى في توجيه ذلك إنما هو الفائدة واستقامة الكلام؛ فإذا كان الفعل موجهاً نحو الاستفهام ولا يتم المعنى إلا به، فالجملة معلقة، وإذا استتم المعنى بمفعول مناسب، لم يستدعِ تعلقاً بكلامٍ متمم فالجملة استئنافية لها معنى جديد ومقصد معين، ويبدو ذلك في الشواهد الآتية:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

في جملة (يؤمنون) وجهان:

أحدهما: أنها حالٌ من (الذين)، أو من الواو في (أوتوا).

الثاني: أنها استئناف وكأنه تعجب من حالهم؛ إذ كان ينبغي لمن أوتي نصيباً من الكتاب ألا يفعل شيئاً مما ذكر؛ فتكون جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل: ألا تعجب من حال الذين أوتوا نصيباً من الكتاب؟ فقيل: وما حالهم؟ فقال: يؤمنون ويقولون... وهذان منافيان لحالهم[2].

---

(١) همع الهوامع ١/ ١٥٤ بتصرف واختصار.

(٢) الدر المصون ٤/ ٥.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ..﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

(أفرأيت) بمعنى: أخبرني، والموصول هو المفعول الأول، والثاني هو الجملة الاستفهامية من قوله: أطّلع الغيب[١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ..﴾ [الفرقان: ٤٥].

(ترَ) معلقة بالجملة الاستفهامية، والجملة الاستفهامية المعلق عنها فعل القلب ليس الاستفهام فيها باقياً على حقيقته، فالمعنى: ألم تر إلى مدِّ ربك الظل.

قال ابن هشام: الجملة الاستفهامية بدل جملة من اسم مفرد[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

قال ابن الأنباري: (مَن) استفهامية في موضع رفع بالابتداء، و(أضل) الخبر، وسدّت الجملة من المبتدأ والخبر مسدّ مفعولي (أرأيتم)[٣].

من الشواهد القرآنية:

﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣].

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [مريم: ٧٧].

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥].

---

(١) الدر المصون ٧: ٦٦٤ ـ ٦٦٥.

(٢) مغني اللبيب ٢٧٣، البحر المحيط ٦/ ٣٠٥.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٣٤٣، الكشاف ٢/ ٢٤٠.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ..﴾ [النجم: ٣٣].

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [العلق: ٩-١٠].

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ..﴾ [العلق: ١١].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠].

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ [الأنعام: ٤٦].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٥٠].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ﴾ [يونس: ٥٩].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ ﴾ [هود: ٨٨].

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ..﴾ [الشعراء: ٧٥].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا..﴾ [القصص: ٧١].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا ..﴾ [القصص: ٧٢].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

وردَ أسلوب «ألم ترَ» في إحدى وثلاثين آيةً، وارتبط بحرف الجر (إلى) وبالمصدر المؤول وبـ(كيف).

أولاً:

١ ـ ألم تر إلى = في ست عشرة آية.

ثانياً:

٢ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ١٩].

٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [مريم: ٨٣].

٤ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨].

٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الحج: ٦٣].

٦ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٦٥].

٧ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١].

٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا..﴾ [النور: ٤٣].

٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥].

١٠ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [لقمان: ٢٩].

١١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٣١].

١٢ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [فاطر: ٢٧].

١٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر: ٢١].

ثالثاً:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبرهيم: ٢٤].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر ٦].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٩].

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [يس: ٣١].

﴿غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١].

﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٥٨].

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٦٣].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ ..﴾ [الواقعة: ٦٨].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ ..﴾ [الواقعة: ٧١].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [الملك: ٣٠].

من شواهد الحديث النبويّ الشريف :

- أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم.
- أرأيتم إن كان جهينة.
- أرأيتم إن كان أسلم وغِفار.
- أرايتم ليلتكم هذه.
- أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً.
- أرايتم إن حدثتكم أن عدواً.
- أرأيتم لو أخبرتكم.
- أرأيت إذا منع الله الثمرة[1].

(١) الأحاديث كلها في صحيح البخاري.

١٠ـ بين الاستئناف والخبر

يتشابك في كثير من التراكيب إعراب الجملة بين أن تكون خبراً وبين أن تكون مستأنفة، ولعل في علم الوقف والابتداء ما يوجّه كل إعراب، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣].

(هو): رفع بالابتداء، وهو ضمير الشأن والأمر.

(الله): مبتدأ ثانٍ، والخبر قوله: (يعلم سركم وجهركم).

وقال الزجّاج وابن السرّاج: (في السموات) يتعلق بقوله: (الله)؛ لأن معناه: المعبود، أي: هو المعبود في السموات وفي الأرض، وعلى هذا فالجملة الفعلية (يعلم) استئنافية، إخبارية، بإحاطة علمه جل شأنه.

قال الزمخشري: إن أردت التوحُّد بالإلهية كان تقريراً له؛ لأنّ الذي استوى في علمه السر والجهر هو الله وحده، وكذلك إذا جعلتَ (في السموات) خبراً بعد خبر، وإلا فهو كلام مبتدأ، بمعنى: هو يعلم سركم وجهركم. أو خبرٌ ثالث[(١)].

جاء في البرهان: «في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣].

جاءت (السموات) بصيغة الجمع لتعلق الظرف بما في اسم الله ـ تبارك وتعالى ـ من معنى الإلهية؛ فالمعنى: هو الإله المعبود في كل واحدة من السموات، فذِكْرُ الجمع هنا أحسن.

ولما خفيَ هذا المعنى على بعض المجسّمة قال بالوقف على قوله:

---

(١) الكشاف ٢/ ٥، الدر المصون ٤/ ٥٣٣، تفسير أبي السعود ٣/ ١٠٨.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثم يبتدئ قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾»[1].

يقدّرُ النحويون في الاستئناف في مثل هذه الأساليب مبتدأ، وذلك إما لقصد إيضاح الاستئناف، وإما لأنه لا يستأنف إلا على هذا التقدير، وإلا لزم العطف الذي هو مقتضى الظاهر.

قال الشهاب الخفاجي: إنّ الجملة المضارعية المستأنفة يقتضي كلام المفسرين والنحاة أنه لا بد فيها من تقدير ضمير مبتدأ، واستشكله المتأخرون لأنه لا ضرورة تدعو إليه، فإنه يجوز الاستئناف بدونه، ولم يدفعه أحد فظنوا أنه وارد غير مندفع، ولما تأملت ما قالوه حق التأمل ظهر لي أن الحق ما قالوه، وأنه لا بد من هذا التقدير؛ لأنك إذا وقفت على قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من غير تقدير لم يقع موقعه؛ إذ لم يفِد ما يحسن السكوت عليه، والضمير المستتر خفيّ لا يظهر بادئ الرأي.

فإذا قلت: يعلمُ؛ لم يُعلَم منِ العالِم، فإذا كان المبتدأ ظاهراً أو حكمه علمٌ مراد، ونظيره النعت المقطوع إذا رُفع يقدَّر قبله ضمير؛ لأنه مفرد لا يفيد إلا على ذلك التقدير[2].

ومن أمثلة ما يعتوِر الخبر والاستئناف قوله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

قوله: (كأنهم خشب مسنّدة) الجملة خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم، أو مستأنفة إخباراً بشأنهم.

وقال العكبري: أو حالٌ من الضمير المجرور في (لقولهم)[3].

---

(١) بدائع الفوائد ١: ١١٦، البرهان ٤/ ٨.

(٢) انظر: البحر المحيط ٤/ ٧٢، الخزانة ٣/ ٦٠٣، دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٣/ ج١/ ١٥٤.

(٣) الدر المصون ١٠/ ٣٣٧، إملاء ما من به الرحمن ٥٥٨.

١١ـ بين الاستئناف والفاعل

ثمّة مسائلُ محدودةٌ تدور بين كون الجملة فاعلاً يقتضيها ما قبلها، وبين أن تكون استئنافية مقطوعةً في صناعة الإعراب عمّا قبلها، ولعل أبرز مسألة عند المعربين في هذا المجال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف: ٣٥].

فالفعل (بدا) يحتاج إلى الفاعل، وما وُجد في الكلام إلا جملة (ليَسجُنُنَّه)، والظاهر أنها الفاعل، وهو رأي الكوفيين، ولا حجة لهم في ذلك، لذلك قال سيبويه: «(بدا لهم) فعل، والفعل لا يخلو من فاعل، ومعناه عند النحويين أجمعين: بدا لهم بدوٌّ؛ قالوا: ليسجننه، وإنما أضمروا البدوّ؛ لأنه مصدر يدل عليه قولهم: بدا لهم، وأضمر كما قال تعالى جده: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أي: يقولون.

ولا يكون (ليسجننه) بدلاً من الفعل؛ لأنه جملة، والفاعل لا يكون جملة».

وعلى هذا فجملة (ليسجننه) في حقيقتها جوابٌ لقسم مقدّر، والقسم بكامله استئناف، فيه تفسيرٌ للضمير في (بدا)، الراجع إلى البداء المفهوم منه، وذلك المعنى هو سجنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهذا هو البداء الذي بدا لهم(١).

* * *

(١) انظر: كشف المشكلات ١/ ٦٠٦، الجامع لإعراب جمل القرآن ٢٦٤، إملاء ما من به الرحمن ٣٤٩، لسان العرب (بدا)، البحر المحيط ٥/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦، شرح شذور الذهب ٢١٧، الكتاب ٣/ ١١٠ (الحاشية ٣).

١٢ـ بين الاستئناف وجواب الشرط الجازم

من المهام التي تبدو أكثر إلحاحاً على طالب العلم محاولة التوفيق بين وجوه الإعراب المتنوعة وبين المعنى الذي عليه الكلام، وكذلك معرفة أصول الصَّنعة النحوية التي ضبطَ أكثرها علماء العربية من نحويين وبلاغيين.

ومن أمثلة ذلك: أسلوب الشرط الذي له حيّز واسع في كتب النحو والبلاغة، وقد ضُبِطَ تركيبه على النحو الآتي:

أدوات الشرط تقتضي جملتين تسمى أولاهما: شرطاً، والثانية: جزاءً وجواباً.

وأقسامه:

أ ـ أداة الشرط الجازمة + فعل مضارع مجزوم (فعل الشرط) ← فعل مضارع مجزوم (جواب الشرط)

ب ـ أداة الشرط الجازمة + فعل ماض (فعل الشرط) ← فعل ماض (جواب الشرط)

ج ـ أداة الشرط الجازمة + فعل ماض (فعل الشرط) ← فعل مضارع مجزوم (جواب الشرط).

د ـ أداة الشرط الجازمة + فعل مضارع مجزوم ← فعل ماض (جواب الشرط).

وأشهر أساليب الشرط أوَّلُها (أ)، وأقلُّها آخرها (د).

وثمَّة أسلوب غايرَ هذه التراكيب، فجاء جواب الشرط فعلاً مضارعاً مرفوعاً، مما أثار تفكير المعربين بدءاً من سيبويه وانتهاءً بعباس حسن.

فقد تنوّعت آراؤهم في هذه الصيغة: هل نعتبرها هي جوابَ الشرط أم هي مستأنفة؟؟

ولهذا الأسلوب شواهد قليلة، منها قول الشاعر:

إن رأتني تميلُ عنِّي كـأنْ لم يــكُ بــيني وبينِـها أشــياءُ

ومنه قول العرب: مَنْ لم يتعوَّدِ الصبرَ تودي به العوادي (أي: تذهب به وتهلكه).

وأورد المعربون عدداً من التوجيهات في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

والشاهد فيها قراءة طلحة بن سليمان: يُدْرِكُكُمُ، برفعِ الفعل.

وفي استعراض آراء المعربين فائدة في تلمُّس الوجه الصحيح. قال ابن جني: حذف فاء الجواب، أي: فيدرككم الموت.

وقال الزمخشريّ: يجوز أن يكون الشرط متصلاً بما قبله، أي: ولا تُظلَمون فتيلاً أينما تكونوا، يعني: أنَّ الجوابَ محذوفٌ مدلولٌ عليه بما قبله، ثم يبتدئ: يدركُكم الموتُ ولو كنتم في بروج مشيّدة.

قال ابن هشام: وهذا مردود بأن سيبويه وغيره من الأئمّة نصّوا على أنه لا يحذف الجواب إلاّ وفعل الشرط ماضٍ، تقول: أنت ظالم إن فعلت، ولا تقول: أنت ظالم إن تفعل؛ إلاّ في الشعر.

وقال العُكْبَري: قُرِئ: ﴿يدرِكُكم﴾ بالرفع ـ وهو شاذّ ـ ووجهه أنه حذف الفاء، وهو رأي ابن جني السابق[١].

---

(١) انظر: المحتسب ١/ ١٩٣، مجمع البيان ٢/ ٧٨، البحر ٣/ ٢٩٩، المغني: ٧٠٥-٧٠٦، شرح الكافية ٢/ ٢٦٣، الكشاف ١/ ٢٨٣، منار الهدى ٨٠، شرح التصريح ٢/ ٢٤٩، إملاء ما منَّ به الرحمن ١: ١٩٤.

ومن الشواهد المشهورة قول جرير[1]:

يا أقرع بنَ حابسَ يا أقرعُ ... إنك إنْ يُصرَعْ أخوكَ تُصرَعُ

وقول الآخر يخاطب جَمَلَه[2]:

فقلتُ تحمَّل فوق طوقك إنها ... مطبَّعةٌ من يأتِها لا يضيرُها

والمثال الذي أورده سيبويه هو: (إنْ قام زيدٌ أقومُ).

هذا المثال فيه صعوبةٌ، فالمبرِّدُ يرى أنه على إضمار الفاء، أي: فأنا أقوم، والجملة جواب الشرط الجازم. وسيبويه يرى أنه مؤخَّرٌ من تقديم، وأنَّ الأصل: أقومُ إن قام زيدٌ، وجملة (أقوم) استئنافية، وأن جواب الشرط محذوف، ويؤيِّده التزامهم في ذلك كون الشرط ماضياً.

قال سيبويه[3]: وقد تقول: إن أتيتَني آتيكَ.

(أي: آتيكَ إن أتيتَني)، قال زهير[4]:

وإن أتاه خليلٌ يوم مسألةٍ ... يقولُ لا غائب مالي ولا حرمُ

وشاهده: أن جملة (يقول) هي استئنافية، على نية التقديم، والتقدير: يقول: إن أتاه خليل، وجاز هذا؛ لأنّ (إنْ) غيرُ عاملةٍ في اللفظ[5].

وفي قول الشاعر العُجَير السلولي:

---

(١) انظر: الكتاب ٣/ ٦٧، شرح المفصل ٧/ ١٥٨، ارتشاف الضرب ٢/ ٥٥٥.

(٢) انظر: الكتاب ٣/ ٧٠، شرح المفصل ٧/ ١٥٨، ارتشاف الضرب ٣/ ٣٠٥. وانظر: أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين ١٤٦.

(٣) الكتاب ١/ ٤٣٦.

(٤) الكتاب ١/ ٤٣٦.

(٥) الكتاب ١/ ٤٣٦، المقتضب ٢/ ٧٠، المغني ٤٧٢، شرح قواعد الإعراب ١٢١ - ١٢٢.

وما ذاكَ أنْ كان ابنَ عمِّي ولا أخي

ولكنْ متى ما أملكِ الضُّرَّ أنفعُ[1]

شاهد على جواز: إن تقم أقومُ، بالرفع. قال ابن هشام: وهو ضرورة، ومثَّلَه بقول جرير: إنك إنْ يصرَعْ أخوكَ تُصرَعُ[2].

وقال سيبويه: والقوافي كلها مرفوعة، كأنه قال: ولكنْ أنفعُ متى ما أملكِ الضرَّ، ويكون (أملكُ) على (متى) في موضع جزاء[3].. وقد أطال البغدادي في عرض رأي المبرِّد أن الكلام على حذف فاء الشرط والمبتدأ[4].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

في الآية توجيهات لجملة ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾، قال الباقولي: فأما من قال: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ فضمَّ الراء، وشدّد، فهو من ضرَّه يضرُّه، وضمُّ الرَّاء مشكلٌ؛ لأنه جواب الشرط، وجواب الشرط مجزوم، فقياس مذهب سيبويه أن يكون على التقديم والتأخير، على تقدير: ولا يضركم كيدهم شيئاً إن تصبروا وتتقوا.

---

(١) يفخر بأنه إذا قدر الضُرّ والبطش تركهما إلى النفع والإحسان، وضمير (كان) يعود إلى اسم في بيت قبله وهو:

ومستلحمٍ قد صكَّه القومُ صكَّةً   بعيد الموالي نيل ما كان يمنع
رددت له ما فرَّط القيل بالضحى   وبالأمس حتى آبنا وهو ضالع

(٢) تخليص الشواهد ٥١، المقتضب ٢/ ٧٢، شرح المفصل ٨/ ١٥٨، المقرّب ١/ ٢٧٥، شرح أبيات سيبويه ٢/ ١٥٤.

(٣) الكتاب ٣/ ٧٨.

(٤) خزانة الأدب ٣/ ٦٥٢.

وقد وجد بعض الشواهد وفق ذلك كقول أبي ذؤيب..

مـــن يأتهـــا لا يضـــيرُها

وقول زهير السابق: (وإن أتاه خليلٌ يوم مسألةٍ يقولُ...)

وأبو العباس المبرّد يقدّر الفاء، أي: «فلا يضرُكم»، وهو رأيه المشهور في ذلك.

ولابن هشام توجيه صوتي مناسب، قال: الصواب أنه مجزومٌ، وأنَّ الضمة إتباع، كالضمة في قولك: لم يشُدُّ، ولم يرُدُّ، ولم يرتضِ تخريج القراءة المتواترة على شيء لا يجوز إلا في الشعر[(١)].

❖ التوجيه المعاصر لهذه المسألة:

الأصل أن يكون المضارع في الجواب مجزوماً، لكن يصِحُّ رفعه إن كان فعل الشرط ماضياً.

وإن كان فعلا الشرط والجزاء مضارعَين لفظاً ومعنًى وجبَ جزمُهما، وما جاء مرفوعاً فهو من السماع القليل، يحفظ ولا يقاس عليه.

قال عباس حسن: والأفضل إهمال هذا الرأي قدر الاستطاعة منعاً للخلط واللبس، ولأن ذلك الاستدلال واهٍ[(٢)].

وقد وجدوا في توجيه سيبويه تكلُّفاً وإرهاقاً، والجملة ليست مستأنفةً، بل هي جوابُ الشرط، ورُفعَ الفعلُ ضرورةً أو سماعاً نادراً.

---

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الضاد والراء المشدّدة.

انظر: النشر ٢/ ٢٤٢، البحر ٣/ ٤٣، الإتحاف ١٧٨، كشف المشكلات ١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩، وفيه الحواشي القيّمة، المغني ٤٢٦ و٧١٧.

(٢) النحو الوافي ٤/ ٤٥٧.

وقال صاحب النحو الميسّر[1]:

وتركيب الجملة الشرطية يؤثّر في إعرابها أحياناً، فالأصل أن تكون الأداة الجازمة عاملةً في فعلي الشرط والجواب، إلا أنَّ هناك لغةً قليلةً جاء فيها فعل الشرط ماضياً ولم يجزم المضارع الذي هو فعل الجواب، وشاهده قول زهير بن أبي سُلمى:

وإن أتاه خليل يوم مسغبةٍ   يقولُ...

ولعلَّ أنسب التوجيهات في هذه القراءة أنَّ الجملةَ هي جواب الشرط، وليست مستأنفة. أمّا رفع الفعل فليس من الضرورة أو السماع النادر كما ذكر عباس حسن، وإنما جاء ضم الرَّاء كما قال ابن هشام في القراءة المشهورة لإتباع ضمة الضّاد، كما في الأمر المضاعف المضموم العين كَـ: مُدُّ، والجزم مقدَّرٌ، وجوَّزَ علماء الصرف في مثله الفتح للخفة، والكسر لأجل تحريك الساكنين[2].

١٣ـ بين الاستئناف والاكتفاء

يدور في فلك الجملة الاستئنافية مسألة الشرط والاكتفاء بالسَّبب من المسبَّب، وبالمسبَّب من السبب، وهو موضع من العربية شريف لطيف، وواسع لمتأمّله كثير، نحو قول رؤبة:

يا ربِّ إنْ أخطأتُ أو نسيتُ   فأنتَ لا تنسى ولا تموتُ

ظاهر الكلام صناعةً أنَّ جملة (فأنت لا تنسى) هي جوابُ الشرط،

---

(١) النحو الميسر ١٨٤.

(٢) انظر: المغني ٧١٧-٧١٨. روح المعاني ٣/ ٤١.

والحقيقة أنّها جملةٌ استئنافية، وجواب الشرط الحقيقي المناسب هو: فاعفُ عنّي؛ لنقصي وفضلك.

وقد بيَّن ابنُ جني في (الخصائص) البنية العميقة لهذا الأسلوب فقال: (إن حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسبَّباً عن الأول، نحو قوله: إن زرتني أكرمتُك، فالكرامةُ مسبَّبةٌ عن الزيارة).

وأما قول رؤبة: يا ربِّ إنْ أخطأتُ أو نسيتُ.. فليس كون الله سبحانه غيرَ ناسٍ ولا مخطئاً أمراً مسبَّباً عن خطأ رؤبة، ولا عن إصابته، إنما تلك صفةٌ له ـ عزَّ اسمه ـ من صفات نفسه، لكنه كلامٌ محمولٌ على معناه، أي: إنْ أخطأتُ أو نسيتُ فاعفُ عنّي؛ لنقصيَ وفضلك، فاكتفى بذكر الكمال والفضل ـ وهو السبب ـ من العفو؛ وهو المسبَّب[1].

وهذا الأسلوب فيه دقة ولطف، سار أغلب الناس على ظاهره، ومن أبرز شواهده قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: ١٠].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ شرطٌ، جوابُه مقدَّرٌ، ويختلف تقديره باختلاف التفسير في قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾؛ فقال مجاهد: معناه من كان يريد العزة بعبادة الأوثان، فيكون تقديره: فليطلبها. وقال الفرّاء: من كان يريد علم العزة، فيكون التقدير: فلينسب ذلك إلى الله تعالى، وقيل: من كان يريد العزّة التي لا تعقبها ذلّةٌ، فيكون التقدير: فهو لا ينالها، ودلَّ على هذه الأجوبة قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾.

وإنما قيل: إن الجواب محذوفٌ، وليس هو هذه الجملة؛ لوجهين:

أحدهما: أنَّ العزَّةَ لله مطلقاً، من غير ترتّبها على شرطِ إرادةِ أحَدٍ.

---

(١) الخصائص ٣/ ١٧٥.

الثاني: أنه لا بدّ في الجواب من ضميرٍ يعود على اسم الشرط إذا كان غير ظرف، ولم يوجد هنا ضمير..

قال الزمخشريّ: ونظيره قولهم: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم، إلاَّ أنك أقمتَ ما يدل عليه مقامه[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

قال الباقولي: وربنا ذو رحمةٍ واسعةٍ، كذَّبوه أو صدَّقوه[2]، ولكن المعنى: فإن كذَّبوكَ فقل: لا يأخذكم بالاستئصال في الحال؛ لأنه ذو رحمةٍ واسعة[3].

وكلُّ الآيات التي جاءت وفق هذا الأسلوب توجَّه وفق هذا التوجيه.

ومنه بيت الكتاب:

فإن تبخل سدوسُ بدرهمَيها ... فـإنَّ الـريح طيِّبـةٌ قَبـولُ[4]

أي: إن بَخلت قبيلة سدوس بعطائها تركناها وانصرفنا عنها، فاكتفى بذكر الريح المُعِين على الارتحال عنها.

ومنه قول الآخر:

فإن تعـافوا العـدل والإيمانـا ... فـإنَّ في إيماننـا نيرانـا[5]

يعني: سيوفاً، أي: فإنا نضربكم بسيوفنا، فاكتفى بذكر السيوف عن ذكر الضرب بها.

قال ابن جنّي[6]: وهو كثير، فإذا مرَّ بك فاضمُمْهُ إلى ما ذكرنا منه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٢، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، البحر المحيط ٧/ ٣٠٣.

(٢) الأولى أن يقال: كذبوا رسول الله ﷺ أو صدقوه؛ لمنع الالتباس.

(٣) كشف المشكلات ١/ ٤٤٠. وانظر الحاشية١منه، تفسير أبي السعود ٣/١٩٦.

(٤) الكتاب ٢/ ٢٦ط بولاق، ديوان الأخطل ١٢٦، الخصائص ٣/ ١٧٦.

(٥) الخصائص ٣/ ١٧٦، معاهد التنصيص ٢/ ١٣١.

(٦) الخصائص ٣/ ١٧٧.

١٤ـ بين الاستئناف وجواب الطلب

دخل أسلوبُ الشرط المجالَ البلاغي من حيث دلالتُه على المعنى المراد بأوجز عبارةٍ، وشعارُ البلاغة: خيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ.

ولعل هذا الشعار ينطبق تماماً على ما سمّاه النحويون: جوابَ الطلب، في نحو: (اجتهدْ تنجحْ)، وأصل العبارة عند حذّاقهم: إن تجتهد تنجحْ؛ بجزم فعل الشرط والجواب معاً.

غير أنَّ أساليبَ العربية لا تجري دائماً وفق ارتباط جوابٍ بشرط، فقد يكون الشرط أو الطلب في غنًى عن الجواب، مما يُحتّم أن تكون الجملة استئنافيةً.

وترِد الجملة بعد صيغ الطلب محتملةً أمرين أو أكثر، فإذا أردت الجواب لشدّة الصلة بين الطلب وجوابه فالفعل مجزومٌ، والجملة جواب شرط جازم، وإذا لم تُرِد الجواب رفعتَ الفعل على الاستئناف، أو على الحال؛ أو على الصفة.

وقد شرح سيبويه ذلك بأمثلةٍ؛ منها:

أ ـ «ائتِني آتِكَ، وإن شئتَ رفعت على ألاّ تجعلَه معلَّقاً بالأوّل، كأنه يقول: فأنا آتيكَ».

ب ـ تقول: مُرْهُ يحفُرْها، أو يحفرُها، الجزم على الجزاء، والرفع على الاستئناف، أي: إنه ممن يحفرها[١].

جـ ـ وتقول: ذرْهُ يقلْ ذلكَ، وذرْهُ يقول ذاك. فالرفع من وجهين؛ أحدهما: الابتداء، والآخر على قولك: ذره قائلاً ذاك، فتجعل (يقول) في موضع (قائل)، وقد اجتمع الأسلوبان في البيان القرآني:

---

(١) الكتاب ٣/ ٩٦، الأصول ٢/ ١٦٢.

١ ـ الجزم؛ في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ [الحجر:٣].

٢ ـ الرفع؛ في قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١].

وتحتمل جملة جواب اسم فعل الأمر الاستئناف أيضاً، نحو: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥].

قال الزمخشري[1]: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من أسماء الأفعال، ولذلك جزمُ جوابِه ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ وفيه وجهان: أن يكون خبراً مرفوعاً والجملة استئناف إخباريّ، لتثبيت قلوب المؤمنين، وتنصره قراءة أبي حَيوَة ﴿لا يُضيرُكم﴾، وأن يكون جواباً للأمر مجزوماً، وإنما ضمّت الرّاء إتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة، والأصل: لا يضرُرْكم، ويجوز أن يكون نهياً.

وقد عرَض سيبويه للجملة الواقعة بعد الأمر والنهي ووجوه أعاريبها بين الجواز والوجوب وما يقتضيه المعنى البلاغي.

ومثال ذلك أن تقول: ائتِني آتِكَ، انجزمَ هذا الجواب كما انجزم جواب: إن تأتني، بإن تأتني؛ لأنهم جعلوه معلّقاً بالأول غيرَ مُستَغْنٍ عنه إذا أرادوا الجزاءَ، كما أن «إنْ تأتِني» غيرُ مستغنيةٍ عن «آتِكَ»[2].

قال سيبويه: وإن شئتَ رفعتَ على أن لا تجعله معلّقاً بالأول، ولكنك تبتدئه وتجعلُ الأوّل مستغنياً عنه، كأنه يقول: ائتِني، أنا آتيكَ.

وشاهده قول الأخطل:

وقال رائدُهم أرسُوا نَزاوِلُها ... فكلُّ حَتْفِ امرئٍ يمضي لمِقْدارِ

---

(١) الكشاف ٦٥٠/١، مجمع البيان ٢٥٣/٢، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٣٥، غرائب التفسير ٣٣٩/١، وقراءة الجزم: (لا يضرْكم) قراءة الحسن.

(٢) الكتاب ٩٣/٣-٩٤.

برفع (نزاولُها) على الاستئناف..

وقال عمرو بن الإطنابة:

يا مالِ والحقّ عنده فقفوا   تُؤتَونَ فيه الوفاءَ معترفا

برفع (تؤتَونَ) على الاستئناف والقطع، كأنه قال: إنكم تؤتون فيه الوفاء معترفاً.

وقال معروف الدبيري:

كونوا كمن واسى أخاه بنفسه   نعيشُ جميعاً أو نموتُ كلانا

كأنه قال: كونوا هكذا إنّا نعيش جميعاً أو نموت كلانا إن كان هذا أمرَنا.

قال سيبويه: «وسمعنا عربياً موثوقاً بعربيته يقول: لا تذهَبْ به تُغْلَبُ عليه، فهذا كقوله: لا تدْنُ من الأسدِ يأكُلُكَ.»[1].

وقد عرض المعربون جوانب الجملة في الحالتين: بين الاستئناف وجواب الطلب، أو الحال. وشواهد ذلك كثيرة؛ منها:

١ ـ ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ ـ ٦].

قرأ أبو عمرو والكسائي بجزم ﴿يرِثْني ويرِثْ﴾، فالجملة جواب للطلب، وما بعدها عطف عليه.. وجعل الكلام متصلاً بعضه ببعض..

وقُرِئ: ﴿يرِثُني﴾ بالرفع، فالجملة صفة لـ«ولي»؛ لأنه إنما سأل زكريا ولياً وارثاً علمَه ونبوَّته، فليس المعنى على الجواب[2].

٢ ـ ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾ [طه: ٥٨].

---

(١) الكتاب ٣/ ٩٦ ـ ٩٨، دلائل الإعجاز ١٦٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجّاج ٣/ ٣٢٠، النشر ٢/ ٣١٧.

في جملة ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ وجوه:

أ ـ قرأ أبو جعفر: لا نخلفْهُ؛ بإسكان الفاء جزماً، على جواب الأمر.

ب ـ قرأ الباقون بالرفع: لا نُخْلِفُه على الصفة لِـ«موعدٍ»، أو على الاستئناف[1].

٣ ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ [طه: ٦٩].

قرئَ ﴿تَلْقَفْ﴾ بوجهين:

أ ـ تَلقَفُ؛ بالرفع على الاستئناف الإخباري، أو الحال من المُلْقى.

ب ـ تلقفْ؛ بالجزم جواب للطلب[2].

٤ ـ ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

قرأ حمزة: لا تخفْ، جواب الأمر، أو مجزوم بلا الناهية.

وقرأ الباقون: لا تخافُ؛ على الاستئناف الإخباري[3].

٥ ـ ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤].

قرأ حمزة وعاصم برفع ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ على الاستئناف[4].

أو الصفة لِـ«ردء»، أو الحال من الضمير في ﴿فَأَرْسِلْهُ﴾.

وقرأ الباقون بالجزم جواباً للطلب. وتعضده قراءة أُبيّ وزيد بن علي: يصدِّقوني.

٦ ـ ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٦٤].

---

(١) البحر ٦/ ٢٥٣، الدر ٨/ ٥٧.

(٢) انظر: البحر ٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) الدر المصون ٨/ ٧٢. النشر ٢/ ٣٢١.

(٤) الإتحاف ٣٤٣.

قرئ الفعل ﴿تَأْكُلْ﴾ بالجزم، جواباً للطلب، وبالرفع على الاستئناف أو على الحال[1].

٧ ـ ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

قرأ الجمهور: ﴿نَنظُرْ﴾؛ بالجزم، على جواب الأمر، وقرأ أبو حيوة بالرفع (ننظرُ) على الاستئناف[2].

٨ ـ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ﴾ [القصص: ٤٩].

قرأ زيد بن علي: أتّبعُه، بالرفع على الاستئناف، أي: أنا أتبعُه[3].

٩ ـ ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

قرأ حميد الخزاز: أمتِّعُكُنّ وأسرِّحُكنَّ، بالرفع على الاستئناف الإخباري.. والجمهور بالجزم على جواب الأمر[4].

١٠ ـ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [الملك: ٤].

قرأ الجمهور: ينقلبْ بالجزم على جواب الأمر، وروي عن الكسائي برفع الباء، فالجملة استئناف إخباري[5]، أو حال مقدّرة.

إنّ الحكم على الجملة هاهنا ببيان محلّها الإعرابي تابع لفهم المعنى، ولا ضير في ذلك أن تتعدد وجوه أعاريبها؛ فأبلغ الكلام ما تنوعت وجوه إفادته.

---

(١) البحر ٥/ ٢٣٩.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤٩، البحر ٧/ ٧٨.

(٣) البحر ٧/ ١٢٤.

(٤) البحر ٧/ ٢٢٧، القرطبي ١٤/ ١٧٠.

(٥) البحر ٨/ ٢٩٩.

١٥ـ بين الاستئناف وجواب الشرط غير الجازم

تقتضي أدوات الشرط غير الجازمة (إذا، لو، لولا، كلّما، لَمّا) جملتين، أولاهما: فعل الشرط، والثانية: جوابه وجزاؤه، وهذا أصلٌ نحويٌّ، يتغيّر وفق مقتضى الحال، بتقديم الجواب، أو بحذفه والاستغناء عنه بوجود جملةٍ استئنافيةٍ فيها دلالةٌ على الجواب.

وقد وُجِدَ عددٌ من الشواهد نال مناقشةً من النحويين، فاختلفوا بين الاستئناف والجواب، من هذه الشواهد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

قوله: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ كلامٌ مستأنف دالٌّ على جواب (لَمَّا) المحذوف، تقديره: اجترأ على خطابنا، أو فطنَ لمجادلتنا، أو قال: كيت وكيت، ثم ابتدأ فقال: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هو جواب (لَمَّا)، وإنَّما جيءَ به مضارعاً لحكاية الحال، وقيل: إنَّ (لَمَّا) تردّ المضارع إلى معنى الماضي، كما تردّ (إن) الماضي إلى معنى الاستقبال، وقيل معناه: أخذ يجادلنا.

وقد ناقش ابن مالك ما أورده النحاة، ووجّه الجملة بأنها بمعنى: جعلَ يجادلنا؛ لأنَّ (لَمَّا) مساويةٌ لِـ(لو) في استحقاق جوابٍ بلفظ الماضي، فلما وقع المضارع موقع الماضي دعت الحاجة إلى أمرين:

إمَّا تأوُّل المضارع بماضٍ، وإمَّا بتقدير ماضٍ قبل المضارع، وهو أولى الوجهين.

ولا أدري لماذا هذا التأويلُ مع وجود الأساليب كلِّها بالقرآن، والقرآن

الكريم المصدر الأول لعلوم العربية، ولهذا أرى أن جملة ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ جواب شرط؛ لا استئنافية[1].

وبمثل هذا التوجيه من تعدد آراء النحويين بين تعيين الجملة جواباً للشرط وبين الاستئناف؛ نجد قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢].

احتمل أن يكون جواب (لَمَّا) جملة ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾، وهو توجيه ابن مالك وجماعةٍ، وقيل: الجوابُ محذوفٌ، أي: انقسموا قسمين.

وقوله: ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ كلام مستأنف دال على الجواب؛ لأنّ من صنعة العربية أن جواب (لَمَّا) لا يقترن بالفاء[2].

وتعدّدت أقاويل المعربين في توجيه جواب (لو) من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

فقالوا: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ اللام لام الابتداء، لا الواقعة في جواب (لو)، وجواب (لو) محذوف لفهم المعنى، والتقدير: لكان خيراً لهم، أو: لأُثيبوا. ثم ابتدأ على طريق الإخبار الاستئنافِيّ، وهذا قول الأخفش.

ونقصد بذلك أنَّ الجواب محذوف، وقد رجَّحه ابن هشام فهو الأَولى عنده، وقيل: اللام هي الواقعة في جواب (لو)، والجواب هو قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾، أي: الجملة الاسمية، وهو رأي

---

(١) شواهد التوضيح ٧٢، مغني اللبيب ٣٧٠، إملاء ما منّ به الرحمن ٣٣٩، وانظر: أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين ٨٠ ـ ٨١.

(٢) مغني اللبيب ١٧٢، ٢٢١، ٣٧٠، ٧٦٠.

الزمخشري، وقبله الزجّاج. وأُوثِرَتِ الجملة الاسمية على الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات المثوبة واستقرارها.

وتفرَّد ابن هشام، فقال: الأَولى أن تكون اللام في ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لام جواب قسم مقدَّر، بدليل كون الجملة اسمية[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

في جواب (لولا) وجهان:

أحدهما: قوله ﴿لَهَمَّت﴾ وعلى هذا لا يكون قد وجد من الطائفة المشار إليها هَمٌّ بإضلاله.

والثّاني: أن الجواب محذوفٌ، تقديره: لأضلّوكَ، ثم استأنفَ فقال: ﴿لَهَمَّت﴾ أي: لقد همَّتْ، ومثل حذف الجواب هنا حذفه في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

واستُشكل كون قوله: ﴿لَهَمَّت﴾ جواباً؛ لأنّ اللفظ يقتضي انتفاء همّهم بذلك؛ لأن (لولا) تقتضي انتفاء جوابها؛ لوجود شرطها.

والذي جعل المذكور جواباً؛ أجاب عن ذلك بأحد وجهين:

إمَّا بتخصيص الهمِّ، أي: لهمَّتْ هَمًّا يؤثّر عندك.

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٦٣، الكشاف ١/ ٨٦، تخليص الشواهد ٣٢٠، إعراب القرآن للزجّاج ١/ ١٨٧، الجنى الداني ٨٤، البحر ١/ ٣٣٥، شرح الكافية ٢/ ٣٦٤، التسهيل ٢٤١، الكشاف ١/٣٠٢..
وانظر: دراسات لأسلوب القرآن ق١/ جـ٢/ ٦٥٤، الكافية ٢/ ٣٦٤.

وإمّا بتخصيص الإضلال، أي: يضلّونك عن دينِك وشريعتك. وكِلا هذين الهمّين لم يقَع[1].

١٦ ـ بين الاستئناف وجواب الأمر بالفاء

ترِد الجملة محتملة للاستئناف التعليلي ولجواب الأمر بالفاء في شواهد كثيرة؛ منها:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

التعليل واضح في جملة ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وتحتمل أن تكون جواباً للأمر كما يجاب بالفعل المجزوم، فالجملة في محل جزم جواباً للطلب، ويجري فيها الخلاف هل ضمّن ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ معنى: إنْ تتزوّدوا، أو أضمر الشرط وفعله بعد الأمر؟

ب ـ ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

جملة ﴿فَإِنَّ لَكُم ...﴾ تعليل للأمر بالهبوط..

جـ ـ ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

د ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

جملة ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ تعليلٌ لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا.

هـ ـ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن ٢٠١، الدر المصون ٤/ ٨٨.

و ـ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

ز ـ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧].

ح ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣١].

ط ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٤ ـ ٥].

قال الزمخشري: كأنه قال: خوّلناك ما خوّلناك فلا تيأس، فإنّ مع العسر الذي أنت فيه يسراً.

ي ـ ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧].

١٧ـ بين جواب النداء والابتداء:

قد يقتضي السببُ البلاغي دخولَ حرف النداء على غير الاسم؛ كأن يدخل على حرفٍ أو جملةٍ فعليةٍ أو اسميةٍ؛ فمثالُ دخوله على الحرف قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وفي الحديث: «يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة»[1].

وقول العرب: يا ربَّ متعةِ ساعةٍ أورثت حزنَ أيام.

ومثال دخوله على الجملة الفعلية قول الشاعر:

قل لمن حصَّل مـالاً واقـتنى ... أقرِضِ اللهَ فيـا نِعْـمَ المَـدينْ

وقول الشاعر:

يا حبّذا جبل الرّيان من جبل..

---

(١) صحيح البخاري: باب التهجّد١٠٧٤، الترمذي: باب الفتن ٢٢٠١.

وقول الآخر:

ياحبذا النيل على ضوء القمر   وحبذا المساءُ فيه والسَّحَرْ

ومثال دخوله على الجملة الاسمية:

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهمُ   والصالحين على سِمعان من جَارِ

وفي هذه الحالات يكون حرف النداء: إمَّا داخلاً على منادًى محذوفٍ، مناسبٍ للمعنى، فيقال مثلاً: (يا ربِّ، ليت قومي يعلمونَ) و(يا أصحابِ، نعمَ المَدينْ).

فالجملة الاستئنافية جوابُ النداء، وهذا عند من يجيز حذف المنادى، وإمّا أن نعتبر حرف النداء حرفَ تنبيهٍ فقط عند من لا يجيز حذف المنادى، والجملة ابتدائيةٌ إخباريّة.

أشار ابن هشام إلى هذين الرأيين فقال: إذا ولي (يا) ما ليس بمنادًى كالفعل في: ﴿**ألا يا اسجدوا**﴾ [النمل: ٢٥]، وقوله:

ألا ياسقياني بعد غارةِ سِنْجال   وقبل منايا عاديات وأوجالِ

فقيل: هي للنداء، والمنادى محذوف، وقيل: هي لمجرد التنبيه؛ لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها.

وقال ابنُ مالك: إنْ وليَها دعاءٌ، أو أمرٌ فهي للنداء؛ لكثرة وقوع النداء قبلهما، نحو: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وإلاّ فهي للتنبيه[١].

* * *

(١) شرح التسهيل ٣/٣٨٨، شواهد التوضيح ٤، المغني ٤٨٨-٤٨٩.

١٨ـ بين الاستئناف والاعتراض

الجملةُ المعترضةُ هي التي تعترض بين شيئين متلازمين؛ لإفادة الكلام المعترضة في أثنائه تقويةً، أي: توكيداً، وتسديداً أو تحسيناً، وقد رصد المعربون مواقعها بدقةٍ وتفصيل، وبيَّن أربابُ اللغة أهميتها.

قال ابن جني: باب في الاعتراض[١].

اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد، ولذلك لا يَشنُعُ عليهم، ولا يستنكر عندهم أن يُعترض بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره؛ إلا شاذّاً أو متأوّلاً.

وبيّن ابن جني أهمية الاعتراض فقال: الاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثيرٌ وحسن، ودالّ على فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفَسِه[٢].

وما سجّله ابن جني وابن هشام من شواهد الاعتراض وردَ غالبه بين متلازمين، وهو ما يعرفه جمهور النحويين، أما في مجال البلاغة فللاعتراض دورٌ آخر وموقعٌ آخر، يرِد تكميلاً وتذييلاً للكلام السابق.

أورد ابن هشام في مغني اللبيب تنبيهاً قال فيه:

للبيانيين في الاعتراض اصطلاحاتٌ مخالفةٌ لاصطلاح النحويين، والزمخشريُّ يستعمل بعضها، كقوله في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣]، مجوّزاً أن يكون ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ حالاً من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾

(١) الخصائص ١/ ٣٣٥.

(٢) الخصائص ١/ ٣٤١.

أو من مفعوله، لاشتمالها على ضميريهما، وأن تكون معطوفةً على ﴿نَعۡبُدُ﴾، وأن تكون اعتراضيةً مؤكدةً، أي: ومن حالنا أنا مخلصون له التوحيد.

ويردّ عليه مثل ذلك من لا يعرف هذا العلم كأبي حيّان، توهّماً منه أنه لا اعتراض إلاّ ما يقوله النحويّون وهو الاعتراض بين شيئين متطالبين(١).

وقال أبو حيّان: ونصَّ النحويون على أن جملة الاعتراض هي التي تفيد تقويةً في الحكم: إمّا بين جزأي صلةٍ وموصول؛ كقوله:

ماذا ـ ولا عتب في المقدور ـ رُمتَ أما
يكفيـكَ بـالنّجع أم خسـرٌ وتضـليل

وقوله:

ذاك الذي ـ وأبيك ـ يعرف مالكاً
والحقُّ يدفَعُ تُرَّهاتِ الباطـلِ

أو بين مسندٍ ومسندٍ إليه؛ كقوله:

وقد أدركتني ـ والحوادث جَمَّةٌ ـ
أسنّةُ قومٍ لا ضِعافٍ ولا عُزْلِ

أو بين فعل شرطٍ وجزائه، أو قسَمٍ وجوابه، مما بينهما تلازمٌ ما.

وهذه الجملة ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ قبلَها كلامٌ مستقلٌّ عما بعدها، لا يقال: إنّ بين المشار إليه وبين الإخبار عنه تلازماً؛ لأنّ ما قبلها من مقول بني يعقوب، وما بعدها من كلام الله تعالى، أخبر بها عنهم، والجملة الاعتراضية إنما تكون من الناطق بالمتلازمين لتوكيد كلامه وتقوية مضمونه(٢).

---

(١) مغني اللبيب ٥٢١. وانظر حاشية الدسوقي ٢/ ٤٥، الكشاف ١/ ٣١٤، حاشية الشهاب ٢/ ٢٤٨.

(٢) البحر ١/ ٤٠٣.

وقال الشهاب الخفاجي: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ حَالٌ من الفاعل أو المفعول أو منهما، لوجود ضميريهما، أو اعتراضيةٌ في آخر الكلام بلا كلام[1].

وقال: والحقُّ أن الجملة اعتراضٌ وتذييلٌ للكلام الذي عقّب به، مقولٌ على ألسنة العباد بتعليم الله تعالى، لا عطف.

وتحريره أن قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مناسبٌ لـ﴿آمَنَّا﴾، أي: نؤمن بالله وما أنزل على الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ونستسلم له وننقاد لأوامره ونواهيه[2].

وقال أبو السعود: الجملة تحتمل أن تكون اعتراضاً محققاً لمضمون ما سبق[3].

وما يعنيه ابن هشام ذكره القزويني في التلخيص، قال: الاعتراض في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملةٍ فأكثر، لنكتةٍ سوى دفع الإيهام[4].

وقال قوم: قد تكون النكتة دفع الإيهام، ثم جوّز بعض هؤلاء وقوع جملة الاعتراض جملةً لا تليها جملةٌ متصلةٌ بها، بأن لا يليها جملةٌ أصلاً، فيكون الاعتراض في آخر الكلام أو يليها جملةٌ غير متصلة بها معنًى.

وقال القزويني في الإيضاح:

ومن الناس من لا يقيّد فائدةَ الاعتراض بما ذكرناه، بل يجوّز أن تكون دفع توهّم ما يخالف المقصود، وهؤلاء فرقتان:

ـ فرقةٌ لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء كلامٍ أو بين كلامين

---

(١) حاشية الشهاب ٢/ ٢٤٤.

(٢) حاشية الشهاب ٢/ ٢٤٨.

(٣) تفسير أبي السعود ١/ ١٦٥.

(٤) التلخيص ٢٣٣، شرح عقود الجمان ٧٦.

متصلين معنىً، بل يجوز أن يقع في آخر كلامٍ لا يليه كلامٌ، أو يليه كلامٌ غير متصلٍ به معنىً وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من الكشّاف؛ فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل، ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملةً كان أو أكثر من جملة.

ـ وفرقةٌ تشترط فيه ذلك، لكن لا تشترط أن يكون جملةً أو أكثر من جملةٍ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً في أحد الموقعين، ومن التكميل ما كان واقعاً في أحدهما، ولا محل له من الإعراب، جملةً كان أو أقلَّ من جملةٍ أو أكثر[1].

قال ابن يعقوب المغربي:

الاعتراض في آخر الكلام بحيث لا تكون بعده جملةٌ أصلاً، أو تكون بعده، ولكن ليس بينها وبين ما قبلها اتصال معنوي أو لفظي، كما يكون بين كلامين متصلين معنًى أو لفظاً[2].

وقال السبكي في عروس الأفراح معقباً على كلام القزويني:

قوله (يشمل التذييل) فيه نظر؛ فإنه إنما يشتمل من التذييل على هذا ما لا محل له من الإعراب، والتذييل قد يكون له محل من الإعراب، فإن المصنف مثَّل له في الإيضاح بقول أبي الطيب:

وما حاجة الأطفال حولك في الدجى ... إلى قمرٍ ما واجدٌ لك عادمه

قوله (ما واجد لك عادمه) جملةٌ لها محل الجرّ على النعت لـ(قمر). وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] فلا محل لها، باعتبار الكلام المحكي[3].

---

(١) انظر: شروح التلخيص ٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٩.

(٢) شروح التلخيص ٣/ ٢٤٦.

(٣) شروح التلخيص ٣/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

ففي جملة ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ثلاثة أعاريب:

أحدها: أن تكون عطفاً على ﴿أُتْرِفُوا﴾.

ثانيها: أنها عطفٌ على ﴿وَاتَّبَعَ﴾.

ثالثها: أنها اعتراضيةٌ، آخر الكلام، فهي حكمٌ عليهم بأنهم قومٌ مجرمون، ذكر ذلك الزمخشري، وقال أبو حيان: ولا يسمّى هذا اعتراضاً في اصطلاح النحو؛ لأنه آخر آيةٍ، فليس بين شيئين يحتاج أحدهما إلى الآخر[(١)]. ومن جعلها اعتراضيةً فهي تسجيلٌ عليهم بأنهم قومٌ مجرمون[(٢)].

وذكر الشهاب الخفاجي في عدد من الشواهد جاءت آخر الكلام، أي: فاصلةً وختم آية، كقوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]، وقوله ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:٥١]، ما نصّه:

قيل: المراد بالاعتراض التذييل؛ لأن المعترضة هي التي اعترضت بين كلام أو بين كلامين متّصلين معنًى، والتذييل ما يؤكد به تمام الكلام.

ومنهم من جوّز الاعتراض في آخر الكلام بلا كلام، فلا يردّ عليه[(٣)].

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]، قال الجملة للتذييل معترضةً في آخر الكلام، لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر[(٤)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٢٩٨، البحر المحيط ٥/ ٢٧٢، الدر المصون ٦/ ٤٢٦.

(٢) تفسير أبي السعود ٤/ ٢٤٧.

(٣) حاشية الشهاب ١/ ٢٠٥.

(٤) حاشية الشهاب ١/ ٢٣٨.

ومنه: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]. أوردوا لهذه الجملة ثلاثة وجوه: الاعتراض والحال والاستئناف التوكيدي..

والعلاّمة الطيبي يجعل الاعتراض شاملاً للتذييل، كما يعرفه مَنْ تتبّع كلامه، فلا يرِد الاعتراض عليه بأنّ الأشبه أنه تذييلٌ، وهو أن يعقب الكلام بما يشمل معناه توكيداً، ولا محل له من الإعراب، واكتفى بعضهم بأنها اعتراضٌ مقرّر لما قبله[1].

وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

أجازوا في جملة ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ..﴾ الحالية والاستئنافية والاعتراضية أيضاً، فإن أُجري السؤال على ظاهره، فالجملة حاليةٌ مقررة لمضمون ما قبلها، وإن أريد به سببه ـ أعني الجزاء ـ فهو تذييلٌ لتتميم ما قبله، والجملة مستأنفة، أو معترضة[2].

وأجاز المعربون في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧]، أن تكون جملة ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ محتملةً الاستئناف المعترض، أو العطف. قال الشهاب: استئناف معترض؛ لتعظيم المتلو نفسه، أو لتأكيد أمر اليتامى..

والمراد بالاستئناف ليس المعنى المصطلح عليه، فلا ينافي الاعتراض[3].

---

(١) حاشية الشهاب ١/ ٧٣، تفسير أبي السعود ١/ ٧٠.

(٢) حاشية الشهاب ١/ ٢٤٥، تفسير أبي السعود ١/ ١٦٥.

(٣) حاشية الشهاب ٣/ ١٨٣، تفسير أبي السعود ٢/ ٢٣٨.

فائدة: في ثنّايا حديث النحويين عن تركيب (ولا سيما) ذكروا أن الواو لها وجوه من الأعاريب، ففي قولنا: (قاموا ولا سيما زيد) الواو عند الفارسي للحال، وقال الرضي: اعتراضية، بناءً على أن الاعتراض يقع آخر الكلام، ويمكن الاستئناف والحالية، أي: قاموا والحال أنه لا مثلَ زيدٍ موجودٌ فيهم، بل يمكن عطف الجمل بها[1].

ومن التعابير المسموعة تقول: جاءني القوم ولا سيما أخوك.

وروى أبو زيد عن العرب: إنّ فلاناً عالم ولا سيما أخوه.

قال سيبويه: قولهم: لا سيما زيدٍ، أي: لا مثل زيدٍ و(ما) لغوٌ، وقال: لا سيما زيدٌ، كقولك: دع ما زيدٌ، كقوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال الأخفش: قولهم: (إنَّ فلاناً كريمٌ ولا سيما إن أتيته قاعداً)، فإن (ما) هاهنا زائدة، لا تكون من الأصل، وحذف هنا الإضمار وصار (ما) عوضاً منها، كأنه قال: ولا مثله إن أتيته قاعداً[2].

فالجملة تحتمل وجهين: الاستئناف الإخباري، والنصب على الحال المبينة للهيئة، ولعلّ هذا هو الأرجح.

١٩ـ حذف الجملة الاستئنافية

لو يُتاحُ لكلٍّ من يقرأ شعر العرب الفصيح، ويتدبّرُ آيات القرآن الكريم أن يتعرّف وجوه الإعراب، وأن يتذوّق أسرار القواعد العربية وينفُذَ من خلالها إلى إدراك بلاغة العربية متمثّلةً بنظم الكلام لأدرك أنَّ سرَّ العربية ـ في قدْرٍ كبيرٍ من خصائصها ـ يعود إلى الاختصار والإيجاز.

---

(١) حاشية الأمير على مغني اللبيب١/١٢٣، وانظر مجلة المجمع العلمي٦/٣٠٣.

(٢) لسان العرب «سوا» ٢١٦٢، الكتاب ٢/ ٣٨٦.

وإذا كنا قد استمتعنا بخصائص الإيجاز متمثّلةً بحذف الحركة تارةً، والحرف تارةً أخرى، وأُعجبنا بحذف الأسماء والأفعال، وأدركنا ما يؤدّيه هذا الحذف من سِحرٍ وعذوبةٍ، فإننا مع حذف الجملة أشدّ إعجاباً وأكثر انبهاراً.

ففي مجال البحث عن الجمل الاستئنافية لا تخرجُ جملة الاستئناف عن معهود بقية الجمل في مجال الحذف، فكما تحذف جملة الشرط وجملة القسم وغيرها، تحذف الجملة الاستئنافية، وحذفها أدقّ وألطفُ.

قال صاحب (الطراز) في بيان الإيجاز بحذف الجمل:

إنّ حذف الجمل له في البلاغة مدخلٌ عظيمٌ، وأكثرُ ما يرِد في كتاب الله تعالى، وما ذاك إلاّ لرسوخ قدمه، وظهور أثره واشتهار علمه[1].

على أنّ حذف الجملة الاستئنافية يحتاج إلى فهم كامل المعنى في النص الأدبي، ويدخل في ذلك ما سمّاه علماء الأصول: دلالة المقتضى وفحوى الكلام، وهو ما يعرف عند العوام بقراءة ما وراء السطور، أو فهم معنى المعنى، ثقةً بفهم السامع العربي، لذكائه وحدّة بصيرته، فقد يدركه من سياق الكلام ولا يخفى أن مدار الإيجاز ـ عند البلاغيين ـ على الحذف؛ لأنّ موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف مالا يُخِلُّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل لو ظهر المحذوف لنزل قَدْر الكلام من علوّ بلاغته، ولصار إلى شيءٍ مُستَرَكٍّ مسترْذَلٍ، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطّلاوةِ والحسنِ والرقة.

وقد عَدَّ علماء البيان والتفسير حذف الجملة الاستئنافية من أسرار الإيجاز، في حين كان للنحويين موقفٌ آخر أشَدُّ ارتباطاً بالصنعة الإعرابية، فقد نبّه ابنُ هشامٍ على أنّ الحذف الذي يلزم النحويَّ النظرُ فيه

---

(١) الطراز ٢/ ٩٢ ـ ٩٣.

هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبراً بدون مبتدأ، أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل، نحو: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨]، و﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النّحل:٣٠]، ونحو: خيرٍ عافاكَ اللهُ.

وأما قولهم في نحو قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي: والبرد، ونحو: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢] أن التقدير: ولم تعبِّدني، ففضول في فن النحو، وإنما ذلك للمفسِّر[(١)]؛ لأنّ المعنى لا يستقيم إلاّ عليه[(٢)].

والحقُّ أنّنا بحاجةٍ إلى علماء المعاني وجهود المفسرين لإيضاح جملة الاستئناف بين الإثبات والحذف؛ لأنَّ ما ذكره ابن هشام وغيره يعود إلى صنعة نحوية يتلاءم معها مُسْنَدٌ ومسنَدٌ إليه، تعليقُ ظرفٍ، بيانُ حالٍ.

أمّا معرفة جملة الاستئناف فإدراكها بين الإثبات والحذف يُوجِبُ فهمَ البنية العميقة للكلام، وهي لا تُدرَك للوهلة الأولى دون الرجوع إلى فهم قابلية المقام، وهو أن يكونَ السامع عارفاً به؛ لوجود القرائن العقلية أو اللفظية، وتأملها بتدبّرٍ ورويّة.

وهذا ما عبّر عنه الجرجاني حين جعل مزية النظم والبلاغة متكاملةً بين سِباقٍ وسياق، فقال:

إنّ من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه والحُسْنَ كالأجزاء من الصبغ، تتلاحق وينضمُّ بعضها إلى بعضٍ حتى تكثُرَ في العين، فأنت لذلك لا تُكبِرُ شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحذق والأستاذيّة وسعة الذّراع، وشدّة المُنَّة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبيات.

---

(١) المغني: ٨٩١.

(٢) حاشية الدسوقي ٢/ ٢٧٦.

وضرب لنا مثلاً أنشده أبو بكر الصديق ـ رضوان الله عليه ـ لما أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم:

تمنّانـــا ليلقانـــا بقـــوم   تخالُ بياضَ لأمهمُ السَّرابا
فقـد لاقيتنـا فرأيـتَ حربـاً   عَوَاناً تمنع الشيخَ الشّرابا[1]

فدلالة المقتضي أنك حصّلت هذه الأمنية، وقد لاقيتنا فرأيت حرباً..

ولعلّ أشهر حذفٍ ذكره البلاغيون لجملة الاستئناف قول الشاعر:

قالوا خراسانُ أقصى ما يراد بنـا   ثُمَّ القفولُ، فقد جئنـا خراسـانا

أي: إن صدَقتم في قولكم فقد جئنا خراسان، فمتى القفول؟

وجاءت الفاء لتفصح عن الجملة المحذوفة.

❖ وجوه حذف الجملة الاستئنافية

من وجوه حذف الجملة الاستئنافية: حذفُ الأسئلة المقدرة. قال يحيى بن حمزة اليمني: ويلقّبُ في علم البيان بالاستئناف[2].

وهو يجري على وجهين:

الوجه الأول: أن يكون استئنافاً بإعادة الصفات المتقدّمة، ومثاله قوله تعالى في صدر سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢ ـ ٣] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥].

فموضوع الاستئناف من الآية هو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾؛ لأنه لَمَّا عدّدَ صفات المتقين بالإيمان بالغيب، وبإقامة الصلاة،

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز ٧٠ ـ ٧١.

(٢) الطراز ٢/ ٩٣ ـ ٩٥.

وبالإنفاق.. إلى آخر ما قرّره من صفاتهم الحسنة، اتجه لسائلٍ أن يسألَ بأنّ هؤلاء قد اختصّوا بهذه الصفات، فهل يختصّون بغيرها؟ فأُجيبَ عنه: بأن الموصوفين بما تقدّم من الصفات هم المستحقون للفوز بالهداية عاجلاً، وللفلاح آجلاً...[1].

الوجه الثاني: أن يكون الاستئناف واقعاً بغير الصفات، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] إلى قوله: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥].

فموقع الاستئناف هو قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ [يس: ٢٦]، لأنّ ما هذا حالُه من مظانّ السؤال، كأنّ سائلاً قال: كيف حال هذا الرجل الذي آمن بالله، ولم يعبد إلهاً غيره، وأخلص في عبادته عند لقاء ربه، وبعد التصلّب في دينه، والسخاء له بروحه؟ فقيل: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾[2].

وأمثلة هذا الحذف كثيرةٌ جداً..

وتحذف الجملة الاستئنافية لدليل سياق الكلام عليها، كقول أبي نواس:

سُنّةُ العشّاقِ واحدةٌ ... فإذا أحببتَ فاستكنِ

المعنى: سُنّة العشاق واحدة، وهي أن يستكينوا ويتضرّعوا، فإذا أحببتَ فاستكنِ.

ومن المحذوفات العجيبة في القرآن الكريم للجملة الاستئنافية ما نجده في قوله تعالى في الترهيب من الغيبة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ

---

(١) تفسير أبي السعود ١/ ٢٤.

(٢) تفسير أبي السعود ٧/ ١٦٤.

﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، ففي هذا البيان اختصارٌ شديد، والتقدير: أن الجملة التي هي ﴿**كرهتموه**﴾ خبرٌ لمبتدأ مقدّر، وما بعدها تقدير كلامينِ حُذفا للدلالة عليهما، كأنه قيل: فأكلُ لحم أخيكم ميتاً كرهتموه، والغيبةُ مثلُه فاكرهوها.

والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره معطوفةٌ على الجواب الذي يقتضيه الاستفهام؛ لأنّ قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ جوابه: لا، لا يحبّ أحدٌ منّا ذلكَ، فقيل لهم: فأكل لحم أخيكم ميتاً كرهتموهُ، والغيبة مثلها فاكرهوها واتقوا الله[1].

ويطّرد حذف جملة الاستئناف بعد كل حرفٍ جوابيّ، نحو: بلى[2] ونعم؛ للاختصار.

قال النحويون: وتقوم أحرف الجواب مقام تلك الجملة المحذوفة، فإذا قال لك القائل: ألمْ أكرمكَ؟ قلت: بلى؛ فالتقدير: بلى؛ قد أكرمتني. وإن قلت: لا، فالتقدير: لا؛ لَمْ تكرمني.

وفي البيان القرآني: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤].

ومنه: ﴿... ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٥ ـ ٧٦].

---

(١) أمالي الشجري ١/ ١٥١ ـ ١٥٢، كشف المشكلات ٢/ ١٥٦، معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٣، البحر المحيط ٨/ ١١٥، الكشاف ٣/ ٥٦٨، المغني ٢٢٢.

(٢) المغني بحاشية الدسوقي ٢/ ٢٧٤.

بلى: إضراب إبطالي، وهو مغنٍ عن جملةٍ قدّرها المفسرون بقولهم: عليهم فيها سبيل، وجاءت جملة ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ مستأنفةً مؤكدة للإبطال الأول[1].

ويدور في فلك هذا الحذف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

فحوى هذه الآية تسليةٌ لرسول الله ﷺ، فهؤلاء لا يؤمنون؛ لعلم الله منهم ذلك، والمقصود هو: فلا تطمع في إيمانهم.

وتحذف جملة الاستئناف في أساليب المدح والذمّ على رأي البلاغيين إذا حُذف المخصوص بالمدح أو الذمّ، وقد تقدّم ذكره؛ كمدح سيدنا أيّوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

والتقدير: نعم العبد هو أيّوب.

ومن وضوح القرينة لحذف هذه الجملة قوله تعالى:﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، على قول من يجعل المخصوص خبراً لمبتدأ، أي: هم نحن[2].

ومن أبرز شواهد البلاغيين والنحويين هاهنا على حذف الجملة الاستئنافية بأسرها قول أحد الشعراء يهجو بني أسدٍ في انتمائهم لقريشٍ وادّعائهم أنهم إخوتهم:

زعمتُم أنّ إخوتكم قريشٌ   لهم إلفٌ وليسَ لكم إلافُ

(١) حاشية الصاوي ١/ ٣٤٣.

(٢) شروح التلخيص ٣/ ٦٦ ـ ٦٧، أمالي الشجري ٢/ ١٣٦، البحر ٧/ ٤٠٠، حاشية الدسوقي ٢/ ٢٧٥.

يتبادر إلى الذهن أنّ جملة (لهم إلفٌ) صفة لـ(قريش)، وهذا خلافُ ما أراده الشاعر، فالشاعر حذف الجواب الذي هو: كذبتم في زعمكم، وأقام قوله (لهم إلفٌ وليس لكم إلاف) مقامه، لدلالته عليه.

ويجوز أن يقدَّر قوله: (لهم إلف وليس لكم إلاف) جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف، كأنه قال للمتكلم: كذبتم، قالوا: لم كذبنا؟ فقال: لهم إلف وليس لكم إلاف. فيكون في البيت جملتا استئناف محذوفتان[1].

❖ حذف الجملة المستأنفة لدلالة ذكر سببها

تحذف الجملة الاستئنافية التي كانت مسبّباً، ذُكرَ سببُها وارتبط بها في مضمون الكلام وائتلاف المعنى، كقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٨].

أي: فعل ما فعل تعالى؛ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل.

قال أبو السعود: جملةٌ مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها.

والمتتبع للام الحكمة أو التعليل يجد أنها ترتبط غالباً بجملةٍ فعليةٍ استئنافيةٍ يكثر حذفها؛ لقوة العلم بها من سياقٍ أو دلالة حال، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل: ٣٨ ـ ٣٩].

﴿لِيُبَيِّنَ﴾: اللام تتعلق بما دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾، أي: يبعثهم.. وهي جملةُ استئنافٍ مقدّر.

---

(١) شروح التلخيص ٣/ ٦٤ ـ ٦٦.

وكثيراً ما عوّل الزمخشري على تقدير الجملة الاستئنافية في مواضع من الكشاف[1].

ومما يحتمل الجملة الاستئنافية المقدّرة لتعلّق حرف التعليل بها قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش: ١]، فقد ذُكر أنّ اللام تتعلّق بمحذوف تقديره: اعجبوا. وهو توجيه الفرّاء.

قال: كيف ابتدئ الكلام بلامٍ خافضةٍ ليس بعدها شيءٌ يرتفع بها؟ فالقول في ذلك على وجهين:

قال بعضهم: كانت موصولةً بـ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفيل:١]، وذلك أنه ذكّر أهل مكة عظيم النعمة عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أيضاً، كأنه قال: وذلك إلى نعمته عليكم في رحلة الشتاء والصيف.

ويقال: إنّه تبارك وتعالى عجّبَ نبيَّهُ ـ ﷺ ـ فقال: اعجَبْ يا محمد لنِعَم الله ـ تبارك وتعالى ـ على قريشٍ في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

ثم قال: فلا يتشاغلُنّ بذلك عن اتّباعك وعن الإيمان بالله، ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾[قريش:٣][2].

ومن حذف الاستئناف لما تقتضيه الصنعة الإعرابية ما نراه في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة:٨٣] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٨٣] فقبلتم ذلك، وهذه الجملة

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٧، حاشية الشهاب ٤/ ٨٥، الإيجاز في كلام العرب ٣٩١، تفسير أبي السعود ٤/ ٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/٢٩٣، وانظر: تفسير أبي السعود ٩/٢٠٢، المغني ٢٧٦.

قدّرت لأجل العطف بـ:(ثُمَّ) عليه، وهو قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة:٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨-٩].

وراء قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ بنية عميقة لجملة استئناف هي سؤال مقدّر، تقديره: ما الحامل لهم على إظهار الإيمان وإخفاء الكفر؟ فالجواب: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ..﴾ (١).

ومنه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، جملة ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ جملة مستأنفة، لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لِمَن؟ (٢).

وربما كان لسبب نزول الآية دورٌ في بيان الجملة المستأنفة المقدّرة، فيرِد ما بعدها جواباً لها، فقد ذكر العلماء في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ [البقرة: ٢٦] الآية.. لمَّا ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]، وقوله ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٩]، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾.. إلى قوله: ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧](٣).

ومما يقتضيه المعنى بحذف جملة الاستئناف ما تجده في قوله تعالى:

---

(١) انظر: حاشية الصاوي ١/ ٢١.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٤.

(٣) لباب النقول للسيوطي ١/ ٣٧ ـ ٣٨ بحاشية الصاوي.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فإنهما السبب في وجود الشخص ويجب برّهما، وهذا التقدير للمفسّر كما أشار ابن هشام، لكن طبيعة المقام تستدعي ذلك.

وقد تفرّد الزمخشري بتوجيه أسلوب الاستفهام والعطف في مثل ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨] بأنّ فيه جملةً استئنافيةً محذوفةً تقديرها: أيلومونهم ولا يعلمون؟ فالاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف على الجملة الاستئنافية المحذوفة، لائقة المحل والتقدير.

وذكر ابن هشام في حديثه عن همزة الاستفهام أنّ لها تمام التصدير، بدليل أنها إذا كانت في جملةٍ معطوفة بالواو أو بالفاء أو بـ:ثم، قدمت على العاطف، تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ [الأعراف: ١٨٥]

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [يوسف: ١٠٩]

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس: ٥١]

هذا مذهب سيبويه والجمهور، وخالفهم جماعة، أوّلهم الزمخشري، فزعم أنّ الهمزة في تلك المواضع في محلها الأصلي، وأنّ العطف على جملةٍ مقدّرةٍ بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [يوسف: ١٠٩] أمكثوا، فلم يسيروا في الأرض؟

وفي ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥] أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحاً؟

وفي ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] أتؤمنون به في حياته فإن مات أو قتل انقلبتم؟

وفي نحو ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات:٥٨] أنحن مخلّدون، فما نحن بميتين؟ (١).

ولعل بعض الآيات يتحتّم فيها هذا الحذف، كقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠] إذ لا مجال لعطفه على ما تقدم عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩] فيتعيّن المصير إلى جعل الهمزة داخلةً على المعطوف عليه المحذوف تقديره: أكفَروا بالآيات البيّنات؟ وكلما عاهدوا عهداً نبذه، أي: نقضه ورفضه، واتسع مجال القول في تعيين جملة الاستئناف المحذوف لدى المفسرين والمعربين، مما أضاء وجوهاً في تفسير الآية. وسأنقل بعض هذه الأقوال:

قال أبو السعود: الهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي: أكفروا بها وهي في غاية الوضوح، وكلما عاهدوا عهداً؟(٢)

وقال العكبَري: الواو للعطف، والهمزة قبلها للاستفهام على معنى الإنكار، والعطف هنا على معنى الكلام المتقدّم في قوله ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [البقرة:٨٧]وما بعده(٣).

وقال الصّاوي: أكفروا بها؟ أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلةٌ على محذوفٍ، والواو عاطفةٌ على ذلك المحذوف، وهو أحد احتمالين(٤).

---

(١) المغني ٢٣، حاشية الدسوقي ٢/ ١٣.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ١٣٥.

(٣) إملاء ما منّ به الرحمن ١/٦١.

(٤) حاشية الصاوي ١/ ٩٧.

وتوسّع أبو حيان الأندلسي في البحر، فعرض وجوه الواو كلَّها، واختار جملة الاستئناف المحذوفة، قال:

اختلف في هذه الواو، فقيل: هي زائدةٌ، قاله الأخفش، وقيل: هي «أو» الساكنة الواو حركّت بالفتح، وهي بمعنى «بل»، قاله الكسائي، وكلا القولين ضعيف.

وقيل: واو العطف، وهو الصحيح، ثم عرض أصل المسألة فبيّن أن مذهب سيبويه والنحويين أنَّ الأصلَ تقديم هذه الواو والفاء وثم على همزة الاستفهام، وإنما قدّمت الهمزة؛ لأن لها صدر الكلام، ثم ذكر رأي الزمخشري الذي نقله أغلب المعربين. وفي هذه الآية يقدّر: أكفروا بالآيات البيّنات وكلما عاهدوا...؟[1].

والمتدبّر لما سمّاه النّحاةُ الفاءَ الفصيحةَ ـ وهي التي تفصح عن شرطٍ محذوف ـ يُقِرُّ أنّ هذا الشرط في الغالب جملةٌ مستأنفةٌ محذوفةٌ، أبرزَ شواهدها في الشعر العربي قول الشاعر العباس بن الأحنف[2]:

قالوا: خراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثُمَّ القُفولُ فقد جئنا خراسانا

أي: إن صحّ قولُكم فقد جئنا خراسانا، وآن لنا أن نعود؟!

ومما جاء في البيان القرآني كثير، وهو مما يغمُض على كثير من الدارسين فائدتُه وأصله ومتعته. من ذلك قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٣ ـ ١١٤].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٢٣، الكشاف ١/ ٢٧١ و٣٠٠، الجنى الداني ٣١.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٢٤.

قوله ﴿فَكُلُواْ﴾ مفرَّعٌ على التمثيل، أي: إذا علمتم ما حصلَ للكفّار من الحرمان، وما حلّ بهم بسبب كفر النعم، فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا مما رزقكم الله..[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون:١-٢] أي: إن أردت معرفته أو إن تأمّلته وطلبت علمه فذلك الذي يدعّ اليتيم، وهو توجيه العكبري، وقد استحسنه ابن هشام[2].

ومن أحسن أمثلة ذلك في الأدب قول الشاعر:

أليس وعدتني يا قلبُ أني ... إذا ما تبتُ عن ليلى تتوبُ
فها أنا تائبٌ عن حب ليلى ... فما لك كلّما ذُكِرَتْ تذوبُ؟!

شواهد أخرى:

أ ـ من الاستئناف المقدّر الذي تابعه المفسّرون خاصةً، وعُنوا بإحكام النظم القرآني من خلاله؛ قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، جملة ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: يحكم لا معقّب لحكمه، وهو جواب عن سؤال مقدّر، تقديره: لِمَ هدى هؤلاء وأضلّ هؤلاء؟ فأجاب بأنه ـ عزّ شأنه ـ يفعل ما يشاء، فلا يُسأل عمّا يفعل[3].

(١) حاشية الصاوي ٣/ ٤٥٠، تفسير أبي السعود ٥/ ١٤٦.
(٢) إملاء ما منّ به الرحمن ٥٩١، المغني ٨٤٨، تفسير أبي السعود ٩/ ٣٠٣.
(٣) انظر: حاشية الصاوي ٣/ ٣٥٦.

ب ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢].

البنية العميقة لهذا الكلام المعتمد على شرط وهو: فإن لم تجدوا ما تتصدقون فلا عليكم في المناجاة من غير صدقةٍ، وفي هذا إشارةٌ إلى أن جواب الشرط محذوف، وجملة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعليلٌ للمحذوف ودليلٌ عليه[1].

جـ ـ في سورة النازعات بعد أن بيّن المولى قدرته في خلق السماء والأرض والجبال جاء قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [النازعات: ٣٤ ـ ٣٥]، هذه الجملة المبدوءة بالفاء الفصيحة، أفصحت عن جواب شرط مقدّر، تقديره: إذا علمت ما تقدّم[2]... فالفاء للدلالة على ترتّب ما بعدها على ما قبلها[3]..

ومن خفايا الاستئناف هاهنا ما بيّنه المعربون في توجيه قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ [فصلت: ٣٨].

فقد جاءت جملة ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾ علّةً لجواب الشرط المحذوف، والتقدير: فلا تنعدم العبادة؛ لأنّ الذين... الخ[4].

---

(١) حاشية الصاوي ٦/ ١١٤.

(٢) حاشية الصاوي ٦/ ٣٤١.

(٣) تفسير أبي السعود ٩/ ١٠٣.

(٤) حاشية الصاوي ٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

هـ ـ والبنية العميقة لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [النساء: ١٤١]، تشير إلى جملة استئنافية مقدّرة، هي: فأعطونا من الغنيمة[١]، وهو ما سميته: معنى المعنى.

و ـ من وجوه تعلّق الجار «بالبيّنات» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣ ـ ٤٤]، أن يكون متعلّقاً بمحذوف، هو جوابٌ لسؤالٍ مقدّر، كأنه قال: بِمَ أُرسِلوا؟ فقيل: أرسِلوا بالبيّنات والحُجَج والزبر. وهذا أحسن ما قيل هنا[٢].

ز ـ ومن الاستئناف المقدّر ما نتلمسه من بلاغة الآية الكريمة ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

جاءت جملة النفي ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ استئنافيةً جواباً عن سؤالٍ مقدّر، تقديره: هل يؤخر هذا المتمنّي؟ فقال: ولن يؤخر الله نفساً...[٣].

ح ـ من الاستئناف المقدّر قوله تعالى عن الكافرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٦].

---

(١) تفسير الجلالين ١٠٢.

(٢) حاشية الصاوي ٣/ ٤١٣، وانظر المغني ٥١٦.

(٣) حاشية الصاوي ٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

جملة ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ﴾ كلامٌ مستأنف واقعٌ في جواب سؤالٍ مقدّر، كأنه قيل: ماذا صنعوا عند ذلك؟ فقيل: يقولون مُتَحسّرين على ما فاتهم: يا ليتنا أطعنا الله..[1].

ط ـ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٣].

جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ استئنافٌ بياني واقعٌ في جواب سؤال مقدّر، تقديره: ماذا يحصل لهم؟ وهذا هو التقدير الأحسن، فقد قيل: جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ﴾ خبر ﴿الذين﴾[2].

ي ـ من خفايا الاستئناف بالواو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

قد يتبادر إلى الذهن أنّ جملة ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ معطوفةٌ على ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾، لكنّ الأرجح أنها استئناف، دفع به ما يقال: حيث هلك من هلك فقد خرب الكون؟ فأجاب بأنه كلما أهلك جماعةً أتى بغيرهم، فإنه قادرٌ على ذلك، والقادر لا يعجزه شيء[3].

---

(١) حاشية الصاوي ٥/ ٨١.

(٢) انظر: الكشاف ٣/ ٣٨٦، الدر المصون ٩/٤٠٧ ـ ٤٠٨، حاشية الصاوي ٥/٢٣٩.

(٣) حاشية الصاوي ٢/ ٢٦٤.

ك ـ ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩]، جملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ استئنافٌ واقعٌ في جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم؟ فقيل: يبتغون[١].

هذا، وبعد هذا التفصيل لحذف جملة الاستئناف ومظاهره الواسعة، أليس من حقّنا أن نوجّهَ اهتمامنا لهذه الجملة، وأن نعتنيَ بإبراز مقاصدها؟ وأن نلفتَ النظر إلى براعة أسرارها؟ دون الاكتفاء بقولنا التقليديّ: جملةٌ استئنافيةٌ لا محل لها من الإعراب.

وهذا لا يشفي غليلاً، ولا يبلغ من البُغْيةِ إلا قليلاً، وفيه إغفالٌ لتذوّق الكلام العربي المشرق.

آنَ لنا أن نرأبَ الصّدعَ بين النحوِ وعلم المعاني؛ لنخرجَ بفهمٍ دقيق لأسرار العربية وبلاغتها المعجزة.

** ** **

---

(١) حاشية الصاوي ٥/٤٨٦.

الفصل الخامس

أسرار البلاغة والنظم

في

الجمل الاستئنافية

أبرزَ الإمامُ عبدُ القاهر الجرجانِيّ أسرار البلاغة والنّظم البياني في دراسة الجمل الاستئنافية في بحث منهجيّ واضح، من خلال دراسته للفصل والوصل. وكان تركيزه موجّهاً نحو ملاحظة الارتباط فيما بين الجمل بدقة ولطف؛ لأنَّ هذا الارتباط في الأغلب بين الجمل باعتبار المعاني العقلية وهو ألطف وأخفى.

قال في دلائل الإعجاز: اعلم أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصنَعَ في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيءِ بها منثورةً، تُستأنف واحدةٌ منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة وممّا لا يتأتّى لتمام الصّواب فيه إلا الأعراب الخُلَّص، والأقوام طُبِعُوا على البلاغة، وأوتوا فنًّا من المعرفة في ذوق الكلام، هم بها أفراد، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدًّا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم[1] أنه سُئل عنها، فقال: معرفة الفصل من الوصل؛ ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة.

وبيّن الجرجانِيّ أن مسالك العطف متعدّدة، وهو وصل في حكم الإعراب، ولابدّ أن نتبين هذه الفوائد بين المفرد والجمل، فقال: إنّ سبيلَنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة، فننظر فيها ونتعرَّف حالَها. ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حُكم ذلك الإعراب؛ نحو: أنّ المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنّه مفعول به أو فيه أو له؛ شريك له في ذلك، وإذا كان

---

(١) في البيان والتبيين ١/٨٨ «قيل للفارسيّ: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل والوصل».

هذا أصله في المفرد فإنّ الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضعٌ من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكمَ المفرد؛ إذ لا يكون للجملة موضعٌ من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعةً موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهراً والإشراكُ بها في الحُكمِ موجوداً، فإذا قلت: (مررتُ برجلٍ خَلْقه حسن وخُلُقه قبيح)، كنت قد أشركتَ الجملة الثانية في حكم الأولى؛ وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة، ونظائر ذلك تَكْثُر[1]، والأمر فيها يسهل.

والذي يشكل أمره: هو الضرب الثاني: وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك: (زيد قائم وعمرو قاعد) و(العلم حسن والجهل قبيح)، لا سبيل لنا إلى أن ندَّعي أن الواو أشركت الثانية في إعرابٍ قد وجب للأولى بوجهٍ من الوجوه.

وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه، ولِمَ لَمْ يستوِ الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف، فتقول: زيد قائمٌ عمرو قاعد، بعد أن لا يكون هنا أمرٌ معقول يؤتى بالعاطف ليُشرك بين الأولى والثانية فيه.

واعلم أنه إنما يعرض الإشكالُ في الواو دون غيرها من حروف العطف؛[2] وذاك لأن تلك تفيد مع الإشراك معانِيَ مثل أنّ «**الفاء**» توجب الترتيب من غير تراخٍ، و «**ثمّ**» توجبه مع تراخ، و «**أو**» تردِّد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحد منها الجملةَ على

---

(١) انظر مغني اللبيب: أقسام العطف ٦١٥.

(٢) انظر أسرار العربية لابن الأنباري ٢٧٢.

الجملة ظهرت الفائدة، فإذا قلت: أعطاني فشكرته، ظهر بالفاء أن الشكر كان معقباً على العطاء ومسبباً عنه، وإذا قلت: خرجت ثم خرج زيد، أفادت «ثم» أنّ خروجه كان بعد خروجك وأنّ مهلة وقعت بينهما، وإذا قلت: يعطيك أو يكسوك، دلّت «أو» على أنّه يفعل واحداً منهما لا بعينه. وليس للواو معنًى سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعرابُ الذي أتبعتَ فيه الثانيَ الأول، فإذا قلت: جاءني زيد وعمرو، لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراكِ عمرو في المجيء الذي أثبتَّه لزيد والجمعِ بينه وبينه، ولا يُتصوّر إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه. وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا في قولنا: زيد قائمٍ وعمرو قاعد، معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه ثبت إشكال المسألة.

ثم إنّ الذي يوجبه النظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا، إذا قلنا: (زيد قائم وعمرو قاعد) فإنّا لا نرى هاهنا حكماً نزعمُ أنَّ الواو جاءت للجمع بين الجملتَين فيه. فإنا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أنا لا نقول: (زيد قائم وعمرو قاعد)، حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرَين والشريكَين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأوّل عناه أن يعرف حال الثاني. يدلُّك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأوّل شيئاً ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم، فلو قلت: خرجت اليوم من داري، ثم قلت: وأحسنَ الذي يقول بيت كذا، قلت: ما يضحك منه. ومن هاهنا عابوا أبا تمام في قوله:[1]

لا والذي هو عالمٌ أنّ النوى ... صبر وأن أبا الحُسَيْن كريمُ[2]

---

(١) ديوان أبي تمام ٣: ٢٩٠ من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة.

(٢) الشاهد فيه: أنّ شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة جامعة ولم نجدها في هذا البيت. انظر معاهد التنصيص ١/ ٢٧٠.

وذلك لأنَّه لا مناسبة بينَ كرم أبي الحسين ومرارةِ النوى ولا تعلُّق لأحدهما بالآخر، وليس يقتضي الحديثُ بهذا الحديثَ بذاك.

واعلم أنه كما يجب أن يكون المحدَّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدَّث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول، فلو قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر، كان خُلفاً؛ لأنّه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وإنما الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وزيد طويل القامة وعمرو قصير. وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في هذه الجملة لَفْقاً للمعنى في الأخرى ومُضامًّا له، مثل أن زيداً وعمراً إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكَي الأحوال على الجملة كانت الحال التي يكون عليها أحدهما من قيام أو قعود، أو ما شاكل ذلك مضمومةً في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك، وكذا السبيل أبداً، والمعاني في ذلك كالأشخاص، فإنما قلت مثلاً: العلم حسن والجهل قبيح؛ لأن كون العلم حسناً مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحاً.

والتفت الجرجانِيّ إلى توافق العطف بين الجملتين في الزمان وفي اتحاد الفاعل، فقال:

إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحداً، كقولنا: هو يقول ويفعل، ويضر وينفع، ويسيء ويحسن، ويأمر وينهى، ويحل ويعقد، ويأخذ ويعطي، ويبيع ويشتري، ويأكل ويشرب، وأشباه ذلك، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهوراً، وكان الأمر حينئذ صريحاً، وذلك أنك إذا قلت: هو يضر وينفع، كنت قد أفدْتَ بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعاً وجعلته يفعلهما معاً. ولو قلت: يضر ينفع، من غير واو لم يجبْ ذلك، بل قد يجوز أن

يكون قولك «ينفع» رجوعاً عن قولك «يضر» وإبطالاً له. وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصِّلة ازداد الاشتباكُ والاقترانُ، حتى لا يتصور تقدير إفراد في أحدهما عن الآخر؛ وذلك في مثل قولك: العجب من أني أحسنت وأسأت، ويكفيك ما قلت وسمعت، وأيحسنُ أنْ تنهى عن شيء وتأتِيَ مثله؟ وذلك أنّه لا يشتبه على عاقل أنَّ المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد، ومن البين في ذلك قولُه:(١)

لا تطمعوا أن تهينونا ونُكـرِمَكُمْ وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونـا

المعنى: لا تطمعوا أن تروا إكرامنا قد وُجد مع إهانتكم وجامعها في الحصول.

وممّا له مأخذٌ لطيف في هذا الباب قول أبي تمام:(٢)

لهـان علينا أنْ نقـول وتفعـلا ونذكرَ بعض الفضل منك وتفضلا

واعلمْ أنّه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصلٍ يصله ورابط يربطه ـ وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر كذلك إلى ما يصِله بالمؤكَّد ـ كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها

---

(١) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم. الأغاني ١١٩/١٦، والبيت في عيون الأخبار ٢١٣/١ في خبر لزيد بن علي مع هشام بن عبد الملك وفيه:

مهلاً بني عمّنا عن نحت أثلتنا سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
لا تجمعوا أن تهينونا ونكـرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
فالله يعلم أنا لا نحبكمُ ولا نلومكمُ ألا تحبونا

(٢) ديوان أبي تمام ٣: ٩٨ مطلع قصيدة في مدح محمد بن عبد الملك الزيّات.

بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كلُّ جملة كانت مؤكِّدة للتي قبلها ومبيِّنة لها، وكانت إذا حُصِّلتْ لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفةُ غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد، فإذا قلت: جاءني زيد الظريف، وجاءني القوم كلهم، لم يكن «الظريف» و «كلُّهم» غير زيد وغير القوم.

وإذا كان العطف في المفردات والجمل يظهر جليًّا؛ لأنّه أمر صناعي، فإنَّ اتصال الجمل من غير عطف أمر دقيق، يحتاج إلى مزيد من التفكر، لمعرفة الروابط المعنوية فيما بين الجمل، هذه الروابط التي تحقّقت أغراضها من خلال التوكيد والتعليل والإخبار والتكميل والردع وغيرها، وهنا روعة الاستئناف وأسراره.

ومثالُ ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾[1] [البقرة: ١ـ٢]

قوله: «لا ريب فيه» بيانٌ وتوكيدٌ وتحقيق لقوله: «ذلك الكتاب» وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتابُ هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتُثبِته، وليس يُثبيت الخبرَ غيرُ الخبر، ولا بشيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضامٍّ يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:٦ـ٧] قوله تعالى: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ تأكيد لقوله ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾، وقوله ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾

(١) انظر الإنصاف ١/١٢١.

تأكيد ثانٍ أبلغ من الأول؛ لأنَّ من كان حالُه إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة.[1]

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨ ـ٩] إنما قال (يخادعون) ولم يقل (ويخادعون)؛ لأنّ هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم (آمنا) من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو في معناه، وليس شيئاً سواه.[2]

وهكذا قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] وذلك لأنَّ معنى قولهم: (إنا معكم) أنا لم نؤمن بالنبي ﷺ ولم نترك اليهودية، وقولهم: (إنما نحن مستهزؤون): خبر بهذا المعنى بعينه؛ لأنّه لا فرق بين أن يقولوا: إنا لم نقلْ ما قلناه من أنا آمنا إلا استهزاء، وبين أن يقولوا: إنا لم نخرج من دينكم وإنا معكم. بل هما في حكم الشيء الواحد، فصار كأنهم قالوا: إنا معكم لم نفارقْكم، فكما لا يكون (إنا لم نفارقكم) شيئاً غير (إنا معكم) كذلك لا يكون (إنما نحنُ مستهزؤون) غيره.

ومن الواضحِ البيِّن في هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان:٧][3] لم يأت معطوفاً نحو: (وكأنَّ في أذنيه وقراً)؛ لأنَّ المقصود من التشبيه بمن في أذنيه وقر، هو بعينه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، إلا أنَّ الثاني أبلغ وآكد في

(١) انظر الكشاف ١/١٥٥، المغني ٧٧٥.

(٢) انظر الجامع لإعراب جمل القرآن ٤٨.

(٣) وقد أجازوا فيها الحالية والبدل والاستئناف، الكشاف ٣/٢٣٠، البحر ٧/١٨٤

الذي أريد، وذلك أنَّ المعنى في التشبيهين جميعاً: أن ينفيَ أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون لها تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تُليت عليه كحاله إذا لم تُتلَ، ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصحُّ منه السمع - وإن أراد ذلك - أبعدَ من أن يكون لتلاوة ما يُتلى عليه فائدةٌ مِنَ الذي يصحُّ منه السَّمْع، إلا أنه لا يسمع إمّا اتّفاقاً وإمّا قصداً إلى أن لا يسمع.

ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وذلك أن قوله: (إن هذا إلا ملك كريم) مشابك لقوله: (ما هذا بشراً) ومداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه؛ وجهان هو فيهما شبيهٌ بالتأكيد، ووجهٌ هو فيه شبيه بالصفة.

فأحد وجهي كونه شبيهاً بالتأكيد: هو أنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان إثباتُ كونه ملكاً تحقيقاً لا محالة وتأكيداً لنفي أن يكون بشراً.

والوجه الثاني: أنَّ الجاريَ في العرف والعادة أنه إذا قيل: ما هذا بشراً، وما هذا بآدميّ: - والحال حال تعظيم وتعجب مما يشاهد في الإنسان من حسن خَلقٍ أو خُلُق - أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يقال: إنه ملك وأن يكنى به عن ذلك حتى إنه يكون مفهوم اللفظ، وإذا كان مفهوماً من اللفظ قبل أن يُذكر كان ذكره إذا ذكر تأكيداً لا محالة؛ لأنَّ حدَّ التأكيد أن تحقُّق باللفظ معنىً قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك، أفلا ترى أنه إنما كان «كلهم» في قولك: جاءني القومُ كلُّهم، تأكيداً من حيث كان الذي فهم منه وهو الشمول قد فهم بديئاً من ظاهر لفظ القوم، ولو أنَّه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم، ولا كان هو مِنْ موجبه لم يكن «كل» تأكيداً ولكان الشمول مستفاداً من «كل» ابتداءً.

وأما الوجه الثالث الذي هو فيه شبيه بالصفة: فهو أنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أثبتَّ له جنسَ سواه، إذ من المحال أن يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر، وإذا كان الأمر كذلك كان إثباته ملَكاً تبييناً وتعييناً لذلك الجنس الذي أريد إدخاله فيه، وإغناءً عن أن تحتاج إلى أن تسأل فتقول: فإن لم يكن بشراً فما هُو وما جنسه؟ كما أنك إذا قلت: مررت بزيد الظريف، كان «الظريف» تبييناً وتعييناً للذي أردت من بين من له هذا الاسم، وكنت قد أغنيت المخاطب عن الحاجة إلى أن يقول: أي الزيدين أردت؟.

ومما جاء فيه الإثبات بـ(إنْ) وإلا على هذا الحد قوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩]. وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] أفلا ترى أن الإثبات في الآيتين جميعاً تأكيد وتثبيت لنفي ما نُفي، فإثبات ما عُلِّمه من النبيّ ﷺ وأُوحي إليه ذكراً وقرآناً تأكيدٌ وتثبيتٌ لنفي أن يكون قد علم الشعر، وكذلك إثبات ما يتلوه عليهم وحياً من الله تعالى: تأكيد وتقرير لنفي أن يكون نطق به عن هوىً.

واعلم أنه ما من علْم من علوم البلاغة أنت تقول: إنَّه فيه خفي غامض، ودقيق صعب، إلا وعلْمُ هذا الباب أغمض وأخفى وأدقُّ وأصعب، وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: إنَّ الكلام قد استؤنف وقُطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادةً على ذلك ولقد غفلوا غفلة شديدة.

ومن لطائف هذه الأسرار ما نجده في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] وفي سورة العنكبوت: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت:٥٨].

للسائل أن يسأل عن وجه العطف في الأولى، وقوله في الثانية: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾، غير معطوف على ما قبله. ووجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الآية الأولى لما وقع فيها ذكر الجزاء مفصّلاً، معطوفاً، فقيل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ ناسبه أن عطفت الجملة الممدوح بها الجزاء فقيل:﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾. ولما لم يفصل الجزاء في سورة العنكبوت، ولم يقع فيه عطف جاءت جملة المعطوف غير معطوفة ليناسب النظم، والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [آل عمران: ٥١] وفي سورة مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [مريم:٣٦][1]، فعطف الآية على ما قبلها بواو النسق. وفي سورة الزخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الزخرف:٦٤]، بغير حرف النسق مع زيادة الفصل بالضمير من قوله: (هو) ولم يقع ذلك في الآيتين قبل، كما لم يقع العطف في الأولى والثالثة، فانفردت كل آية من الثلاث بما وردت عليه، مع اتحاد المقصد فيما أعطته كل واحدة منها. فللسائل أن يسأل عن ذلك.

والجواب ـ والله أعلم ـ أن آيةَ مريم لما تضمنت مقالة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ، وآية كلامه في المهد، عبَّر عن حاله النبوية، وما منحه الله من الخصائص الاصطفائية، فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣٠ـ٣١]، إلى ما أعقب به هذا من الخصائص الجليلة، مستوف بعضها على بعض؛ ليتبينَ تعداد تلك النعم ـ إلى قوله ـ

---

(١) انظر ملاك التأويل لأحمد بن الزبير الغرناطي ١/١٧٦-١٧٧.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣]. فذكر ما حفظ الله عليه من كرامته في هذه الأحوال الثلاثة: البشرية وهي حال الولادة، وحال الموت، وحال البعث بعده. وهذه أحوال تتنزه الربوبية عنها، ويتعالى عن تجويزها عليه سبحانه، وإذا صحبتها السعادة لم تكن نقصاً في البشرية، إذْ بها امتيازها وهي من حيث الحيوانية الحادثة فصلها.

ثم لما كان من تمام إخبار سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ وتعريفه بما عرف به، وتكميل ما قصده بإقراره لله سبحانه بالربوبية للكل في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، وكان متصلاً بما تقدم، وكأن قد قال: إني عبد الله ومخصوص منه بكذا وكذا، ومعترف بانفراد خالقي بملك الكل، وقهرهم، وخلقهم، فهو ربهم، ومالكهم، والمعبود الحق. فلما كان الكلام من حيث معناه متصلاً، وقد ورد حين أخبر تعالى عنه بقوله عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أن كلام سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ قد تم، وانقضى، وشرع في قضية أخرى من التعريف بحقيقة أمر سيدنا عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم:٣٤ـ٣٥]. فورد هذا مورد الجُمَل التي كأنها مفصولة عما قبلها، مع الحاجة إليها، واتصال ما بعدها بما قبلها، لم يكن بُدّ من حرف النسق؛ ليحصلَ منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض، ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدمه من كلام سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فلم يكن بد من حرف النسق، لإحراز هذا الالتحام إذْ لم يكن ليحصل دون حرف النسق حصوله معه، فقيل: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، وهو حكاية قول سيدنا عيسى متصلاً من حيث معناه بقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ

وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، فالوجه عطفه عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين. فهذا وجه ورود الواو هنا، ولم يَعرِض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها، يوهم انقطاعاً فتحتاج إلى الواو. وهذا وجه دخولها في هذه الآية، والله أعلم.(١)

ومما هو أصلٌ في هذا الباب أنك ترى الجملة وحالُها مع التي قبلها حالُ ما يُعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها، مثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥] الظاهرُ كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وذلك أنه ليس بأجنبي منه بل هو نظير ما جاء معطوفاً من قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾(٢)[النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]. وما أشبه ذلك مما يُرَدُّ فيه العجز على الصدر، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف وذلك لأمر أوجب أنْ لا يُعطَف، وهو أن قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ حكاية عنهم أنهم قالوا وليس بخبرٍ من الله تعالى،(٣) وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبرٌ من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعاً؛ لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله ـ تعالى ـ معطوفاً على ما هو حكاية عنهم، ولا يُجاب ذلك

---

(١) ملاك التأويل ١/١٦١ـ١٦٣.

(٢) والآية الكريمة: «إنَّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً».

(٣) أجازوا في الجملة أن تكون تأكيداً وبدلاً وتعليلاً، انظر حاشية الشهاب ١/٣٤٤.

أن يخرج من كونه خبراً من الله تعالى إلى كونه حكاية عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون وأن الله تعالى يعاقبهم عليه.

وليس ذلك الحال في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾؛ لأن الأول من الكلامين فيهما كالثاني في أنه خبر من الله ـ تعالى ـ وليس بحكاية، وهذا هو العلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ـ١٢] إنما جاء ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ مستأنفاً مفتتحاً (بألا)؛ لأنّه خبر من الله ـ تعالى ـ بأنّهم كذلك، والذي قبله من قوله ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ حكاية عنهم فلو عُطف لَلَزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية، ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون، ولصار كأنه قيل: قالوا إنما نحن مصلحون وقالوا إنهم هم المفسدون، وذلك ما لا يُشَكّ في فساده.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] ولو عُطِفَ «إنهم هم السفهاء» على ما قبله لكان يكون قد أُدخِل في الحكاية، ولصار حديثاً منهم عن أنفسهم بأنهم هم السفهاء من بعد أن زعموا أنهم إنما تركوا أن يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء، على أنَّ في هذا أمراً آخر وهو أن قوله: «أنؤمن» استفهام ولا يعطف الخبر على الاستفهام. فإن قلت: هل كان يجوز أن يعطف قوله تعالى: «الله يستهزئ بهم» على «قالوا» من قوله: «قالوا إنا معكم»، لا على ما بعده، وكذلك كان يفعل في «إنهم هم المفسدون» و«إنهم هم السفهاء»، وكان يكون نظير قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨] وذلك أن قوله: (ولو

أنزلنا ملكاً) معطوف من غير شك على «قالوا» دون ما بعده؟ قيل: إنَّ حكمَ المعطوف على «قالوا» فيما نحن فيه مخالفٌ لحكمه في الآية التي ذكرت؛ وذلك أن «قالوا» ههنا جواب شرط فلو عُطِف قولُه «الله يستهزئ بهم» عليه للزم إدخاله في حكمه من كونه جواباً، وذلك لا يَصحّ وذاك أنه متى عطف على جواب الشرط شيء بالواو كان ذلك على ضربين:

أحدهما: أن يكونا شيئين يتصوّر وجود كل واحد منهما دون الآخر، ومثاله قولك: إن تأتني أُكْرِمْك أُعْطِك وأكْسُك.

الثاني: أن يكون المعطوف شيئاً لا يكون حتى يكون المعطوف عليه، ويكون الشرط لذلك سبباً فيه بوساطة كونه للأول، ومثاله قولك: إذا رجع الأمير إلى الدار استأذنتُه وخرجتُ، فالخروج لا يكون حتى يكون الاستئذان، وقد صار الرجوع سبباً في الخروج من أجل كونه سبباً في الاستئذان فيكون المعنى في مثل هذا على كلامين، نحو: إذا رجع الأمير استأذنتُ وإذا استأذنتُ خرجتُ.

وإذ قد عرفتَ ذلك فإنه لو عُطف قوله تعالى «الله يستهزئ بهم» على «قالوا» كما زعمت كان الذي يتصوَّر فيه أن يكون من هذا الضرب الثاني وأن يكون المعنى «وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزؤون» فإذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ومدَّهم في طُغيانهم يعمهون. وهذا، وإن كان يرى أنه يستقيم فليس هو بمستقيم؛ وذلك أنَّ الجزاءَ إنما هو على نفس الاستهزاء وفعلِهم له، وإرادتهم إيّاه في قولهم (إنّا آمنّا) لا على أنّهم حدّثوا عن أنفسهم بأنّهم مستهزؤون، والعطف على (قالوا) يقتضي أن يكون الجزاءُ على حديثهم عن أنفسهم بالاستهزاء لا عليه نفسه. ويبين ما ذكرناه من أن الجزاء ينبغي أن يكون على قصدهم الاستهزاء وفعلهم له لا على حديثهم عن أنفسهم بإنا مستهزؤون أنهم لو كانوا قالوا

لكبرائهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾، وهم يريدون بذلك دفعهم عن أنفسهم بهذا الكلام وأن يسلموا من شرِّهم وأن يوهموهم أنهم منهم، وإن لم يكونوا كذلك، لكان لا يكون عليهم مؤاخذة فيما قالوه، من حيثُ كانت المؤاخذةُ تكون على اعتقاد الاستهزاء والخديعة في إظهار الإيمان لا في القول: إنا استهزأنا، من غير أن يقترن بذلك القول اعتقادٌ ونيةٌ.

هذا، وهاهنا أمر سوى ما مضى يوجب الاستئنافَ وتركَ العطف وهو أنّ الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تحرِّكُ السامعين؛ لأنْ يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم، وأتَنْزِل بهم النقمة عاجلاً أم لا تنزل ويُمْهَلون، وتُوقعَ في أنفسهم التمنيَ لأنْ يتبين لهم ذلك. وإذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو قوله «الله يستهزئ بهم» في معنى ما صدر جواباً عن هذا المقدَّر وقوعه في أنفس السامعين، وإذا كان مصدرُه كذلك كان حقه أن يؤتى به مبتدأ غير معطوف ليكون في صورته إذا قيل: فإن سألتم، قيل لكم: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

وإذا استقريت وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام إذا جاء بعقب ما يقتضي سؤالاً منزلته إذا صرح بذلك السؤال كثيراً. فمن لطيف ذلك قوله: [(١)]

زعــم العــواذلُ أنــني في غمــرةٍ صَدقوا ولكنْ غمرتي لا تَنْجلـي

لَمّا حكى عن العواذل أنَّهم قالوا: (هو في غمرة)، وكان ذلك مما يحرّكُ السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك وما جوابُك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له وصار كأنه قال: أقولُ صدقوا أنا كما

---

(١) قال العباسي في معاهد التنصيص: ١/٢٨١: «البيت من الكامل، ولا أعرف قائله»، وانظر المغني ٥٠١.

قالوا، ولكن لا مَطمَع لهم في فلاحي، ولو قال: زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا، لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول وأن كلامه كلام مجيب. ومثله قول الآخر في الحماسة:(١)

زَعَمَ العواذلُ أنَّ ناقةَ جُندَبٍ ... بجَنوب خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأجمَّتِ
كَذَبَ العواذلُ لو رأيْن مُناخنا ... بالقادسيَّةِ قُلْنَ لجَّ وذلَّتِ

وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف، وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر، فقال: كذب العواذل، ولم يقل (كذبن)، وذلك أنه لما أعاد ذكر العواذل ظاهراً، كان ذلك أبين وأقوى؛ لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله وأتى فيه مأتى ما ليس قبله كلام. ومما هو على ذلك قول الآخر:(٢)

زَعَمْتُمْ أنَّ إخوَتَكُمْ قريشٌ ... لَهُمْ إلفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إلافُ

وذلك أن قوله: لهم إلفٌ، تكذيب لدعواهم أنهم من قريش، فهو إذن بمنزلة أن يقول: كذبتم لهم إلف وليس لكم ذلك، ولو قال: زعمتم أن إخوتكم قريش ولهم إلف وليس لكم إلاف، لصار بمنزلة أن يقول: زعمتم أنَّ إخوتكم قريش وكذبتم، في أنه كان يَخرجُ عن أن يكون موضوعاً على أنَّه جواب سائل يقول له: فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم؟.

---

(١) البيتان لجندب بن عمار كما في معاهد التنصيص: ١/٢٨١ وهما في الحماسة «المرزوقي» ١/٣٠٧ـ٣٠٨ بلا نسبة.

(٢) وهما بيتان انظر الحماسة «المرزوقي» ٣/١٤٤٩، والشاعر هو مساور بن هند ابن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي.
فارس مخضرم، أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به ويقال إنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام بخمسين عاماً. الشعر والشعراء ١/٣٤٨ـ٣٤٩، والمرزوقي: ١/٤٣٠، ومعاهد التنصيص: ١/٢٨٣ـ٢٨٤.

واعلم أنه لو أظهر (كذبتُم) لكان يجوز له أن يعطف هذا الكلام الذي هو قوله: (لهم إلف)عليه بالفاء، فيقول: (كذبتم فلهم إلف وليس لكم ذلك)، أما الآن فلا مساغ لدخول الفاء البتة؛ لأنه يصير حينئذ معطوفاً بالفاء على قوله: زعمتم أن إخوتكم قريش، وذلك يخرج إلى المحال من حيث يصير كأنه يستشهد بقوله: لهم إلف، على أن هذا الزعم كان منهم كما أنك إذا قلت: كذبتم فلهم إلف، كنت قد استشهدت بذلك على أنهم كذبوا.

ومن اللطيف في الاستئناف على معنى جعلِ الكلام جواباً في التقدير قول اليزيديّ:[1]

مَلَّكْتُـــهُ حبلـــي ولكنَّـــه ... ألقاهُ من زُهْـدٍ عَلى غـارِبي
وقالَ إنِّي في الهـوى كـاذبٌ ... انــتقمَ الله مِــنَ الكــاذبِ

استأنف قوله: انتقم الله من الكاذب؛ لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلاً قال له: فما تقول فيما اتهمك به أنك كاذب؟ فقال أقول: انتقم الله من الكاذب!.

ومن النادر أيضاً في ذلك قول الآخر:[2]

قالَ لي: كيفَ أنتَ؟ قلتُ: عليلٌ ... ســهرٌ دائــمٌ وحــزنٌ طويــلُ

لمَّا كان في العادة إذا قيل للرجل: كيف أنت؟ فقال (عليلٌ) أن يسأل ثانياً فيقال: ما بك وما علتك؟ قدَّر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله: سهر دائم، جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال.

ومن الحَسَن البيِّن في ذلك قول المتنبي:[3]

---

(١) انظر معاهد التنصيص ١/٢٧١_٢٧٢.

(٢) قال العباسي في معاهد التنصيص١/١٠٠و٢٨٠:«هو من الخفيف ولاأعرف قائله».

(٣) ديوان المتنبي «الواحدي» ٤٢٤ من قصيدة في مدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهماء وجارية، مطلعها:

أيدري الربـع أي دم أراقـا ... وأي قلوب هذا الركب شاقا.

وما عَفَتِ الرّياحُ لَـهُ مـحـلًّا ... عفـاهُ مـن حَـدا بِهِـمُ وسـاقَا

لمّا نفى أن يكون الذي يرى به من الدروس والعفاء من الرياح، وأن تكون التي فعلت ذلك وكان في العادة إذا نُفِي الفعل الموجود الحاصل عن واحد فقيل: لم يفعله فلانٌ، أن يقال: فمن فعله؟ قدَّر كأنَّ قائلاً قال: قد زعمت أن الرياح لم تعف له محلاً، فما عفاه إذن؟ فقال مجيباً له: عفاه من حدا بهم وساقا.

ومثله قول الوليد بن يزيد:[1]

عرفْـتُ المـنزلَ الخـالي ... عفـا مِـنْ بَعْـدِ أحـوالِ
عفـاهُ كـلُّ حنَّـانٍ ... عَسـوفِ الوَبْـلِ[2] هطّـالِ

لما قال (عفا من بعد أحوال)، قدر كأنه قيل له: فما عفاه؟ فقال: عفاه كل حنان.

واعلم أن السؤال إذا كان ظاهراً مذكوراً في مثل هذا، كان الأكثر أن لا يذكر الفعل في الجواب، ويقتصر على الاسم وحده، فأما مع الإضمار فلا يجوز إلا أن يذكر الفعل، تفسيرُ هذا أنه يجوز لك إذا قيل: إنْ كانت الرياح لم تعفه فما عفاه؟ أنْ تقول: (مَنْ حدا بهم وساقا)، ولا تقول: عفاه من حدا، كما تقول في جواب من يقول: من فعل هذا؟ (زيد)، ولا يجب أن تقول: فعله زيد. وأما إذا لم يكن السؤالُ مذكوراً كالذي عليه البيت فإنه لا يجوز أن يترك ذكر الفعل، فلو قلت مثلاً: وما عفت الرياحُ له محلاً من حدا بهم وساقا، تزعم أنك أردت (عفاه من حدا بهم)، ثم تركت ذكر الفعل

---

(١) البيتان في معاهد التنصيص: ١/٢٨١-٢٨٢ منسوبان للبيد، وليسا في ديوانه «تحقيق إحسان عباس»، وانظر الأغاني: ٧/٣٢.

(٢) عسوف الوبل: شديد المطر.

أحلت؛ لأنَّه إنَّما يجوز تركه حيث يكون السؤالُ مذكوراً؛ لأنَّ ذكرَه فيه يدلُّ على إرادته في الجواب فإذا لم يؤت بالسؤال لم يكن إلى العلم به سبيل.

واعلم أنَّ الذي تراه في التنزيل من لفظ (قال) مفصولاً غيرَ معطوف هذا هو التقدير فيه ـ والله أعلم ـ أعني مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ـ٢٨] جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا فما قال هو؟ ويقول المجيب: قال كذا، أخرج الكلام ذلك المخرج؛ لأنَّ الناس خُوطبوا بما يتعارفونه، وسُلِك باللفظ معهم المَسْلكُ الذي يسلكونه. وكذلك قوله «قال ألا تأكلون» وذلك أن قوله «فجاء بعجل سمين فقربه إليهم» يقتضي أن يُتْبَعَ هذا الفعل بقول، فكأنه قيل والله أعلم: فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم؟ فأتى قوله «قال ألا تأكلون» جواباً عن ذلك. وكذا «قالوا لا تخف»؛ لأنَّ قوله «فأوجس منهم خيفة» يقتضي أن يكون من الملائكة كلامٌ في تأنيسه وتسكينه مما خامره، فكأنه قيل: فما قالوا حينَ رأوه وقد تغير ودخلته الخيفة؟ فقيل: قالوا لا تخف.

وذلك ـ والله أعلم ـ المعنى في جميع ما يجيء منه على كثرته كالذي يجيء في قِصّة فرعون ـ عليه اللعنة ـ وفي ردِّ موسى ـ عليه السلام ـ كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ

﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٣١] جاء ذلك كله ـ والله أعلم ـ على تقدير السؤال والجواب، كالذي جرتْ به العادةُ فيما بين المخلوقين، فلما كان السامع منا إذا سمع الخبر عن فرعون بأنه قال: وما ربُّ العالمين؟ وقع في نفسه أن يقول: فما قال موسى له؟ أتى قوله: قال رب السماوات والأرض، مأتى الجواب مبتدأً مفصولاً غير معطوف.

وهكذا التقدير والتفسير أبداً في كل ما جاء فيه لفظُ «قال» هذا المجيء، وقد يكون الأمر في بعض ذلك أشد وضوحاً.

فممّا هو في غاية الوضوح قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٧-٥٨] وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه جاء على معنى الجواب، وعلى أن ينزّلَ السامعون كأنهم قالوا: فما قال له الملائكة، فقيل: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾.

وكذلك قوله ـ عز وجل ـ في سورة يس: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ١٣-٢١] التقديرُ الذي قدّرناه من معنى السؤال والجواب بَيِّنٌ ظاهر في ذلك كله.

وأراد الجرجانِيّ بعد هذا العرض لأحوال الجمل أن يرسِّخ ارتباطهه فيما بينها للقارئ، وأن يفصِّلَ في إيجازها فقال: وإذْ قد عرفتَ هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها، فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملةٌ حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكَّد، فلا يكون فيها العطف البتة؛ لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه. وجملةٌ حالها مع التي قبلها حالُ الاسم يكون غير الذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف. وجملةٌ ليست في شيء من الحالين بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم، لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً، وحق هذا ترك العطف البتة، فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين حالين.

ارتباط الجملة بسياقٍ كامل من النظم: قال الجرجاني:

هذا فنٌّ من القول خاصٌّ دقيق، اعلم أن مما يقل نظر الناس فيه مِن أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان. مثال ذلك قول المتنبي:[1]

---

(١) من قصيدة في مدح بدر بن عمار: ديوانه (الواحدي): ٢١٦ ومطلع القصيدة:
بقائي شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زموا لا الجمالا.

تولَّـوا بغتـةً فكـأنَّ بَيْنـاً تهيَّـبني فَفَاجـأني اغتيـالا
فكـانَ مسـيرُ عِيسِـهمُ ذميلاً وسيرُ الـدَّمْع إِثْـرَهُمُ انهمـالا

قوله: (فكان مسير عيسهم)، معطوف على (تولوا بغتة) دون ما يليه من قوله: (ففاجأني)؛ لأنّا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى من حيث إنه يدخل في معنى (كأنَّ)، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة ويكون متوهماً، كما كان تهيب البين كذلك، وهذا أصل كبير. والسبب في ذلك أنَّ الجملةَ المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيراً وبين المعطوف عليها الأولى ترتبطُ في معناها بتلك الأولى كالذي ترى أن قوله: (فكأنَّ بيناً تهيَّبني)، مرتبط بقوله: (تولوا بغتة)، وذلك أن الثانية مسبَّبٌ والأولى سَبَبٌ، ألا ترى أنَّ المعنى (تولوا بغتة فتوهمت أن بيناً تهيبني)؟ ولا شكّ أن هذا التوهم كان بسبب أن كان التولي بغتة، وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، وكان منزلتُها منها منزلة المفعول والظرف وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولاتِ الفعل مما لا يمكن إفراده على الجملة وأن يعتد كلاماً على حدته.

وهاهنا شيء آخرُ دقيق، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله: فكأن مسير عيسهم ذميلاً، وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه، ولكن تجدُ العطف قد تناول جملة البيت مربوطاً آخره بأوله، ألا ترى أنَّ الغرض من هذا الكلام أن يجعل تولّيهم بغتة، وعلى الوجه الذي تُوُهِّم من أجله أنَّ البين تهيبه مستدعياً بكاءه وموجباً أن ينهمل دمعه فلم يَعْنِه أن يذكر ذملان العيس إلا ليذكر هملان الدمع وأن يوفِّق بينهما؟. وكذلك الحكم في الأول فنحن، وإن كنا قلنا: إنَّ العطف على (تولوا بغتة)، فإنا لا نعني أن العطف عليه وحده مقطوعاً عمّا بعده، بل العطفُ عليه مضموماً إليه ما بعده إلى آخره، وإنما أردنا بقولنا: (إنَّ العطف عليه) أن نعلمَك أنَّه الأصل والقاعدة،

وأن نصرفك عن أن تطرحه وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه، فتزعم أنَّ قوله: فكان مسيرُ عيسهم، معطوف على (فاجأني) فتقع في الخطأ كالذي أريناك، فأمرُ العطف إذن موضوع على أنَّك تعطف تارة جملة على جملة، وتعمد أخرى إلى جملتين أو جُمَلٍ فتعطفُ بعضاً عَلى بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك.

وينبغي أن يُجْعَل ما يصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى أصلاً يُعتبر به، وذلك أنك ترى متى شئت جملتين قد عطفت إحداهما على الأخرى، ثم جعلنا مجموعهما شرطاً، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٢] الشرطُ كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد، ولا في واحدة دون الأخرى؛ لأنّا إن قلنا: إنَّه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزاءين، وليس معنا إلا جزاءٌ واحد. وإن قلنا إنه في واحدة منهما دون الأخرى لَزِم منه إشراكُ ما ليس بشرط في الجزم بالشرط، وذلك ما لا يخفى فسادُه. ثم إنّا نعلم من طريق المعنى أنَّ الجزاء الذي هو احتمال البهتان والإثم المبين أمرٌ يتعلق إيجابه لمجموع ما حصل من الجملتين، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفراد، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الإثم على الإطلاق، بل لرمي الإنسان البريء بخطيئة أو إثم كان من الرامي، وكذلك الحكمُ أبداً، فقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٠] لم يعلق الحكم فيه بالهجرة على الانفراد، بل بها مقروناً إليها أن يدركه الموت عليها.

واعلم أنَّ سبيل الجملتين في هذا وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة، سبيل الجزأين تعقد منهما الجملةُ ثم يُجعل المجموعُ خبراً أو صفة أو حالاً، كقولك: زيدٌ قام غلامه، وزيدٌ أبوه كريم، ومررت برجل أبوه كريم، وجاءني زيد يعدو به فرسه، فكما يكون الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع الجزأين لا في أحدهما، كذلك يكون الشرطُ في مجموع الجملتين لا في إحداهما، وإذا علمت ذلك في الشرط فاحتذه في العطف فإنك تجده مثله سواء.

ومما لا يكون العطف فيه إلا على هذا الحد قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٤-٤٥] لو جريْتَ على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منع منه المعنى؛ وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» معطوفاً على قوله «فتطاول عليهم العمر» وذلك يقتضي دخوله في معنى «لكنَّ»، ويصير كأنه قيل: ولكنك ما كنت ثاوياً، وذلك مالا يخفى فساده. وإذا كان كذلك بان منه أنه ينبغي أن يكون قد عطف مجموع «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» إلى قوله «مرسلين» على مجموع قوله «وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر» إلى قوله«العمر».

فإن قلت: فهلاّ قدرت أن يكون «وما كنت ثاوياً في أهل مدين» معطوفاً على «وما كنت من الشاهدين» دون أن تزعمَ أنه معطوف عليه مضموماً إليه ما بعده إلى قوله «العمر»؟ قيل: لأنا إن قدَّرنا ذلك وجب أن يُنوى به التقديمُ على قوله «ولكنّا أنشأنا قروناً» وأن يكون الترتيب: وما

كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر، وما كنت من الشاهدين، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا، ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر، ولكنا كنا مرسلين، وفي ذلك إزالة (لكنّ) عن موضعها الذي ينبغي أن تكون فيه؛ ذاك لأنَّ سبيل (لكنّ) سبيلُ (إلا)، فكما لا يجوز أن تقول: جاءني القوم وخرج أصحابُك إلا زيداً وإلا عمراً، بجعل (إلا زيداً) استثناءً من جاءني القوم و«إلا عمراً» من خرج أصحابك. كذلك لا يجوز أن تصنعَ مثل ذلك بـ (لكنَّ) فتقول: ما جاءني زيد وما خرج عمرو ولكنَّ بكراً حاضر ولكن أخاك خارجٌ، فإذا لم يجز ذلك وكان تقديرك الذي زعمتَ يؤدي إليه وجب أن تحكمَ بامتناعه.

هذا وإنَّما تجوز نية التأخير في شيء معناه يقتضي له ذلك التأخير مثل أن كون الاسم مفعولاً يقتضي له أن يكون بعد الفاعل، فإذا قُدِّمَ على الفاعل نُوِيَ به التأخير ومعنى (لكنّ) في الآية يقتضي أن تكون في موضعها الذي هي فيه، فكيف يجوز أن ينوى بها التأخير عنه إلى موضعٍ آخر؟.

** ** **



الفصل السادس

مسائل وتوجيهات
في رحاب جمل الاستئناف

يقول النّحويون وأرباب البلاغة: إنَّ الأحكامَ المتعلّقةَ بالكلام لا تتحقّقُ إلاَّ بالجملة المفيدة، والجملُ المفيدة أنواع في صناعة الإعراب والبيان، متى ارتقى الباحثُ في دراستها بدقّةٍ لا يقنَعُ من هذه الدراسة بنُتَفٍ قليلةٍ مُبَعْثَرةٍ. بل يطلبُ التفصيل والتمحيص؛ لنيل بلاغتها وإدراك أسرارها، وتقريب أصولها وفروعها، وفيما يختلط على الدارس من مسائلها وتوجيهاتها.

ولدى التعمُّق في توجيه المُشْكِلِ مِنَ الأعاريب، في مجال القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر العربي نتلمَّسُ حَلْقةً مفقودةً، هي المجالُ الميسَّرُ لحلِّ هذا المُشْكِلِ، وتذليل الصَّعب منه، تظهر في الجمل الاستئنافيّة، ولا نكاد نعثرُ عليها في بابٍ مستقلٍّ من أبواب النحو، ولا فصلٍ خاصٍّ أُفرِدَ لعرض هذه المسألة. وكلُّها من المسائل المهمّة التي تستحقُّ مزيداً من الدراسة والبحث والنقد؛ ليعرفَ الدارسون للنحو العربي أنَّ كثيراً من ما يُنتَقَدُ به هذا النحو إنما مرجعُه عدمُ فهم البنية العميقة للكلام العربِيِّ البليغ، وهو ما أبرزته الجملة الاستئنافية في هذا المجال، حين أضاءت دقّة النظم وحسن التأليف وبراعة النسج، ورفعت اللبس، وأزالت الإشكال الذي يقع للمعربين. وكلُّ ذلك لا يخفى على أهل البلاغة، لذلك سيعرض هذا البحث للقارئ إيضاح كثيرٍ من مشكلات الإعراب المتعلقة بالجمل، وتبيين مبهماتِ مسائلَ تستعصي على كثيرٍ من المعربين، ممّا جعلهم يطلقون أعاريب غيرَ سديدةٍ، ويوجهون الكلام توجيهاً غير مستقيم.

ومن أبرز هذه المسائل والتوجيهات:

١ـ مسألة التعليل بالجملة وبالمصدر المؤوَّل.

٢ـ مسألة ارتباط لام التبيين بجملةٍ استئنافية مقدَّرة.

٣ـ توجيه أصل تركيب: (مرحباً بك).

٤ـ توجيه حول إعراب الحروف المقطّعة ومعناها.

٥ـ توجيه إعراب: (ها أنا ذا أفعلُ).

٦ـ توجيه تأخير الفاعل المحصور بـ(إلاّ) وجوباً.

٧ـ توجيه إعراب جملة الاستفهام بـ(كيف) وما بعدها.

٨ـ مسألة بين الاستئناف والاستثناء.

٩ـ توجيه إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

١٠ـ توجيه عمل اسم التفضيل.

١١ـ مسألة التعجّب: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ [القصص: ٨٢].

١٢ـ توجيه مواقع الجملة المبدوءة بـ(وقد)..

١٣ـ مسألة قطع الصفة وما يدور في فلكها.

١٤ـ مسألة النداء المستأنف.

١٥ـ مسألة القسم المستأنف.

١٦ـ توجيه الواو في أسلوب: ولات..

١٧ـ مسألة في قولهم: ما أغفلَه عنك شيئاً.

١٨ـ توجيه حديث: «يتعاقبون فيكم ملائكة»..

١٩ ـ مسألة: الظرف لا يكون مؤكداً.

٢٠ـ أقوال المعربين في: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ [يونس: ٨١].

٢١ـ مسألة في إعراب (حقاً) من قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

٢٢ـ مسألة المصدر المؤكد لجملة سابقة.

٢٣ـ مسألة: الاستئناف وتعليق الظرف.

٢٤ـ مسألة في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤].

٢٥ـ الاستئناف بعد الحروف المقطعة.

٢٦ـ الاستئناف المعترض.

٢٧ـ مسألة: من خفايا الاستئناف.

٢٨ـ الجملة بعد بلى ونعم.

٢٩ـ مسألة خلافية بين الحال والدعاء.

٣٠ـ مسألة: القول في رافع الخبر بعد (إنَّ) المؤكدة.

٣١ـ مسألة (أيّ) الموصولية بين البناء والإعراب.

٣٢ـ مسألة بين (إن) النافية والشرطية.

٣٣ـ الاستئناف للاختصار.

** ** **

١- التعليل بالجملة وبالمصدر المؤوَّل

في العربية أسلوبان بارزان من أساليب التعليل، هما التعليل بالجملة الاستئنافية المبدوءة بـ(إنَّ) المكسورة، والتعليل بالمصدر المؤوَّل (أنَّ) وما يرتبط به من حرف من حروف التعليل: الباء، والفاء واللام، ولكلٍّ من التّعليلين توجيهاتٌ معيَّنةٌ عند المعربين.

قال الخليل فيما روى عنه الليث: (إنَّ) الثقيلةُ تكونُ منصوبةَ الألف، وتكون مكسورةَ الألف، وهي التي تنصِب الأسماء، قال: وإذا كانت مبتدأةً ليس قبلها شيءٌ يُعتمد عليه، أو كانت مستأنفةً بعد كلام قديم ومضى كسرت الألف[١].

ومن هذا التوجيه نجد تخريجات المعربين لكثيرٍ من الشواهد منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

قرئت الآية بفتح (أنّها)، وهذا المصدر مرتبط بالفعل (يشعركم)، ولا وقف تامًّا هاهنا، والكلام جملة واحدة، والتقدير: إنما الآيات التي يقترحونها عند الله؛ لأنَّها إذا جاءت لا يؤمنون.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب بكسر همزة (إنَّ)، وهي قراءة واضحة؛ لأنَّ معناها الاستئناف، وهو إخبار بعدم إيمان من طُبع على قلبه، ولو جاءتهم كلُّ آية. قال المرادي: استئناف مَسُوقٌ لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين، وتكذيب للمشركين في حَلِفِهم[٢].

---

(١) لسان العرب: أنن ١/١٥٥.

(٢) الجنى الداني ٤١٨، الدر المصون ٥/١٠٥، حاشية الشهاب ٤/١١٣.

قال أبو حيان: وعلى هذا فقد تمَّ الكلام عند قوله (وما يشعركم)، والخطابُ للمؤمنين أو للكفّار[1].

وثمّة شواهد واسعة ورد فيها التعليل بالوجهين، وقد رُجّح أحدُهما لغرضٍ معنوي، من شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]. إنما كسرت الهمزة؛ لأنّه أراد الإعلام بحاله، وهذا أبلغ من الفتح؛ لأنه إذا فتح الهمزة صار التقدير: لا تتبعوا خطوات الشيطان؛ لأنه لكم عدوٌّ، واتّباعُه ممنوع، وإن لم يكن عدواً لنا[2].

ومثله: (لبَّيك إنَّ الحمدَ لك) كسر الهمزة أجود؛ لدلالة الكسر على استحقاقه الحمد في كل حال، ومنه قول الشاعر:

ذريني إنَّ حكمك لن يُطاعا ... وما ألفيتني حِلْمي مُضَاعا

الخطاب في (ذريني) لامرأته، أي: اتركيني وَدَعيني، وجملة (إنَّ حكمك لن يطاعا) مستأنفة للتعليل، وروى سيبويه: إنَّ أمرَكِ، وهو بمعناه[3].

وجملة (وما ألفيتني) معطوفة على الجملة المستأنفة.

قال البغدادي: بكسر الهمزة على الاستئناف، وبفتحها ـ وهو مفعول من أجله ـ وقد تكون (إنَّ) مكسورة وفيها معنى المفعول من أجله، كقوله عزَّ وجل: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٢ـ١٣] وجاز ذلك؛ لأنَّ (إنَّ) داخلة على الجمل، والجملة قد يكون فيها معنى العلة والسبب موجوداً. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠

---

(١) الكشاف ٢/٣٤، البحر المحيط ٤/٢٠٢، اللامات ١٣٧، لسان العرب (أنن) ١/١٥٨، النشر ٢/٢٦، شرح المفصّل ٨/٧٨، معاني القرآن للفراء ١/٣٥٠.

(٢) إملاء ما منَّ به الرحمن ١/٧٦.

(٣) الكتاب ١/١٥٦، الخزانة ٢/٣٦٨.

﴿رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ألا ترى أنّ المعنى: ولأنّ هذه أمتكم، ولكوني ربكم فاتقون[1].

مسألة: في الأساليب البلاغية المعتمدة على تعبير (هذا وإنّي)، (ذلكم وإنّ) يجوز فتح همزة (إنّ) على أنها معطوفة على السابق، ويجوز الكسر فتكون الجملة محتملة للعطف والاستئناف، نحو: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢ـ١٥٣].

قرئ بفتح الهمزة وكسرها في (وأنّ)، وجه الكسر على الاستئناف. ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال: ١٤].

قرئت الآية بفتح (إنّ) وكسرها، ووجه الكسر على الاستئناف أيضاً.

وقرئ بالكسر لا غير من أجل لام الابتداء في قوله تعالى:

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٩].

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٥٥].

مسألة: إذا تقدّم (إنّ) مفرد وجملة جاز فتح الهمزة عطفاً على المفرد وكسرها عطفاً على الجملة، أو على الاستئناف، وقد قرئ بالفتح والكسر في بعض الآيات منها:

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١] جملة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر الهمزة استئناف إخباري، فيه وَعْدٌ من الله للمؤمنين بالثواب العظيم على جهادهم.

---

(١) الخزانة ١٨٩/٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ـ ١١٩]. قرئ بكسر همزة (إنك) على الاستئناف الإخباري الثابت له على كل حال.

مسألة: جاءت الجملة الاستئنافية للتعليل لما دلَّ عليه الاستثناء، مقترنةً (بالفاء وإنَّ) في شواهدَ عديدةَ منها:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١١].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٦٠ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٠ـ١٦٢].

قال أبو السعود: تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦].

جملة (فإنهم غير ملومين) تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن، أي: فإنهم غير ملومين على عدم حفظها منهن.

* * *

٢ـ ارتباط لام التبيين بجملة استئنافية مقدّرة:

من اللامات العديدة في كلام العرب لام سماها النّحويون لامَ التّبيين، وقد أفرد الزّجاجيُّ باباً في كتابه (اللامات)[١]، وفصّل ابن هشام القول فيها في (المغني) وقال: إنهم لم يوفّوها حقها من الشرح[٢].

هذه اللام هي التي نجدها في تعبيرات التحية والدعاء مثل: (سقياً لك)، (تبًّا للأعداء).

قال الزجاجي: لام التبيين تُلحَق بعد المصادر المنصوبة بأفعال مخزولة مُضمرة؛ لتبين مَنِ المدعوُّ له بها، وذلك قولك: سقياً، ورعياً، ورُحباً، ونعمةً، ومسرَّةً، وخيبةً، ودفراً، وسُحقاً، وبعداً.

ثم نقل رأي سيبويه في أنَّ هذه المصادر منصوبة على إضمار الفعل المختزل، استغناء عنه بها، والأصل: سقاك الله سقياً، ورعاك الله رعياً، وخيّبه خيبةً، وما أشبه ذلك، وإنما اختُزل الفعلُ؛ لأنهم جعلوا المصدر بدلاً منه، ثم تلحق لام التبيين، فيقال: سقياً لزيدٍ، ورعياً له، وتبًّا للأعداء، ونكراً لهم؛ لأنَّه لولا هذه اللام لم يُعلَمْ من المدعوُّ له بشيء من هذا، أو المدعوّ عليه.

وشاهد هذه التعابير أنَّ حرف الجر (اللام) يتعلق بمحذوف، هو جملة استئنافية. قال ابن هشام في توضيح اللام المبيِّنة: والتبيين على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يبين المفعول منَ الفاعل، وهذه اللام تتعلق بمذكور، وضابطها: أن تقع بعد فعل تعجب أو اسم تفضيل مُفْهِمَيْن حباً أو بغضاً، تقول ما أحبَّني، وما أبغضني، فإن قلت: (لفلان) فأنت فاعل الحب والبغض وهو مفعولهما، وإن قلت (إلى فلان) فالأمر بالعكس.

---

(١) اللامات ١٢٢ ـ ١٢٥.

(٢) مغني اللبيب ٢٩١.

الثاني والثالث: ما يبيّن فاعلية غير ملتبسة بمفعولية، وما يبين مفعولية غير ملتبسة بفاعلية، ومصحوب كلٍّ منهما إمّا غير معلوم مما قبلها، أو معلوم لكنْ **استؤنف بيانه تقويةً للبيان وتوكيداً له**، واللام في ذلك كلّه متعلقة بمحذوف، أي: واقعة جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: لمن تريد؟[1]

ثم أورد الأمثلة السابقة وأكّد أن اللام إنما هي مبيّنة للمدعو له، أو عليه إن لم يكن معلوماً من سياقٍ أو غيره، أو مؤكدة للبيان إن كان معلوماً.

وفي توجيه الحديث النبوي: (لَلّهُ أقدرُ عليكَ منْه عليه) يرتبط الجارّ (عليه) بجملة استئنافية، جاءت جواباً لسؤال مقدّر، على سبيل البيان، كأنّه لما قيل: لَلّهُ أقدَرُ عليك منك، قيل: قدرتُك على مَنْ؟ قيل: عليه.

ونظّر السيوطي ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. قال الزمخشري في الكشّاف: (معه) لا يخلو إمّا أن يتعلّق بـ (بلغ)، أو بـ (السعي)، أو بمحذوف، ولا يصحّ تعلّقه بـ (بلغ)؛ لاقتضائه بلوغَهما معاً حدّ السعي، ولا بالسعي؛ لأنّ صلة المصدر لا تتقدّم عليه، فبقي أن يكون بياناً؛ كأنه لما قال: فلمّا بلغ السعي، أي: الحدّ الذي يقدر فيه على السعي، قيل: مَعَ مَنْ؟ فقال: مع أبيه[2].

وتقدير الجملة الاستئنافية له توجيهان:

أحدهما: قدَّر ابن عصفور الجملة فعلية، أي: أعني، ومثله قوله تعالى: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف:٣١]، قرئ بالتنوين، كأنه قال: (براءةً)، ثم قال: لله؛ لبيان من يبرأ وينزه.

الثاني: قدّر ابن هشام الجملة اسمية، أي: إرادتي لزيدٍ.

---

(١) معني اللبيب ٢٩٢، حاشية الدسوقي ١/٢٢٢.

(٢) انظر الكشاف ٣/٣٤٧، عقود الزبرجد ٢/٢٠٥.

وقاس سيبويه الاستئناف بسقياً لك بـ (مرحباً بك)، فقال: ومجرى هذه اللام في التبيين هاهنا مجرى (بك) التي تقع بعد قولك: مرحباً بك؛ لأنَّها تكون للبيان هناك بمنزلة اللام هاهنا؛ فهما تجريان في التبيين مجرىً واحداً[(١)].

قال أبو حيّان في ارتشاف الضَّرَب:

وإذا قلت: (سقياً لك) دلَّ على المختصّ بالسّقي، وفسَّروا ذلك بأنَّ المعنى: لك أعني، فجعلوه كلامين[(٢)].

من شواهد هذه الجملة قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١١]. (لأصحاب السعير) متعلق بجملة مستأنفة مقدَّرة[(٣)].

واختلف في قوله تعالى: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، فقيل: فاعل (هيهات) ضمير مستتر راجع إلى البعث أو الإخراج، واللام للتبيين، أي: لتأكيد التبيين لفاعل البعد، والتقدير: إرادتي كائنة لما توعدون، والجملة الاسمية استئنافية، وقدّر الفارسي: بَعُدَ إخراجكم لما توعدون، أي: لوعدكم[(٤)].

وكذلك في: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣].

(هيتَ): اسم فعل مُسمَّاه فعل أمر، بمعنى: أقبلْ وتعالَ، فاللام للتبيين، أي: لتأكيده؛ لأنَّ فاعل الأمر معلوم؛ لأنه ضمير مخاطب، والتقدير:

---

(١) الكتاب ١/٢٩٥ الكشاف ٢/٣٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٨، الأشباه والنظائر ٢/١٦ (حاشية ٥).

(٢) ارتشاف الضَّرَب ٢/٢٠٨، شرح الكافية ١/١١٧.

(٣) اللامات ١٢٣.

(٤) مغني اللبيب ٢٩٣، البحر المحيط ٦/٤٠٤، القرطبي ١٢/١٢٢، المحتسب ٢/٩٢ـ٩٣، المقتضب ٣/١٨٢، معاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج ٤/١٢ـ١٣، حاشية الشهاب ٦/٣٣٠.

إرادتي لك، وليست متعلقة بهيت، ولا بأقبل؛ لأنَّ كلاً منهما لازم لا يتعدَّى لا بنفسه ولا بالحرف.

وأما من قرأ: هِئْتُ لك، فاللام للتبيين، مثلها مع اسم الفعل، ومعنى تهيئه: تيسّر انفرادها به، لا أنه قصدها، بدليل: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ [يوسف٢٣][(١)].

٣ـ أصل التركيب: (مرحباً بك)، و(أهلاً بفلان)

أعرب أغلبُ النحويين (مرحباً) مصدراً حذف فعله وجوباً؛ لكثرة استعمالهم إيَّاه.

قال الرضي: نحو (مرحباً بك) ، و(أهلاً بفلان)، أي: هذا الدعاء مختصٌّ بك، هذا إن فسّرت (مرحباً) بموضع الرحب، أتيتَ موضعاً رحيباً. وإن فسّرته بالمصدر، أي: رَحُبَ موضعك مرحباً، أي: رحباً، فهو من هذا الباب، والجملة المفسِّرة المحذوفة المبتدأ لا محل لها لأنها مستأنفة[(٢)].

وقال سيبويه في توضيح الجملة الاستئنافية المقدّرة: أنت عندي ممّن يقال له هذا «أي: وبك أهلاً» وإنما جئتَ بـ (بكَ) لتبيّن مَنْ تعني بعد ما قلت: مرحباً، كما قلت: (لك)، بعد (سقياً)[(٣)].

مما ورد في البيان القرآني قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ [ص:٥٩] وقوله: ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ [ص:٦٠]. والجار والمجرور بيان للمدعو عليه[(٤)].

---

(١) انظر مغني اللبيب ٢٩٣، النشر ٢/٢٩٥، شرح الكافية ٢/٩٦، اللباب للعكبري ٢/٩١، الإتحاف ٢٦٣.

(٢) شرح الكافية ١/١١٧.

(٣) الكتاب ١/٢٩٥.

(٤) الدر المصون ٩/٣٩٢.

٤ ـ توجيه إعراب الحروف المقطعة ومعناها:

تناول المفسرون الحروفَ المقطّعة بتفصيلٍ واسع، واستثمر ذلك المعربون، فذكروا في مجال الجمل الاستئنافية أنّه إذا فسّرت الحروف المقطعة بمعنىً ما فالوقف عليها تام، وما بعدها جملة استئنافية إخبارية.

مثال ذلك قوله تعالى في مفتتح سورة الأعراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١ـ٢].

الوقف على (المص) تام، على قول ابن عباس؛ لأنَّ معناه عنده: أنا الله أعلمُ وأفصّلُ، وما بعده يرتفع بمضمرٍ، بتقدير: هذا كتاب»[١]، فالجملة استئنافية للإخبار بأهميّة القرآن الكريم...

ومثله قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١ـ٢].

الوقف على (ألم) تامّ، والمعنى: أنا الله أعلم، قال أبو عمرو الدّاني: وذلك الاختيار[٢]، فالجملة الاسمية بعده استئنافية إخبارية، وهو مذهب ابن كيسان النّحوي، رواه عن قتادة[٣].

هذا، وإنَّ للآية تأويلاً آخر، إذا جعلت الحروف المقطعة اسماً للسورة، والتقدير: اقرأ ألم، والوقف تام أيضاً، وما بعده جملة استئنافية.

وقالوا: إن الحروف المقطعة هي فواتح السور؛ للتنبيه والاستئناف؛ ليُعْلَم أن الكلام الأوّل قد انقضى.

تنبيه: المتعمد عند المعربين أنَّ أوّل الكلام ومفتتحه جملة ابتدائية، فقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: جملة ابتدائية لا

---

(١) المكتفى ٢٦٥، الجامع لأحكام القرآن ١/١٥٥.

(٢) المكتفى ١٥٨، غرائب التفسير ١/١٠٩.

(٣) القطع والائتناف ١١١.

محلَّ لها من الإعراب، وهي عند أرباب البلاغة: جملة خبريّة، قُصِدَ بها الثناءُ على الله ـ تعالى ـ بمضمونها على أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقّ لأن يحمدوه.

وقد جعلَ الجلالُ المحلّي هذه الجملة في محل نصب على الحكاية، فقال: يقدّر في أوّلها: قولوا؛ ليكونَ ما قبل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، مناسباً له بكونها من مقول العباد، أي: الفاتحة كلها. ومحصله أن ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لما كان من مقول العباد، احتيج إلى تقدير: قولوا فيما قبله.. ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر الآيات الأربع ثناء على الله، فيكون بعضها الأول من مقول الله، وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه، فيكون من مقوله هو، وذلك صحيح في حدّ ذاته، لكن التناسب أبلغ[1].

٥ ـ توجيه إعراب: (ها أنا ذا أفعل):

قال السيرافي: إنما يقول القائل: ها أنا ذا، إذا طُلِب رجلٌ لم يُدرَ أحاضرٌ هو أم غائب، فقال المطلوب: ها أنا ذا، أي: الحاضرُ عندك أنا، وإنما يقع جواباً، ويقول القائل: أين من يقوم بالأمر؟ فيقول له الآخر: ها أنا ذا، أو ها أنت ذا، أي: أنا في الموضع الذي التمستَ فيه مَنِ التمستَ، أو أنت في ذلك الموضع.

ولو ابتدأ الإنسان على غير هذا الذي ذكرناه، فقال: هذا أنت، وهذا أنا، يريد أن يعرّفه نفسه، كان محالاً، لأنّه إذا أشار له إلى نفسه فالإخبار

---

(١) انظر حاشية الصاوي ٥٢٣/٦، غرائب التفسير ٩٧/١، البحر المحيط ١٩/١.

عنه بأنت لا فائدة فيه، لأنك إنما تُعلِمُه أنه ليس غيره، ولو قلت: ما زيد غير زيدٍ لكان لغواً لا فائدة فيه[1].

قال الرّضي: ليس المراد بقولك: (ها أنا ذا أفعلُ) أن تُعرِّفَ المخاطَبَ نفسك، وأن تعلمَه أنك لست غيرك؛ لأنَّ هذا محال، بل المعنى فيه وفي: ها أنت ذا تقول، وها هو ذا يفعل: استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب، كأنَّ معنى: (ها أنت ذا تقول)، و(ها أنت يضربك زيد): أنت هذا الذي أرى لا من كنّا نتوقّع منه أن لا يقع منه أو عليه مثل هذا الغريب، ثم بيّنت بقولك: تقول وقولك: يضربك زيد الذي استغربته ولم نتوقّعه، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران:١١٩] فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال المستغربة، ولا محل لها إذ هي مستأنفة.

وقال البصريون هي في محل النصب على الحال، أي: ها أنت ذا قائلاً، قالوا والحال ها هنا لازمة؛ لأنَّ الفائدة معقودة به، والعامل فيه حرف التنبيه، أو اسم الإشارة، قال الرضي: ولا أرى للحال فيه معنى؛ إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك كذا[2].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦]. أنتم: مبتدأ، هؤلاء: خبره.

والجملة من قوله (حاجحتم) مستأنفة مبيّنة للجملة الأولى، يعني: أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم وقلّة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم بما نطق به التوراة والإنجيل، فلم تحاجّون فيما ليس لكم

---

(١) الكتاب ٢/٣٥٣ (حاشية ٤).

(٢) شرح الكافية ٢/٣٨٠ـ٢٨١، ارتشاف الضَّرَب ١/٥٠٧.

به علم؟ ذكره الزمخشري.

وجوَّز المعرّبون أن تكون الجملة حالية، يدل على ذلك عندهم تصريح العرب بإبقاء الحال موقعها من قولهم: هاأنذا قائماً، ثم هذه الحال عندهم من الأحوال اللازمة التي لا يستغني الكلام عنها[1].

٦ـ توجيه: تأخير الفاعل المحصور بـ (إلاّ)

من أصول صنعة النحويين تأخير الفاعل المحصور بإلاّ وجوباً، وقد يتقدَّم المحصور على غير المحصور إذا ظهر المحصور من غيره، ومثاله: ما ضرب إلا عمروٌ زيداً ومنه قوله:

فلم يَدْرِ إلاّ اللهُ ما هَيَّجَتْ لنا ... عَشيَّةَ آناء الديار وشامها[2]

قال ابن عصفور: على إضمار فعل، أي: درى ما هيجت لنا[3].

قال العيني: (ما هيجت) جملة في محل النصب على المفعولية، وكلمة (ما) موصولة، وتقدير الكلام: درى ما هيجته لنا، وإنما احتيج إلى تأويله بهذا؛ لأنّه يناقض في الظاهر ما ذكر من أنَّ الفاعل إذا كان مقروناً بـ (إلاّ) لزم تقديم المفعول عليه، ألا ترى أنَّ الظاهر في البيت أن يكون (ما هيجت) مفعول بـ (لم يدر)، مع أنه مؤخر عن الفاعل، وعلى ذلك حمله الكسائي، فلما كان الظاهر فيه ذلك، احتيج إلى أن يؤول بأن يكون (ما هيجت) مفعولاً بفعل مضمر، يدل عليه الفعل الظاهر[4].

---

(١) انظر الكشاف ١/٤٣٦، الدر المصون ٣/٢٤١، حاشية الخفاجي ٣/٣٤ـ٣٥.

(٢) أوضح المسالك ١/٣٦٩.

(٣) المقرّب: ١/٥٥.

(٤) المقاصد النحوية ٢/٤٩٤.

وتوجيه أكثر البصريين والفراء وابن الأنباري أنّه لا يخلو إما أن يكون المحصور بها فاعلاً أو مفعولاً؛ فإن كان فاعلاً امتنع تقديمه؛ فلا يجوز: ما ضرب إلا زيدٌ عمراً، وأمّا قوله: فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا، فأُوِّل على أن (ما هيجت) مفعول بفعل محذوف، والتقدير: درى ما هيّجت لنا. فلم يتقدم الفاعل المحصور على المفعول؛ لأنَّ هذا ليس مفعولاً للفعل المذكور، إنما هو **قطع واستئناف**[1].

٧ـ توجيه إعراب جملة (كيف) وما بعدها

كيف: اسم معناه الاستفهام، لا يعمل فيه ما قبله، وقد يرتبط بالواو والفاء الاستئنافيتين، فتكون الجملة استئنافية غيرَ مرتبطةٍ بكلام سابق، أي: لا تكون بدلاً، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، ولا تكون واقعة موقع المفعول، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، ولا موقع الفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، وغيرها.

ومن الشواهد التي حقَّقَت مجيء الجملة استئنافية قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦].

(كيف يشاء) لا محلَّ لها من الإعراب، وإن كانت متعلقة بما قبلها في المعنى، فتعلقها كتعلق (إن فعلت) بقوله: (أنت ظالم)، وتفرّد الحوفي فأعرب الجملة في محل نصب على المصدر، وتوجيه المعنى على هذا الإعراب هو: يصوركم تصوير المشيئة، أو تصويراً بديعاً، جلَّ جلاله وقدرته[2].

---

(١) شرح ابن عقيل ١/٤٩٢، تخليص الشواهد ٤٨٧.

(٢) انظر البحر المحيط ٢/٣٨٠، الدر المصون ٣/٢٤ـ٢٥.

ومنه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦].

جملة الاستفهام استئنافية، خرجت مخرج التعجب والإنكار، قال الرازي: إنه تعالى استعظم كفر القوم من حيث إنه حصل بعد خصال ثلاث: أحدها: بعد الإيمان، والثاني: بعد شهادة كون الرسول حقاً، والثالث: بهد مجيء البيّنات[١].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

جملة (كيف تحكمون) مستأنفة، استفهام آخر فيه التعجب والإنكار.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: ٣٢].

جملة (فكيف كان عقاب) استئناف التوبيخ، والوقف الحسن على أخذتهم[٢].

ومن شواهد ذلك قوله تعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ﴾ [آل عمران: ١٠١].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: ٦٢].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤].

---

(١) تفسير الرازي ٥/٢٠٠، وانظر الكشاف ١/٤٤٢.

(٢) منار الهدى ١٣٠.

٨ ـ مسألة بين الاستئناف والاستثناء:

قد يختلط الاستئناف بالاستثناء، ولا يُوضّح ذلك إلا تلمُّسُ المعنى الدقيق لأداة الاستثناء، وارتباطها بكلامٍ سابقٍ، أو استقلالها بكلامٍ مستأنف، من ذلك (حاشا) حرف من حروف الاستثناء، مثل: عدا وخلا، خفضوا بحاشى كما خفض بهما؛ لأنّهما جُعلا حرفين، وإن كانا في الأصل فعلين. وقد ترد فعلاً متعدياً متصرّفاً، تقول: حاشيته، بمعنى: استثنيته، جاء في مسند أبي أميّة الطرسوسي عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أسامة أحبُّ الناس إليَّ ما حاشا فاطمةَ».

وتوهَّمَ النُّحاة أن قوله: (ما حاشا فاطمةَ) من كلام النبي ﷺ، فجعلوا (حاشا) استثنائية، واستدلوا به على أنَّ (حاشا) الاستثنائية يجوز أن تدخل عليها (ما)، وذلك غير متعيّن، بل يجوز أن يكون هذا الكلام من كلام الرّاوي. والجملة (ما حاشا فاطمة) استئنافية، إخبار من الراوي أن يبيّن أنّه عليه الصلاة والسلام لم يستثنِ أحداً من أهل بيته، لا فاطمة ولا غيرها، وتفصيل إعرابها: ما: نافية، حاشى: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو، يعود إلى النبي، وفاطمة: مفعول به.

وليست (حاشا) هذه هي الاستثنائية، بل هي فعل متصرف تام[(١)].

قال الأزهري: واستدل له ابن مالك بقوله ﷺ: أسامة أحبُّ الناس إليَّ ما حاشى فاطمة، بناءً على أن (ما حاشى فاطمة) من الحديث، وليس بمدْرَجٍ، وردّه في المغني بأن (ما) نافية لا مصدرية، والمعنى أنه عليه

---

(١) شرح ابن عقيل ١/٦٤٠ (حاشية ٤)، الأشباه والنظائر ٢/١٧ (حاشية٢)، الجنى الداني ٥٦٥، حاشية الصبان ٢/١٦٥، المنصف ١/٢٥٠، المغني ١٦٤.

الصلاة والسلام لم يستثنِ فاطمة، وأنَّ (ما حاشا فاطمة) مدرج من كلام الراوي، ويؤيّده أن في معجم الطبراني: ما حاشى فاطمة ولا غيرها[1].

٩ ـ توجيه:

في إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] **توجيهات متعدّدة منها:**

أن (سواءٌ) خبر مقدّم، والجملة (أأنذرتهم) مبتدأ. وأجيز أن تكون (سواء) خبرَ إنَّ، وجملة (أأنذرتهم) فاعل للمصدر سواء. كما أُجيزَ أن يكون (سواء) مبتدأ و(أأنذرتهم) في قوة التأويل بمفرد وهو الخبر، والتقدير: سواء عليهم الإنذار وعدمه.. وهذه الأعاريب هي المشهورة عند المعربين؛ كأبي حيّان والزمخشريّ والسمين الحلبي وابن هشام، ومن بعدهم.

قال الرضي: والذي يظهر لي أنَّ (سواء) في مثله خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الأمران سواءٌ عليَّ، ثم بيّن الأمرين بقوله: أقمت أم قعدت؟ وهذا كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦]، أي: الأمران سواء[2].

١٠ـ توجيه عمل اسم التفضيل:

في حديث النُّحاة عن عمل اسم التفضيل ذكروا أنه لا يَرفع الاسم الظاهر، وهو القياس، وكذلك لا ينصب المفعول، قال أبو حيَّان:

---

(١) انظر حاشية الدسوقي ١/١٣١، شرح التصريح ١/٣٦٥، الأشباه والنظائر ٢/١٧ (الحاشية٢)، المغني ١٦٤.

(٢) الكشاف ١/١٥٣ـ١٥٤، شرح الكافية ٢/٣٧٥، الدر المصون ١/١٠٢، البحر المحيط ١/٤٦ـ٤٧، معاني القرآن للزجاج ١/٧٧.

و(أفعلُ) هذا، وإن كان مشتقاً من مصدر يتعدّى فعلُه إلى مفعول به فإنه لا ينصب المفعول به، وأما قول الشاعر:

فما ظَفِرَت نفسُ امرِئٍ تبتغي المُنى ... بأبذلَ من يحيى، جزيلَ المواهب

فعلى إضمار فعل تقديره: يبذل جزيلَ المواهب[1]، والجملة الفعلية (يبذل جزيل المواهب) استئنافية إخبارية.

وفي الحديث: كان إذا افتتح الصلاة قال: الله أكبر كبيراً، (كبيراً) منصوب بإضمار فعل، كأنه قال: أُكَبِّر كبيراً. وقيل: هو منصوب على القطع من اسم الله تعالى[2].

وأوردوا على ذلك قوله:

أما الملوك فأنت اليوم ألأمُهُمْ ... لؤماً وأبيضهم سربال طبّاخِ

وأعربوا (لؤماً) بأنه منصوب بفعل محذوف يدل عليه المذكور، والجملة استئنافية.

قال يسن العليمي: وحكمة كون (أفعل) التفضيل لا ينصب المفعول المطلق إعطاؤه حكمَ فعل التعجّب؛ لأنَّ معناهما المبالغة[3].

وبمثل هذا التقدير وجّه المعربون قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وتحرير الكلام فيها من وجهين:

أحدهما: أن (حيث) وقعت ها هنا مفعولاً به، إذ المعنى: أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم نفسَ المكان المُستحِقَّ لوضع الرسالة فيه، لا شيئاً في المكان.

---

(١) ارتشاف الضَّرَب ٣/٢٣٥، حاشية يس العليمي ١/١٠٦.

(٢) لسان العرب (كبر) ٢/٣٨٠٨.

(٣) حاشية يسن العليمي ٢/١٠٦.

الثاني: ناصب (حيث) فعل مقدّر هو (يعلم) مدلولاً عليه بـ (أعلم) لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به.

وكذا قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٧] أي: أعلم من كل أحد. يعلم من يضل عن سبيله[١].

وأما نحو البيت الثالث من قول مرداس بن حصين:

ولم أَرَ هالكاً من أهل نجد ... كزُرعةَ يومَ قام به النَّواعي
أجلَّ جلالةً وأعزَّ فقداً ... على المولى وأكرم في المساعي
وأقْوَلَ للتي نبذت بنيها ... وقد رأت السَّوابقَ: لا تُراعي[٢]

فيوجب فيه النحاة أن نقدّر فعلاً دلَّ عليه (أقْوَلَ)؛ لتكون جملة (لا تراعي) فيه في محل نصب به؛ لأنَّ اسم التفضيل كما ذكرنا لا ينصب المفعول به من الأسماء، وأحْرِ به ألا يتعدى إلى الجمل.

قال الدكتور فخر الدين قباوة: وعندي أنه لا حاجة إلى التقدير؛ لأن معنى (أقْوَلَ) هو أكثر قولاً. ففيه المصدر الذي قد يتعدى إلى الجمل المحكية[٣].

١١ـ مسألة التعجب بـ: (وَيْ كأنَّ)

قال سيبويه[٤]: سألت الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ عن قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، فزعم أنها (وي) مفصولة من (كأنَّ)، والمعنى: وقع على أنَّ القوم انتبهوا فتكلَّموا على قدر علمهم، أو نُبِّهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا.

---

(١) حاشية الدسوقي ١/١٤٣، المغني ١٧٦ـ١٧٧.

(٢) النوادر في اللغة ٦.

(٣) إعراب الجمل وأشباه الجمل ١٥٨ـ ١٥٩.

(٤) الكتاب ٢/١٥٤ ط هارون.

وهذا بديع جداً كأنهم لم يحققوا هذا الأمر، فلم يكن عندهم إلاّ ظن، فقالوا: نشبّه أن يكون الأمر كذا، ونهوا، ثم قيل لهم: يشبه أن يكون الأمر هكذا على وجه التقرير.

قال أبو الحسن الأخفش: (وي) اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للخطاب، أراد ويكَ: أعجبُ أنه لا يفلح الكافرون، أي: أعجبُ لسوء اختيارهم[1]، والشاهد: أنَّ الوقف على: وي، وهي قراءة الكسائي، وما بعدها استئناف مضمونه التعجب.

ومن شواهد العربية في هذا المجال قول الشاعر:[2]

وَيْ كأنْ مَنْ يكنْ لهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ ومَنْ يفتقِرْ يعشْ عيشَ ضُرِّ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٨٢]، هي عند الأخفش أعجب؛ لأنَّ الله يبسط، وعند الخليل وسيبويه كما ذكر أنَّ (وي) وحدها، والكاف للتشبيه[3].

قال صاحب كشف المشكلات:

يقولون هذه الكلمة «وي» يتندّمون، ثم قالوا مبتدئين: كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء، لفظه لفظ التشبيه، ومعناه معنى الخبر، والتقدير: الله يبسط الرزق لمن يشاء[4].

---

(١) رصف المباني ٤٤٢ـ٤٤٣، الجنى الداني ٨٤ و ١٤١ و ٣٥٣، منار الهدى ٢١٣، المحتسب ٢/١٥٥ـ١٥٧، معاني القرآن للفرّاء ٢/٣١٢، ارتشاف الضرب ٢/٤٣٨، البرهان ٤/٤٤٣.

(٢) الخصائص ٣/١٦٩ـ١٧٠.

(٣) ارتشاف الضرب ٣/٢٠٠.

(٤) كشف المشكلات ٢/١٠٣١.

١٢ ـ توجيه مواقع جملة (وقد..) بين الحال والاستئناف

جاءت أكثر مواقع (وقد) في صدر الجملة الحالية فالواو واو الحال، وجاءت غير حالية في عدد من الآيات، فتوجه على الاستئناف وهي:

أ ـ ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الرعد: ٤١ـ٤٢].

جملة (وقد مكر الذين من قبلهم) استئنافية للإخبار بصنيعهم، وصفهم بالمكر؛ تسليمةً لرسول الله ﷺ بأنه لا عبرةَ بمكرهم ولا تأثير.

ب ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١].

الجملة مستأنفة.

جـ ـ ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

الجملة اعتراضية، مقرّرة لمضمون ما قبلها. أو استئنافية للإخبار المطلق بجزاء المفتري، أيًّا كان.

د ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨].

جملة (وقد تبيّن) استئناف إخباري.

هـ ـ ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٣ـ٢٤].

الجملة مفعول لقول مقدَّر، أي: وقال: قد أضلوا، وهذا القول المقدَّر معطوف على القول السابق.. ويجوز أن تكون استئنافية، للإخبار بصنيعهم.

و ـ قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ..﴾ [طه: ٦٤ـ٦٥].

جملة (وقد أفلح) الأظهر أنها استئنافية، لتقرير فلاح أتباع فرعون بزعمه.

قال الزمخشري: اعتراض، يعني: وقد فاز من غلب، ويعني بالاعتراض أنّه جيء بهذه الجملة أجنبية بين كلامهم ومقولهم؛ لأنه من جملة قولهم:

قالوا يا موسى، وهذه الجملة أعني قوله (وقد أفلح) من كلام الله تعالى، فهي اعتراض[1].

ز ـ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه:١١١].

تنوّعت أعاريب هذه الجملة، فمنها أنها استئنافية، وهذا الأظهر، ويجوز أن تكون حالاً، وأضاف الزمخشري وجهاً آخر، قال الزمخشري: جملة (وقد خاب) وما بعدها اعتراض، كقولك: وخسروا، وكلّ من ظلم فهو خائب خاسر، ومراده بالاعتراض هنا أنّه خص الوجوه بوجوه العصاة حتى تكون الجملة قد دخلت بين العصاة وبين ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [طه:١١٢] فهذا عنده قسيم: وعَنَتِ الوجوه، فلهذا كان اعتراضاً[2].

١٣ـ مسألة قطع الصفة وما يدور في فلكها:

لم يترك النحويون أسلوب قطع الصفة من دون ضوابط، وإنما بيّنوا ذلك بدقةٍ وتفصيلٍ، بيّنوا ارتباط الصفة بالموصوف، قال ابن مالك:

وإنْ نعوتٌ كثُرت وقد تلت ... مفتقراً لذكرهن أُتبِعَتْ

أي: إذا تكررت النعوت، وكان المنعوت لا يتّضح إلا بها جميعاً وَجَبَ إتْباعها، فتقول: مررت بزيدٍ، الفقيهِ الشاعرِ الكاتبِ، قال ابن مالك:

واقطع أو اتبع إن يكن معيّناً ... بدونها، أو بعضها اقطع مُعْلِنا

إذا كان المنعوت مُتّضحاً بدونها كلها، جاز فيها جميعها: الإتباع والقطع، والمعلوم أنّ المنعوت قد يكون معرفةً وقد يكون نكرةً، وغاية

---

(١) الكشاف ٥٤٣/٢، الدر المصون ٦٩/٨.

(٢) الكشاف ٥٥٤/٢، الدر ١٠٨/٨ـ١٠٩.

نعت المعرفة توضيحها، كما أن غاية نعت النكرة تخصيصُها، والتوضيح قد يحتاج إلى كل النعوت وقد يحتاج إلى بعضها، لذلك كان نعت المعرفة على التفصيل الآتي: إن احتاج المنعوت إلى جميعها وجب في جميعها الإتباع، وإن احتاج إلى بعضها وجب في ذلك البعض الإتباع وجاز فيما عداه الإتباع والقطع، وأمَّا النكرة فيجب في واحدٍ من نعوتها الإتباع، ويجوز فيما عداه الإتباع والقطع؛ لأن التخصيص لا يستدعي أكثر من نعت واحد[1].

وقال ابن مالك:

ارفع أو انصب إن قطعت مُضمِرا   مبتـدأً أو ناصـباً، لـن يظهـرا

أي: إذا قُطع النعت عن المنعوت رُفعَ على إضمار مبتدأ، أو نُصب على إضمار فعل، نحو: مررتَ بزيدٍ الكريمُ، أو الكريمَ،أي: هو الكريمُ، أو أعني الكريم[2]، والجملة استئنافية للمدح.

ومن أبرز التوجيهات السديدة في مجال قطع الصفة أو البدل ما ذكره علماء الوقف والابتداء مستمداً من آراء الحذاق من النحويين والبلاغيين؛ كسيبويه وابن جني والفارسي والجرجاني، فقد نصّوا على أنّ جميع ما في القرآن من (الذي) و(الذين)[3] يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً له، وأن تقطعه، فإنه يتعيّن الابتداء بها ولا يجوز غيره، وهذه المواضع هي:

١ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١].

٢ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة:١٤٦، الأنعام:٢٠].

---

(١) انظر شرح ابن عقيل ٢/٢٠٣ـ٢٠٤.

(٢) شرح ابن عقيل ٢/٢٠٤ـ٢٠٥.

(٣) وردت كلمة (الذي) في ٣٠٤ آية، وكلمة (الذين) في ١٠٧٣ آية.

٣ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

٤ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٥ـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩ـ٢٠].

٦ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

٧ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر ٦ـ٧][1].

والمتَتَبِّعُ لهذا الوقف والاستئناف سيلحظ بتدبر أنّ المعنى هو المقصود من القطع والاستئناف، فالوقف في الآية الأخيرة على (أصحاب النار)، تام لا يليق وصله بما بعده؛ لأنَّه لو وصله به لصار (الذين يحملون العرش) صفة لأصحاب النار، وذلك خطأ ظاهر، فينبغي أن يسكت سكتة لطيفة[2].

ومن الضوابط التي وُضعت في هذا المجال: أنّ الصفة إن كانت للاختصاص امتنع الوقف على موصوفها دونها، وإن كانت للمدح جاز، لأنَّ عاملها في المدح غير عامل الموصوف[3].

---

(١) انظر الجامع لإعراب جمل القرآن ٤٤.

(٢) للمزيد انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٣٥٧ـ٣٥٨، الإتقان للسيوطي ١/٨٨، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي ١/١٦ـ١٧، منار الهدى للأشموني ٢٢.

(٣) دراسات لأسلوب القرآن ق٣/جـ١/٢١٢.

١٤ـ مسألة النداء المستأنف

للاسم الجليل: (اللهُ) خصائص ومزايا في كلام العرب، قال سيبويه: صرَّفوا هذا الاسم على وجوه؛ لكثرته في كلامهم، ولأنَّ له حالاً ليست لغيره(١).

فمنها: في النداء حذف (يا) النداء وتعويض الميمين آخره، تبركاً بالابتداء باسمه تعالى.

واختلف النحويون في وصف هذا الاسم (اللهمَّ) فهو لا يوصف عند سيبويه، كما لا يُوصف أخواته، أعني الأسماء المختصة بالنداء(٢).

وقد أجاز المبرد وصفه؛ لأنه بمنزلة: يا اللهُ، وقد يقال: يا الله الكريمُ، وقد استشهد بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٦] وهو عند سيبويه على النداء المستأنف(٣).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦]، جملة (مالكَ الملك) نداء مستأنف آخر(٤).

١٥ـ مسألة القَسَمْ المستأنف:

توسَّع المعربون بتوجيه القَسَم المبدوء بـ (لا) كقولك: لا أقسمُ بالله، وفي البيان القرآني: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة:١] وأشكالها في القرآن: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [المعارج: ٤٠]، ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾

---

(١) الكتاب ١٩٧/٢ ط هارون، وانظر سفر السعادة ١/٥ـ١٤.

(٢) إعراب القرآن للزجاج ١/٣٩٤.

(٣) شرح الكافية ١/١٤٦، الخزانة ١/٣٤٧، شذور الذهب ١٤٤.

(٤) تذكرة النحاة: ٧٢٧.

[الواقعة: ٧٥]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] ولهم في ذلك رأيان مشهوران، يدور أحدهما في فلك الجملة الاستئنافية:

قال الزّجاج: لا اختلاف بين الناس أنَّ معناه: أقسم بيوم القيامة واختلفوا في تفسير (لا)، فقال بعضهم: (لا) لَغْوٌ، وإنْ كانت في أول السورة؛ لأن القرآن كلّه كالسورة الواحدة، لأنه متصل بعضه ببعض.

وقال الفرّاء: (لا) ردٌّ لكلام تقدَّم، كأنه قيل: ليس الأمر كما ذكرتم[1]، ثم قال: وكثيرٌ من النحويين يقولون (لا) صلة، ولا يبتدأ بجحد، ثم يُجعل صلة، يُراد به الطرح، لأن هذا لو جاز لم يُعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه، ولكنّ القرآن العزيز نزل بالردّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء الإقسام بالردّ عليهم في كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ، كقولك في الكلام: لا والله لا أفعلُ ذلك، جعلوا (لا) وإن رأيتها مبتدأةً ردّاً لكلامٍ قد مضى، لو ألغيت (لا) مما يُنوى به الجواب لم يكن بين اليمين التي تكون جواباً واليمين التي تُستأنف فَرْقٌ»[2].

وعلى ذلك قول الشاعر: لا وأبيك ابنةَ العامريِّ

وقد حُمل على ذلك قول عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد أفطر يوماً في رمضان، فظنّ أن الشمس قد غربت ثم طلعت: (لا، نقضيه ما تجانفنا الإثم فيه) وذلك أنَّ قائلاً، قال له: قد أثمنا، فقال: لا، نقضيه.

فقوله (لا) ردٌّ لكلامه: قد أثمنا، ثم استأنف، فقال: نقضيه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: ١١١].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٢٠٧، الكشاف ٤/١٨٩ـ١٩٠، معاني القرآن للزجاج ٥/٢٥١.

(٢) لسان العرب: (لا).

(٣) انظر المفردات للراغب الأصبهاني ٤٥٨.

تنوَّعت أقاويل المعربين في توجيه هذه الآية الكريمة، وفق قراءاتها ومعانيها، ولعلَّ أيسرَ ما وجهت إليه هو ما أبداه أبو عمرو بن الحاجب، قال: (لمَّا) هذه الجازمة، حُذِفَ فعلها للدلالة عليه، لِما ثبت من جواز حذف فعلها في قوله: (خرجت ولمّا) و(سافرت ولمّا)، وهو شائع فصيح، ويكون المعنى: وإنَّ كُلاًّ لمّا يُهمَلوا، أو يُتركوا، لما تقدّم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، ثم فصَّل الأشقياء والسعداء ومجازاتهم، ثم بيّن ذلك بقوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ وهذا استئناف مؤكد بالقسم، ولعلَّ هذا التوجيه، أحسن ما تُخرج عليه الآية الكريمة[١].

وعَدَّ المعربون من القسم المستأنف قول جرير:

أتُوعِدُني وراء بني رياحٍ كَذَبت لتقصرنّ يداك دوني[٢]

جملة (لتقصرن) واقعة جواباً لقسم مقدّر، والقسم المقدّر جوابه جملة استئنافية إخبارية، وما قبل القسم لم يعمل فيه وهذا أصل عند علماء الوقف. وشاهدُهم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١] في قراءة حمزة بكسر الميم، على أنَّ الواو للقسم بمعنى: وربّ الأرحام، والوقف على (به)؛ لأنَّ القسَم كما يقول الداني موضع استئناف[٣].

ومن التوجيهات النحوية في مجال القراءات ما ذكره العلماء في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١٠٦]، المعنى: لا نكتم الشهادة التي أمرنا سبحانه وتعالى بإقامتها وألزمنا أداءها.

---

(١) انظر الجنى الداني ٢٦٨، أمالي ابن الحاجب ١/٦٨، كشف المشكلات ١/٥٩٢ ـ٥٩٤، الجامع لإعراب جمل القرآن ٢٥٦ـ٢٥٩.

(٢) شرح ديوان جرير للصّاوي ٥٧٧.

(٣) المكتفى ٢١٥.

وروي عن الشعبي أنه وقف على (شهاده) بالهاء، ثم ابتدأ: آللهِ بالمدّ والجرّ، على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه[1]، والتقدير: ولا نكتم شهادةً واللهِ.. قال السمين الحلبي: ولا حاجة إليه، لأنه يستدعي حذف المفعول الأول للكتمان، أي: ولا نكتم أحداً شهادةً، واللهِ، وفيه تكلف[2].

وقرئ بتنوين الشهادة ووصل الهمزة ونصب اسم الله تعالى من غير مدّ، وخرّجه أبو البقاء على أنه منصوب بفعل القسم محذوفاً، وحاصل القراءتين على استئناف القسم.

١٦ـ مسألة: الواو في: (ولات) للحال لا للاستئناف:

تيسيراً على المعرب وجد النحاة أنّ الواو في (ولات) للحال، قال ابن هشام: وكذا وجدتها حيث وقعت قبل (لات). قال الشاعر:

حنت نوارُ ولات هَنّا حنّت وبدا الذي كانت نوارُ أجنّتِ

وفي البيان القرآني: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

الشاهد جملة ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ جاءت حاليّة من ضمير: نادوا، أي: نادوا واستغاثوا وطلبوا النجاة والحال أن ليس الحين حين مناص، أي: فوت ونجاة[3].

(١) روح المعاني ٧/ ٥٠.

(٢) الدر المصون: ٤/ ٤٦٩، إملاء ما منّ به الرحمن ٢٣٧، الكشاف ١/ ٦٥١.

(٣) تفسير أبي السعود ٧/ ٢١٤.

١٧ـ مسألة في قولهم: (ما أَغْفَلَهُ عنك شيئاً):

هذا تعبير من تعبيرات بلاغييّ العرب القدامى، أورده سيبويه في كتابه[١]، وغاب فهمه عن كثيرٍ من الناس.

قال الجوهري: أَغْفَلْتُ الشّيءَ: إذا تركتَه على ذِكْر منك[٢].

وفي اللسان: أغفله عنه غيرُه وأغفلَه: تركه وسها عنه.. قال سيبويه: أغفلتُه وغفلْتُ عنه: وصَّلْتُ غفلي إليه، أو تركته على ذُكر. وقال الليث: أغفلت الشيءَ تركته غفلاً وأنت له ذاكر[٣]، وهو قريب مما أورده الجوهري.

قال المازني: سألت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في (باب من الابتداء يُضْمَرُ فيه ما بُني على الابتداء) وهو قوله: «ما أغفلَهُ عنك شيئاً، أي: دعِ الشك عنك»: ما معناه؟ قال الأخفش: أنا مذ وُلدت أسألُ عن هذا.

وقال المازني: سألت الأصمعي وأبا زيد وأبا مالك عنه، فقالوا: ما ندري ما هو؟

قال أبو سعيد السيرافي: لم يفسَّرْ هذا الحرف فيما مضى إلى أن مات المبرّد، وفسّره أبو إسحاق الزجّاج بعد ذلك، فقال: معناه على كلامٍ تقدَّم، كأنَّ قائلاً قال: زيدٌ ليس بغافلٍ عَنّي، فقال المجيب: بلى ما أغفله عنك انظر شيئاً، أي: تفقَّدْ أمرك، فاحتج به على الحذف، يريد حذف الناصب (شيئاً)[٤].

---

(١) الكتاب ١٢٩/٢.

(٢) الصحاح غفل، ١٧٨٣/٥.

(٣) اللسان غفل.

(٤) الكتاب ١٢٩/٢ ط هارون حاشية ٢، تأويل مشكل القرآن ٩٠، اللسان: عقل، الصحاح (عقل).

وفَسَّره الجوهري بقوله: كأنه قال: ما أعلم شيئاً ممَّا تقول، فدع عنك الشك، ويستدل بها على صحة الإضمار في كلامهم للاختصار.

١٨ـ مسألة: توجيه حديث: (يتعاقبون فيكم):

وُجّه الحديثُ الذي أورده ابن مالك في شواهد التوضيح: (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار)[١] بأنه حديث مختصر حذف الراوي صدرَه، ولفظُه (إنَّ لله ملائكةً يتعاقبون فيكم؛ ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار).

وما ذكره ابن مالك هو رواية البخاري ومسلم عن أبي هريرة[٢]. وتوجيه الإعراب أن الواو حرف دال على الجماعة، وملائكة: فاعل (يتعاقبون).

وقد روي الحديث بلفظ: (الملائكة يتعاقبون، ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار). وتوجيه الإعراب على هذا اللفظ: الملائكة: مبتدأ. وجملة (يتعاقبون) خبر. و(ملائكة بالليل) جملة استئناف بياني لما أجمل أولاً، وهذا يكون الحال بعد الاختصار.

فالإجمال والتفصيل من بديع الأساليب، وكما هو دأب القرآن العظيم إنّه منهج البيان النبوي الرفيع.

والتحقيق في إعراب الحديث كما رواه الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ في الموطأ بلفظ: «إنَّ لله ملائكةً يتعاقبون فيكم: ملائكةٌ بالليل، وملائكة بالنهار»[٣].

---

(١) شواهد التوضيح: ١٩٢.

(٢) انظر صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ـ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، والرواية فيه: (الملائكة يتعاقبون فيكم) وما بعدها جملة استئنافية للتفصيل والبيان، وورد بلفظ (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار).. وكذا الرواية في صحيح البخاري ـ كتاب مواقيت الصلاة ـ باب فضل صلاة العصر، والرواية الثانية فيه: (الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار).

(٣) الموطأ: كتاب السفر ٨٢، مسند أحمد: ٢/٢٥٧، سنن النسائي: صلاة ٢١.

الواو في (يتعاقبون) ليست علامة على جمع الذكور، ولكنها ضمير جماعة الذكور، وهي فاعل، وجملة الفعل وفاعله صفة لملائكة الواقع اسم (إنَّ)، وملائكة: خبر مبتدأ محذوف، والجملة استئنافية القصد منها تفصيل ما أجمل أولاً[1].

وللحديث بهذا اللفظ إعراب لا يخلو من تكلّف. ذكر أحد الشرّاح أن (ملائكة) مبتدأ، والخبر محذوف؛ لدلالة المقام عليه، أي: يتعاقب بالليل، وهذا ـ على ركاكته، وخروجه عن الظاهر ـ كلام من لم يقف على حقائق الأمور، ولا نظر فيها نظر المتطلع الماهر[2].

١٩ـ الظرف لا يكونُ مؤكِّداً:

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

قال الزمخشري: ارجعوا وراءَكم: طَرْدٌ لهم، وتهكُّم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف، إلى حيث أُعطينا النور فالتمسوه هناك فمن ثَمَّ يُقْتَبَسُ، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه، وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وتنحّوا عنّا..

وقد جمع الزمخشري أمرين في توجيه (وراءكم)، في حين وجَّه الفارسي: وراءكم بأنها اسم فعل مؤكِّد لـ(ارجعوا) والجملة استئنافية للتوكيد، وعلى هذا فمن دقائق مسائل النحو أنَّ الظرف لا يكون مؤكِّداً[3].

---

(١) انظر كتاب منحة الجليل ١/٤٧٣، ارتشاف الضرب ١/٣٥٤.

(٢) انظر فيض نشر الانشراح ١/٥١٢ ـ ٥٢٠، بحوث ومقالات في اللغة ٢٧٠، شرح الكافية ١/٩٨، مشارق الأنوار ٢/٩٨.

(٣) الكشاف ٤/٦٣، تخليص الشواهد ١٣٦.

قال العكبَري: (وراءكم) اسم الفعل، فيه ضمير الفاعل، أي: ارجعوا ارجعوا، وليس بمعروف لقلّة فائدته؛ لأنَّ الرجوع لا يكون إلاّ إلى الوراء[1]، وهذا فاسد؛ لأن الفائدة جليلة كما تقدّم شرحها[2].

٢٠ ـ مسألة:

تنوّعت أقوال المعربين في بيان قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ [يونس: ٨١]:

و(ما) في موضع الذي: مبتدأ، كما تقول: (ما جِئتَ به باطلٌ)، وهي في قراءة عبد الله: (ما جئتم به سحرٌ)، وإنما قال (السحر) بالألف واللام لأنه جواب لكلام قد سبق؛ ألا ترى أنهم قالوا لِما جاءهم به موسى: أهذا سحر؟ فقال: بل ما جئتم به السحر.

وكان مجاهد وأصحابه وأبو عمرو وأبو جعفر يقرؤون:(ما جئتم به آلسحرُ) فيستفهم ويرفع السحر من نيّة الاستفهام، وتكون (ما) في مذهب (أي). كأنه قال: أيُّ شيءٍ جئتم به؟ السحر هو.. فهذه جملة استئنافية، أعيد فيها السؤال[3].

٢١ ـ مسألة في إعراب حَقًّا من قوله تعالى:

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]:

قال الفرّاء: (حقًّا) نَصْبٌ من نيّة الخبر، لا أنه من نعت المتاع، وهو كقولك في الكلام: عبد الله في الدار حقًّا، إنما نصب الحقّ من نيّة كلام

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٥٥١.
(٢) الدر المصون ١٠/٢٤٤.
(٣) معاني القرآن ١/٤٧٥، الكشاف ٢/٢٤٨، وانظر الإنصاف بحاشيته.

المخبر؛ كأنه قال: أخبركم خبراً حَقًّا، أو أخبركم بذلك حقًّا، وقبيح أن تجعله تابعاً للمعرفات أو للنكرات؛ لأنَّ الحقّ والباطل لا يكونان في أنفُس الأسماء؛ إنما يأتي بالأخبار، من ذلك أن تقول: لي عليك المال حقًّا، وقبيح أن تقول: لي عليك المالُ الحقُّ، أو لي عليك مال حقّ، إلاّ أن تذهب به إلى أنه حقٌّ لي عليك، فتخرجه مُخرج المال لا على مذهب الخبر.

وما يعنينا من هذا الشرح أن كلمة [حقاً] هي في إعراب النحويين مفعول مطلق مؤكد للجملة السابقة، وهو من جملة مستأنفة.

من أمثلة النحويين على مجيء هذا المصدر مؤكّداً، مجيئه بعد جملة تحتمل معناه وغيره، نحو: زيد ابني حقًّا، وهذا زيدٌ الحقَّ لا الباطلَ، ولا أفعل كذا البتةَ[1].

٢٢ ـ مسألة: المصدر المؤكد لجملة سابقة:

كلّ ما كان في القرآن ممّا فيه من نكرات الحقّ أو معرفته، أو ما كان في معنى الحقّ فوجه الكلام فيه النصب، وجملته استئنافية، مثل قوله: ﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، و﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ [الأحقاف: ١٦] ومثل قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٤] ومنه: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مريم: ٣٤]، قولَ: مصدر مؤكد للجملة السابقة، وهو من جملة استئنافية[2]، وكذا التوجيه في «وعدَ الحقّ» ونحو ذلك في البيان القرآني[3].

---

(١) معاني القرآن ١/١٥٤، أوضح المسالك ٢/٤٢، الكشاف ١/٣٧٤.

(٢) معاني القرآن ١/١٥٤.

(٣) معاني القرآن ١/١٥٤.

٢٣ ـ مسألة: الاستئناف وتعليق الظرف:

ذكرتُ فيما مضى أنَّ للوقف والابتداء دوراً مهماً في توجيه الإعراب والمعنى، ولابدَّ من معرفته، فالعرب تقول: لأُعطينَّكَ ثوباً ترضى، تنصب الثوب بالإعطاء، ولو نصبته بالرضا، تقطعه من (لأعطينك)، كان صواباً.

وقد وجّه المعربون ما يحتمل ذلك في عدد من آي الذكر الحكيم، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال العكبري: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف لـ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ فالتحريم على هذا مقدَّرٌ، وجملة ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ حال من الضمير المجرور. وقيل: هي ظرف لـ﴿يَتِيهُونَ﴾ فالتحريم على هذا غير مؤقت.

ولعلَّ إعراب جملة ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ استئنافاً إخبارياً أرجح، قال الفرّاء: ولو قطعت الكلام فنصبتها بقوله ﴿يَتِيهُونَ﴾ كان صواباً[1].

وقال أبو السعود: جملة (يتيهون في الأرض) أي يتحيرون، استئناف لبيان كيفية حرمانهم[2].

٢٤ ـ مسألة: في قوله تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤]:

قادرين: نُصِبَتْ على الخُروج من «نجمع»، كأنك قلت في الكلام: أتحسب أن لن نقوى عليك؟ بلى قادرين على أقوى منك. يريد: بلى نقوى قادرين، بلى نقوى مقتدرين على أكثر من ذا.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٥، الكشاف ١/ ٦٠٥، التبيان ١/ ١٢٠.

(٢) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٥.

ولو كانت رفعاً على الاستئناف، كأنه قال: بلى نحن قادرون على أكثر من ذا، كان صواباً. وقد قرئ: قادرون، أي: نحن قادرون[1].

٢٥ ـ الاستئناف بعد الحروف المقطعة:

قال الفرَّاء: الهجاء موقوف في كل القرآن، وليس بجزمٍ يسمّى جزماً، إنما هو كلام جَزَمَه نيَّةُ الوقوف على كل حرف منه، فافعل ذلك بجميع الهجاء فيما قلَّ أو كثر، وإنما قرأت القُرَّاء: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ في آل عمران، ففتحوا الميم؛ لأنّ الميم كانت مجزومةً (ساكنة) لِنيَّة الوقفة عليها، وإذا كان الحرف ينوى به الوقوف نُوي بما بعده الاستئناف، فكانت القراءة: أ ل مَ الله، فتركت العرب همزة الألف من «الله» فصارت فتحتها في الميم لسكونها[2].

٢٦ ـ مسألة: الاستئناف المعترض:

جمع الفرَّاء بينَ الاستئناف والاعتراض في توجيه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨ ـ ١٩].

قال: إن شئت استأنفت ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ..﴾ بكسرتها، وأوقعت الشهادة على ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وكذلك قرأها حمزة، وهي في قراءة عبد الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقرأ ابنُ عبّاس بكسر الأوّل وفتح الثاني: (أنَّ الدين...) وهو وجه جيّد؛ جعل (إنّه لا إله إلا هو) مستأنفة معترضة ـ كأن الفاء تُراد فيها ـ وأوقع الشهادة على (أنَّ الدين عند الله الإسلام). ومثله

---

(١) معاني القرآن ٣/٢٠٨، الكشاف ١/١٩٠.

(٢) معاني القرآن ١/٩، الكشاف ١/٤١٠.

في الكلام قولك للرجل: أشهد ـ إني أعلم الناس بهذا ـ أنك عالم، كأنك قلت: أشهد ـ فإني أعلم بهذا من غيري ـ أنك عالم[1].

٢٧ ـ مسألة:

من خفايا الاستئناف ما ذكره المعربون في قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام في جواب: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٣]:

فإنَّ السؤال وقع عن الفاعل لا عن الفعل، ومع ذلك صدر الجواب بالفعل، مع أنهم لم يستفهموا عن كسر الأصنام، بل كان عن الشخص الكاسر لها.

والجواب: أن ما بعد (بل) ليس بجواب للهمزة؛ فإنَّ (بل) لا يصلح أن يتصدَّر بها الكلام؛ ولأنّ جواب الهمزة بـ(نعم) أو (بلى)، فالوجه أن يُجعل إخباراً مستأنفاً، والجواب المحقّق مقدّر، دل عليه سياق الكلام، ولو صرّح به لقال: ما فعلته، بل فعله كبيرهم[2].

٢٨ ـ مسألة: الجملة بعد (بلى):

من القواعد النافعة أنك متى رأيت «بلى» أو «نعم» بعد كلام يتعلّق بها تعلّق الجواب، وليس قبلها ما يصحّ أن يكون جواباً له، فاعلم أنَّ هناك سؤالاً مقدّراً، لفظه لفظ الجواب، ولكنه اختصر وطوي ذكره علماً بالمعنى، والجملة الجوابية هي استئنافية، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٢٠٠، الكشاف ١/ ٤١٨.

(٢) البرهان ٤/ ٥٠.

وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]، فقال المجيب: بلى، ويعاد السؤال في الجواب. وبداية الكلام: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

وكذا قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] ليست «بلى» فيه جواباً لشيءٍ قبلها، بل ما قبلها دالٌّ على ما هي جواب له، والتقدير: ليس من كسب سيئةً وأحاطت به خطيئته خالداً في النار، أو يخلّد في النار، فجوابه الحق: بلى[١]..

٢٩ ـ من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين: مجيء الفعل الماضي حالاً:

وقد جوَّز ذلك الكوفيون، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين[٢]، وشاهدهم قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] فجملة ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ في موضع الحال، وتقديره: حصرةً صدورهم، ودعموا ذلك بقراءة الحسن البصري ويعقوب الحضرمي والمفضّل عن عاصم: (أو جاؤوكم حَصِرَةً صدورهم)[٣]. وبقول أبي صخر الهذليّ:

وإنّي لتعروني لذكراكِ هِزّةٌ ... كما انتفض العُصفور بَلَّلَهُ القَطْرُ

فبلله: فعل ماض، وهو في موضع الحال.

---

(١) البرهان ٤/٢٦٤.

(٢) انظر الإنصاف ١/٢٥٤، المسألة الثانية والثلاثون.

(٣) النشر ٢/٢٥١.

وقد ردَّ البصريون على ذلك بوجوه[1]، منها أنَّ جملة ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ استئنافية، فيها معنى الدعاء، وليست حالاً، كأنه قال: ضيَّق اللهُ صدورهم، كما يقال: جاءني فلان، وَسَّع اللهُ رزقَه، وأحسنَ إليَّ غَفَر اللهُ له، وسَرَقَ قطع الله يده، وما أشبه ذلك، فاللفظ في ذلك كلّه لفظ الماضي ومعناه الدعاء، وهذا كثير في كلامهم.. وكذا قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ لفظه لفظ الماضي ومعناه الدعاء، ومعناه من الله ـ تعالى ـ إيجاب ذلك عليهم.

وفي تحقيق هذه الأقوال استُبعِدَ إعرابُ الجملة أنها استئنافية، دعاءً عليهم، قال الكرماني: وفيه ضعف؛ لأنه يصير دعاء لهم، لقوله (أو يقاتلوا قومهم)[2].

ومن الآراء التي قيلت: إنَّ الجملة في مجال البلاغة خبر بعد خبر، يعني: أنّها جملة استئنافية أخبر بها عن ضيق صدور هؤلاء عن القتال بعد الإخبار عنهم بما تقدّم[3].

٣٠ ـ مسألة: القول في رافع الخبر بعد (إنَّ) المؤكّدة:

المشهور عند البصريين أنّ (إنّ) تدخل على الجملة الاسمية، فتنصب الاسم وترفع الخبر، خلافاً للكوفيين، إذ يرون أنها لا ترفع الخبر؛ لضعفها، والذي يدلّ على ضعف عملها أنّه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابتدئ به. قال الشاعر:

---

(١) انظر هذه الوجوه ـ وقد بلغت سبعة ـ الجامع لإعراب جمل القرآن ١٤٣ـ١٤٤.

(٢) البيان لابن الأنباري ١/٢٦٣، المغني ٣٢٩، ٥٦٢، ٦٩٦، ٨٣٣، غرائب التفسير ١/٣٠٢.

(٣) الدر المصون ٤/٦٤ ـ ٦٧، الجامع لإعراب جمل القرآن ١٤٤.

لا تتركَنِّي فيهمُ شطيراً   إنّي إذن أهلِكَ أو أطيرَا[1]

وفي بيان خبر (إنّي) توجيهات:

أحدها: وهو الظاهر أنه جملة: إذن أهلِكَ.

والثاني: أنه محذوف، تقديره: إني لا أستطيع ذلك إذن أهلِكَ، وجملة (إذن أهلك) استئنافية إخبارية.

والثالث: أنه شاذّ، فلا يكون فيه حجة للكوفيين[2].

٣١ ـ مسألة: (أيُّ) الموصولة بين البناء والإعراب:

توسَّع المعربون في توجيه الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

ولها مخرج سَهْل مقبول في مجال الاستئناف، فأيُّ: اسم استفهام مرفوع، والضمة ضمة إعراب، لا ضمّة بناء، وهو مبتدأ، أشدُّ: خبره، وذلك أنّ قوله ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ عمل في ﴿مِن﴾ وما بعدها، واكتفى الفعل بما ذكر معه، كما تقول: أكلت من كل طعام، فيكتفي الفعل بما ذكر معه، فكذلك ها هنا: عمل الفعل في الجار والمجرور واكتفى بذلك، ثم ابتدأ فقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[3].

* * *

---

(١) الشَطير: الغريب والبعيد، أهلك: أموت.

(٢) الإنصاف ١/١٧٦ المسألة الثانية والعشرون، شرح المفصّل لابن يعيش ١٧/٧ وانظر الحاشية ١، المغني: الشاهد ٢٠، العيني ٤/٣٨٣.

(٣) انظر الجامع لإعراب جمل القرآن ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

٣٢ ـ مسألة بين «إنْ» النافية والشرطية:

تنوّعَت أقاويل المعربين في توجيه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، فقيل: (إن) نافية، بمعنى: ما، أي: ما كان للرحمن ولد، وعليه فجملة ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ استئنافية مقرِّرةٌ لوحدانية الله تعالى، وصدق عبودية رسول الله ﷺ وهو قول ابن عبّاس، رضي الله عنه.

وقال كثير من المعربين: إنّ (إنْ) شرطية، وجوابه ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أي: الآنفين. من قولهم: عَبِدَ الرجلُ يعبَدُ عَبَداً فهو عَبِد وعابد إذا أنف، أو فأنا أوّل من عبد الله واعترف أنه إله فرد صمد لم يلد ولم يولد[١].

٣٣ ـ الاستئناف للاختصار:

من أساليب العرب في الاختصار قولهم: (حينئذٍ، الآنَ).

معناه: أنَّ ذاكراً ذكر شيئاً فيما مضى، يستدعي في الحال مثلَه، فقال له المخاطَب: (حينئذٍ الآن) أي: كان الذي تذكره حينئذٍ، واسمع الآن، أودعِ الآن ذكره أو نحو ذلك من التقدير. وشاهدُنا: أنّ (الآن) مع الفعل المحذوف جملة استئنافية إخباريّة؛ للانتقال من غرضٍ إلى آخر. ومبنى هذا الأسلوب على الحذف، والحذف كما يقول البلاغيون في كلامهم: لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يُحصى[٢].

** ** **

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٩/٨، غرائب التفسير ١٠٦٨، منار الهدى ٢٥٣، المغني ٣٤، الإنصاف ٦٣٧/٢، وانظر الانتصاف ٦٣٨/٢ ـ ٦٣٩.

(٢) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٣/١.

خاتمة

في الخاتمة ـ كما يقولون ـ خلاصة التجارب، والخُلاصةُ هنَا أنَّني وجدْتُ أن الجملة الاستئنافية تحتاج إلى درسٍ أشملَ وأعمقَ وأدقَّ ممَّا ألفناه في كتابات المعربين؛ لأن مثل هذه الجملة تكشف عن عبقريةٍ في اللغة العربية تتجاوز ظاهر الصناعة الإعرابية، لتتغلغل في أعماق المعاني، لبيان الصلة المعنوية بين الجمل والتعابير البيانية، بعضها من بعض.

الفكرة في بدايتها مستمدّة من علم النحو وعلم المعاني وتضافرهما معاً؛ لإبراز دور الجملة الاستئنافية في ثوبٍ جديدٍ.

قَلَّ اعتناء الناس بالجملة الاستئنافية، والتفتوا في معظم دراساتهم نحو أمورٍ نحويّة صناعية، لا تتوجه نحو المعنى إلا قليلاً، فمن ذلك أنك تجد كثيراً ممَّن يتكلم في شأن الإعراب التطبيقي إذا ذكر إعراب الجمل وتقسيمها إلى جملٍ لها محل من الإعراب، وجملٍ ليس لها محلٌّ من الإعراب يتوسّع في تحديد سائر الجمل، فإذا ظهر معه جملةٌ استئنافية قال: جملة استئنافية لا محل لها. وقد يتبادر إلى الذهن أنْ لا دور لهذه الجملة في الكلام، ولا تُحقِّق غرضاً معنوياً، أو مقصِداً بلاغياً، ممّا يؤدّي إلى انصراف كثيرٍ من المتعلمين عن تلمس التذوّق الأدبي للنص، وهذا التذوّق إنما تحققه الجملة الاستئنافية بأغراضها المتنوعة، التي تسمو إلى درجة الإعجاز.

ومع الإقرار بأنَّ الدراسات اللغوية التي عنيت بمباحث الجمل العربية قد خطت خطواتٍ واسعةً أصيلةً، في الجمع والتبسيط والنقد أيضاً، فوق ما اتّفق للدراسات الأدبية لها، فإن الدراسات المتعلقة بالجمل الاستئنافية نفسها لا يمكن أن تدنوَ من الكمال إلاَّ بعد أن تتحقَّق لها الأمور الآتية:

أ ـ العكوف على آراء البلاغيين؛ كالجرجاني والخطيب القزويني والسكاكي، والتفتازاني، وربطها بآراء النحويين القدامى؛ كالخليل وسيبويه والفرّاء ويونس وأبي عمرو وأضرابهم.

ب ـ الاستعانة بكتب الوقف والابتداء، التي أبرزت دور الفصل والوصل أو أسلوب القطع بدقةٍ كاملة.

جـ ـ التوسّع في دراسة مبادئ الجمل وفهرستها عند سيبويه والمبرّد والفارسي وابن جني.. إنَّ قسماً من ذلك قد تحقَّق فعلاً ولكنَّ الأحكام التي تبنى على أصل ناقص تظل ناقصةً.

د ـ استيفاء دراسة كتب التفسير التي عُني أصحابها باللغة والنحو والبلاغة ورصد كل ما يتعلّق بالجمل الاستئنافية من هذه الكتب، ولعلَّ من أنفعها وأشملها عرضاً لهذه الجمل: نظم الدرر للبقاعي، وروح المعاني للآلوسي، والبحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري..

هـ ـ تمرّس الدارسين بجوانب مختلفة من أغراض الجمل الاستئنافية ومقاصدها لما تقدّمه من نظرة أدبية ترتقي بدارس النص إلى مرحلةٍ سامية من الفهم والإدراك.

فإذا لم يكن دارس هذه الجمل مُلمًّا بهذه المقاصد إلماماً يسيراً على الأقلّ، فإنّ معالجته للنص وتذوقه له ستظلُّ قاصرةً.

و ـ توجيه المعربين إلى عدم الاكتفاء بقولهم المألوف: (جملة استئنافية لا محلَّ لها من الإعراب). بل لابدّ من ذكر الغرض الذي تحقّقه هذه الجملة، وقد تيسّر له ذلك في هذا الكتاب، ووراء ذلك نفعٌ كبير، وحَلٌّ لمشكلاتٍ عديدةٍ تقف أمام المعربين في تنوّع أعاريب الجملة الواحدة وما تحتمله من معانٍ في إطار النص.

هذا، ولا تطمئن نفس العاقل في أن يقتصر فهمه على أن هذه الجملة استئنافية فحسب، وإنما يريد أن يبلغ في معرفة وظائف هذا الاستئناف غايته، ويدقق النظر بروابط هذه الجمل المسماة بالجمل الاستئنافية، يتغلغل فكره إلى معرفة أسرار الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب حتى يصل إلى درجة عالية من معرفة بلاغة القرآن وأسرار إعجازه.

وأرجو من الدارسين والمدرِّسين ومتذوّقي اللغة العربية أن يُقبلوا على هذا الكتاب بقلوبهم، ويستمتعوا بدراسة مقاصد الجمل الاستئنافية وأغراضها، وما يدور في فلكها العام، وقد توسّعت في بيان تلك الأغراض والمقاصد، فالتوسُّع في ذكر المصطلحات في أيّ علمٍ من العلوم يسهّل طريق العلم أمام رجال العلم، ويسمو بفكر الأدباء والكتّاب لإدراك النص الأدبي بدقةٍ وشموليّة.

لعلَّ التوجّه نحو مقاصد الجمل الاستئنافية وبيان أغراضها المتنوعة يكون مَدْرَجة للفكر، ومشجَعة للنفس، وارتياضاً لما يرد من ذلك الطرز.

جاء هذا الكتاب جديداً في فكرته ودقيقاً في منهجه، إذ عرض معنى الاستئناف وأهمية الجملة الاستئنافية التي لم تنلْ حظّها من دراسة الباحثين، قديماً وحديثاً.

ثم عرض البحث مقاصد الجمل الاستئنافية وأغراضَها، وما يدور في فلكها من توجيهات وفوائد. ترشد الدارسين جميعاً إلى المكانة المرموقة التي وصلت إليها هذه الجملة في هذا الكتاب، كما أنها تعين المدرّسين والمعربين على فهم تكامل النص الأدبي، حين يشرحون ويفسّرون ويعربون.

ولارتباط الاستئناف بأدوات الابتداء أو الاستئناف دور مهم، لا ينبغي أن يبقى هامشياً، فلذلك عرض الكتاب ارتباط الجمل الاستئنافية

بأدوات الاستئناف، وما تعطيه من توجيهات معنوية سديدة. غياب معرفتها يؤدي إلى فساد المعنى. وجهل التعبير البلاغي الناصع.

وإذا كان للجملة الواحدة عَدَدٌ من الأعاريب كان ذلك أدعى لرحابة النص وغنى التعبير الأدبي. فنجد في كتب الأعاريب أن الجملة تستحق أن توجّه نحو الحال فلها معنى حينئذٍ، وتوجّه نحو الصفة فكذلك الشأن لها معناها. وتوجّه نحو الاستئناف فلها معناها أيضاً. فتتشابك الجملة الواحدة وتتوزّع في عددٍ من المعاني، والنحويُّ البليغ هو الذي يلتفت إلى دِقّة المعاني فيوجه إعراب الجملة وفقه؛ لأنَّ الإعراب خدم للمعنى، وكما يقول أستاذنا العلاّمة الدكتور مازن المبارك: «إنَّ النحويَّ الذي يُخَرّج وجهاً من وجوه الإعراب غيرَ مُرَاعٍ إصابةَ المعنى هو نحويٌّ لم يفهم صنعته، ولم يتمثّلِ الغايةَ من علمه» من أجل ذلك خصص الباحث فصلاً ليبين تفنّن المعربين في توجيهاتهم لإعراب الجمل؛ بين الاستئناف والحال. وبين الاستئناف والصفة. وبين الاستئناف وجواب الطلب.. ممّا له قيمة كُبرى لدى الإعراب وفهم النص المدروس.

وعرضَ البحثُ أهميةَ الفصل والوصل، هذا البحث الذي هو من أمتع مباحث البلاغة العربية، وله وثيق الصلة بالجمل الاستئنافية، وكان رائد هذا البحث الإمام الجرجاني الذي أتحفنا بفصلٍ موجز في دلائل الإعجاز. ذكر في هذا الكتاب بكامله؛ ليكون صورة نقدية للدارسين، يتعرفون من خلاله تذوق هذا البحث القيّم. ويرجحون ما يرجحون من الأعاريب وفق مبادئ بلاغية هدفها خدمة المعنى الأتم.

ولعلَّ هذا الكتاب يكون دافعاً للدارسين جميعاً إلى التوجه نحو فهم هذه الجملة التي هي ـ في نظري ـ تاج الجمل العربية، وأن يطّلعوا على أغراض الجملة الاستئنافية بفكر ثاقب، يؤهّلهم في أثناء قراءة النص وهذا

بدوره خطوة كبرى، للإعراب الكامل والدقيق فعلينا في مجال الإعراب أن لا نكتفي بقولنا: جملة استئنافية، بل نبين غرضها معها مباشرة فنقول، جملة استئنافية للتعليل، أو التوكيد أو الدعاء، أو التذييل والتكميل، أو التقرير أو الإخبار، وهذا ما تكفَّل الكتاب ببيانه بكل وضوح ومنهجية.. ويعلم الله ما كابدت في تأليف هذا الكتاب، من الجهد والعناء، رغبةً في أن يعرفه قرّاء العربية ويجدوا فيه طلبةً طالما تاقت إليها أنفسهم، فيشعروا كما شعرت بمتعة الجملة الاستئنافية ويقرّوا معي أن الجملة الاستئنافية هي تاج الجمل العربية.

وهذا جهد المقلّ أضعه بين يدي أهل العلم والأدب والنقد والبلاغة، ربما يجدون فيه شيئاً من الخلل أشعر بوجوده ولا أهتدي إلى مكانه، ولو أني اهتديت إلى مكانه لأصلحته قبل أن يصدر إليهم، غير أني واثق من أنهم يشركونني في حب العلم ومن أنهم سيصححون ما يحتاج إلى تصحيح، فأكون لهم من الشاكرين، ولا ريب في أن تصحيحهم هذا نفع لعدد كبير من القراء وخدمة للعلم نفسه.

ولا يستطيع أيُّ إنسانٍ مهما أُوتي من علمٍ ومعرفةٍ، ودرايةٍ، ورواية، وحسن نقلٍ، أو تأويل أن يدّعيَ أنه قال الكلمة الأخيرة في أيّ فنٍ من الفنون الإنسانية والدراسات الحياتية، ولهذا ما يُقال اليوم مقبول مفيد في عصره، وما يقال فيه في قابل الأيام، لا نقصَ فيه، بل ما يحتاجه اللاحق مضمومٌ إلى السابق، والكلام في مجال اللغة، وخاصة في دراسة الجمل، بحرٌ لا ساحل له.

والنظر إلى أعمال الناس برضىً أو بسَخَطٍ غيرُ مقبول إلاّ إذا كان هذا النقد أو ذاك الرفض مشفوعاً بالتفسير، أو بالعمل الجاد، أمّا أن توجّه الأحكام من غير تعليل في وصف الأعمال الإنسانية فوجه من الوجوه التي

لا يطمئن إليها الباحث الموضوعي المنصف، ولا يعتدّ بها في دائرة الدراسات الصحيحة منهجاً ومضموناً.

والإحساس بالأزمة بدايةُ الاجتهاد، والتفكير فيها قاعدة الانطلاق وتتنوّع الوسائل بحسب ميول الرائد وهمومه وعقيدته وفلسفته.

وأخيراً: فهل نتوجّه لإضافة وجهٍ من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فنقول هو نظم الجملِ الاستئنافية وتأليفها وترصيفها فيه، وأنه جمع محاسن جميع مراتب تأليف الجمل الاستئنافية ومقاصدها وأسرارها في كلام العرب.

يبقى هذا لآراء أهل العلم الذين ترسَّخَ فهمهم للبيان القرآني في غير ما وجهٍ من وجوه النحو والبلاغة.

وإنّ هذا العمل فتح من الله وتوفيقه وفضله وصلت إليه، لئلا يُغْتَرَّ بقول القائلين: كم ترك الأول للآخر، ولله درُّ الإمام أبي عبد الله بن مالك حيث قال: وإذا كانت العلوم مِنَحاً إلهيةً ومواهب اختصاصية، فغير مستبعَدٍ أنْ يدّخر لبعض المتأخرين ما عَسُر على كثيرٍ من المتقدّمين.

حَمِـدْتُ اللهَ ربّـي إذ هـداني لِما أبديت معْ عجزي وضعفي
فَمَـنْ لي بالخطـا فـأردّ عنـه ومَـنْ لي بـالقَبول ولـو بحـرف

وأخيراً: ربنا لا تَزِغ قلوبنا بعد إذا هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

دمشق ١٩٩٨م. وكتبه

الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوّا

مَسْرَد المصادر والمَرَاجع

* **إتحاف فضلاء البشر**: لأحمد الدمياطي، طبعة حنفي، مصر ١٣٥٩هـ.

* **الإتقان في علوم القرآن**: للسيوطي (٩١١هـ) دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩م.

* **الأحاديث القدسيّة**: دار الحكمة ـ دمشق ١٩٨٤م.

* **ارتشاف الضَّرب من لسان العرب**: أبو حيّان الأندلسي تح د. مصطفى النمّاس، مطبعة المدني ١٩٨٧م.

* **الأزهية في علم الحروف**: الهروي (٤١٥هـ) تح عبد المعين الملوحي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م.

* **أساس البلاغة**: الزمخشريّ، تح. عبد الرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م.

* **أسرار التكرار في لغة القرآن**: د. محمود السيد شيخون. مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ـ ١٩٨٧م.

* **أسرار العربيّة**: ابن الأنباري، تح بهجة البيطار وعاصم البيطار. دار البشائر ٢٠٠٦م.

* **أسلوب الشَّرط بينَ النحويين والبلاغيين**: د. فتحي بيّومي حمودة ـ دار البيان العربي ـ جدة ١٩٨٥م.

* **الأشباه والنّظائر**: السيوطي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق ١٩٨٥م.

* **الأصمعيّات**: تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ دار المعارف مصر.

* **الأصول في النّحو**: ابن السرَّاج، تح. عبد الحسين الفتكي. مؤسسة الرِّسالة، ط١، ١٩٨٥م.

* **أضواء البيان**: الشنقيطي ـ دار الكتب العلمية.

* **إعراب الجمل وأشباه الجمل**: الدكتور فخر الدين قباوة. دار الآفاق الجديدة بيروت ط٤، ١٩٨٣م.

* **إعراب القرآن**: أبو جعفر النحاس. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦٩.

* **إعراب القرآن الكريم من مغني اللّبيب**: الدكتور أيمن الشوّا. دار ابن كثير ـ بيروت ١٩٩٥م.

* **الأغاني**: أبو الفرج الأصبهاني. الهيئة المصرية للكتاب.

* **أمالي ابن الشجري**: حيدر آباد، ١٣٤٩هـ.
* **أمالي القالي**: دار الكتب، مصر، ١٣٤٤هـ.
* **الأمالي النّحوية لابن الحاجب**: تح هادي حسن حمودي، عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٥م.
* **إملاءُ ما منَّ به الرّحمن**: أبو البقاء العكبري ٦١٦هـ. دار الفكر ـ بيروت ١٩٩٣م.
* **الانتصاف من الكشاف**: ابن المنيّر، دار الفكر، ١٩٧٧م.
* **أوضح المسالك**: ابن هشام (٧٦١هـ)، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط٦، ١٩٨٠م.
* **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**: د. مختار عطية، دار المعرفة الجامعية ـ ١٩٩٧م.
* **الإيضاح في علوم البَلاغة**: الخطيب القزويني. دار الجيل ـ بيروت.
* **الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح**: تأليف الأستاذ الدكتور مصطفى الخن ود. بديع السيد اللحام. دار الكلم الطيب ـ دمشق ١٩٩٩م.
* **إيضاح الوقف والابتدا**: أبو بكر بن الأنباري.
* **الباعث الحثيث**: شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير. أحمد شاكر، صححه الدكتور بديع السيد اللحام ـ دار الفيحاء ١٤١٤هـ.
* **البحر المحيط**: أبو حيّان الأندلسي. دار السعادة ـ مصر.
* **بحوث ومقالات في اللُّغة**: د.عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١٩٨٨، ٢م.
* **بدائع الفوائد**: ابن القيّم. دار الكتاب العربي ـ بيروت.
* **البديع** (مختصر في شواذّ القراءات) ابن خالويه: عني بنشره ج برجشتراسر، مكتبة المتنبي ـ القاهرة.
* **بديع القرآن**: ابن أبي الإصبع، تح حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٧م.
* **البرهان في علوم القرآن**: الزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة بيروت، ط٢.
* **بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز**: الفيروزأبادي، تح الأستاذ محمد علي النجار ـ المكتبة العلمية ـ بيروت.

* **البلاغة العربيّة**: الدكتور عبد الرحمن حبنكة، دار القلم ـ دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
* **البيان والتبيين**: الجاحظ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٦٨م.
* **البيان في غريب إعراب القرآن**: ابن الأنباري، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد، مصر ١٣٨٩هـ.
* **تاج العروس**: الزبيدي، المطبعة الخيريّة بمصر ١٣٠٦هـ.
* **تأويل مشكل القرآن**: ابن قتيبة، تح. سيد صقر، المكتبة العلمية بيروت ط٣، ١٩٨١م.
* **تحرير التحبير**: ابن أبي الإصبع المصري. تح د. حنفي محمد شرف. القاهرة ١٩٦٣م.
* **تخليص الشّواهد** وتلخيص الفوائد: ابن هشام الأنصاري. تح عباس مصطفى الصالحي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٦م.
* **تذكرة النحاة**: لأبي حيّان الأندلسيّ: تح د. عفيف عبد الرّحمن، مؤسسة الرّسالة، بيروت ١٩٨٦م.
* **لتسهيل** الفوائد وتكميل المقاصد :ابن مالك،تحقيق محمد كامل بركات،مصر١٩٦٨م.
* **التصريح بمضمون التوضيح**: الشيخ الأزهري ـ دار الفكر.
* **التعريفات**: الجرجاني، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٦٩م.
* **تفسير أبي السعود**: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* **تفسير البيضاوي**: طبع مع حاشية الشهاب، المكتبة الإسلامية تركيا.
* **تفسير الجّلالين**: دار الفكر ـ بيروت.
* **التفسير الكبير**: الرازي، دار إحياء التراث العربي. بيروت.
* **تفسير النسفي**: النسفي دار الكتاب العربي، ١٩٦٠م.
* **التقرير في التكرير**: ابن عابدين. تقديم محمد مرشد عابدين مكتبة الغزالي ط١ ١٩٩٢م.
* **التلخيص** في علوم البلاغة: القزويني. شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٠٤م.
* **التيسير في القراءات السبع**: الداني. عني بتصحيحه أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي ط٣، ١٩٨٥.

* **ثمرات الأوراق**: ابن حجّة الحموي ـ دار الفكر ـ بيروت.

* **الجامع الكبير لابن الأثير**: تح د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد. ط١ المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٥٦م.

* **الجامع لأحكام القرآن**: القرطبي، دار إحياء الكتب.

* **الجامع لإعراب جمل القرآن**: الدكتور أيمن الشوَّا، مكتبة الغزالي ـ دمشق دار الفيحاء ـ بيروت. ط١، ٢٠٠٠م.

* **الجمل في النحو**: عبد القاهر الجرجاني ـ تح د. علي توفيق الحمد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ودار الأمل ـ إربد ١٩٨٤م.

* **الجنى الدّاني في حروف المعاني**: للمرادي. تح د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٨٣م.

* **حاشية الأمير** على مغني اللبيب. دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي.

* **حاشية الخضري** على شرح ابن عقيل ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٨م.

* **حاشية الدسوقي** على مغني اللبيب لابن هشام. طبع عبد الحميد حنفي ـ مصر.

* **حاشية الشّريف على الكشّاف**: دار الفكر ـ بيروت ١٩٦٥م.

* **حاشية الصّاوي** على تفسير الجلالين: دار الفكر ـ بيروت.

* **حاشية العدوي** على شرح شذور الذهب، طبع بمطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣٤٨هـ.

* **حاشية على شرح بانت سعاد**: البغدادي، تح نظيف محرّم خواجه ـ دار فرانز شتايز فيسبادن، ١٩٩٠م.

* **حاشية يس العليمي** على التصريح ـ دار الفكر.

* **خزانة الأدب**: البغداديّ، ط. بولاق مصوّرة ١٢٩٩هـ.

* **الخصائص**: ابن جنّي، تح. محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية ١٩٥٣م.

* **الدرّ المصون** في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي. تح د. أحمد الخراط، دار القلم دمشق ط، ١٩٩٤م.

* **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**: عبد الخالق عضيمة ـ دار الحديث ـ مصر.

* **الدرر اللّوامع على همع الهوامع**: الشنقيطي. دار المعرفة ـ بيروت ط٢، ١٩٧٣م.
* **دلائل الإعجاز**: عبد القادر الجرجاني، تح د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية، دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٣م.
* **ديوان أبي تمام**: تح د. محمد عزام ط دار المعارف.
* **ديوان أبي فراس** ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٨م.
* **ديوان أبي نُواس** بشرح الصولي ـ تحقيق: بهجة الحديثي ط بغداد ١٩٨٠.
* **ديوان الحطيئة**: تح نعمان طه ـ القاهرة ١٩٥٨م.
* **ديوان محمد الخضر حسين** (خواطر الحياة) تح علي الرضا الحسيني، دار الحسينية للكتاب ـ ط٤، ١٩٩٠م.
* **ربيع الأبرار** للزمخشري: تح د. سليم النعيمي دار الذخائر ـ إيران ١٣١٠هـ.
* **رصف المباني**: المالقي. تح أحمد الخراط. مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٧٥م.
* **روح المعاني**: الألوسي: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* **زاد المسير** في علم التفسير: ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ـ دمشق.
* **السبعة في القراءات**: ابن مجاهد، تح د. شوقي ضيف، دار المعارف ـ مصر ١٩٧٣م.
* **سرّ صناعة الإعراب**: ابن جنّي، تح. مصطفى السقا ورفاقه، مط الحلبي القاهرة١٩٥٤م.
* **سفر السعادة** وسفير الإفادة: السخاوي. تح د. محمد الدالي. مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٨٣م.
* **شذور الذّهب** من كلام العرب: ابن هشام. تح عبد الغني الدقر ـ دار الكتاب العربي.
* **شرح ابن عقيل** على ألفية ابن مالك، تح محمد محيي الدين عبد الحميد.
* **شرح أبيات سيبويه**: لابن السيرافي، تح د. محمد علي سلطاني، دار المأمون للتراث دمشق ١٩٧٩م.
* **شرح الأشمونيّ** على ألفية ابن مالك ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **شرح ديوان الحماسة للأعلم الشنتمريّ**: تح د. علي حَمُّودان ـ دار الفكر ـ ١٩٩٢.
* **شرح ديوان زهير**: صنعة الإمام ثعلب، الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٤٤.

* **شرح شواهد المغني** للسيوطي: منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت.
* **شرح عقود الجمان**: السيوطي، مطبعة البابي الحلبي ـ مصر.
* **شرح قصيدة كعب بن زهير**: ابن هشام. تح د. محمود أبو ناجي، مؤسسة علوم القرآن ١٩٨٤م.
* **شرح قواعد الإعراب**: الكافيجي. تح د. فخر الدين قباوة. دار كلاس ط١، ١٩٨٩م.
* **شرح الكافية** في النحو للاستراباذي. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٢م.
* **شرح الكافية البديعية**: صفي الدين الحليّ، تح د. نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٨٣م.
* **شرح المفصَّل**: ابن يعيش، إدارة المطبعة المنيرية.
* **شرح الملا جامي** على الكافية: دار الطباعة العامرة.
* **شرح التلخيص** للقزويني: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة مصوّرة.
* **شواهد التّوضيح** والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح: ابن مالك. تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية.
* **الصحّاح**: تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري. تح أحمد عبد الغفور العطار.
* **صحيح البخاري**: تح د. مصطفى البغا. دار العلوم الإنسانية دمشق.
* **صفوة التفاسير**: د. محمد علي الصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت.
* **الطِّراز**: يحيى بن حمزة اليمني، طبعة مصر ١٩١٤م.
* **عجائب القرآن**: الإمام فخر الدين الرازي. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٤م.
* **عقود الزّبرجد** على مسند الإمام أحمد: السيوطي، دار الكتب العلمية.
* **العمدة** في محاسن الشعر: ابن رشيق، تح محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل ـ بيروت ط٤، ١٩٧٢م.
* **عمدة القاري**: شرح صحيح البخاري: العيني، دار الفكر ـ بيروت.
* **عمدة الكتاب**: أبو جعفر النحاس: بناية بسام الجابي، دار ابن حزم ـ بيروت ٢٠٠٤م.
* **عيون الأخبار**: ابن قتيبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* **غرائب التفسير** وعجائب التأويل: الكرماني، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ١٩٨٨م.
* **الغيث المسجم في** شرح لامية العجم: الصفدي. دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٠م.
* **الفائق** في غريب الحديث: الزمخشري. تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٧م.
* **الفاخر في شرح جمل** عبد القاهر: أبو الفتح البعلي، تح الدكتور ممدوح خسارة.
* **الفتوحات الإلهيّة** بتوضيح تفسير الجلالين: سليمان الجمل ـ دار إحياء التراث العربي.
* **فيض نشر الانشراح**: محمد الطيب الفاسي. تح أ.د. محمود يوسف فجّال. دار البحوث للدراسات الإسلامية ـ الإمارات ـ دبي ط١، ٢٠٠٠م.
* **قطر النّدى** وبل الصّدى: ابن هشام، تح محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة ـ بيروت.
* **القطع والائتناف**: أبو جعفر النحاس، تح د. أحمد خطاب العمر ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٨م.
* **الكتاب**: سيبويه، طبعة بولاق. وطبعة د. عبد السلام هارون.
* **كتاب الصّناعتين**: أبو هلال العسكري، تح د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
* **الكشّاف**: الزمخشريّ، دار الفكر. ١٩٦٥م.
* **كشف المشكلات** وإيضاح المعضلات: الباقلي، تح د. محمّد أحمد الدّالي، ط. مجمع اللغة العربية ١٩٩٥م.
* **الكُلّيّات**: أبو البقاء الكفوي، تح د. عدنان درويش، محمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق ١٩٨١م.
* **اللامات**: الزجاجي، تح الدكتور مازن المبارك، دار الفكر ـ دمشق ١٩٨٥م.
* **اللباب في** علل البناء والإعراب: العكبري، تح د. طليمات ونبهان دار الفكر، دمشق.
* **لباب النقول للسيوطي بحاشية الصّاوي** على تفسير الجلالين.دار الفكر ـ بيروت١٩٨٨م.
* **لسان العرب**: ابن منظور ـ دار المعارف ـ مصر. تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف.

* **مبادئ اللِّسانيّات**: د. أحمد قدّور، دار الفكر.
* **المثل السائر**: ابن الأثير تح د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر ـ القاهرة.
* **مجمع البيان**: الطبرسي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
* **المحتسب** في تبيين وجوه شواذ القراءات.. ابن جني. تح علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم البحار والدكتور عبد الفتاح شلبي ـ القاهرة ١٣٨٦م.
* **المحرّر الوجيز** في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية. طبع المغرب ١٩٧٥م.
* **المرتجل في شرح الجمل**: ابن الخشاب. تح علي حيدر، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢م.
* **مسند الإمام أحمد**: القاهرة ١١٣١٣هـ.
* **مشارق الأنوار** للقاضي عياض، طبع ونشر المطتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة.
* **مشكاة المصابيح**: التبريزي. اعتنى به محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم. شركة دار الأرقم. بيروت.
* **مشكل إعراب القرآن**: مكّي القيسي القيرواني، تح ياسين السواس، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م.
* **المصباح المنير**: الفيومي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٥٤م.
* **المُطَوَّل**: التفتازاني. تصحيح عثمان أفندي زاده، مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠م.
* **معاني القرآن** للفرّاء، تحقيق محمد علي النجار. عالم الكتب، بيروت ط٣، ١٩٨٣م.
* **معاني القرآن وإعرابه** للزجاج: تح د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ـ بيروت ط١، ١٩٨٨م.
* **معاهد التنصيص**: العباسي. تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة والمكتبة التجارية بمصر ١٣٦٧هـ.
* **معترك الأقران** في إعجاز القرآن: السيوطي، تح علي محمد البجاوي القاهرة ١٩٦٩م.
* **المعجم المفصّل في علوم البلاغة**: إعداد الدكتورة إنعام نوال عكاوي. دار الكتب العلمية ط١، ١٩٩٢م.

* **مغني اللّبيب** عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تح الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة الأستاذ الأفغاني ـ دار الفكر ط٣، ١٩٧٢.
* **المفردات** في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني، تح محمد سيد كيلاني دار المعرفة ـ بيروت.
* **المقاصد النحوية**: العيني، دار صادر ـ طبعة مصورة ـ بيروت.
* **المقتضب**: المبرّد، تح محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر، ١٣٨٥هـ.
* **مقدّمة تفسير ابن النقيب**: تح د. زكريا سعيد علي. مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١٩٩٥،١م.
* **المقرّب في النحو**: ابن عصفور، تح د. أحمد عبد الستار الجواري و د. عبد الله الجبوري مطبعة العاني بغداد ١٩٧٢م.
* **المكتفى** في الوقف والابتدا: الداني، تح د. مرعشلي ـ مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٤م.
* **ملاك التأويل**: أبو جعفر بن الزبير، تح د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥م.
* **منار الهدى** في الوقف والابتدا: الأشموني، دار المصحف ـ دمشق ١٩٨٣م.
* **منحة الجليل** بتحقيق شرح ابن عقيل: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢.
* **الموافقات**: الشاطبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
* **الموجز في قواعد اللُّغة العربيّة**: سعيد الأفغاني. دار الفكر ١٩٦٥م.
* **موسوعة الإعجاز العلميّ**: الدكتور محمد راتب النابلسي ـ دار المكتبي ـ دمشق ط١ ٢٠٠٤م.
* **الموطّأ**: الإمام مالك: دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.
* **نبذ من مقاصدِ الكتابِ العزيز**: العزّ بن عبد السلام، تح أيمن الشوّا. مكتبة الغزالي ـ دمشق ١٩٩٥م.
* **النّحو المُيسّر**: الدكتور محمد خير الحلواني، دار المأمون ـ دمشق.
* **نحو نظرية أسلوبيّة لسانيّة**: فيلي سانديرس ترجمة د. خالد جمعة دار الفكر ـ دمشق، ٢٠٠٣م.

* **النشر في القراءات العشر**: ابن الجزري. تح محمد الضبّاع ـ دار الكتب العلمية بيروت.

* **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور**: برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م.

* **نقد الشعر**: قدامة بن جعفر، تح كمال مصطفى، حلوان..

* **النّهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير الجزري. تح د. محمود الطناحي مؤسسة إسماعيليان ـ إيران.

* **النّوادر**: أبو زيد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

* **همع الهوامع : جلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت.**

** ** **

مسرد الموضوعات

** ** **